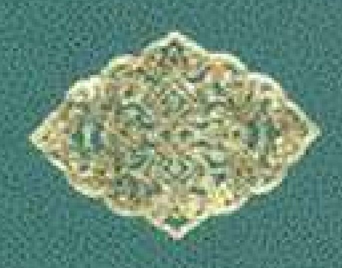


السفر الثاني

من كتاب المقتبس



تصنيف

حيان بن خلف بن حيان القرطبي

(٣٧٧هـ - ٤٦٩هـ)

تحقيق

الدكتور محمود علي مكي

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

تحقيق التراث (٢)

السِّفْرُ الثَّانِي

مِنْ كِتَابِ المُقْتَبَسْ

لِابْنِ حَيَّانَ القُرْطُبِيّ

حققه وقدّم له وعلّق عليه

الدكتور محمود علي مكي

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

ابن حيان، حيان بن خلف

السفر الثاني من كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي/ حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي ـ الرياض.

٦٦٤ ص؛ ١٩×٢٧ سم

ردمك: ١-٠٣-٨٩٠-٩٩٦٠

١ ـ الأندلس ـ تاريخ ـ العصر الأموي ٢ـ التاريخ الإسلامي

أ ـ مكي، محمود علي (محقق) ب ـ العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٧١١ ٢٣/٤١٩٩

رقم الإيداع: ٢٣/٤١٩٩

ردمك: ١-٠٣-٨٩٠-٩٩٦٠

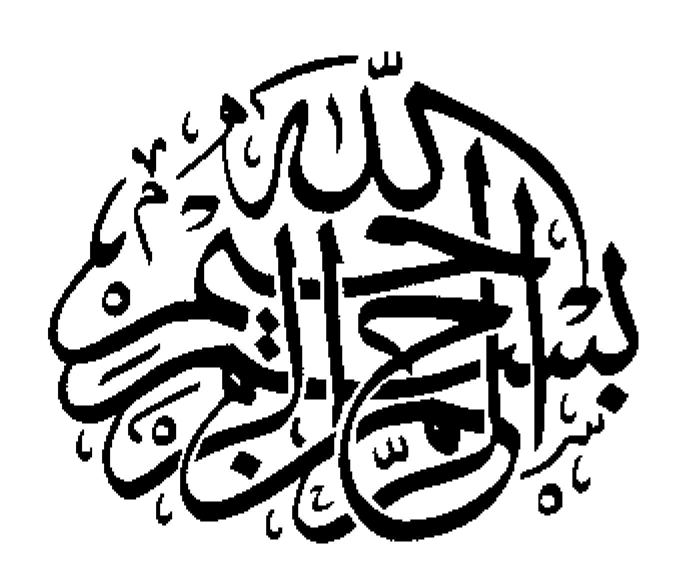
الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ فاكس ٤٦٥٩٩٩٣


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى ذكرى عَلَمَيْ إحياء التراث
الشيخ حمد الجاسر
والشيخ محمود محمد شاكر
طيب الله ثراهما برحمته
وجزاهما عن أمتنا الإسلامية العربية خير الجزاء

المحتويات

مقدمة السفر الثاني

من كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي

١ - مخطوطات المقتبس واهتمام الباحثين بها :

كتاب « **المقتبس**» لابن حيان القرطبي (٣٧٧-٤٦٩هـ/ ٩٨٧-١٠٧٦م) يعد أوعب كتاب يؤرخ للأندلس، خلال القرون الثلاثة من حياتها الإسلامية. وهي شهادة يجمع عليها من عرفوا هذا الكتاب، وانتفعوا منه من القدماء، ومن استخدموا مادته من الباحثين المحدثين. ومع ذلك فقد ظل كنزاً مخبوءاً لزمن طويل، حتى كان «اكتشافه» على يد العلامة الهولندي الكبير راينهارت دوزي، صاحب أول جهد علمي حقيقي في كتابه تاريخ الأندلس. وكانت صلة هذا العالم بكتاب ابن حيان قد بدأت حينما اضطلع وعدد من زملائه المستشرقين بنشر القسم الأول من الموسوعة الأندلسية الكبيرة «**نفح الطيب**» للمقري (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)[١] وكان صدور هذا القسم، في مجلدين ما بين سنتي ١٨٥٥م و١٨٦١م. أما في العالم العربي، فإن نفح الطيب لم يعرف إلا في السنة التالية (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م) حينما نشر الكتاب كله بقسميه في مطبعة بولاق.

وكان دوزي قد عكف منذ منتصف القرن الماضي، على التنقيب عن التراث الأندلسي. وكان على بصيرة نافذة بأهم ما في هذا التراث وأكثره قيمة. فكان من بين ما قام بنشره «**البيان المغرب**» لابن عذاري المراكشي و« **المعجب**» لعبدالواحد المراكشي والقسم الأندلسي من «**الحلة السيراء**» لابن الأبار البلنسي، وقد مكنته هذه

---

(١) نشر هذا القسم وهو النصف الأول من الكتاب في ليدن ولندن في مجلدين بعنوان : **Analectes sur l'histoire et la literature des arabes d'Espagne**، وقام بتحقيق النص العربي مع دوزي Dozy ثلاثة من كبار المستشرقين هم ديجا Dugat ورايت Wright وكريلKrehl. وكان قد سبقهم إلى التعريف بالكتاب والانتفاع من مادته، المستشرق الإسباني باسكوال دي جايانجوس، غير أنه لم ينشر النص العربي، وإنما ترجم العديد من فصوله إلى الإنجليزية وذلك بين سنتي ١٨٤٠-١٨٤٣م.

Pascual de Gayangos: **The history of the Mohammedan Dynasties in Spain**, London, 1840-1843.

المعرفة الوثيقة بذلك التراث، الذي كان كله مخطوطاً في ذلك الوقت، من الشروع في كتابة أول تاريخ علمي حقيقي للأندلس[١]. وما زال هذا الكتاب الذي صدر منذ أكثر من مائة وثلاثين عاماً، من الكتب المفيدة الممتعة، على الرغم من التقدم الكبير الذي أحرزته الدراسات الأندلسية خلال هذه الحقبة.

وقد فطن دوزي منذ هذا العصر المبكر، إلى قيمة ما كتبه مؤرخ الأندلس ابن حيان. ولم يكن معروفاً من مؤلفاته في ذلك الوقت، إلا قطعة من كتاب "المقتبس" هي السفر الثالث من هذا الكتاب، وكانت محفوظة في المكتبة البودليانية التابعة لجامعة أوكسفورد بإنجلترا[٢]. وقد أفاد دوزي من هذه المخطوطة إفادة جمة في كتابة تاريخه للأندلس، ولاسيما فيما يتصل بفترة حكم الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) وبأخبار الثورات التي عمت الأندلس في أيامه. ثم زاد اطلاع دوزي على تراث ابن حيان حينما وجه اهتمامه لكتابة تاريخ بني عباد في إشبيلية، فقاده ذلك إلى قراءة مخطوطات كتاب «الذخيرة» لابن بسام الشنتريني، إذ إن هذا الكتاب، تضمن فصولاً كثيرة من

---

(١) هو كتاب تاريخ المسلمين في إسبانيا الذي صدر في سنة ١٨٦١م:

Reinhardt Dozy : **Histoire des Musulmans d'Espagne**, Leyde, 1861.

وفي سنة ١٩٣٢م صدرت طبعة ثانية لهذا الكتاب بعناية العالم الفرنسي ليفي بروفنسال في ثلاثة مجلدات، كما قام بترجمته إلى الإنجليزية جريفين ستوكس:

.Francis Griffin Stokes : **Spanish Islam**, New York, 1913

(٢) المكتبة البودليانية Bodleian Library أسسها العالم السياسي السير توماس بودلي Sir Thomas Bodley بعد استقالته من الحكومة، في سنة ١٦٠٢م، وكانت نواتها مما اشتراه السياسي البريطاني بماله من الكتب والمخطوطات، وكان عددها في بداية عهدها نحو ألفي كتاب، ثم ما زالت تنمو وتتضخم بما كان يهدى إليها من كتب حتى بلغ عددها نحو ٨٠٠,٠٠٠ مجلد ومن المخطوطات الشرقية: العربية والعبرية والكلدانية والسريانية والقبطية والتركية والفارسية، وتقع فهارسها في العديد من المجلدات. انظر حول هذه المكتبة نجيب العقيقي: **المستشرقون**، ط. دار المعارف، سنة ١٩٨٠م، ص ٢٨-٢٩.

كتاب ابن حيان الآخر «المتين» الذي أرخ فيه لملوك الطوائف في الأندلس. فنشر النصوص الخاصة بني عباد في كتابه الذي ألفه باللاتينية عن هذه الأسرة، التي حكمت كبرى ممالك الطوائف[1]. وكانت ثمرة هذه العناية بما عرفه دوزي من تراث ابن حيان، جملة من الآراء حول شخصية المؤرخ الأندلسي الكبير وتقويم عمله، وإبراز مكانه بين مؤرخي الإسلام[2]، وهي آراء تلقفها الباحثون بعده وتبنوا أكثرها، إذ كانت في جملتها سليمة صحيحة على الرغم من تقادم العهد بها. وحينما نتحدث هنا عن الباحثين فنحن نعني بهم المستشرقين الأوربيين، أما العالم العربي فلم يكن فيه من يهتم بدراسة هذه الموضوعات دراسة علمية منهجية.

وكان من أول من استجابوا لدعوة دوزي للاهتمام بتراث ابن حيان التاريخي، المستشرق الإسباني فرانسيسكو كوديرا (ت١٩١٧م) الذي يعد مؤسس الاستشراق الحديث في إسبانيا. واتفق أن أوفدته الحكومة في مهمة علمية إلى تونس والجزائر في سنة ١٨٨٨م، وذلك للبحث عن بقايا التراث الفكري الأندلسي التي احتفظت بها بلاد الشمال الإفريقي، وفي إحدى المكتبات الخاصة بمدينة قسنطينة في شرقي الجزائر، وهي مكتبة سيدي حمودة، عثر على قطعة أخرى من "المقتبس" لابن حيان، هي فصول من سفر من أسفار الكتاب لم ينص على رتبته منها، وإن كان المعتقد أنه السفر السابع. وقام كوديرا باستنساخ هذه الفصول من الأصل، ولما عاد

(١) هو كتاب الجامع لأخبار بني عباد Scriptorum Arabum Loci de Abbadidis الذي نشر في ليدن في ثلاثة مجلدات بين سنتي ١٨٤٦م و ١٨٦٣م.

(٢) أورد دوزي هذه الآراء في تقديمه للنشرة التي قام بها للجزأين الأولين من كتاب البيان المغرب لابن عذاري الذي كان يرجع إليه فضل اكتشافهما:

Histoire de l'Afrique et de l'Espagne intitulée Albayano'l-Mogrib, Leyden 1848-1851, pp72-73.

وكذلك في مواضع من كتابه "الجامع لأخبار بني عباد" ١/ ١٩٠، ٢١٧؛ ٣/ ٧٤.

إلى إسبانيا أودع نسخته في المجمع التاريخي الملكي بمدريد برقم ٣٣٩، ولم ينتفع من هذه النسخة قبل نشرها، وهي تتناول خمس سنوات غير كاملة من خلافة الحكم المستنصر (بين سنتي ٣٦٠هـ و٣٦٤هـ)، إلا كوديرا نفسه في بعض الأبحاث التي نشرها في إحدى مجموعات سلسلة كتبه «**دراسات نقدية حول تاريخ الأندلس**»[1] ثم إميليو غرسية غومس، في مقال نشره حول الحكم المستنصر والبربر بعد أبحاث كوديرا بثلاثين سنة[2].

ومع هذا الاهتمام من جانب المستشرقين بتراث ابن حيان التاريخي فإنه لم يقدم أحد منهم على نشر ما عرف منه حتى انتدب لذلك الراهب الأغوسطيني ملتشور أنطونيا الذي بدأ بإعداد رسالته للدكتوراه حول ابن حيان ومؤلفاته التاريخية، ونشر فصولاً حول هذا الموضوع في مجلة "مدينة الله"[3]. ثم نال درجة الدكتوراه ببحثه هذا في سنة ١٩٣٣م، ونشرت خلاصة وافية لهذا العمل العلمي بعد موت الراهب الإسباني في سنة ١٩٤٦[4]. وإلى هذا الراهب المتواضع، يرجع الفضل في نشر أول أثر تاريخي لابن حيان، يبدو أنه كان أعده ملحقاً برسالته للدكتوراه، وهذا الأثر هو تلك القطعة من السفر الثالث المحفوظة في المكتبة البودليانية والتي كان دوزي أول من عرف بوجودها وبقيمتها. وكان نشر هذه

(1) F. Codera : **Estudios criticos de historia arabe espanola** , vol. XI, Madrid, 1917, pp. 207-222; 223-246.

(2) E. Garcia Gomez : AL-Hakam II y los Beréberes , **Al -Andalus** , vol. XIII, 1948, 209-226 .

(3) M. Melchor Antuna: **Abenhayan de Cordoba y su obra historica** , en Ciudad de Dios, 1924.

(٤) كان قد نشرها في مقال طويل في مجلة "دفاتر تاريخ إسبانيا":

Cuadernos de Historia de Espana, Buenos Aires, 1946, vol. V, pp. 5-72.

القطعة في باريس سنة ١٩٣٧م بتوصية من المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال[١].
ثم لم يلبث هذا الراهب الإسباني، أن قتل في السنة التالية خلال الحرب الأهلية (١٩٣٦-١٩٣٩م).

وخلال هذه السنوات، واصل الاهتمام بتاريخ ابن حيان المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال خليفة دوزي ومتابع عمله في محاولة كتابة تاريخ شامل للأندلس. ووقع إلى علم المؤرخ الفرنسي الكبير في أثناء جولاته الكثيرة في بلاد الشمال الإفريقي، أن هناك قطعة كبيرة من تاريخ ابن حيان توجد في خزانة القرويين بفاس. فكان أن عمل على استعارتها من الخزانة، غير أنه حينما أعادها لم يرجع إلا ثلثها الأخير واحتفظ بالثلثين الأولين (من الورقة ٨٨ حتى ١٨٨) ومن الواضح أنه أعاد الثلث الأخير،من الأصل المخطوط (الأوراق ١٨٩-٢٨٤) لأنه رآها قد أصابها التلف، وشوهتها القطوع والخروم. حتى إنه وصفها بأنها غير صالحة ولا يمكن استخدامها. وكانت هذه القطعة من تاريخ ابن حيان تضم معظم السفر الثاني، ويبدأ فيها التاريخ من بداية ولاية الحكم بن هشام، وينتهي بقرب آخر خلافة حفيده محمد بن عبدالرحمن (بين سنتي ٢٣٢ و٢٦٧).

أما الأوراق التي احتفظ بها ليفي بروفنسال، فهي التي تضم ولاية الحكم بن هشام، وأكثر ولاية ابنه عبدالرحمن الأوسط (حتى سنة ٢٣٢هـ)، وهي ـ على ما حدثني به الأمين الأسبق لخزانة القرويين الشيخ محمد عابد الفاسي ـ رحمه الله ـ سليمة لا قطوع فيها ولا خروم. وكان ليفي بروفنسال يهم بنشرها، بل ذكر لنا في أكثر من مناسبة، أنه أوشك على إتمام تحقيقها. وكان قد قدم إلى مصر في سنة ١٩٣٨م مدعواً لإلقاء عدد من المحاضرات، والتقى آنذاك بالأستاذ عبدالحميد العبادي الذي أصبح عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، فاتفق معه على أن

(١) القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، باريس ١٩٣٧م، في مجموعة "نصوص تاريخية متعلقة بتاريخ الغرب الإسلامي" بإشراف ليفي بروفنسال.

يشتركا في إنجاز العمل. وترك له من أجل ذلك مصورة للمخطوط، على حين احتفظ بروفنسال بأصله حتى وفاته سنة ١٩٥٧م. وتوفي قبله الأستاذ العبادي في سنة ١٩٥٦م دون أن يتحقق المشروع الذي اتفقا على الاضطلاع به. أما الأصل الذي كان لدى ليفي بروفنسال، فقد بقي مصيره مجهولاً حتى وقعت المفاجأة التي كشفت سر وجوده في سنة ١٩٩٩م والتي ستكون موضوع حديثنا فيما بعد.

وكنا ـ ومعنا المهتمون بتراث ابن حيان ـ قد بذلنا أقصى الجهد، لمعرفة مصير هذا المخطوط، فسألنا عنه المقربين من أصدقاء بروفنسال وزملائه، من أمثال جورج كولان، وشارل بِلاَّ، فلم يكن لديهم علم بشأنه. واتفق أن مرت علينا في المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، أرملة المستشرق الفرنسي وعرضت علينا مجموعة من تركة زوجها. وكان أستاذنا الدكتور حسين مؤنس مديراً للمعهد وكنت أعمل وكيلاً له. واشترينا بالفعل من هذه التركة عدداً من المخطوطات، وسألناها عن قطعة المقتبس، فأنكرت معرفتها بها، وكانت صادقة في قولها.

واتفق بعد ذلك بسنوات، أن دعيت أستاذاً زائراً في "المعهد المكسيكي للدراسات العليا"، وأتيحت لي فرصة زيارة جامعة "لوس أنجيلس" في كاليفورنيا سنة ١٩٧٠م، وكانت مكتبة هذه الجامعة قد اشترت مجموعة أخرى من تركة بروفنسال، وفحصت ما فيها من مخطوطات، فلم أعثر فيها على ضالتي من تلك القطعة من المقتبس. وهكذا انتهى بنا الأمر إلى اليأس من العثور على ذلك الأصل الضائع، ولم يعد لنا أمل إلا في تلك المصورة التي كان بروفنسال قد أهداها إلى عبدالحميد العبادي، حينما اتفقا على مشروع تحقيقها وإعدادها للنشر. ولهذه المصورة قصة، سوف نعود إليها فيما بعد. ونعود فنذكر القارئ بأن أصل المصورة المذكورة يمثل الثلثين الأولين من الأصل المخطوط، الذي كان محفوظاً في خزانة القرويين بفاس، والذي استعاره بروفنسال ثم لم يردّ إلا الأوراق الأخيرة التي

عدها تالفة لا سبيل لنشرها[١].

وأما ثلث الكتاب الأخير (أي الأوراق ١٨٩-٢٨٤) الذي بقي في خزانة القرويين، فهو الذي كان عليّ أن أخوض مغامرة تحقيقه ونشره، وأقول "مغامرة" لأن هذا الجزء كان في حالة بالغة السوء، فقد تعرضت أوراقه لتلف كبير، وتآكل وقطوع أصابت الجزء السفليّ من كل ورقة، بحيث ذهبت فيها السطور الأخيرة برمتها، بالإضافة إلى ما لحقها من تحريف وتشويه للنصوص. فكان العمل أشبه بترميم أثر تفتت وأخذ منه البِلى كل مأخذ، وصدرت هذه القطعة من السفر الثاني في بيروت سنة ١٩٧٣م.

وفي سنة ١٩٦٥م أقدم الباحث العراقي الدكتور عبدالرحمن الحجي على نشر قطعة أخرى من "المقتبس" لابن حيان، هي تلك التي استنسخها كوديرا من خزانة سيدي حمودة بقسنطينة، ثم أودعها مكتبة المجمع التاريخي الملكي بمدريد، ولم ينص في هذه المخطوطة على السفر الذي تنتمي إليه، وإن كان الظاهر هو أنها قطعة صغيرة من السفر السابع. وهي تتناول خمس سنوات غير كاملة من خلافة الحكم المستنصر (بين سنتي ٣٦٠ و٣٦٤هـ). ولم تمض سنوات على نشر هذه القطعة في بيروت، حتى نشر غرسية غومس ترجمة إسبانية كاملة لهذا الجزء[٢].

وفي سنة ١٩٦٥م نفسها، أعلن عن "اكتشاف السفر الخامس من "المقتبس" لابن حيان"[٣]، في مقال بهذا العنوان للأستاذ محمد عبدالله عنان رحمه الله.

---

(١) لهذا الأصل المخطوط ولمصورته، التي كانت في حوزة عبدالحميد العبادي قصة غريبة تجد تفصيلها في آخر هذا التقديم.

(2) E. Garcia Gomez: **Anales palatinos del califa de Cordoba al-Hakam** II por 'Isa b.Ahmad al-Razi (360-4 H.= 971-5 J.C.), Madrid 1967.

(٣) في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني والعشرين، ١٩٦٥م، ص ١٢٧-١٣٧.

ونوه بهذا الاكتشاف أيضاً الأستاذ محمد الفاسي[1]، كما نبهت أيضاً إليه في تقديمي للقطعة التي نشرتها من الكتاب[2]. وكانت هذه القطعة محفوظة في خزانة القصر الملكي بالرباط، وهي أكبر القطع التي عثر عليها حتى الآن، إذ إنها تتألف من ١٦٥ ورقة، وتتناول السنوات الثلاثين الأولى من حكم عبدالرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٣٠هـ). واضطلع بنشر هذه القطعة المستشرق الإسباني بدرو شالميتا بمعاونة الأستاذين فيديريكو كورينتي ومحمود صبح[3]، وتلا ذلك نشر ترجمة إسبانية لهذه القطعة، قام بها الأستاذان فيديريكو كورينتي وماريا خيسوس بيغيرا[4].

٢ - ما جدَّ فيما نشر من نصوص تراثية حول ابن حيان منذ ١٩٧٣:

هذا، عن كتاب "المقتبس" لابن حيان وما بقي منه، وما نشر من نصوصه أو لم ينشر، وما ترجم إلى لغات أخرى. أما دراسة شخصية ابن حيان، وحياته، وجهوده العلمية، وقيمتها، فقد استوفينا ذلك في الدراسة التي مهدنا لها فيما قمنا بنشره منه، مما لا نحتاج معه إلى تكرار القول فيه. وقد أسعدني أن الأحكام النقدية التي أصدرها المتخصصون في الدراسات الأندلسية والنقاد بوجه عام سواء منهم العرب أو الأوربيون، كانت تتسم بالثناء على العمل الذي اضطلعت به بشطريه: تحقيق النص، ثم الدراسة التي صدرت بها النص والتعليقات التي ذيلته

(١) في مقال بعنوان "مخطوط جديد من تاريخ ابن حيان"، مجلة الثقافة، الرباط، المجلد السادس، ١٩٧٢م، ص١-٢٢.

(٢) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣م، التقديم ص ١٤٩.

(٣) نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.

(4) Cronica del califa 'Abdarrahman III, an-Nasir entre los aios 912 y 942 (Al-Muqtabis V), traduccion, notas e indices por Maria Jesus Viguera y Federico Corriente, Zaragoza 1981.

بها[١]. هذا وإن كان من الطبيعي، أن يختلف بعض هؤلاء النقاد معي في عدد من الآراء والأحكام.

على أن الذي يهمني في هذه الصفحات، هو التنبيه على أهم ما جد في ميدان الدراسات الأندلسية، منذ صدور القطعة التي نشرتها من "المقتبس" في سنة ١٩٧٣م حتى اليوم، سواء من النصوص المحققة، أو الدراسات المتعلقة بابن حيان، مما ينبغي أن يستدرك أو يضاف إلى ما سبق لي نشره.

أما النصوص، فربما كان من أهم ما يستدرك على ما أوردته في ترجمة حياة ابن حيان، هو النص الوارد في القطعة التي نشرها تشالميتا من السفر الخامس الخاص بعبدالرحمن الناصر. وكنت قد ذكرت في دراستي، أننا بحسب ما كان متوافراً لدينا من مصادر، لا نعرف أحداً من أسلاف ابن حيان إلا والده خلف بن حسين، كاتب المنصور بن أبي عامر[٢]. ثم إذا بتلك القطعة التي أشرنا إليها، تكشف لنا عن واحد من أسلاف ابن حيان، كان له حظ من الذكر، وإن لم يكن من النبهاء المرموقين، ونعني به أخا جَدِّ مؤرخنا: أبا سعيد، مروان بن حيان بن محمد بن حيان الذي استشهد في وقيعة الخندق التي هزم فيها عبدالرحمن الناصر أمام

(١) أذكر من ذلك على سبيل المثال معظم الابحاث التي قدمت في "ندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس" (الرباط ١٩-٢٣ نوفمبر ١٩٨١م) والتي أفرد لها عدد خاص من مجلة "المناهل"، العدد التاسع والعشرون، السنة الحادية عشرة، مارس ١٩٨٤م. وأما من الباحثين الاوربيين فيكفي أن أشير إلى مقال بدرو تشالميتا عن "**الكتابة التاريخية الأندلسية في العصور الوسطى**":

Pedro Chalmeta : **Historiografla medieval hispana** : Arabica, Al-Andalus, vol. XXXVII, 1972 (353-404), p. 377.

وكذلك مقال ماريا خيسوس بيغيرا "**حول التاريخ الذي كتب فيه ابن حيان تاريخه**":

Maria Jesus Viguera : **Referencia a una fecha en que escribe Ibn Hayyan**, Al-Qantara, vol VI, 1983, pp. 429-431.

(٢) المقتبس (تحقيق مكي)، التقديم ص ٩-١٠.

الائتلاف النصراني في سنة ٣٢٧هـ (٩٣٩م). فهو يقول في هذا النص[١]:

"..... وفشا القتل فيمن سواهم [يقصد سوى الجند] من المستنفرين والمحشودة، فافترطنا فيهم أخا[٢] جدنا حيان الأمثل طريقة أبا سعيد، مروان بن حيان بن محمد بن حيان رحمه الله، ألزم العز له عرض أهل الجد من أهل قرطبة، فاستلحم هنالك وأصاب نحبه، وفاز بالشهادة، رحمه الله، من كل طبقات الناس المودين، يكثر عددهم ويقصر شيخنا عن مداهم".

وابن حيان لا يتفجَّج ولا يزهو بذكر استشهاد أخي جده، وإنما يقرر حقيقة تاريخية، فهو لا يصفه بتميز في باب من أبواب العلم، ولا باعتلاء منصب بارز من مناصب الدولة، بل يكتفي بالقول إنه "الأمثل طريقة" بما يدل على أنه كان رجلاً صالحاً من أوساط الناس، ويشهد بتواضع مؤرخنا قوله في نهاية النص إن أخا جده هذا شهيد الخندق يقصر عن مدى كثير ممن لقي الشهادة في تلك الوقيعة.

ومن النصوص التي تكشف عن جانب من جوانب ثقافة ابن حيان نصان وردا في فهرس القاضي المفسر، أبي محمد عبدالحق بن عطية المحاربي (٤٨١-٥٤١هـ/ ١٠٨٨-١١٤٦م): الأول بمناسبة حديثه عن شيخه الفقيه، عبدالرحمن بن محمد ابن عتاب (٤٣٣-٥٢٠هـ/ ١٠٤٢-١١٢٦م) إذ يقول: إنه أجاز له رواية كتاب **الفصوص**، لصاعد البغدادي التي أخذها عن أبي مروان بن حيان عن صاعد[٣]. ورواية ابن حيان لكتاب "الفصوص" معروفة، وقد كنا رجحنا من قبل أن كتاب

(١) المقتبس (تشالميتا) ص ٤٣٦.

(٢) في الأصل "إلى" وفي الحاشية أنها قد تكون "ابن" وكلتا القراءتين بعيدة عن الصواب، والذي يقتضيه السياق ما أثبتنا، ويقصد أنه سبق إلى الشهادة.

(٣) **فهرس ابن عطية**، تحقيق محمد أبي الأجفان، ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م، ص٨١.

الفصوص لم يعرف في الأندلس إلا عن طريق هذه الرواية[1]. ولعل ما يذكره ابن عطية هنا يؤكد ذلك. والموضع الثاني يعد إضافة لها قيمتُها، فهو بمناسبة الحديث عن شيخه أبي علي الغساني، الحسين بن محمد المعروف بالجياني يقول: إنه ناوله كتاب الأمالي، لأبي علي القالي البغدادي، "حدثني به، عن أبي مروان ابن حيان عن ابن أبي الحباب عن أبي علي القالي... وذلك سنة ٤٩٦هـ"[2].

وكنا قد عرفنا من قبل، أن ابن حيان كان راوية لاثنين من أهم كتب اللغة هما "**الألفاظ**" و "**إصلاح المنطق**" لابن السكيت، وكانت روايته للكتابين عن شيخه ابن أبي الحباب، عن أبي علي القالي بإسناده إلى مؤلف الكتابين يعقوب بن السكيت[3]، على أننا نرى من النص السابق أنه كان أيضاً من بين مرويات ابن حيان اللغوية كتاب "**الأمالي**" لأبي علي القالي.

كذلك كان من بين الكتب التي نشرت مؤخراً كتاب "**ذكر بلاد الأندلس**"[4] وفيه عدد من النصوص المأخوذة عن ابن حيان فيما يلي بيان بها:

١- حول موقع الأندلس من الأقاليم الرابع والخامس والسادس[5]، ويبدو أن النص مأخوذ من المقدمة الجغرافية التي صدر بها ابن حيان كتابه التاريخي وإن كنا لا نعرف على وجه التحقيق ما هو نصيب ابن حيان من هذه الفقرة؟ فالمؤلف ينقل عنه وعن مؤرخين آخرين.

٢- وصف موجز لقرطبة وحديث عن فضائلها[6].

---

(١) المقتبس (مكي)، التقديم ص ٥٧.

(٢) فهرس ابن عطية ص ٦٦.

(٣) المقتبس (مكي)، التقديم ص٥٨-٥٩.

(٤) لمؤلف مجهول، تحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣م.

(٥) المصدر السابق ص٢٩.

(٦) المصدر نفسه ص٣١.

٣- صفة الأمير عبدالرحمن الداخل وملامح شخصيته[1].

٤- الخبر عن مدينة الزهراء، وما أنفق في بنيانها، ووصف بعض معالمها. وحديث عن جبايات الناصر وتوزيعها، وبعض هذا النص، مأخوذ عن الرازي[٢].

٥- أخبار عن غزوات المنصور بن أبي عامر، وهي عنده ست وخمسون غزوة، عددها المؤلف واحدة واحدة[٣]، ولكنه أوجز الحديث عنها إيجازًا شديدًا، ويظهر أن سياق هذه الغزوات، مأخوذ من كتاب "**أخبار الدولة العامرية**".

وهناك أخبار أخرى، لم ينص المؤلف على نقلها عن ابن حيان، ولكنه أسندها إلى من يسميه "صاحب التاريخ" ولكن ابن حيان هو المقصود بهذه الصفة بغير شك[٤] وفيما يلي بيان بهذه الأخبار:

٦- الخبر عن جامع قرطبة وصفة بنائه، وقدر مساحته، وما أجريَ عليه من التوسعات والزيادات، حتى أيام المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٠هـ[٥].

٧- الخبر عن ملوك الرومانيين واليونانيين، وأيامهم بها[٦].

٨- الخبر عن ملوك الإسبان بالأندلس[٧].

٩- الخبر عن دولة القوطيين بالأندلس[٨].

---

(١) المصدر نفسه ص١٠٩-١١٠.

(٢) المصدر نفسه ص١٦٢-١٦٣.

(٣) المصدر نفسه ص١٨٥-١٩٥.

(٤) بدليل قوله في موضع آخر: "في سنة ٣٧٧هـ ولد ابن حيان صاحب التاريخ"، ص ١٨١.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٥-٤٠.

(٦) المصدر نفسه ص ٨٤-٨٦.

(٧) المصدر نفسه ص ٨٧-٩١.

(٨) المصدر نفسه ص ٩١-٩٤.

ويبدو من الاضطراب في أخبار الأقسام الثلاثة الأخيرة، أن ابن حيان قد اعتمد فيها على مؤرخين مختلفين، هذا إذا كان النقل صحيحاً، أو أن صاحب "ذكر بلاد الأندلس" قد خلط كلام ابن حيان بكلام غيره؛ وذلك لأننا لم نر تطابقاً بين ما يذكره صاحب "الذكر"، وما ورد في "مقتبس" ابن حيان حول دولة القوطيين[(١)].

١٠- الخبر عن دخول عبدالرحمن بن معاوية الأندلس، وتملكه عليه، ومدة ملك بني أمية[(٢)].

١١- الخبر عن الدولة العامرية، ونسب المنصور وأوليته حتى استيلائه على مقاليد الحكم[(٣)].

١٢- الخبر عن زيادة المنصور بن أبي عامر في بناء المسجد الجامع بقرطبة[(٤)].

وكنا قد تتبعنا في دراستنا السابقة لابن حيان، النصوص الواردة من كتبه في "الإحاطة" لابن الخطيب، ولم يكن قد نشر منه آنذاك إلا المجلد الاول. ثم أنجز الأستاذ محمد عبدالله عنان بعد ذلك نشر المجلدات الثلاثة التالية بين سنتي ١٩٧٤م و ١٩٧٨م، ونقل في هذه المجلدات مواد عن تاريخ ابن حيان نورد فيما يلي مجملاً بموضوعاتها:

١- ترجمة للمنصور بن أبي عامر، نص فيها على أنه ينقلها عن "المؤرخ" "في الدولة العامرية" وفي موضع آخر يقول: "قال صاحب الديوان في الدولة العامرية"[(٥)]، ومع أنه لا يذكر اسم ابن حيان فمن المؤكد أنه ينقل هذه الأخبار

---

(١) قارن أخبار "الذكر" بالمقتبس (تشاليتا)، ص ٢٧٤-٢٧٦، وابن حيان يعتمد في هذه الفقرات على إسحاق بن سلمة القيني (ورد في المطبوع مسلمة مع أن الاسم ورد في الأصل المخطوط صحيحًا).

(٢) ذكر بلاد الأندلس ص١٠٧-١٠٨.

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٥-١٧٦.

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٢-١٨٣.

(٥) الإحاطة ٢/١٠٢-١٠٨.

من كتاب ابن حيان "**أخبار الدولة العامرية**".

٢- ترجمة الصميل بن حاتم الكلابي، وفيها ينص على أنه ينقلها عن كتاب "المقتبس" لابن حيان[١]. ولابد أنها تقع في السفر الأول من هذا الكتاب.

٣- ترجمة المطرف بن عبدالله بن محمد وحربه لعمر بن حفصون، وإيقاعه بقائد أبيه في سنة ٢٨٢هـ[٢]. على أنه يخلط في هذه الأخبار، بين ما هو مأخوذ من ابن حيان، وما كتبه ابن أبي الفياض. أما ما نقله عن ابن حيان، فلا بد أن يكون من السفر الثالث، الذي يؤرخ للفترة الواقعة بين سنتي ٢٦٨ و ٢٦٩هـ.

٤- ترجمة منذر بن يحيى التجيبي صاحب الثغر الأعلى منذ بداية أمره حتى مقتله على يد عبدالله بن حكم في سنة ٤٣٠هـ، وفيها يورد قصيدة ابن دراج الرائية في مدحه[٣]. وهي منقولة عن ابن حيان بغير تحديد للكتاب الذي نقل عنه. والمرجح أن النقل هنا عن كتاب "المتين".

٥- ترجمة مبارك ومظفر العامريين، منذ أوليتهما حتى تملكهما بلنسية وقصيدة ابن دراج في مدحهما[٤]، ويظهر أنها أيضاً من المتين.

٦- ترجمة أبي محمد ابن حزم الظاهري، وفيها عن الحميدي[٥]، ويمكن أن يكون ابن الخطيب قد أخذها عن الذخيرة لابن بسام. وعلى كل حال فإن المصدر لابد أن يكون المتين بحكم تأخر وفاة ابن حزم.

٧- ترجمة الشاعر أبي المخشي، عاصم بن زيد العبادي، ومقتطفات من

---

(١) الإحاطة ٣/ ٣٤٥-٣٤٨.

(٢) الإحاطة ٣/ ٢٧٨-٢٨٠.

(٣) الإحاطة ٣/ ٢٨١-٢٨٦.

(٤) الإحاطة٣/ ٢٩٢-٢٩٧.

(٥) الإحاطة ٤/ ١١١-١١٦.

شعره، وما وقع به حتى وفاته سنة ١٨٠هـ[١]. ولابد أن هذه الترجمة مأخوذة من السفر الأول من أسفار "المقتبس".

٨- ترجمة هشام المعتد بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الناصر آخر خلفاء بني أمية بالأندلس، وخبر ولايته وخلعه إلى وفاته في سنة ٤٢٨هـ[٢]. ولابد أنها مأخوذة من كتاب "المتين".

كذلك، كان ابن عبدالملك المراكشي ممن استفادوا من تاريخ ابن حيان، ونقلوا عنه في تراجم كتابه "**الذيل والتكملة**". وقد استوقفت نظرنا في هذا الكتاب، إشارة بالغة الأهمية إلى أسلوب ابن حيان في استخدامه المصادر القديمة، التي اعتمد عليها في كتابه "المقتبس". ذلك أنه في معرض الحديث عن نص للرازي (ولابد أنه يعني عيسى بن أحمد الرازي) عن المصحف الإمام، الذي يعتقد أهل الأندلس أنه مصحف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وما حدث في سنة ٣٥٤هـ (٩٦٤م) من نقله من مكانه في جامع قرطبة إلى دار صاحب الصلاة محمد بن يحيى بن الخراز؛ وذلك حينما شرع الحكم المستنصر في زيادته للمسجد الجامع - نقول: إن ابن عبدالملك أورد نص الرازي حول الموضوع، ثم أضاف إليه تعليقاً مفصلاً لابن حيان، نقله عن خط ابن بشكوال ممهداً لهذا التعليق بقوله:

"وقد ذكر التاريخي الحافظ الحافل، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان، في كتاب "المقتبس" تممه بحسن عبارته المعهود من كلام الرازي في ذكره، نقلته من خط الراوية أبي القاسم ابن بشكوال وهو..."[٣].

(١) الإحاطة ٤/ ٢٣١-٢٣٥

(٢) الإحاطة ٤/ ٣١٥-٣١٧.

(٣) الذيل والتكملة، تحقيق الدكتور محمد بنشريفة ١/ ١٥٨. وقد ورد هذا الخبر استطراداً في غضون ترجمة أبي المطرف بن عميرة رقم ٢٣١.

فهذا النص يؤكد ما سبق أن ذكرناه في دراستنا لابن حيان، من أنه كان يتصرف في نصوص المؤرخين السابقين، الذين ينقل عنهم، ويعيد صياغتها بأسلوبه الخاص المتميز(١). على أن هذا التصرف لا يتعارض مع ما تقتضيه الدقة والأمانة؛ فهو يحتفظ بجوهر الخبر. لا يند عنه شيء من تفاصيله، وإن كان قد يضيف إليه أو يشفعه بتعليق أو إضاءة، وإنما تصرفه في أسلوب الصياغة؛ ولهذا لم يتهمه أحد من المؤلفين الذين أتوا بعده بالتقول على السابقين، ولا بالبعد عن الأمانة.

وهناك، في "الذيل والتكملة"، نصوص أخرى، نقلها عن ابن حيان نذكر منها:

- تحقيقه لنسب عالم إشبيلي، هو أحمد بن إبراهيم بن خلف، وكان ابن القوطية قد زعم أنه من ذرية يوسف بن عبدالرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس قبل تجديد عبدالرحمن الداخل لإمارة بني أمية في الأندلس، وأن يوسف المذكور، هو ابن لوالي إفريقية، عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع. وقد قارن ابن حيان بين هذا النسب، وما أورده الرازي حوله، وناقش القضية مناقشة أفضت به إلى رد ما ذكره ابن القوطية(٢).

- ترجمة غربيب بن عبدالله الثقفي القرطبي، أحد زعماء الثوار بطليطلة، في إمارة الحكم بن هشام(٣)، وفي الترجمة، نقل عن تاريخ ابن القوطية، مصدره فيها بغير شك هو ابن حيان نفسه، وقد كانت وفاة غربيب في سنة ٢٠٧هـ في أول إمارة عبدالرحمن الأوسط(٤).

---

(١) انظر تقديمنا للمقتبس (ط. بيروت) ص ٧٦، ٩٧-٩٨، ١٠٧.

(٢) الذيل والتكملة ١/ ٣٧-٣٨.

(٣) المصدر نفسه ٥/ ٥٢٣، رقم ٩٩٥.

(٤) أورد ابن حيان وفاة غربيب في السفر الثاني من المقتبس (مكي) ص٧٦، وانظر الحاشية رقم ١٨٨ ص٤٨٢-٤٨٣، حيث استقصينا مصادر ترجمته. وسوف نرى في هذه القطعة من "المقتبس" شعراً كثيراً، وأخباراً جديدة عن غربيب ص ١٧٤-١٧٨. ولكن الملاحظ هو أن ابن عبد الملك أورد في ترجمته له قطعتين لم تردا عند ابن حيان، فلابد أنه نقلهما عن مصدر آخر.

- ترجمة محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي، وهو ابن عم منذر بن يحيى التجيبي، الذي استقل بالثغر الأعلى (سرقسطة وأعمالها) منذ أول سنوات الفتنة. وينقل ابن عبدالملك خبر وفاته غريقاً في البحر الرومي سنة ٤١٩هـ بين دانية وجزيرة يابسة[١]. ولابد أن يكون هذا الخبر مأخوذاً من كتاب "المتين".

- ترجمة محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري، قاضي الجماعة بقرطبة، على عهد الحكم بن هشام. وفي هذه الترجمة، يعرض ابن عبدالملك الخلاف حول اسمه ونسبه، بين ابن حيان والخشني وابن الفرضي[٢]. والخبر في السفر الثاني من "المقتبس".

- في ترجمة محمد بن عبدالله بن إبراهيم الأصيلي، وهو ابن الفقيه أبي محمد وراويته. وفيها يذكر ابن حيان، أن أباه دعا ألا يدرك الفتنة، فاستجيب له، وتوفي قبل سنة ٤٠٠هـ[٣]. والخبر لابد أن يكون في "أخبار الدولة العامرية" أو في "المتين".

- ترجمة أميمة الكاتبة جارية الحسين بن حي وحظيته، وقد حكى ابن حيان عن زوجها عنها خبر هشام المؤيد الذي خلعه محمد بن هشام المهدي أول خلفاء الفتنة، ثم أظهره بعد وقعة قتيش في سنة ٤٠٠هـ، وكانت أميمة، ممن يحرس هشاماً المؤيد أيام اختفائه في دار الحسين بن حي[٤].

---

(١) الذيل والتكملة ٥/٣٤٧، رقم ١٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه ٦/٢٠٨، رقم ٥٩٩. قابل هذه الترجمة بما ورد في بقية السفر الثاني من المقتبس (مكي)، ص٤١ حيث يرد اسم هذا القاضي في صورة "سعيد بن محمد بن بشير المعافري". ولم يستطع ابن عبدالملك أن يقطع برأي في ذلك الخلاف، إذ أنهى الترجمة بقوله: "وعلى الجملة فتحقيقه مما أشكل، فاجعله منك على ذكر".

(٣) الذيل والتكملة ٦/٢٥٢، رقم ٧٠٦.

(٤) المصدر نفسه ٨/٤٨٣، رقم ٢٤٧.

ومن نقلوا عن تاريخ ابن حيان، أبو القاسم محمد بن محمد بن سماك العاملي المالقي، تلميذ ابن الخطيب، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري في كتابه "**الزهرات المنثورة، في نكت الأخبار المأثورة**"، الذي قمنا بتحقيقه منذ سنوات[١]. ففي هذا الكتاب، أخبار عديدة أندلسية، يبدو معظمها مأخوذاً من تاريخ ابن حيان الكبير بمختلف أقسامه: المقتبس وأخبار الدولة العامرية والمتين. والمؤلف في توخيه الإيجاز والاختصار لا ينص على النقل عن ابن حيان، ولكنا استطعنا التأكد من ذلك بمقارنة نصوص تلك "الزهرات" بما ورد في ما بقي من كتب ابن حيان، أو في المصادر الأخرى، التي نصت على النقل عنه.

وتكتسب الزهرة الثالثة والتسعون من هذه الزهرات قيمة خاصة، لأنها مأخوذة من السفر الثاني، الذي كنا نظنه قد ضاع إلى الأبد. وهي متعلقة بوصية الأمير الحكم بن هشام لابنه وولي عهده عبدالرحمن الأوسط[٢].

وهناك خبر عن الأمير محمد بن عبدالرحمن، وبعض جلسائه تضمنته الزهرة الحادية والخمسون، وقد ورد بنصه تقريبًا في القطعة التي نشرناها من السفر الثاني من المقتبس[٣]. وخبران آخران متعلقان بعبدالرحمن الناصر: الأول، في الزهرة السابعة والخمسين حول هجوم رجل معتوه على الخليفة وهو في موكبه، ومصرعه على أيدي الفتيان الصقالبة من حراسه[٤]. والثاني ما دار بين الناصر ورجل من

---

(١) نشر هذا الكتاب، المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد سنة ١٩٨٤م.

(٢) **الزهرات المنثورة** ص١٣٨-١٣٩. ولم ينص المؤلف كعادته على مصدره فيها، غير أنه تبين لنا أنه من "مقتبس" ابن حيان، وأن النص من السفر الثاني، الذي كان القسم الأول منه في حوزة ليفي بروفنسال كما سبق أن ذكرنا. وكان الأستاذ محمد عبدالله عنان رحمه الله من القليلين الذين اطلعوا على هذا القسم، ونقلوا عنه بعض المواد، ومنها هذه الوصية التي أورد نصها، بعد أن خلط بين روايتين لها للرازي ولمعاوية بن هشام الشبينسي في كتابه "**دولة الإسلام في الأندلس**"، الطبعة الرابعة، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٦٩م، ص٢٤٨.

(٣) الزهرات ص ٨٨-٩٨، قارن بالمقتبس (مكي)، ص ٩٠-٩١.

(٤) الزهرات ص٩٢، قارن بالمقتبس (تشالميتا)، ص ٣٦-٣٧.

زَمَّالة الأثقال، خلال غزوة الناصر لحصن شبيلش من حصون عمر بن حفصون، وهو في الزهرة الستين[1]. وكلا الخبرين موجود بنصه تقريباً في السفر الخامس من المقتبس الذي نشره تشالميتا. وهناك حكايات عديدة عن المنصور بن أبي عامر، لم ينص صاحب الزهرات على مصدره فيها، ونقلها المقري في نفح الطيب وأزهار الرياض[2]. ونعتقد أن معظم هذه الحكايات منقول من كتاب "أخبار الدولة العامرية".

وقد ظل تاريخ ابن حيان مصدراً يرجع إليه حتى آخر عصور الحكم الإسلامي في الأندلس. فنحن نجد نقولاً عنه في كتاب "جنة الرضا" الذي ألفه أبو يحيى محمد بن عاصم قاضي غرناطة، وكان يعيش في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، الذي شهدت نهايته نهاية دولة الإسلام في الأندلس. فهو يورد خبراً عن القاضي منذر بن سعيد البلوطي (المتوفى سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) في مواجهة بينه وبين الخليفة عبدالرحمن الناصر، وذلك في القضية المعروفة باسم "أيتام أخي القائد نجدة بن حسين"، ويدلل فيها ابن عاصم على صلابة القاضي منذر في أحكامه، وإنفاذه لها وإن كانت معارضة لرغبة السلطان[3]. والخبر وارد أيضاً في مطمح الأنفس ونفح الطيب[4]، غير أن ابن عاصم، ينص على أنه ينقل عن

---

(١) الزهرات، ص ٩٤-٩٦، قارن بالمقتبس (تشالميتا)، ص٦٤.

(٢) قارن الزهرة ٢٨ (ص٧١-٧٢) بنفح الطيب ٣/ ٨٣ وأزهار الرياض ٥/ ١٣٣؛ والزهرة ٢٩ (ص٧١-٧٢) بالنفح ١/ ٤١٧ والأزهار ٥/ ١٣٤؛ والزهرة ٣٠ بالنفح ١/ ٤١٧-٤١٨ والأزهار ٥/ ١٣٤-١٣٥؛ والزهرة ٤٤ بالنفح ١/ ٤١٨-٤١٩ والأزهار ٥/ ١٣٥-١٣٦؛ والزهرة ٤٥ بالنفح ١/ ٤١٩ والأزهار ٥/ ١٣٦-١٣٧؛ والزهرة ٤٨ بالنفح ١/ ٤١٩ والأزهار ٥/ ١٣٧-١٣٨.

(٣) أبو يحيى محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي: "**جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**"، تحقيق الدكتور صلاح جرار، عمان، ١٩٨٩م، الجزء الأول ص١٦٣-١٦٥.

(٤) **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** للفتح بن خاقان القيسي، القاهرة ١٣٢٥هـ، ص٤٢، ونفح الطيب ٢/ ١٦-١٧.

"المقتبس"، ويكون هذا النقل حينئذ عن السفر السادس للمقتبس، وهو الذي يتضمن بقية أخبار الناصر في السنوات العشرين الأخيرة من خلافته. وفي موضع آخر، يشير ابن عاصم إشارة مقتضبة بغير تفصيل، إلى قضية هشام المؤيد، وما وقع من الإرجاف بحياته بعد موته مرة أو مرتين "حسبما حكى ابن حيان في مقتبسه"، وذلك بمناسبة قضية مشابهة وقعت في غرناطة في أيام ابن عاصم، وهي قضية الرجل المعروف بيوسف المُدَجَّن، وأتباعه الذين كانوا يقولون فيه بالرجعة بعد مشاهدة رأسه مقطوعًا عن جسده[1]. على أن الذي يستوقف نظرنا في هذا الموضع، هو نص ابن عاصم على كتاب "المقتبس" مصدرًا لخبر هشام المؤيد، مع أن الأولى، أن يكون الخبر إما في كتاب "أخبار الدولة العامرية" أو في "المتين". ويحملنا هذا على الظن بأن المؤرخين المتأخرين كانوا يتساهلون في أسماء مؤلفات ابن حيان، فيعدون "المقتبس" مرادفًا لـ "التاريخ" الكبير الذي يتألف منه نتاج ابن حيان التاريخي كله.

ونأتي إلى كتاب جامع أُلِّفَ في عصر متأخر، اشتمل على نصوص من ابن حيان مع أن موضوعه لا يتصل اتصالاً مباشراً بالتاريخ، ولا الأدب. ونعني به المجموعة الفقهية الضخمة "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**" لأحمد بن يحيى الونشريسي: (المتوفى سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م). وفي النص الأول يقول الونشريسي إن ابن حيان، **حكى في كتاب "الاحتفال"** أن قاضي الجماعة محمد بن بشير صح عنده تدليس رجل في الوثائق، فأمر بقطع يده[2]. ويفهم من هذا النص لأول وهلة، أن لابن حيان كتاباً بعنوان الاحتفال، وليس هذا صحيحاً، وإنما المقصود ما أخذه ابن حيان من كتاب "**الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال**" في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء، ومؤلف الكتاب؛ هو

(١) جنة الرضا ١/ ١٨٨.

(٢) المعيار المغرب، بإشراف الدكتور محمد حجي، بيروت، ١٩٨١م، ٢/ ٤١٤.

أبو بكر الحسن بن محمد بن مفرج (المتوفى بعد سنة ٤٢٠هـ)[١]. ولعل الذي أدى إلى ذلك الخلط، هو أننا نجد في "المقتبس" فصولاً تحمل مثل هذا العنوان "نوادر من أخبار قضاة الأمير عبدالرحمن [الأوسط] مستخرجة من كتاب الاحتفال"[٢]. غير أن هذا الخبر، الذي أورده الونشريسي حول القاضي محمد ابن بشير، لم يرد في السفر الثاني من المقتبس، الذي نشرنا جزأه الأخير، ولا في القطعة التي كانت في حوزة ليفي بروفنسال، ذلك لأن القاضي ابن بشير توفي سنة ١٩٨هـ (٨١٤م) في إمارة الحكم بن هشام[٣]. أما الخبر نفسه، وهو أمر القاضي بقطع يد الموثق المدلس فقد أكده النباهي وإن لم يشر إلى مصدره فيه[٤]. غير أن هذا الخبر لم يرد في القطعة التي نشرناها من المقتبس ولا في القطعة التي نقدم لها بهذه الصفحات، وهما اللتان يتألف منهما السفر الثاني من الكتاب.

ومثل ذلك ما رواه الونشريسي أيضاً، عن نازلة وقعت في قرطبة أيام الفتنة، وهي أخذ البيعة لخليفة في قطر آخر غير قطر المبايع، مع كون الخلافة شرعية في هذا القطر، وقد أفتى الفقيه أحمد بن عبدالملك بن هاشم الإشبيلي (٣٢٤-٤٠١هـ/ ٩٣٦-١٠١١م) بجواز ذلك، على حين أفتى غيره، بأنه يعد خروجاً عن الطاعة[٥]. وواضح أن ذلك وقع حينما تعدد المطالبون بالخلافة، واشتد تنازعهم في أعقاب سقوط الدولة العامرية وأثناء السنوات الأولى للفتنة. على أن صاحب المعيار يقول في أول الخبر: "وحكى ابن حيان في **طبقات فقهاء قرطبة**..."،

(١) ترجمة ابن مفرج في الصلة لابن بشكوال رقم ٣٠٨، وقد تتبعنا مصادر ترجمته في الحاشية رقم ٥٩ من تعليقاتنا على القطعة التي نشرناها من المقتبس (ص٤٣٦-٤٣٧).

(٢) المقتبس (مكي) ص ٤٩.

(٣) انظر ترجمته في كتاب القضاة، للخشني ص٥١-٦٧، والمغرب لابن سعيد ١/١٤٤-١٤٦، والمرقبة العليا للنباهي ص٤٧-٥٣.

(٤) المرقبة العليا ص٤٨.

(٥) المعيار ١٠/٥.

والنص بصورته هذه، يوحي بأن لابن حيان كتاباً في طبقات فقهاء قرطبة. ولكن الحقيقة هي أن المقصود، ما ورد في ثنايا تاريخ ابن حيان من فصول خاصة بالفقهاء في عهد هذا أو ذاك من الخلفاء[1]. أما خبر الونشريسي، فلابد أن يكون مأخوذاً من كتاب "المتين" بحكم وفاة هذا الفقيه في السنوات الأولى من الفتنة[2].

وبمناسبة الحديث عن شرعية أحكام القضاة، وشهادات الفقهاء الذين كانوا في ولاية الثائر عمر بن حفصون، يورد الونشريسي نصاً طويلاً، ترجم فيه لهذا الثائر الذي استمر تمرده على أمراء بني أمية منذ أواخر أيام محمد، حتى أوائل عهد عبدالرحمن الناصر (بين سنتي ٢٦٧ و ٣٠٥ هـ/ ٨٨١ و٩١٧م) وذكر جملة من أخباره، معتمداً فيها على الرازي وابن القوطية[3]. ومع أن اسم ابن حيان لم يذكر في ثنايا هذا النص، فإننا نعتقد بأنه مأخوذ من "مقتبس" ابن حيان؛ لأن أسلوبه في السرد يتفق تماماً مع ما نعرفه عن مؤرخنا. أما الموضع الذي ينتمي إليه النص من "المقتبس" فلابد من أن يكون الصفحات الأولى من السفر الثالث، وذلك لأنه قد جاءت في نهاية القطعة التي قمنا بنشرها من السفر الثاني هذه العبارة : "كمل السفر الثاني بحمد الله تعالى، يتلوه في الثالث مبتدأ نجوم عمر ابن حفصون كبير الثوار في الأندلس"[4].

والنص الرابع الذي أورده الونشريسي متعلق بمسألة وصية كان قد أوصى بها

(١) ناقشنا هذه القضية بالتفصيل في دراستنا لابن حيان (ص ٧٥-٧٧)، وانتهينا من هذه المناقشة إلى أن كثيراً مما نسبه بعض الباحثين لابن حيان من كتب لها مثل هذه العناوين، ليست إلا فصولاً من كتبه التي يتألف منها تاريخه الكبير.

(٢) انظر ترجمة أبي عمر، أحمد بن عبدالملك الإشبيلي، في الصلة لابن بشكوال، رقم ٣٨ ص٢٨ وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض، نشر الدكتور أحمد بكير محمود، المجلد الرابع ص٦٣٥-٦٤٢.

(٣) المعيار ١٠/١٠٩-١١٢.

(٤) المقتبس (مكي)، ص٤٠٠.

أحد وجهاء قرطبة وأثريائها قبل وفاته في أول جمادى الأولى سنة ٤٣٦هـ (٢٤ نوفمبر ١٠٤٤م)[١]، وهو المعروف بابن الصَّدِّيني[٢]. وهي قضية اختلف حولها، الفقهاء اختلافاً كبيراً. وبعد عرض الآراء المختلفة حولها، يورد الونشريسي ترجمة لابن الصديني المذكور، فيقول: إنه أحمد بن رفاعة الكاتب الموسر الوجيه، وإنه كان كاتباً لبشير الصقلبي (في الأصل الصقلي محرفًا) العامري صاحب الثغور أيام آل عامر. وإنه كان ممن راجع وطنه بقرطبة راكناً إلى صلاحها بآل جهور، وتوفي في التاريخ المذكور من قبل، عن نحو تسعين سنة. والونشريسي ينص على أنه نقل هذه الترجمة عن أبي مروان بن حيان في كتاب "المتين"[٣].

ونخلص في النهاية من تتبع هذه النقول المتأخرة من تاريخ ابن حيان، ولاسيما تلك التي ترجع إلى القرن العاشر الهجري (الونشريسي) والقرن الحادي عشر (المقري) إلى أن تراث ابن حيان التاريخي بمختلف أقسامه، كان متداولاً في بلاد المغرب حتى وقت متأخر. ولهذا فإننا لم نفقد الأمل في العثور على أقسام أخرى مخطوطة من كتب ابن حيان في بعض خزائن الكتب التي لم تكتشف بعد.

أما في المشرق فيبدو أن "تاريخ ابن حيان" قد عرف هناك بعد سنوات قليلة من وفاة المؤرخ الأندلسي. يدل على ذلك هذا الخبر الغريب الذي أورده تقي الدين المقريزي في كتاب "اتعاظ الحنفا" في أخبار سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) إذ يقول:

"[فيها] توفي بعيذاب، الإمام أبو القاسم عبدالرحمن بن الحسين بن الحباب

---

(١) المعيار ٩/ ٤٠٠-٤٠٤.

(٢) وردت هذه النسبة في المعيار محرفة إلى "ابن الصديقي"، والصديني منسوب إلى قبيلة صَدِّينة التي تنتمي إلى البتر من البربر (انظر مفاخر البربر لمؤلف مجهول، نشر ليفي بروفنسال، الرباط ١٩٣٤م، ص٧٦، وكذلك ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٧١م، ص٤٩٩).

(٣) المعيار ص٤٠٤.

السعدي، أخو القاضي الجليس. رحل فسمع ببغداد وغيرها، وصنف كتاب "**مساوئ الخمر**" وكتاب "**الحجة لصفة الأمة في تسمية الصديق، والرد على من أنكر ذلك**" وكتاب "**تهذيب المقتبس في أنباء أهل الأندلس**". وكان من الصالحين"[1].

فهذا النص صريح في أن كتاب "المقتبس" لابن حيان قد عرف في مصر الفاطمية، وأن الذي قام بتهذيبه أو اختصاره عالم مرموق، هو أخٌ للقاضي عبدالعزيز بن الحسين بن الحباب (أو الحبَّاب) الأغلبي السعدي (المتوفى سنة ٥٦١هـ / ١١٦٥م) والملقب بالجليس؛ لأنه كان مؤدباً للخليفة الفاطمي وجليساً له[2]. ومن الواضح أن عبدالرحمن المذكور، كان فقيهاً سنيّاً معادياً للدعوة الفاطمية، يدل على ذلك كتابه "الحجة" الذي يرد فيه على من أنكر تلقيب أبي بكر (رضي الله عنه) بالصديق، والمنكرون لهذا اللقب هم الغلاة من شيعة الفاطميين. ولعل عداوة ابن الحباب للخلافة الفاطمية، هي التي ألجأته لعيذاب، وهي الميناء المطل على البحر الأحمر في أقصى الجنوب.

ولابد من أن تاريخ ابن حيان، كان متداولاً في سائر بلاد المشرق. يدل على ذلك، ما لاحظناه من تشابه واضح بين بعض ما ساقه ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) من أخبار الأندلس في كتابه "**الكامل**" و "**مقتبس**" ابن حيان، وهي أخبار نستشف من سياقها أن ابن الأثير رجع إلى كتاب ابن حيان مباشرة وبغير واسطة.

---

(١) المقريزي: **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** تحقيق الدكتور محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٩٧٣م، ٣/ ٢٤٥. وذكر محقق الكتاب في حاشية هذا الموضع أنه "تقدم شيء من التعريف به في مناسبة سابقة. قارن **وفيات الأعيان** ١/ ٣١-٣٢، **طبقات الشافعية الكبرى** ٤/ ٤٣-٤٨". وقد راجعنا ما أحال عليه المحقق، فتبين لنا أنه لم يتقدم التعريف بابن الحباب المذكور، ولم يرد شيء عنه لا في وفيات الأعيان، ولا في طبقات الشافعية.

(٢) ترجمة القاضي الجليس في **خريدة القصر**، للعماد الأصبهاني (القسم المصري، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف، القاهرة ١٩٥١م) ١/ ١٨٩-٢٠٠، **النجوم الزاهرة** ٥/ ٢٩٢، ٣٧١، **فوات الوفيات** لابن شاكر الكتبي ٢/ ٣٣٢.

٣ - ما جدَّ من دراسات عربية حديثة :

ولنستعرض الآن ما تم إنجازه من دراسات حول ابن حيان على مدى السنوات العشرين الماضية، منذ أن قمنا بنشر قطعة القرويين من "المقتبس" وهي كما ذكرنا، أحد أقسام السفر الثاني من الكتاب.

من أول هذه الدراسات، مقال الدكتور إحسان عباس، بعنوان "**ابن حيان الأندلسي مؤرخ الجماعة**"(١)، وهو من أجود ما كتب عن ابن حيان. وفيه يتحدث الكاتب ـ بما عهد في سائر أعماله، من نفاذ النظرة، وعمق التحليل ـ عن الخصائص الكبرى لكتابة التاريخ لدى ابن حيان. ويبدأ دراسته بحكم عام، هو "أن ابن حيان ربما كان أكبر مؤرخ، ذا فلسفة محددة واضحة بين مؤرخينا في المشرق والمغرب حتى ظهور ابن خلدون". ثم يفصل هذا الحكم، ويحدد "الحيثيات" التي استند إليها فيه، وأولها نظرة ابن حيان الشمولية إلى مهمة المؤرخ، وإلى الهدف من كتابة التاريخ، ثم انطلاقه من معايير أخلاقية، لتقويم أفعال من يؤرخ لهم. وقد جعلته هذه المعايير، يربط، بين السياسة والدين في نظرته إلى التاريخ، وعلى هذا الرباط، أقام أهم مبادئه الإيديولوجية، في تفسير الصلاح والفساد في حياة المجتمع. والقاعدة التي يرتكز عليها الفكر التاريخي عند ابن حيان في نظر الكاتب، هي "الجماعة" التي يقصد بها وحدة الأندلس، التي مزقتها الفتنة البربرية، وترتب عليها تمزق الأندلس إلى دويلات صغيرة، وهو ما رأى فيه ابن حيان على المدى البعيد، انهيار الكيان الأندلسي كله، وزوال كلمة الإسلام من هذه البلاد. ومن هنا، يمكن أن يعد ابن حيان "مؤرخاً ملتزماً" بإيديولوجية محددة، بسطت ظلها على جميع نواحي التقويم لديه، حتى شملت أحكامه النقدية في الأدب والشعر.

---

(١) نشر مع مجموعة أخرى من المقالات، في كتاب "**دراسات في الأدب الأندلسي**"، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس ١٩٧٦م، ص ٢١٨-٢٣١.

وقد كان من أهم الأحداث الثقافية الواقعة في أوائل الثمانينيات من هذا القرن، الندوة العلمية التي عقدت بالرباط فيما بين ٢١ و ٢٥ من المحرم عام ١٤٠٢هـ/ ١٩-٢٣ نوفمبر ١٩٨١م حول ابن حيان وآثاره التاريخية. وقد اضطلعت بتنظيم هذه الندوة وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب. وفيها تمثل أول "تكريم" رسمي لذكرى المؤرخ الأندلسي العظيم، ولم يكن غريباً أن يقيم المغرب الشقيق وأجهزته الثقافية هذه "الاحتفالية" العلمية الكبرى، فالمغرب هو "الوريث" الشرعي للأندلس، وهو مستودع التراث الأندلسي العتيد، وفي خزائن المغرب استقر ما بقي من آثار ابن حيان، وبفضل المعاونة التي وجدناها دائماً من علماء المغرب، ومن أجهزة الدولة الرسمية في هذا البلد الشقيق، استطاعت الدراسات الأندلسية إحراز تقدم كبير خلال السنوات الأخيرة.

وقد اشترك في هذه الندوة، عدد كبير من علماء العالم العربي، ثم أفرد لنشر ما قُدّم في هذه الندوة من أبحاث عدد خاص كامل من مجلة "**المناهل**"[(١)].

١- وأول الأبحاث المنشورة في هذا العدد، هو الذي قدمته العالمة الجليلة الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) بعنوان "**أبو مروان ابن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة**"[(٢)]. وقد أسعدني أن الأستاذة الفاضلة قد وافقتني في دراستها على كثير مما ورد في تقديمي للقطعة التي حققتها من "المقتبس"؛ ولهذا فإني لن أتوقف إلا عند ما اعترضت عليه من آراء. وقد لاحظت أن اختلافها معي في الرأي انصب على ثلاث مسائل، أسجل خلاصتها فيما يلي:

* أولى هذه المسائل، هي اعتراضها على ما ذكرته، من تصرف ابن حيان في النصوص التي نقلها عن مؤرخين آخرين في المقتبس، بحيث يقدم لنا من روايات

---

(١) هو العدد التاسع والعشرون، السنة الحادية عشرة، جمادى الثانية ١٤٠٤هـ/ مارس ١٩٨٤م.

(٢) المصدر نفسه ص٢٣-٨-١٠.

من سبقه من المؤرخين، ما سميته "نصوصاً حيانية خالصة"[1]. فقد رأت الدكتورة عائشة عبدالرحمن، أن هذا الحكم ـ لو صح ـ "لأهدر ما لمدوناته من قيمة تاريخية؛ بتقوله على الرواة ما لم يقولوه، وعزوه إليهم، ما هو من لفظه وصياغته وأسلوبه. وما كان علماء السلف المغاربة، بالمعروف عنهم من تشدد وصرامة في توثيق المرويات والأسانيد، ليدعوها تفوت إن صحت، دون تجريح ابن حيان بها وإسقاط مروياته"[2]. ثم دعمت رأيها بمقابلة عدد من نقول المقتبس على مصادرها عند ابن حيان لتثبت أنه كان أميناً في النقل، وأنه لم يتصرف فيها على النحو الذي زعمته. وأكدت ذلك بأن ما قمت به من عملية "ترميم" نصوص ابن حيان التي نقلها عمن سبقه من المؤرخين، قد استند إلى ما وصل إلى أيدينا من كتبهم. وفي هذا دليل على أنه كان حريصاً على الأمانة في النقل.

ومع احترامي لرأي أستاذتنا الجليلة وتقديري للجهد الذي بذلته في المقارنة بين نصوص ابن حيان والأصول التي نقل عنها لكي تنتهيَ إلى النتيجة التي أثبتتها فإني أرى أن فجوة الخلاف بيني وبينها ليست من السعة بحيث يتصور لأول وهلة، فالحقيقة أني لم أقصد بتصرف ابن حيان في نصوص المؤرخين السابقين ما قد يفهم من تبديل وتغيير، وإنما هو تصرف أسلوبي فقط... هو "إعادة للصياغة" مع الاحتفاظ بجوهر ما ينقله من تفاصيل الأخبار، وهو ما لا يتنافي مع الأمانة في النقل، والدقة في نسبة الروايات إلى أصحابها. وإذا كانت الدكتورة بنت الشاطئ قد تبينت مطابقة روايات ابن حيان للأصول التي نقل عنها في عدد من النصوص، فإن هناك نصوصاً أخرى ـ تعرض لها كتاب آخرون من زملائها المشاركين في الندوة نفسها ـ كان من الواضح فيها تصرف ابن حيان وإجراؤه قلمه فيها بغير أن يكون فيها تحريف أو تبديل لجوهر الحقيقة التاريخية ولا "تقول على الرواة بما لم

(١) انظر تقديمنا للقطعة التي نشرناها من السفر الثاني للمقتبس ص٩٨.

(٢) مقال الدكتورة عائشة عبدالرحمن ص ٥٠.

يقولوه". والذي يبدو لي، أن الأستاذة الجليلة ـ بعلمها الواسع المستفيض بالحديث النبوي الشريف، وبمناهج المحدثين وطرقهم في التحمل والرواية ـ قد أرادت أن تطبق على كتابات ابن حيان التاريخية ما هي خبيرة به من مناهج المحدثين. وإذا كان المحدث والمؤرخ يتفقان في بعض أصول المنهج العلمي، فإن هذا الاتفاق لا يعني التطابق الكامل. ومع ذلك فإن من القواعد المقررة في علم الحديث، أنه يمكن رواية الحديث النبوي بالمعنى، وهذا هو ما فعله ابن حيان حينما نقل عن غيره من المؤرخين السابقين. فقد أتى أحياناً بنصوصهم كما هي ملتزماً بالنقل الحرفي ـ وهذا هو ما وقع في النصوص التي استشهدت بها الدكتورة بنت الشاطئ ـ ولكنه تصرف في نصوص أخرى، فصاغها صياغة جديدة بغير أن يتحيف من جوهرها أو يبدل في الأساس منها. وبون بعيد بين هذا الصنيع، وبين التقول على الرواة. ولهذا لم يتهمه أحد بالبعد عن الأمانة، ولا تبديل الكلم فيما ينقل، هذا مع أنه كان بين تلاميذ ابن حيان اثنان يعدان من أعلام المحدثين؛ أولهما أبو علي الغساني المعروف بالجياني (ت٤٩٨هـ/ ١١٠٥م) رأس المحدثين بقرطبة، وكان من أكثر الناس إعجاباً بأستاذه ووفاءً لذكراه. والثاني هو عبدالرحمن بن محمد بن عتاب (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م).

* والمسألة الثانية، متعلقة بابن حيان ووظائف الدولة. وكنت قد توقفت إزاء إشارتين لأبي بكر ابن خير وللمقري يصفان فيهما ابن حيان "بصاحب الشرطة"، فأبديت شكي في تولي ابن حيان هذه الوظيفة، فهي خطة بحكم طبيعتها، بعيدة عن مجال عمل ابن حيان ونشاطه الفكري. أما أستاذتنا الجليلة، فقد عادت مرة أخرى إلى التمسك بحرفية النص، فرأت أن إشارتي ابن خير، والمقري، دليل كافٍ على تولي الرجل هذه الخطة[1]. على أني ما زلت أجد إشارة ابن خير غير

(١) المرجع السابق ص٦٢-٦٣.

كافيـة، حتى وإن استندت ـ كـما ذكرت الدكتـورة بنت الشـاطئ ـ إلى إسناد لـه، موثق عن ابن عتـاب، تلميذ ابن حيان؛ لأنـهـا لم تعزز بشهادة أحـد ممن ترجموا لابن حيـان. وقد رأينا بين الرسائل التي اقتطـف ابن بسام نصوصًا منهـا لنثر ابن حيان رسالة وجهها إلى صـاحب الصلاة ابن زياد يشكو فيها جارةً له، دأبت على سرقة مـا اشتملت عليه دار أبي مروان، متواطئة مع جارتين لهـا. ويذكر أنه قد شكا جـارتيـه هاتين لصاحب المدينة، وأن هذا قد عـزم على اعـتـقال الجـارتين وثقافهما[1]. وقد كانت هنا فرصة سانحة، لكي يذكر ابن حيان، أن اعتقال هاتين الجارتين وثقافهما، كان من سلطتـه لو أنه كان بالفعل صاحب الشرطة، سواء في هذا التـاريخ، أو في تاريخ سابق، وعلـى كل حال، فـإني لم أنكر أن يكون ابن حيان قد حمل لقب "صـاحب الشرطة" باعتباره لقبًا تشريفيًـا أو "فخريًا"، كما نقول الآن، وقد بينت أن منح الدولة لمثل هذه الألقاب كان قد أصبح تقليدًا جاريًا منذ أيام الحكم المستنصر. والشواهد عليه أكثر من أن نحتاج فيها إلى النص[2].

* والمسألة الثالثة هي إنكار الأستاذة الجليلة عليَّ قولي: إن "التاريخ معدود من العلوم، ولكنه تحول على يد ابن حيان إلى أدب خالص محض"[3]، فقالت: إن ذلك أمر لم يتعلق به ابـن حيان، بل كرهه ونفاه، وإنه هو الذي سـبق إلى علمية التاريخ، قـبل ابن خلدون بثلاثة قرون ونصف، ثم مـضـت على مدى صفـحات طويلة، تثبت هذه العلمية، مـستشهدة عليها بنصوص منقولة عنه[4]. والواقع أنني لم أختلف مع الـدكتورة بنت الشـاطئ في ذلك، بل إن ما كـتبتـه في دراسة ابن حيان، كان موجهًـا في المقام الأول لإثبات ذلك المنهج العلمي الصارم الذي التزم

(١) الذخيرة، تحقيق إحسان عباس، القسم الأول، ٢/ ٥٨٠-٥٨٢.

(٢) تقديمنا للمقتبس ص ٤٣-٤٤.

(٣) تقديمنا للمقتبس ص١٢٩.

(٤) مقال الدكتورة عائشة عبدالرحمن ص٦٣ وما بعدها.

به ابن حيان فيما كتب، سواء في تحقيق ما وصل إليه من روايات المؤرخين السابقين، أو فيما عالجه من التاريخ الذي عاصره، وكان شاهدًا عليه[1]. غير أن الذي ما زلت مصراً عليه، وهو ما أعده أعظم ما ميز ابن حيان المؤرخ، وجعله نموذجًا فريدًا، هو امتزاج الأدب والتاريخ عنده، فصفحات تاريخه ـ ولاسيما في "المتين" ـ على كونها نموذجًا للكتابة التاريخية "العلمية"، هي في الوقت نفسه، تعد من أروع نماذج النثر الفني العربي. وصفة "الأدبية" في تاريخ ابن حيان لم تنتقص أبدًا من التزامه بالمنهج العلمي الصارم. وقد اعترف بهذه الصفة المزدوجة في كتابات ابن حيان، مَنْ كتبوا عنه من القدماء، وأكدها الباحثون المحدثون. ولست أرى وجهًا لما ذكرته الأستاذة الجليلة من أن وصفي لتاريخ ابن حيان بأنه أدب خالص "أمر لم يتعلق به ابن حيان بل كرهه ونفاه" كما لو كان ذلك الوصف سبة ينبغي على الرجل أن يتبرأ من معرتها. وقد نقلت هي نفسها نصًا لابن سعيد، يقول فيه أبو الوليد ابن جهور، حينما هم ابنه عبدالملك بالإيقاع بابن حيان: ".... أتريد أن يضرب بنا المثل في سائر البلدان، بأنا قتلنا شيخ الأدب والمؤرخين ببلدنا تحت كنفنا؟"[2] ونحن نرى من هذا النص، كيف استقر الوعي لدى معاصري ابن حيان أنفسهم، بهذا الازدواج بين الأدب والتاريخ في كتابات ابن حيان. وكتابة العلم بأسلوب أدبي رفيع، أمر نادر في الآداب جميعها، ولكنه متحقق الوجود. وقد رأينا بين معاصرينا من جمعوا بين الصفتين جمعًا متوازنًا. نذكر منهم العالم الكيميائي الدكتور أحمد زكي، والجغرافي محمد عوض رحمهما الله، فقد كتب كل منهما في ميدان تخصصه "العلمي" ما يعد في الوقت نفسه، من نماذج الأدب الرفيع.

(١) تقديمنا للمقتبس ص١٢٩.

(٢) مقال الدكتور عائشة عبدالرحمن ص٩٥، والنص في المغرب لابن سعيد ١/١١٧.

٢- والبحث الثاني من أبحاث ندوة ابن حيان، هو الذي كتبه العالم الجليل الدكتور إحسان عباس، حول "**طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية**"[١]. ويكاد هذا المقال يكون رداً - لم يقصد إليه المؤلف بطبيعة الحال - على كثير مما أثارته الأستاذة الدكتورة بنت الشاطئ في بحثها الذي عرضناه فيما سبق. فقد تتبع عدداً من النصوص، التي نص ابن حيان في "المقتبس" على أنه نقلها عن مؤرخين سابقين؛ مثل ابن القوطية، والرازي، والزبيدي، وابن حزم. وانتهى من المقابلة بين ما كتبه ابن حيان، وما ورد في أصول هؤلاء المؤرخين إلى نتيجة مخالفة لما انتهت إليه بنت الشاطئ، وهي أن ابن حيان تصرف في النصوص، إذ إننا نجد لديه إيغالاً في التحليل، واصطناعاً لأسلوب خاص، ودفعاً لبعض الظواهر إلى المقدمة دون بعضها الآخر، وقد جاءت تعليقات الدكتور إحسان عباس على ما ساقه من مقارنات على النحو التالي: "النصان (نصا ابن حيان وابن القوطية) لا يتفقان إلا على الخطوط الأولى"[٢]، "لا يخفى أثر ابن حيان في إعادة الصياغة"[٣]، "الذي أراه: أن ابن حيان، أخذ الفكرة الأصلية، وهي فكرة الشورى (في حكم عبدالرحمن الأوسط)، ثم استند في تفصيلاته إلى ما جرت به العادة حتى أيامه"[٤]، "زيادات ابن حيان على النصوص المنقولة كانت توضيحية لا تفسد الأصل، وإنما تجعله واضحاً ضمن قرائن معينة، وهو يترجم العبارة المنقولة إلى لغته مؤثراً العبارة البيانية"[٥]، "إن القول: بأن ابن حيان يترجم أقوال الآخرين إلى لغته ويدمغها بأسلوبه واضح تمام الوضوح في إيرادات الشهادات

(١) مجلة المناهل ص١٠٩-١٤٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٠.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٢

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٠.

السماعيـة وبعض مواقف الخطابة والخطاب والحوار"[1]، "ابن حيان لم يكن يرى في نفسه محض ناقل عن الآخرين، بل كان له من قدرته على التحليل والأسلوب الجميل، ما يقنعه بأنه لا بد من أن يعيد كثيراً مما كتبه غيره؛ ليكون التاريخ متناسقاً في مستوياته المختلفة"[2]. وهكذا، نرى فيما ساقه الدكتور إحسان عباس من مقارنات، وما انتهى إليه من نتائج، ما يتفق تماماً مع ما كنا قد قررناه، من تصرف ابن حيان في نصوص من ينقل عنهم ممن سبقوه، تصرفًا لا يفسد النصوص، ولا يجنح به إلى ما يمكن أن يعد إخلالاً بأمانة النقل، أو تقولاً على الآخرين.

٣- ويلي هذا البحث مقال للدكتور مصطفى الشكعة بعنوان "**أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي، وأدب كتابة التاريخ**"[3] وفيه يتعرض لمسألة كانت الدكتورة بنت الشاطئ قد أثارتها أيضاً، وهي أدبية الكتابة التاريخية عند ابن حيان. ويبدأ الأستاذ الباحث بالتعليق على عبارة كنت قد أوردتها في دراستي، وهي أن التاريخ "تحول على يد ابن حيان، إلى أدب خالص"، فيقول: إن هذا التوصيف "هو الصدق بعينه" وإن كان يضعه في صيغة أخرى، هي أن ابن حيان كان أديباً مبدعاً بطبعه وتكوينه... فلما كتب التاريخ لم يبعد فيه عن طبعه"[4]. ولهذا فإنه يرى أن ابن حيان "يؤدِّب لغة التاريخ"[5]، وهو يؤيد ما رأيناه حول تصرفه في النصوص الواقعة بين يديه إذ يقول: "ابن حيان إذاً أديب يكتب التاريخ بقلمه، فإذا وردت إليه الأخبار من أصدقائه ومكاتبيه... أعاد صياغتها اللغوية، وعدل من أساليبها البيانية، دون ما مساس بجوهر حقائقها أو لب جواهرها"[6].

(١) مجلة المناهل ص١٤١.

(٢) المصدر نفسه ص١٤٢.

(٣) المصدر نفسه ص١٤٤-١٨٧.

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه ص ١٧٤.

(٦) المصدر نفسه ص ١٨٥.

ويتعرض الدكتور الشكعة أيضاً لقضية الثلب، التي كثيراً ما طرحها القدماء والمحدثون، فرأى أن ابن بسام في وصفه لأبي مروان، بأنه هجّاء، قد جانب التوفيق، "أما نماذج الهجاء التي تمثل له بها ابن بسام فهي هجاء في حكام عرفوا بالعسف والظلم أو وزراء اتسموا بالجهل والبخل، أو أمراء اشتهروا بسفك الدماء وقتل الأبرياء وتدمير العمران، أو قضاة تنكبوا سبيل العدل وأسرفوا في أحكام الظلم"[1].

٤- واتخذ الدكتور حازم عبدالله خضر موضوعًا لمقاله حول "**ابن حيان أديبًا وكاتبًا**"[2] وهو يكرر فيه ما سبق أن ذكرناه من امتزاج الأدب والتاريخ عنده "امتزاجًا حيويًا إيجابيًا، حتى ليبدو التاريخ قَصَصًا ممتعًا، بأسلوب شائق"[3]. ثم يتناول الموضوعات التي عالجها في رسائله، ويتحدث بالتفصيل عن خصائص كتابته الفنية.

٥- ويتحدث الدكتور محمد مفتاح عن "**منهاجية ابن حيان في تأريخ الأدب ونقده**"[4] فيوجه النظر إلى التراجم، التي ساقها ابن حيان في تاريخه للشعراء، والأدباء، التي تبدو فيها خصائص كتابة ابن حيان في تاريخ الأدب، ومن هذه الخصائص؛ اهتمامه بما يحيط بالمترجم له من أطر جغرافية، وسياسية، واجتماعية، وما يعتور الشخصية من تطور وتقلبات[5]. ثم يتحدث عن النقد الأدبي عند ابن حيان، والمقاييس التي اتخذها لهذا النقد، وعناصره النظرية والتطبيقية[6].

---

(١) مجلة المناهل ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٨-٢٢١.

(٣) المصدر نفسه ص١٩٤.

(٤) المصدر نفسه ص٢٢٢-٢٣٦.

(٥) المصدر نفسه ص٢٢٦-٢٢٧.

(٦) المصدر نفسه ص٢٣٢-٢٣٥.

٦- وللدكتورة وداد القاضي بحث مطول جيد، حول **الفكر السياسي لابن حيان**[١] وهو يقوم على أساس الآراء التي سبق أن طرحناها في دراستنا حول "**عقيدة ابن حيان وآرائه السياسية**"[٢] وعلى المقال الذي سبق أن أشرنا إليه للدكتور إحسان عباس حول "**ابن حيان مؤرخ الجماعة**"[٣]، غير أنها امتدت بالبحث وتوسعت فيه، ففصلت تصور ابن حيان للمهمات التي يجب على الخليفة أن يضطلع بها، سواء بالنسبة للجهاد ضد العدو الخارجي، أو موقفه من الفتن الداخلية بمختلف أشكالها السياسية والمذهبية. وأوردت في ثنايا البحث ملاحظات طريفة، جديرة بأن تؤخذ بعين الاعتبار، وإن كنا نرى أنها جانبت الصواب في بعضها[٤].

٧- ويلي ذلك مقال للعالم الفاضل الشيخ عبدالله كنون رحمه الله، وطيب ثراه، وهو بعنوان "**نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان**"[٥]. وهو مقال ثائر غاضب، شذ فيه الشيخ الجليل عن كل من تحدثوا عن ابن حيان. فقد خالفهم جميعًا في تقدير شخصيته وتقويم عمله. فهو يرى أن بعض الكتاب، بالغوا كثيرًا في شأنه، فجعلوه أعظم مؤرخ في الأندلس، وربما في المغرب العربي كله، متأثرين بمبالغات الأندلسيين في تزكية بعضهم بعضاً، مع أنه لا ينفرد عن سائر المؤرخين بشيء! ثم يستدرك الشيخ الجليل حكمه، فيرى أنه تفرد عن جمهرة المؤرخين بشيء لا يحمد عليه، وهو الميل إلى الذم والطعن والتشنيع على الناس، وهو ما تنبه إليه بعض

(١) المناهل ص ٢٤٢-٣٠٠.

(٢) في تقديمنا للمقتبس ص١١١-١٢٣.

(٣) في كتاب "دراسات في الأدب الأندلسي" ص٢١٨-٢٣١.

(٤) مثل قولها: إن ابن حيان تجنب لفظ خليفة في حديثه عن الأمير عبدالله بن محمد (ص٢٥٠). وهذا أمر غريب؛ لأن عنوان القطعة التي نشرها الأب أنطونيا من المقتبس حول إمارة عبدالله هو "ذكر خلافة الأمير عبدالله بن محمد السابع، من خلفاء المروانيين بالأندلس". وقد استخدم المؤرخون الأندلسيون لقب خليفة منسوباً إلى كثير من أمراء الأندلس الآخرين على سبيل التجوز، بغير أن يعني ذلك أن هؤلاء الأمراء تلقبوا به بشكل رسمي.

(٥) مقال الشيخ عبدالله كنون في المناهل ص٣٠١-٣٠٩.

من ترجموا له؛ مثل ابن بشكوال وابن بسام، ووصف كاتب المقال أحكام ابن حيان على بعض من تناولهم، بأنه من قبيل "السباب القذر"[1] وعلى الرغم من ثنائه على الجهد الذي بذلته في تحقيق النص، فقد شملني أيضاً بهجومه الغاضب، فأخذ عليّ مشايعتي لابن حيان، وانتصاري له، ووصفي لابن بشكوال بالتدين الساذج؛ لأنه حذف من تراجم ابن حيان لبعض معاصريه كل ما اشتم منه رائحة النقد أو الطعن[2]. بل إنه في غضبته العارمة، قرن ابن حيان في حرصه على الطعن والثلب بالفتح بن خاقان، وبعالم جليل آخر يُعَدُّ من مفاخر الأندلس، هو ابن حزم الظاهري. ثم عم بكلامه كل مؤرخي الإسلام، فنقل عن تاج الدين السبكي في كتابه "معيد النعم ومبيد النقم" قوله إنهم "على شفا جُرُف هارٍ؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس"[3].

وللشيخ عبدالله كنون في نفسي مكانة وطيدة، ومودة خالصة، وأذكر أنه كان من أول من عرفتهم من علماء المغرب الشقيق منذ زيارتي الأولى لهذه البلاد منذ نحو أربعين سنة، وأنني ما حللت بعد ذلك بأرض المغرب، إلا وقضيت واجب زيارته في بلده طنجة، فكان الرجل يستقبلني بما لا مزيد عليه من الحفاوة والتكريم، وكثيراً ما سعدت بحضور مجالسه، سواء في المغرب أو في مصر، حينما كان يأتي لشهود مؤتمرنا السنوي لمجمع اللغة العربية، وكان من أعضائه. وحينما اختاره الله لجواره، حزنت أشد الحزن لوفاته، وإن كنت أحس ببعض العزاء عن فقده، في أنني اجتمعت به قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى بأسابيع قليلة. فقد اتفق أنني كنت في زيارة للمغرب، وما كنت لأدع هذه الفرصة بغير لقائه، وكان أن توجهت إلى داره في قصبة طنجة في رفقة الأخ العزيز الدكتور

(١) مقال الشيخ عبدالله كنون في المناهل ص ٣٠٢-٣٠٥.

(٢) المصدر نفسه ص٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه ص٣٠٧-٣٠٨.

محمد بنشريفة، وواحد من تلاميذنا المغاربة، ومع أن الرجل كان على فراش المرض، فقد أبى إلا أن ينهض ليجلس معنا ويؤنسنا بأحاديثه التي كانت دائماً حافلة بالمتعة والفائدة. وما كان يخطر ببالنا آنذاك، أن هذا اللقاء كان وداعًا.

ومعذرة للقارئ عن هذا الاستطراد الذي لم يكن منه بد، ووفاءً لذكرى هذا العالم الجليل الذي طالما أفدنا من علمه، وأعجبنا بكرم خلقه. على أن تقديرنا لشيخنا لا يمنعنا من مخالفته. هذا وإن كنت متفهمًا لما حمله على أن يشن على ابن حيان و"مشايعيه" هذا الهجوم العنيف، فقد كان الرجل لفرط طيبة فيه، وسلامة صدر وعفة لسان، لا يحب أن يذكر أحدًا بسوء، ولا أن يذكر في مجلسه أحدٌ بسوء. ولهذا ضاق ذرعًا بما رآه لدى ابن حيان من صراحة خشنة، وبعد عن المجاملة والمداراة، وجرأة في الكشف عن نقائص من يستحق الذم من معاصريه. فنَدَّتْ منه هذه العبارات القاسية التي وصف بها ابن حيان. ولو كان وصف الرجل بما فيه من محاسن ومعايب ثلباً ونيلاً من الأعراض لهدمنا جانبًا من أهم جوانب علم الحديث، وهو معرفة الرجال وعلم الجرح والتعديل، الذي ميز به أسلافنا صحيح الحديث من زائفه، ولكنا مرددين مع بكر بن حماد التاهرتي مقولته في الهجوم على أصحاب الحديث:

أرى الخير في الدنيا يقل كثيره	وينقص نقصًا والحديث يزيد
فلو كان خيرًا كان كالخير كله	وأحسب أن الخير منه بعيد
ولابن معين في الرجال مقالة	سيسأل عنها والمليك شهيد
فإن يك حقا قوله فهو غيبة	وإن يك زورًا فالقصاص شديد
وكل شياطين العباد ضعيفة	وشيطان أصحاب الحديث مريد[1]

(١) انظر ابن عبدالبر: **جامع بيان العلم وفضله**، مراجعة عبدالرحمن حسن محمود، القاهرة ١٩٧٥م، ص٤٠٥. وبكر بن حماد الزناتي التاهرتي شاعر مغربي من تاهرت (في الجزائر الحالية) وكانت وفاته =

كانت هذه هي أهم الأبحاث التي ضمها العدد الخاص المفرد لابن حيان من مجلة المناهل التي تناولت شخصية ابن حيان وآثاره. ومن أجل ذلك، كانت عنايتنا بعرض مادتها، وما قدمته من آراء تتفق مع ما خلصنا إليه في دراستنا للموضوع، أو تختلف معها. وكلا الصنفين ـ ما كان منها موافقًا لما انتهينا إليه، وما كان مخالفًا له ـ يمثل إسهامًا جيدًا أثرى البحث حول مؤرخنا الأندلسي، وأضاف إليه الكثير، مما يجعل لزامًا علينا، أن نتوجه بالشكر، لمن اضطلعوا بتلك الأبحاث، جزاهم الله خير الجزاء. وتبقى بعد ذلك أبحاث أخرى قيمة، تناولت جوانب من تاريخ الأندلس، غير أنها لا تتصل على نحو مباشر بشخصية ابن حيان، ولا ببحث تراثه التاريخي. ولهذا؛ فإننا لم نتعرض لها بالتعليق أو المناقشة.

٤ - ما جدَّ من دراسات أوربية حديثة :

بعد عرضنا لأبرز ما أنجزه عدد من الباحثين العرب المتخصصين حول ابن حيان، وتاريخه، ننتقل إلى ما كتبه الباحثون الأوربيون خلال ربع القرن الأخير. وحينما نتحدث اليوم عن الأوربيين؛ فإننا نعني الإسبان بوجه خاص. وذلك منذ ازدهرت الدراسات الأندلسية في إسبانيا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، فرفع عنها باحثو هذه البلاد "وصاية" العلماء الأوربيين الآخرين من أمثال الهولندي راينهارت دوزي والفرنسي ليفي بروفنسال، ولاسيما بعد أن تأصل لدى المستشرقين الإسبان الوعي بأن التراث الأندلسي إنما هو جزء من تراثهم الحضاري، جدير بأن يعودوا إلى إحيائه وفهمه وتقويمه. وتمثل ذلك في الجهود التي يبذلها

= في سنة ٢٩٦هـ (٩٠٨م) وقد أفردناه بدراسة نشرت في مجلة "**العربي**"، الكويت سنة ١٩٦٣م. أما ابن معين المذكور في أبيات بكر بن حماد فهو يحيى بن معين البغدادي (ت ٢٣٣هـ/٨٤٨م) من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، وهو إمام الجرح والتعديل. قال عنه الإمام أحمد بن حنبل "أعلمنا بالرجال" (**وفيات الأعيان** ٦/ ١٣٩، و**تاريخ بغداد** ١٤/ ١٧٧).

الباحثون الإسبان، خلال السنوات الأخيرة في تحقيق النصوص العربية الأندلسية وترجمتها ودراستها. وهذه ظاهرة ينبغي علينا أن نسجلها بما تستحقه من تقدير وثناء في عالمنا العربي.

من أولى هذه الدراسات الأخيرة حول ابن حيان، تلك التي نشرها بدرو تشالميتا بعنوان: "**الكتابات التاريخية الإسبانية خلال العصور الوسطى: المدونات العربية**"[1]. وهي مقالة طويلة، نشرها في مجلة "**الأندلس**". بدأها بمشروع اقترحه لمسح المصادر التاريخية الأندلسية. وإعداد قاعدة بيانات لهذه المصادر، تيسيراً لبحث مادتها، وقيمتها التاريخية. ثم انتقل إلى تطبيق مشروعه على اثنين من كبار مؤرخي الأندلس: ابن حيان (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) وابن عذاري المراكشي (ت٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م). والذي يهمنا فيما كتبه ابن حيان، هو مناقشته لقضية تاريخ تأليف "المقتبس"[2]، وفيها يورد رأي دوزي ومن تابعه من الباحثين، في أن المقتبس نتاج كاتب ناشئ حديث عهد بالكتابة التاريخية على حين أن "المتين" كتاب مؤرخ ناضج تقدمت به السن وحككته التجارب. وهو رأي أخذ به غرسية غومس في جوهره، وإن كان قد خالفه في بعض تفاصيله. ثم يورد ما انتهينا إليه حول تاريخ تأليف الكتابين[3] وهو يبدو موافقًا على ما طرحته حول تأليف "المتين"، أما "المقتبس"، فإنه يقترح حوله فرضًا "شخصياً": وهو أنه إنما كان "صلة" أو "ذيلاً" لكتاب "المتين". ويفسر ذلك بأن ابن حيان بدأ بكتابة "يومياته" أو مذكراته في شبابه المبكر، ومن هذه اليوميات تجمعت مادة المتين، ولكنه في أثناء العمل، كان يحتاج إلى الرجوع إلى أحداث سابقة، حتى تكتمل

(1) Pedro Chalmeta : **Historiografia medieval hispana : Arabica, en Al-Andalus**, vol. XXXVII, 1972, pp. 353-404

(٢) المقال السابق ص ٣٨٥-٣٩٠.

(٣) في مقدمة تحقيقنا للسفر الثاني من الكتاب، ط. بيروت، ص ٦٨-٧٦.

حلقات التاريخ. ومن هنا، شرع في جمع مادة حول العصور السابقة، هي التي تشكل منها كتاب المقتبس. ومن الكتابين، تحقق مشروعه في كتابة " **التاريخ الكبير** " كما أطلق عليه من بعد. وهو يورد بعد ذلك تعليقًا لغرسية غومس حول عبارة وردت في القطعة الخاصة بالحكم المستنصر من المقتبس، وفيها يقول في معرض الحديث عن عدوان البربر على الخلافة الأموية... "اعتداءٌ أصارهم إلى ما هم الآن بصدده: من إبطال الخلافة، وتفريق الجماعة، والإشراف بالجزيرة على الهلكة، إلا إن كان لله - تعالى جده - بعد تقضي القرن المزدلف (أي المقترب) انسلاخه بانتياش الإسلام من حاجة يرد بها لأهله كرَّه..."(1) وهي عبارة فهم منها غرسية غومس أن ابن حيان قد ألف المقتبس في أولى سنوات الفتنة (سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م) وهو في الثانية والعشرين من عمره. وقد أحسن تشالميتا صنعًا، حينما استبعد هذا الرأي، بعد أن ناقشه مناقشة مفصلة. على أنه يوافق غرسية غومس في قوله: إن المقتبس، ليس عملاً أصيلاً لابن حيان؛ وإنما هو جمع و"نشر" لكتب التاريخ السابقة، وعمله لا يزيد على ما يقوم به اليوم من يحقق كتابًا تراثيًا قديمًا، فهو في أثناء جهده التحقيقي قد يضيف حاشية هنا أو تعليقًا هناك، ولكنه لا يتجاوز ذلك".

وقد سبق أن رددنا هذه المقولة، وأوضحنا أن ابن حيان حينما كان يثبت نصوصًا من كتب من سبقه من المؤرخين، لم يكن مجرد ناقل، وإنما كان يعيد صياغة هذه النصوص، محافظًا على جوهرها، ومقدمًا إياها بلغته وأسلوبه الذي تفرد به. وهذا حكم ينسحب على تاريخ ابن حيان كله، سواء في ذلك كتاب "المقتبس" وغيره من كتبه.

وقد ظلت مسألة التاريخ الذي ألف فيه ابن حيان كتابيه "المقتبس" و"المتين"

(1) المقتبس، نشر عبدالرحمن الحجي، ص١٩٣-١٩٤.

مثيرة لكثير من الجدل بين الباحثين الإسبان. فكان ممن عاد إلى بحث هذا الموضوع، المستشرقة ماريا خيسوس بيغيرا، إذ عالجته في مقالين. نشر أولهما في مجلة "**القنطرة**" بعنوان "**حول التاريخ الذي كتب فيه ابن حيان**"[١]؛ وفيه تنوه بقيمة التراجم التي أفردها ابن حيان لقضاة قرطبة، مما نقله ابن سعيد في كتاب المغرب؛ وذلك في إمكان التوصل إلى التاريخ الذي فرغ فيه ابن حيان من كتابة إحدى نسخ "المتين"، وهو التاريخ الذي عاصره وشهد أحداثه. وهي تشير بصفة خاصة، إلى ترجمة أبي القاسم سراج بن عبدالله بن سراج قاضي الجماعة بقرطبة، الذي ولي القضاء سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م)، إذ يقول ابن حيان في أثنائها: "وهو مقيم على حاله إلى وقت إملاء هذا الكتاب، وقد نيّف على الثمانين"[٢]. وتنبه إلى أن هذه العبارة، كانت قد استوقفت نظري من قبل، واستنتجت منها، أن ابن حيان قد أخرج تلك النسخة من كتاب المتين بين سنتي ٤٥٠هـ و٤٥٦هـ[٣]. وتعلق على ذلك، مؤيدة الرأيَ الذي طرحته، بأن كتاب "المتين" بحكم كونه تاريخ الأندلس الحي المتحرك، لم يخرج إلى القراء في نسخة واحدة ثابتة، بل كان في حاجة دائمة إلى تكرار النظر والإضافة والاستدراك، بحسب تلاحق الأحداث الجارية. ولهذا، فقد أخرج ابن حيان منه نسخًا مختلفة بمضي الزمن، أو كما نقول بلغة اليوم: "طبعات" متجددة منقحة، مواكبة لتطور الأحداث.

ثم تتعرض الباحثة لمسألة كنت قد بحثتها من قبل، في تعدادي لمؤلفات ابن حيان، وهي ما ذكرته من خطأ بعض الدارسين السابقين في نسبتهم كتبًا لابن حيان.

(1) Mar'ia Jesus Viguera : Referencia a una fecha en que escribe Ibn Hayyan , en Alcantara, vol. IV, 1983, pp. 429-431.

(٢) المغرب لابن سعيد ١/ ١٦٢.

(٣) مقدمة تحقيقي للمقتبس ص٧٣.

على حين أنها ليست إلا فصولاً من تاريخه الكبير[1]. وهي تؤيد ما ذهبت إليه في هذا الأمر، وتضيف أن ما يعزز هذا الرأي، ما نشهده في كتاب المغرب لابن سعيد، من تسميته فصول كتابه بالكتب.

والمقال الآخر الذي كتبته ماريا خيسوس بيغيرا، كان في مجلة "**شؤون عربية**" التي كانت تصدرها جامعة الدول العربية في تونس في طبعتها الإسبانية سنة ١٩٨٦م، وهو بعنوان "**ملاحظات حول ابن حيان**"[2]. وهو موزع على قسمين: القسم الأول، عرض للكتابات التاريخية الأندلسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وتنتقل من ذلك إلى ابن حيان وما يمثله من تقدم في ميدان الكتابة التاريخية. وتستعرض ما تحقق من دراسات حول ابن حيان، خلال السنوات الأخيرة، وتكرر هنا النتائج التي وصلت إليها في المقال السابق، ثم تتحدث بالتفصيل عن تراجم قضاة الأندلس في "تاريخه الكبير" بشطريه: المقتبس والمتين، مع تحديد مصادره في هذه التراجم، وبيان قيمتها التاريخية، لاسيما وأن ابن حيان لم يكن مجرد مترجم سارد لأخبار أولئك القضاة، وإنما كان ناقداً نافذ النظرة حول سلوكهم، سديد الحكم على أعمالهم إيجابًا وسلبًا، مما يبوئ ابن حيان مكانة تعلو على سائر المؤرخين، لا على مستوى التاريخ الإسلامي فحسب، بل على مستوى إنساني عام. والقسم الثاني، من المقال ترجمة إسبانية لما كتبه ابن حيان من تراجم لثمانية من قضاة قرطبة خلال سنوات الفتنة، التي انتهت بسقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م)، وكان الهدف من هذا القسم، هو التدليل على صحة ما ذهبت إليه الباحثة حول الأحكام النقدية التي أصدرها ابن حيان على سلوك أولئك القضاة.

---

(١) مقدمة المقتبس ص٨٢-٨٤.

(2) Maria Jesus Viguera : Apuntes sobre Ibn Hayyan, en Temas arabes, La Liga de Estados Arabes, Tunez, num1, agosto 1986, pp77-91

ويلي هذين المقالين بحث آخر، نشرته مستشرقة إسبانية، من جيل الشباب الذي يتمثل فيه ازدهار المدرسة الاستشراقية الإسبانية، وهي ماريا لويسا آبيلا. كان بحثها بعنوان "**تاريخ كتابة المقتبس لابن حيان**"، وهو منشور في مجلة "**القنطرة**"، المجلد الخامس[1]. وفيه عودة إلى بحث هذه المسألة، التي كثر حولها جدل الدارسين. وتبدأ الباحثة بعرض للآراء السابقة، وهي التي انتهى إليها دوزي ومن تابعه، وغرسية غومس، وكاتب هذه السطور، وتشالميتا، ثم تقترح للفصل في هذه المسألة، منهجًا يقوم على استقصاء المصادر التي رجع إليها ابن حيان في الأقسام الأربعة المنشورة حتى الآن من "**المقتبس**" والتواريخ المحتملة لتأليف هذه المصادر، ولوفيات أصحابها. وبعد هذا العرض المفصل خلصت، إلى أن آخر المؤلفين الذين رجع إليهم ابن حيان ونقل عنهم هم:

١- الحسن بن محمد بن مفرج القُبَّشي (ت٤٣٠هـ) صاحب كتاب "**الاحتفال**". الذي كتبه بين سنتي ٤١٧هـ و ٤٢٠هـ.

٢- ابن حزم (ت٤٥٦هـ) مؤلف "**جمهرة الأنساب**" بين سنتي ٤٢٢هـ و٤٣٢هـ و "**نقط العروس**" بين ٤٥٠هـ و ٤٥٦هـ.

٣- صاعد الطليطلي (ت٤٦٢هـ) صاحب "**طبقات الأمم**"، وقد ألفه بأخرة من عمره في سنة ٤٦٠هـ.

وتستنتج الباحثة من وفيات هؤلاء الثلاثة، أن "المقتبس" لم يكن من نتاج شباب ابن حيان المبكر كما زعم دوزي، وغرسية غومس، وإنما كان عمل مؤرخ ناضج مكتهل. وتخلص في النهاية، إلى أن تأليف "المقتبس" كان مثل تأليف "المتين" مُنَجَّماً، يخرجه ابن حيان شيئًا فشيئًا، مع تكرار النظر فيه باستمرار.

---

(1) Maria Luisa Avila : La fecha de redaccion del Muqtabis, en Alcontara, vol.V, 1984, pp93-108.

وتقول في نهاية البحث: "ولعل ابن حيان حين بدأ تأليفه التاريخي، لم يفكر في البداية في كتابين منفصلين، بل كان همه إخراج تاريخ كبير يشمل الفترة السابقة منذ الفتح العربي والتاريخ الذي عاصره وشهد أحداثه. ثم بعد ذلك بمرور الزمن وتضخم الكتاب، قرر توزيعه على قسمين: الأول يضم ما جمعه من الكتب السابقة في تاريخ الأندلس، منذ الفتح حتى الفتنة وهو المقتبس، والثاني هو الخالص من نتاج قلمه، وفيه يواصل تاريخ ما عاصره وشهده من الأحداث حتى قرب وفاته، وهو "المتين".

والواقع أن هذا البحث ـ وهو من أجود ما كتب حول تاريخ ابن حيان ـ يتفق في نتائجه مع ما سبق أن انتهيت إليه في دراستي السابقة، وفضله في كونه موثقًا توثيقًا كاملاً بالنصوص.

٥ - قصة القسم الأول من السفر الثاني من "المقتبس" ومصورته الإسكندرية:

ونأتي في النهاية إلى هذه القطعة الجديدة من المقتبس، التي نقدم لها بهذه الصفحات، ولها قصة نكاد نكرر في تقديمها تلك العبارة المشهورة، التي ترد في مقدمات كثير من قصص "**ألف ليلة وليلة**": "... لو كتبت بالإبر، على آماق البصر، لكانت عبرة لمن اعتبر"!

وقد روينا لك بداية هذه القصة، وانتهينا فيها إلى البحث المضني، عن تلك المخطوطة التي كانت في حوزة ليفي بروفنسال، واختفت بعد وفاته في سنة ١٩٥٧م. وامتد هذا البحث بنا، وبكل الحريصين على تراث ابن حيان طوال أكثر من أربعين سنة، حتى انتهينا إلى اليأس من العثور على هذه المخطوطة الفريدة، بما يعنيه ذلك من ضياع قطعة ثمينة من خريطة تاريخ فردوسنا الضائع، الذي نستميت في استنقاذ أشلائه، ولمّ فتاته المتناثر هنا وهناك.

ولم يبق لنا في ظلام هذا اليأس إلا بصيص من الأمل، يتمثل في تلك المصورة التي تركها بروفنسال للمؤرخ الإسكندري الجليل عبدالحميد العبادي، حينما اتفقا على أن ينهضا مشتركين بتحقيق الكتاب[1]. غير أن العبادي كان بدوره قد توفي سنة ١٩٥٦م، ولم يتحقق المشروع، الذي كان قد اتفق عليه مع المستشرق الفرنسي.

وفي سنة ١٩٥٠م أصدر بروفنسال في باريس كتابه "**تاريخ إسبانيا الإسلامية**" في مجلدين، وهو يتناول تاريخ الأندلس، منذ الفتح العربي حتى نهاية الخلافة الأموية في أوائل القرن الخامس الهجري. وفي مستهل عرضه لإمارة الحكم بن هشام يقول: إن أهم مصدر سيعتمد عليه في تاريخ هذه الإمارة، وفي إمارة ابنه عبدالرحمن، هو مخطوطة جامع القرويين بفاس. ثم يضيف:

"كنت قد فرغت من تحقيق هذه المخطوطة وإعدادها للنشر منذ سنة ١٩٣٨م، ثم عهدت بأصول الكتاب، إلى إحدى الجامعات المصرية، وكانت قد طلبت إليَّ الاضطلاع بإعداده، غير أنها لم تنجز نشرها للكتاب بعد مرور اثني عشر عامًا على ذلك الاتفاق"[2].

غير أن بروفنسال لم يكن صادقًا فيما زعم، فهو لم يكن قد فرغ من تحقيق

---

(١) عبدالحميد عبدالعزيز العبادي رائد من رواد التاريخ الأندلسي، ولد وتوفي بالإسكندرية، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة، واشتغل بتدريس التاريخ الإسلامي طول حياته. ولي عمادة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية (١٩٤٤-١٩٥٢م)، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، ودعي للمحاضرة في دار المعلمين ببغداد. وله كتب منها "صور من التاريخ الإسلامي" و "**المجمل في تاريخ الأندلس**". وقد أورث عنايته بتاريخ الأندلس ابن أخيه الصديق والزميل الدكتور أحمد مختار العبادي. الذي تخصص في التاريخ الأندلسي، ولاسيما في عصر بني الأحمر ملوك غرناطة. وهو أستاذ تاريخ الأندلس في جامعة الإسكندرية، وصاحب الدراسات القيمة الكثيرة في تاريخ المغرب والأندلس.

(٢) تاريخ إسبانيا الإسلامية ١/١٥١، حاشية رقم ١.

المخطوطة ولا إعدادها للنشر. ولو صح ذلك لما أعجزه أن ينشر الكتاب في أي جهة، وما أكثر دور النشر التي كانت ترحب به، بل وتتمنى طبعه بعد أن "أخلّت" تلك الجامعة المصرية المذكورة ـ والمقصودة هي جامعة الإسكندرية ـ باتفاقها معه. والواقع أن الاتفاق إنما كان في ظاهره على أن يتم تحقيق المخطوطة شركة بينه وبين العبادي، وفي حقيقة الأمر، أن يحمل العبادي بثقافته العربية الواسعة عبء التحقيق، ثم يضع بروفنسال اسمه معه. غير أن العالم المصري، لم يكن ممن يجعل نفسه مطية لمآرب غيره. هذا وإن كان يذكر بالفضل للمستشرق الفرنسي، أنه لم يسترد المصورة التي كان قد تركها للأستاذ الإسكندري[1].

وظلت المصورة المذكورة لدى العبادي حتى وفاته. ويظهر أن مكتبته الخاصة أهديت لمكتبة جامعة الإسكندرية إما بوصية منه أو بمبادرة من ورثته. وحدث بعد ذلك أن مُدَرِّسة في كلية الآداب "اكتشفت" ـ على حدٍّ قولها ـ تلك المصورة في مكتبة الكلية، فاستولت عليها وبقيت في حوزتها حتى اليوم.

وحينما نمى إلينا هذا النبأ أصبح أملنا معلقاً على أن تقوم تلك السيدة بنشر الكتاب على أساس المصورة المذكورة، بعد أن فقدنا الأمل في العثور على الأصل المخطوط. وكنا نرى أن إخراج الكتاب إلى النور على أية صورة ـ حتى وإن لم يكن تحقيقه على المستوى المطلوب ـ سيكون خدمة جديرة بالتقدير والشكر. ولكن السنوات مرت دون أن يتحقق ذلك الأمل. وإذا كانت تلك المدرسة الجامعية قد أخذت المصورة على سبيل الاستعارة من مكتبة الجامعة، فقد كان ينبغي عليها أن تردها بعد الفترة المسموح بها في قواعد الاستعارة. وكان الواجب على الجامعة، أن تطالبها بردها.

---

(١) كنت قد ذكرت في مقدمة تحقيقي للقطعة التي نشرتها من المقتبس (ص١٤٧) أن ليفي بروفنسال استرد تلك المصورة، غير أنه تبين لي بعد ذلك أنه لم يفعل.

وهكذا بقيت مصورة ذلك المخطوط الثمين محجوبة عن الباحثين. وقدمت إلى السيدة المذكورة عروض متوالية من عديد من المعتنين بتراث ابن حيان، لكي تسمح بتعميم الانتفاع من المصورة: إما بالاشتراك في تحقيقها ونشرها، أو تركها إذا كانت عاجزة عن ذلك لمن هو أقدر على العمل فيها، فرفضت كل تلك العروض، وبقي ابن حيان حبيساً لا يعرف طريقه إلى الناس، ولا يعرف الناس طريقاً إليه.

وهكذا لم تعد هناك بارقة أمل في إمكان رؤية كتاب ابن حيان منشوراً بين أيدي الباحثين المشوقين إلى تعرف المزيد عن تاريخ الأندلس. غير أن لله تعالى في حكمته ولطف تدبيره ما يعوضنا به عن صبرنا خيراً. فكان من نعمه اكتشاف السفر الخامس من المقتبس، في خزانة القصر الملكي بالرباط في أوائل الستينيات. والواقع أن نبأ وجود ذلك السفر لم يكن جديداً تماماً، فقد كان الراهب الإسباني ملتشور أنطونيا (ناشر السفر الثالث) على علم به منذ الثلاثينيات من هذا القرن، إذ أشار إلى أنه اطلع على قائمة بكتب الخزانة السلطانية في مكناس (حينما كانت عاصمة المملكة المغربية قبل أن تنتقل إلى الرباط) على مخطوط برقم ١٢٨٣ أثبت أمامه أنه السفر الخامس من المقتبس. وكان أول من عرّف بوجود هذا المخطوط الأستاذ محمد عبدالله عنان[١]، فأورد وصفًا له ومجملاً بمحتوياته، ثم نشر منه ترجمة المفكر الأندلسي محمد بن عبدالله بن مسرة القرطبي (ت٣١٩هـ) والبيان الرسمي الذي أصدره عبدالرحمن الناصر لدين الله، ووجهه إلى آفاق ملكه، بإدانة تعاليم ابن مسرة والتحذير من بدعته.

واغتبطت كل أوساط المشتغلين بتاريخ الأندلس بهذا الاكتشاف، لاسيما وأن المخطوط يعالج حقبة من أهم فترات تاريخ الأندلس، وهي السنوات الثلاثون الأولى من خلافة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٣٠هـ).

---

(١) في مقال له بعنوان "اكتشاف السفر الخامس من المقتبس" في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثالث عشر، ١٩٦٥-١٩٦٦م، ص١٢٧-١٣٧. وانظر كذلك مقدمة تحقيقي للمقتبس ص١٤٩.

ولم تمض سنوات، حتى نشر المعهد الإسباني العربي في سنة ١٩٧٩م هذا السفر الخامس، بتحقيق بدرو تشالميتا، أستاذ تاريخ الإسلام في جامعة مدريد. وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي بذله العالم اللغوي فيديريكو كوريتني، ومحمود صبح، المشاركان في هذه النشرة، وفي تصحيحها، فقد صدرت وفيها من الأخطاء والتحريف الشيء الكثير، مما يوجب إعادة تحقيق هذا السفر، وإعداد طبعة جديدة له. ومع ذلك فإن هذه النشرة على علاتها، تمثل خطوة واسعة في التقدم بتاريخ الأندلس، وفي ميدان الدراسات الحيانية.

وفي سنة ١٩٨٨م تصدر السيدة التي كانت تحتفظ بالمصورة، وهي الدكتورة نبيلة حسن محمد، بحثًا قدمته للترقية لدرجة الأستاذية: بعنوان " **التعريف بالنسخة الفريدة من المقتبس لابن حيان القرطبي : ١٨٠-٢٣٢هـ**"[١]. ولنا على هذا البحث ملاحظتان نوردهما فيما يلي:

١- تتحدث الباحثة عن هذه "النسخة الفريدة" من المقتبس على أنها "المخطوط" لا مصورته الفوتوغرافية، إذ تقول في وصفها: "والقطعة التي تمكنت من اكتشافها من بين المخطوطات المحفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية"[٢]. ثم تقول: "والقطعة التي نعرف بها اليوم كانت تؤلف سفرًا واحدًا مع القطعة التي نشرها الأستاذ الدكتور محمود مكي، وقطعته نحو ثلث هذا السفر، إذ تبدأ من الورقة ١٨٩ وتنتهي بنهاية السفر المذكور في الورقة ٢٨٤"[٣]. وتتكرر هذه الإشارات إلى "المخطوط" على طول البحث، وهو ما يوهم بأن ما "اكتشفته"

(١) نشر البحث المذكور في دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، في ٧٦ صفحة، وألحقت به صاحبته ثلاث صور فوتوغرافية سالبة من لوحات المصورة.

(٢) البحث المذكور ص ١٥.

(٣) البحث نفسه ص١٦، وهو كلام مأخوذ حرفيًا برمته، مما أوردته في مقدمة القطعة التي حققتها ص ١٤٨-١٤٩.

كان الأصل المخطوط للكتاب، وهو أمر غير صحيح، يعد ضربًا من "التدليس"، فما كان بحوزتها ليس إلا تلك المصورة التي تركها ليفي بروفنسال لعبدالحميد العبادي رحمه الله. غير أنها لم تشر حتى إلى اسم العبادي، وكأنها أرادت أن تغمط العميد السابق حقه وفضله، إذ كان هو المالك الحقيقي للمصورة قبل أن تودع في مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية. وهي مع ذلك تعترف بأن "المخطوطة" ـ والصواب المصورة ـ المكتشفة كانت محفوظة بمكتبة الكلية. ومعنى هذا الاعتراف، أنها أخذتها على سبيل الاستعارة ـ مع التجوز في استخدام هذا التعبير ـ، وإذا كان الأمر كذلك فما كان من حقها الاحتفاظ بها، وحجبها عن الراغبين في الاطلاع عليها.

٢- وأما بقية البحث فليس فيه جديد، فمعظم مادته مأخوذ من تقديم القطعة التي نشرتها من المقتبس. وأما محاولتها لتحديد التاريخ الذي بدأ فيه ابن حيان بتأليف الكتاب وذكر مصادر ابن حيان في هذا السفر الثاني، فهو حديث مكرور. وقد أشرنا من قبل إلى أن موضوع التاريخ الذي ألف فيه الكتاب، قد خاض فيه الكثيرون من قبل، وكان من أكثرهم استيفاء للبحث فيه، واستقصاءً لمصادره الباحثة الإسبانية ماريا لويسا آبيلا في مقالها المنشور سنة ١٩٨٤م، وفيه انتهت إلى النتائج التي كررتها الأستاذة الإسكندرية، وهي بدورها في جوهرها لا تختلف عما أوردته في مقدمة تحقيقي للمقتبس المنشورة سنة ١٩٧٣م.

في غمار اليأس الذي كان يلفنا من أمر مخطوطة ليفي بروفنسال، وبعد أن قطعنا الأمل من إمكان العثور عليها ـ خلال السنوات الخمسين الماضية ـ إذا بنا أمام مفاجأة مذهلة، لم تكن تخطر على بال، وهي ظهور ذلك الأصل المخطوط كاملاً غير منقوص. ولهذه المفاجأة قصة أغرب من الخيال، غير أنها ـ على عكس قصة المصورة ـ ذات نهاية سعيدة.

من المعروف ما كان يربط ليفي بروفنسال بالمستشرق الكبير إميليو غرسية غومس[1] من صداقة متينة، ومن تعاون وثيق، تمثل في كثير من الأعمال التي اشتركا في إنجازها[2]، حتى إن كثيراً من كتب بروفنسال ودراساته، لم يكن يصدر

(١) إميليو غرسية غومس Emilio Garcia Gomez (١٩٠٥-١٩٩٥م) شيخ المستشرقين الإسبان، وأعلاهم قامة، وأخصبهم إنتاجًا. تلمذ في مطلع شبابه للمستشرقين الكبيرين خوليان ريبيرا (ت١٩٣٤م) وميجيل أسين بلاثيوس (ت١٩٤٤م)، وأوفد في بعثة إلى مصر سنة ١٩٢٧م للاستزادة من الثقافة العربية. وفي مصر، تلمذ على العالم أحمد زكي باشا "شيخ العروبة" وعلى الدكتور طه حسين، وحينما عاد إلى وطنه، أصبح أستاذاً لكرسي اللغة العربية في جامعة غرناطة، ثم جامعة مدريد، وحينما أنشئت مدرسة الأبحاث العربية، بفرعيها الغرناطي والمدريدي سنة ١٩٣٢م، أصبح نائباً لمديرها، أستاذه أسين بلاثيوس. وأصدرت المدرسة مجلتها "الأندلس" Al-Andalus، فكان نائبًا لرئيس تحريرها. وانتخب بعد ذلك عضواً في المجمعين الملكيين: اللغوي والتاريخي، كما انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجمع العلمي العربي في دمشق. وتولى منذ سنة ١٩٤٩م إدارة مدرسة الأبحاث العربية ورياسة تحرير مجلة الأندلس. وفي سنة ١٩٥٠م افتتح الدكتور طه حسين ـ وكان وزيراً للمعارف ـ "المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد" واختار عدداً من الشباب الخريجين ـ كان كاتب هذه السطور واحداً منهم ـ لكي يكونوا نواة للمتخصصين في الدراسات الأندلسية. وعهد بالإشراف على هؤلاء الشباب، إلى غرسية غومس. فقمنا بإعداد رسائلنا للدكتوراه تحت إشرافه. وحينما أنشأت الحكومة الإسبانية "المعهد الإسباني العربي" سنة ١٩٥٤م أصبح أول مدير له، هذا مع عمله أستاذاً في جامعة مدريد. ثم اختارته الحكومة الإسبانية ليمثلها سفيراً في العراق فلبنان، ثم تركية (١٩٥٨م-١٩٦٩م)، وعاد بعد ذلك إلى وطنه، فظل يباشر التدريس ويواصل التأليف حتى وفاته سنة ١٩٩٥م. أما أعماله العلمية فيحتاج المرء إلى صفحات كثيرة لتعدادها، وهي شديدة التنوع ما بين تحقيق نصوص عربية، ودراسات تتناول كل فروع الثقافة العربية، وترجمات إلى الإسبانية يتجلى فيها حسه الأدبي المتميز. وقد أفردنا لترجمة غرسية غومس صفحات من كتابنا "**ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي**"، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٢-٢٣.

(٢) من هذه الأعمال كتاب ليفي بروفنسال الكبير "**تاريخ إسبانيا الإسلامية**" في ثلاثة أجزاء (١٩٥٠-١٩٥٥)م، ورسالة **ابن عبدون في الحسبة**، التي نشرها بروفنسال بعنوان "**إشبيلية الإسلامية في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي**" وقد ترجم غرسية غومس هذين الكتابين إلى الإسبانية، ومنها تحقيق "**كتاب مجهول المؤلف في تاريخ عبدالرحمن الناصر**" الذي اشتركا فيه وقام غرسية غومس بترجمته إلى الإسبانية ١٩٥٠م.

منها شيء حتى يبارع غرسية غومس إلى ترجمته إلى الإسبانية. وكنا بطبيعة الحال على علم بهذه الصلة الوثيقة بين العالمين الفرنسي والإسباني، فكان غرسية غومس من أول من سألناهم بعد وفاة بروفنسال، إن كان يعرف شيئاً عن مصير تلك القطعة من مقتبس ابن حيان التي كانت في حوزته، فكان جوابه بالنفي، فمضينا في بحثنا العقيم عنها في المظان الأخرى على نحو ما سبق لنا بيانه، حتى كان رحيل أستاذنا غرسية غومس في الحادي والثلاثين من مايو سنة ١٩٩٥م.

وكما كان العالم الإسباني الكبير موضعًا للتكريم في حياته، فقد ظلت مؤسسات كثيرة تقيم له حفلات تأبين بعد وفاته، كان من بينها، المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، إذ أقام بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيله (٣١ مايو ١٩٩٦م) حفلاً، اشترك فيه على مدى أسبوع حشد كبير من أصدقائه وزملائه وتلاميذه[١].

وكان من بين المشاركين في التأبين، واحد من أوثق تلاميذ غرسية غومس صلة به وأحظاهم لديه، هو خواكين بالبيه برميخو، الذي خلفه على كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد وأصبح ـ بترشيح منه ـ زميله في المجمع التاريخي الملكي. وفي مجلة هذا المجمع نشر مقالاً في رثاء أستاذه يقول فيه متحدثًا عمّا خلّفه من آثار مخطوطة لم تتح له فرصة نشرها في حياته:

"كان أستاذي قد عبر لي مشافهة وكتابة في أكثر من مناسبة عن احتفاظه بدراسات كثيرة شبه منتهية حول العديد من الموضوعات الأندلسية والإسبانية، الأدبية والتاريخية". وبعد أن عدد بالبيه عناوين بعض هذه الدراسات اقترح على المجمع أن يتصل بأرملته السيدة ماريا لويسا فورتس، وأن يتفاوض معها بشأن نشر

(١) نشر المعهد كلمات المشاركين في هذا الحفل، وهم اثنان وعشرون، في عدد خاص من مجلة المعهد، المجلد رقم ٢٨، سنة ١٩٩٦م، ص١ - ١٩٢ من القسم الإسباني.

هذه الدراسات المخطوطة، سواء الكاملة منها أو ما بقي منها، صالحًا للنشر(١).

ويقول بالبيه بعد ذلك: "كان لديَّ هاجس بأن لدى غرسية غومس النسخة المخطوطة من السفر الثاني من المقتبس أو مصورة له، لأنه في مناسبات عديدة، كان يوجه إليَّ أسئلة محددة يستشيرني فيها حول بعض أسماء الأعلام الجغرافية، أو الأحداث التاريخية، الواقعة في الفترة التي يعالجها ذلك المخطوط. وكان غرسية غومس يسجل ما كنت أدلي به حول تلك التساؤلات. فقد كشف البحث في مخلفات أوراقه عن تلك الردود، التي كنت أجيب بها أستاذي، وكانت مؤرخة بين سنتي ١٩٩١ و١٩٩٢م".

ويستنتج بالبيه من ذلك، أن غرسية غومس كان يشتغل بتحقيق ذلك السفر المخطوط، ودراسته وترجمته حتى آخر لحظات حياته(٢).

ويواصل بالبيه حديثه عن مخلفات غرسية غومس، فيقول: "وفي يوم الأربعاء السابع من أكتوبر سنة ١٩٩٨م قمت بتسليم المجموعة الأولى من أوراق غرسية غومس ودراساته المطبوعة لمكتبة المجمع التاريخي الملكي، وكنت قد تسلمتها في اليوم السابق من أرملته السيدة ماريا لويسا فورتس، وذلك بناءً على رغبتها هي وأختها السيدة ماريا خيسوس فورتس وزوجها السيد خوسيه ماريا مويدانو. وكنت قد فرغت من فهرسة مؤقتة لاثني عشر صندوقًا وأكثر من سبعين حافظة تشتمل على مخلفات الأستاذ الراحل. وبين هذه المخلفات، وجدت أوراقًا نسخ فيها بخط يده قطعة من "المقتبس" في ثماني ورقات، والعديد من المقتطفات الشعرية مع ترجمتها الإسبانية.

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة المجمع التاريخي، العدد ١٩٢، سنة ١٩٩٥م، ص١٨٥-٢٠٢. انظر بصفة خاصة ص٢٠٠:

Joaquin Vallvé Bermejo: **D. Emilio García Gomez... in memoriam**, en Boletin de la Real Academia de la Historia, vol. CXCII, 1995, pp.185-202, (p.200).

(٢) مقدمة نشرة المقتبس الفاكسيميلية ص ٩ (IX).

وفي يوم ٦ مارس الماضي زرت أنا وعائلتي السيدة ماريا لويسا، التي أبدت رغبتها الصريحة في إهداء مكتبة زوجها الراحل برمتها لمكتبة المجمع التاريخي. وبعد ذلك بثلاثة أيام في ٩ مارس سلمتني أختها وزوجها دفعة ثانية من تراث غرسية غومس كان يبدو من تصفحها أنها بالغة القيمة. وفي اليوم نفسه وقبل الساعة الواحدة مساءً عدت لتسليم تلك المجموعة من وثائق وأوراق مخطوطة ومطبوعات إلى مكتبة المجمع.

ومنذ اللحظة الأولى، لفتت نظرى حافظة كبيرة، كتب على غلافها عنوان "المقتبس المخطوط"، وإذا بي أجد في الحافظة الأصل العربي للسفر الثاني، ومعه نسخة كاملة منه بخط غرسية غومس، وأوراق بخط ليفي بروفنسال مع بعض التعليقات.

وبفحصي للأصل المخطوط، تبين لي أنه مبتور الأول، فهو يبدأ بالورقة ٨٨ وينتهي بالورقة ١٨٨، فيتألف بذلك من مائة ورقة أي مائتي صفحة. أما الخط فهو أندلسي واضح يبدو فيه قدر من العناية، غير أنه بقلم أكثر من ناسخ. وهناك ترقيمات عديدة لأوراقه، وحواشيه متآكلة بفعل الأرضة، ولكن النص نفسه سليم بوجه عام. ومسطرة الورقة ١٩,٥ × ٢٨,٥ سم، وأما المكتوب في داخلها فمسطرته ١٤,٥×٢٢,٥سم.

ومادة الكتاب تاريخ لإمارة الحكم بن هشام كلها (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م) ولخمس وعشرين سنة من إمارة ابنه عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٢هـ/ ٨٢٢-٨٤٧م).

وكان ليفي بروفنسال حينما نشر في سنة ١٩٥٠م المجلد الأول من كتابه "تاريخ إسبانيا الإسلامية" قد نبه إلى أن أهم مصادره في تاريخ هذين الأميرين هو هذه القطعة من "المقتبس" التي يسميها مخطوط فاس"[1].

---

(١) تاريخ ليفي بروفنسال ١/ ١٥٠، حاشية ٢ و ١٩٣ حاشية ٢، وترجمة غرسية غومس لهذا الكتاب، المجلد الرابع من تاريخ إسبانيا العام، بإشراف رامون منندث بيدال ص١٢٥، حاشية ٧٣ و ص١٧٨، حاشية ١.

ثم يذكر بالـيه بعـد ذلك، تحقـيقي للقطعة الـتي تتصل في أولها بـآخر تلك المخطوطة من المقـتبس، وهي الخـاصة بالسنوات الأخـيرة من إمـارة عبدالـرحمن الأوسط ومـعظم إمـارة ابنه محـمـد (من سنة ٢٣٢ إلى ٢٦٧هـ/ ٨٤٧-٨٨١م)، وينقل عن مقدمة طبـعتي لهذه القطعة خبر مصورة ليفي بـروفنـال وما أحاط بها من ملابـات، وهو ما سبق أن قصصناه مما لا نحتاج معه إلى إعادته.

ويقول بعد ذلك: "وفي الدورة العادية لاجتماع مجلس المجمع التاريخي الملكي المعقـودة في ١٢ مارس ١٩٩٨م قدمت تقريراً أزف فـيه خبر العـثور على الأصل المخطوط لمقتبـس ابن حـيان بين مخلفات غرسـية غومس (وكان حتى وفـاته رئيـًا لهذا المجمع) واقترحت أن يقوم المجمع بإعداد طبعة فاكسيميلية للمخطوط تعميمًا لفائدته، لاسيـما وأن أوراقه كلها سليمـة لم تصـب القطوع ولا عيث الأرضة إلا أطراف هوامشها، وتمهيـدًا للقيام بنشرها وترجمتها إلى الإسـبانية. ووافق مجلس المجمع التاريخي على اقتراحي بالإجمـاع. وقام رئيس المجمع الـسيد جونثالو آنس ألباريث دى كاسـتريُون بإصدار تعليماته إلى الأمين العام الدائم الـسـيد إلوي بنيتو رواتو والسيد أنتـونيو لوبث جومث أمين مكتـبة المجمع بالنهوض لتنفـيذ المشروع على الفور".

وهكذا تم إنجاز هذه الطبـعة الفاكسيـميلية، على الرغم من تكاليفـها الباهظة، وصدرت في مدريد في سنة ١٩٩٩م بعناية عضو المجـمع خواكين بالبيه. والطبعة التي نشير إليـها، تقدم لنا نـسخة هي غـاية في الدقة من المخطوط الأصلي بألوانه الحقـيقية، حـتى ما كتب فيـه من العناوين بالمداد الأحمر، وهو عـمل لا نستطيع إيفاءه حـقه من الشكـر، لا باسم المشتغـلين بالدراسات الأندلـسـية فحـسـب، بل كذلك باسم كل الغيـورين على تراثنا الثقافي والفكري العربي، والمهـتمين بتاريخ إسـبانيا في العصـور الوسطى. فالتراث الأندلسي في الـنهاية، إنما هو في الوقت نفسـه جزء من أثمن مفاخر الحضارة الإسبانية.

وتبقى في النهاية تساؤلات لا مفر من طرحها، ثم كلمة شكر لا بد من توجيهها إلى من هم جديرون بها. أما التساؤل الأول فهو حول ما نستشفه من حديث خواكين بالبيه، الذي أوردنا ترجمة له، وهو ما كان يدور بخلده منذ زمن بأن أستاذه وأستاذنا إميليو غرسية غومس رحمه الله كان يحتفظ بالأصل المخطوط للكتاب، ولعل ليفي بروفنسال أعاره أو أهداه ذلك الأصل منذ الخمسينيات من هذا القرن، وأنه كان يعمل على إعداده للنشر والترجمة على مدى سنوات طوال. ومع ذلك فإنه لم يَبُحْ بسر المخطوط حتى لأخَصِّ تلاميذه فضلاً عن غيرهم من المهتمين بالتراث الحَيَّاني. وكان أستاذنا الجليل يعلم بما كنا نبذله من جهود في سبيل تقصي مصير ذلك الأصل، بل إننا سألناه عنه فأنكر معرفته بأي شيء حوله. وهذا أمر في غاية الغرابة. وأغرب منه قدرته على كتمان خبر وجود المخطوط في حوزته على مدى نحو نصف قرن كامل. ولم يكن يضيره في شيء أن يعلن عن ذلك، فيوفر علينا وعلى غيرنا من الباحثين الجهد في السؤال والاستقصاء. بل كنا نحن وسائر تلاميذه من عرب وإسبان على أتم استعداد لوضع أنفسنا في خدمته لو عرفنا بأن لديه مشروع تحقيق الكتاب ونشره، وما كان لأحد أن ينازعه فيه.

وأغرب من ذلك، مسيرة المصورة التي كانت لدى أستاذة الإسكندرية، فقد كانت هذه المصورة ـ حينما كنا نعتقد أن المخطوط الأصلي قد فقد ـ هي أملنا الوحيد في نشر الكتاب، سواء أقامت هي بنفسها بنشره، أم أشركت معها من يضطلعون بالعمل فيه، ولكنها ضنت على العلم والعلماء به، وما أعجب تصاريف القدر! لقد كانت تلك المصورة حينئذ من النفاسة بحيث لا تقدر بثمن، ثم إذا بها ـ بعد أن أصبح الأصل المخطوط نفسه بين أيدينا ـ لا تقدر أيضاً بثمن، ولكن بدلالة أخرى، أعني أنها لم يعد لها ثمن على الإطلاق. ولو عرضت اليوم

في سوق ذخائر المخطوطات لما أصبحت تساوي "قرشاً واحداً ماسحًا" على حد قول أستاذنا المحقق الكبير محمود محمد شاكر رحمه الله! وإنما مثلنا ومثل هذه المصورة هو ما عبر عنه أبو الهندي غالب بن مؤمن:

سيغني أبا الهنديِّ عن وطب سالم   أباريق لم يعلق بها وضر الزّبدِ[1]

ولسنا نملك إلا أن نقول: اللهم لا شماتة!....

وأما كلمة الشكر، فعلينا وعلى كل طالبي العلم أن يتوجهوا بها إلى الأستاذ الجليل خواكين باليه مكتشف المخطوطة والعامل على نشرها وجعلها في متناول المشتغلين بالعلم. ولست أظن اللسان بقادر على توفيته حقه من الشكر والاعتراف بالجميل. فقد كان بوسعه أن يحتفظ بالأصل المخطوط، وهو نفسه بفضل علمه الواسع بتاريخ الأندلس كان قادراً على تحقيقه، وفي أعماله الكثيرة ودراساته القيمة المتوالية ما يشهد بقدرته الفائقة، سواء في مجال تحقيق النصوص، أو في دراستها وترجمتها. غير أنه آثر على نفسه، وأراد بكرمه ونبله، أن يجعل ذلك النص الثمين في متناول من يرغب في الاطلاع عليه. وهكذا ضرب مثلاً رائعاً في خدمة العلم وأهله، وفي الإيثار على نفسه، ونزهه الله عن أن يكون من ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧]، هذا على حين أن من بين أبناء وطننا وديننا من كان بعيداً عن الالتزام بما نهت عنه الآية الكريمة من كتمان العلم والبخل بما آتى الله عباده منه.

٦ - صفة المخطوط ومادتها:

أما صفة المخطوطة التي أصدر المجمع التاريخي الملكي الإسباني طبعتها الفاكسيميلية، والتي اتخذناها أصلاً وحيداً لتحقيقنا ـ فقد أوردنا ما كتبه خواكين باليه في تقديمه

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٨٢، والأغاني للأصفهاني ٢٠/ ٣٣٠، والوطب هو سقاء اللبن.

لها حول عدد أوراقها ومسطرة الورقة ومسطرة المكتوب في داخلها. ويبقى أن نضيف أن عدد السطور في الورقة تسعة وعشرون سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر خمس عشرة كلمة.

وتحتوي المخطوطة بأوراقها المائة على الشطر الأول من السفر الثاني من أسفار "المقتبس". ولسنا نجد نصاً صريحاً على ذلك، إذ إنها مبتورة الأول، وهي تخلو من عنوان الكتاب ومن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، غير أن هذا التقدير الاجتهادي هو ما يؤدي إليه النظر، فهي ـ ومعها القطعة التي سبق لي نشرها من الكتاب ـ تؤلف مخطوطاً واحداً كان محفوظاً في خزانة جامع القرويين بفاس. ويشتمل بقطعتيه على ١٩٦ ورقة. ورقة (من ١٨٨ إلى ٢٨٤ بعد ضياع ورقة واحدة). وفي آخر هذه القطعة نص صريح على انتماء المخطوطة كلها إلى السفر الثاني من "المقتبس"، إذ يقول ناسخها: "كمل السفر الثاني بحمد الله تعالى، يتلوه في الثالث مبتدأ نجوم عمر بن حفصون كبير الثوار في الأندلس"[١].

وإذا كنا ـ بمقتضى ذلك ـ نعرف نهاية هذا السفر الثاني، فإننا لا نعرف أوله، فالقطعة الأولى التي نقدم لها بهذه الصفحات مبتورة الأول، ولابد أن هناك أوراقاً قد سقطت من بدايته لا نعرف عددها على وجه التحديد، ولكنها قليلة على كل حال. فهو يبدأ في ظهر الورقة ٨٨ بعنوان "ذكر كبار الأحداث الجارية في أيام الأمير الحكم بن هشام ومشهور حروبه ووقائعه". وقد تعودنا من ابن حيان أنه يمهد للسرد التاريخي للأحداث الواقعة في عهد كل أمير بمقدمات حول كيفية تقلده الإمارة، وما يتصل بذلك من أحداث، ثم بصورة مجملة يحدد فيها ملامح شخصيته وسمات حكمه. ونتصور أن هذه المقدمات هي التي تشغل الورقات الساقطة من أول المخطوط.

(١) انظر هذه القطعة، ط. بيروت ١٩٧٣م، ص ٤٠٠.

وتختلف القطعة التي بين أيدينا عن تلك التالية لها، والتي قمت بنشرها، في أن أوراقها سليمة لم تنل منها القطوع وعيْث الأرضة والرطوبة إلا هوامشها وأطرافها ومواضع محدودة من المكتوب، على عكس القطعة التالية التي ذهبت سطور كاملة من أسفل كل ورقة من أوراقها. غير أن عيبها الأكبر يكمن في العدد الهائل من التحريفات والأخطاء التي أصابت النص كله، بحيث أصبحت قراءته قراءة صحيحة مهمة بالغة الصعوبة. ولا شك في أن ذلك هو ما صرف ليفي بروفنسال ثم غرسية غومس - اللذين كان المخطوط في حوزتهما - عن الاضطلاع بنشره.

والذي يلفت النظر أن المخطوط ليس بقلم ناسخ واحد، بل تعاوره عدة نساخ: اثنان أو ثلاثة على الأقل، يلاحظ ذلك في اختلاف الخطوط، وفي تفاوت أقلامهم بين غليظ ودقيق، وبين خط مُدَوَّر ومُرَكَّن. وقد سبق أن لاحظنا مثل ذلك في القطعة التالية من هذا السِّفْر، إذ اشترك في كتابتها ناسخان متمايزا الخط. وفي القطعة التي بين أيدينا نلاحظ أن الورقة الأخيرة (رقم ١٨٩) بقلم ناسخ القسم الثاني، وخطه يميل إلى اللين والتدوير. وتعاقب النُّسَّاخ على كتابة مخطوط واحد أمر مألوف حينما يكون الكتاب بالغ الضخامة، إذ يعهد لأكثر من واحد بمجموعة من الأوراق يقوم كل منهم بنسخها، وذلك حرصاً على أن ينجزوا عملهم في وقت قصير.

وأما الخطوط التي تعاقبت على كتابة قطعتنا من "المقتبس" فهي تتراوح بين أندلسية متأخرة وفاسيَّة. والمخطوط غير مؤرخ، ولكن الذي يبدو من خطوطه أنه ينتمي إلى زمن متأخر، ربما كان القرن التاسع الهجري، أو ما بعد ذلك. وقد استخدم أحد النساخ المداد الأحمر في كتابة العناوين ورؤوس الفقرات، وذلك في مجموعتين من الأوراق: ما بين الورقتين ١١٥ و ١١٨، ثم عاد هو أو ناسخ آخر لاستخدامه ما بين الورقتين ١٣٥ و ١٤٥.

على أن الذي يجمع بين النساخ الذي اشتركوا في كتابة هذا السفر الثاني بقسميه هو الجهل بما ينسخون، فالتحريفات والأخطاء من الكثرة بحيث لا تخلو منها صفحة واحدة، ولسنا في حاجة إلى ضرب أمثلة على ما أصاب النص من تشويه جعل تقويمه أمراً شاقاً للغاية، إذ يكفي لذلك النظر إلى الحواشي التي ذيلنا بها النص.

أما مادة القسم الأول من السفر الثاني ـ وهو الذي نقدم له بهذه الصفحات ـ فهي أحداث إمارة الحكم بن هشام المعروف بالرَّبَضِيّ (بين سنتي ١٨٠ و ٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م)، ثم إمارة ابنه عبدالرحمن بن الحكم الأوسط (بين سنتي ٢٠٦ و٢٣٢هـ/ ٨٢٢ - ٨٤٧م). وهذه المادة موزعة على هاتين الإمارتين على نحو متساوٍ تقريباً. فنصيب الأولى من المخطوط يقع بين الورقتين ٨٨ و ١٣٨، والثانية بين آخر الورقة ١٣٨ و١٨٨، وأما القسم الثاني ـ وهو الذي سبق لي نشره ـ فيبدأ بالورقة ١٨٩ وينتهي برقم ٢٨٤، وهو يتناول بقية إمارة عبد الرحمن الأوسط حتى سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، ثم معظم إمارة ابنه محمد (من سنة ٢٣٨ حتى ٢٦٧هـ/ ٨٥٢-٨٨١م). وبهذا يكون هذا السفر محتوياً على تاريخ الأندلس خلال ثمان وثمانين سنة، ما بين أواخر القرن الثاني الهجري وأواخر القرن الثالث. وهي فترة حافلة بالأحداث، وخلالها رسخت قواعد الإمارة الأموية على الرغم مما تخللها من ثورات واضطرابات في داخل البلاد، ومن حروب مع الإمارات المسيحية المجاورة التي بدأت فيها حركة المقاومة في شبه الجزيرة. وتشهد بداية القرن الثالث مع إمارة عبدالرحمن الأوسط ازدهاراً كبيراً للحضارة الأندلسية يتجلى في فخامة المملكة، واستقرار رسومها ونظمها الإدارية، ونهضتها الثقافية، وتمثُّل الواردات المشرقية الوافدة من الخلافة العباسية، على الرغم من العداوة التقليدية بين حكام الأندلس الأمويين وخلفاء بني العباس.

ونبدأ مخطوطتنا بالحديث عن كبار الأحداث الجارية في دولة الحكم بن هشام، وأهمها الحرب التي دارت بينه وبين عَمَّيْه الثائرين عليه: عبدالله بن عبدالرحمن ابن معاوية (الداخل) المعروف بالبلنسيّ، وسليمان المعروف بالشامي، ثم ثورة أهل طليطلة التي دامت نحو عشر سنوات، ولم يتيسر للأمير إخمادها إلا بعد وقعة الحفرة الشنيعة في سنة ١٩٠هـ (٨٠٦م)، وثورتي الربض في سنتي ١٨٩هـ (٨٠٥م) و٢٠٢هـ (٨١٧م). ويلي ذلك سرد الأحداث مرتبة على السنين حتى وفاة الأمير الحكم في ٢٠٦هـ (٨٢٢م)، وإن كان ابن حيان يعمد أحياناً إلى قطع هذا السرد لكي يستكمل رواية الأحداث المتلاحقة عبر السنين جملة واحدة حينما تدعو الحاجة إلى ذلك. ويختم المؤرخ هذه الحوليات بأخبار عن بيعة الحكم لابنيه عبدالرحمن والمغيرة، وعن أبنائه وبناته، ثم بتراجم مفصلة لكبار رجال الدولة في عهده من حُجّاب ووزراء وأصحاب شرطة وقضاة. وينتقل بعد ذلك إلى ذكر وفيات أعلام الناس في دولته، وأحكام عامة حول سيرته ولمع من مناقبه. وفي النهاية يفرد صفحات للحديث عن كبار الشعراء الذين بدأ ظهورهم في دولته، وهم: عباس بن ناصح، وعباس بن فرناس، ويحيى بن الحكم الغزال، وإبراهيم بن سليمان الشامي. وينتهي القسم بذكر من دخل الأندلس في عهد الحكم من بني مروان.

والنصف الثاني من المخطوط يتناول إمارة عبدالرحمن الأوسط، فيبدأ بالمقدمات التي عهدناها لدى ابن حيان، والتي تتضمن أحكاماً عامة حول شخصيته وما اتسمت به فترة حكمه ورسوم دولته وخططها مما استحدثه: ولاية السوق، والسكة، والطراز، والخزانة، والخاتم، والوزارة، كما يفرد صفحات للزيادة أو التوسعة التي قام بها في المسجد الجامع بقرطبة. وبعد ذلك يتحدث عن حياة الأمير الخاصة ونسائه، وشغفه بالغناء، وهنا يفرد صفحات كثيرة لقدوم زرياب عليه، ومدى تأثير هذا المغني في مجتمع الأندلس في عهده. ويورد بعد ذلك

طرائف من مجالس الأمير مع جلسائه، ونوادر من أخبار شعرائه: عبدالله بن الشمر، وابن قرلمان، وعباس بن فرناس، ويحيى الغزال، وسفارته إلى الروم، وسعيد الرَّشَّاش، وعثمان بن المثنى، وأبي بكر النذل. وينتقل إلى عناية الأمير بالتنجيم والمنجمين، فيورد نوادر من أخباره مع أعلامهم: ابن الشمر، ومروان بن غزوان، والضبي. وبعد هذا يشرع في سرد الأحداث على نسق السنين من بداية ولايته حتى سنة ٢٣٢هـ. على أنه في أثناء ذلك يتوقف عند كبار الأحداث الواقعة في أيامه، وأهمها: مقتل محمود بن عبدالجبار الثائر اللاجئ إلى جليقية، وأخبار ثورته هو وأخته جميلة، وما دار خلالها من وقائع في سنة ٢٢٥هـ، ثم مراسلته مع ملك الروم البيزنطيين. والسفارتين المتبادلتين بين الدولتين في السنة ذاتها، وهجوم مراكب المجوس الأردمانيين (النورمند) على سواحل الأندلس في سنة ٢٣٠هـ، والحرب الدائرة بينهم وبين المسلمين. وهو في عرضه لأمثال هذه الأحداث لا يلتزم بالسرد على نسق السنين، وإنما يتابعها جملة واحدة. وينتهي المخطوط في منتصف أحداث سنة ٢٣٢هـ في الورقة ١٨٨ المتصلة ببقية المخطوطة التي قمنا بتحقيقها ونشرها في بيروت.

٧ - تحقيق النص ومنهجنا في العمل:

وأما تحقيق النص، فلابد أن أشير إلى ما واجهني فيه من مشكلات كادت مهمة العمل فيه تتحول إلى عبء ثقيل لا سبيل لتحمله إلا بالصبر والمثابرة. وأول هذه المشكلات هي كونه مخطوطاً وحيداً لا معين عليه من نسخ أخرى. وثاني هذه المشكلات وأثقلها وطأة، هو ما أصاب هذا الأصل الوحيد من تشويه وتحريف وأخطاء انتشرت على طول النص كله، حتى جعلت قراءته وفهمه أمراً عسيراً كل العسر. وذلك لأن النساخ الذين تداولوا على كتابته كانوا على قدر كبير من الجهل

بما يكتبون. ويبدو لي أن الأصل الذي بين أيدينا قد كتب في مرحلة متأخرة بعد سلسلة من النقول، أخذ فيها لاحق عن سابق، وفي كل مرحلة من مراحل هذه النقول كانت الأخطاء والتشويهات للنص تتزايد حتى وصلت إلينا متراكمة في هذه النسخة الأخيرة.

ومشكلة أخرى هي أن ابن حيان بما عهدناه فيه من اطلاع واسع على مصادر تاريخية وأدبية سابقة قد أكثر من النقل عن تلك المصادر، وإن كان عمله ليس مجرد نقل، وإنما كان يعيد صياغة ما ينقله بأسلوبه في أكثر الأحوال. وقد وصلت إلينا بعض هذه المصادر، فأعانتنا المقابلة عليها في تقويم النص، ولكن أكثرها قد فقد ولم نعرف منها إلا ما أثبته ابن حيان نفسه، فكان هذا عناءً آخر استوجب منا مزيداً من الحذر والحيطة.

وصعوبة ثالثة تكمن في أسلوب ابن حيان وطريقة كتابته، فنحن نعرف أنه لم يكن مجرد مؤرخ يكتفي بسرد الأحداث، وإنما كان إلى جانب هذه الصفة صاحب أسلوبٍ أدبي متفرد، وكتابته تعد طرازاً من النثر الفني يلحقه بأعظم كتاب النثر العربي. وقد فطن لذلك من كتبوا عنه سواء من معاصريه أو ممّن تلوْهم، إذ هو معدود من "شيوخ الأدب"، وهو يعتمد في كتابته على ذخيرة من الثروة اللغوية الطائلة، ولا غرو فنحن نعرف أنه كان راوية لعدد من كتب الأدب واللغة، من أولها كتاب "الفصوص" لأستاذه صاعد البغدادي، حتى إن هذا الكتاب لم يعرف إلا عن طريقه[1]، كما كان راوية لعدد من أمهات كتب اللغة، منها كتابا "إصلاح المنطق" و "الألفاظ" لابن السكيت، وكتاب "الأمالي" لأبي علي القالي. وقد أمدت هذه الثقافة ابن حيان بثروة لغوية كبيرة تجلت في كتابته التاريخية، وفي

(١) كان من حسن الحظ أن هذا الكتاب الجليل، الذي يعد من ذخائر التراث اللغوي والأدبي، قد تم تحقيقه ونشره في خمسة مجلدات على يد العالم المغربي الثبت: الدكتور عبدالوهاب التازي سعود، الرباط ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ولعه بتقصي أخبار الأدباء والشعراء، واستكثاره من نصوصهم، وتتبعه لأخبارهم، حتى إن ما بقي من مؤلفاته يمكن أن يسلك في عداد كتب المختارات الأدبية. كذلك كان من مظاهر نزعته الأدبية إشاراته إلى نصوص من التراث والتاريخ العربي القديم، وبعض استعمالاته اللغوية، وما تضمنته من ألفاظ تبدو غريبة، إلا أنها صحيحة تشهد بتمكنه من ناصية اللغة.

وكان عملي في تحقيق النص مماثلاً لما قمت به في القسم الثاني من هذا السفر من "المقتبس"، فقد كان عليَّ بعد تكرار قراءة الأصل وتأمله وتبين ما أصابه من تصحيف وتحريف وتشويه، ومع التمرس بأسلوب ابن حيان أن أصوب ما أفسده الناسخ، غير أن ما قمت به من تصويبات لم يكن من منطلق التحكم، وإنما كان رداً لكل ما ورد من تحريفات إلى ما أعتقد بصورة قاطعة أنه لا يحيد عن الصواب، معتمداً على رسم الكلمات. وما أكثر ما يلتبس بعض حروفها ببعض، حتى يكون في قراءتها أكثر من احتمال، كما يلاحظ أن الناسخ كان يسقط أحياناً كلمات لا يتم السياق إلا بها، فحملني ذلك على بعض الإضافات التي تقتضيها استقامة العبارة واكتمال السياق. وقد وضعت هذه الإضافات بين حواصر، ونبهت عليها في الحواشي. ويرى بعض المحققين أن مثل هذه الإضافات يجب أن تثبت في هوامش النص، غير أني أرى أن ذلك لا يمكن القارئ من متابعة السياق وفهمه، ومع ذلك فإني لم ألجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى. فإذا اشتبهتْ عليَّ كلمة أو عبارة عملت على إثباتها برسمها في المتن، واقتراح ما أراه في قراءتها في الحاشية.

وكان عليَّ بعد ذلك أن أقوم بخدمة النص على أساس من الاستقصاء العلمي، ومقابلة الأخبار التاريخية على المصادر الأخرى، وتخريج ما ورد من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو نصوص شعرية، والترجمة للأعلام، والتحقق من المواضع

الجغرافية التي يرد كثير منها محرفاً أو بغير إعجام، إلى غير ذلك مما لا بد منه لاستقامة النص وسلامته.

ومن هنا كان عليّ أن أميز بين نوعين من التعليقات:

الأول: ما هو خاص بتحرير النص، وهي الحواشي التي جعلتها في ذيل كل صفحة، وفيها أسجل ما أصاب الكلمات من تصحيف أو تحريف مع رده إلى ما استيقنت أنه الصواب. كذلك قمت في هذه الحواشي بشرح ما يعسر على القارئ فهمه من ألفاظ، ولم أتوسع في هذه الشروح، بل اقتصرت فيها على ما أعتقد أنه ضروري.

والنوع الثاني: هو الذي جعلته بأرقام متسلسلة مختلفة النمط عن أرقام النوع الأول، وهو يضم تعليقات واسعة تضيء النص وتوضحه، وفيها مقابلات بين ما ورد فيه وما جاء في مصادر أخرى، واستيفاء لتراجم الأعلام، وتحقيقات للأعلام الجغرافية وتحديد لها ولما يقابلها في جغرافية شبه الجزيرة في الوقت الحاضر في إسبانيا والبرتغال، وغير ذلك مما رأيت أنه لازم لمتابعة النص واستيعابه على نحو أفضل، وقد توزعت هذه التعاليق على قسمي النص: إمارة الحكم بن هشام، وقد وضعت ضمن الحاصرة ذات الشكل [ ]، ثم إمارة ابنه عبد الرحمن، وقد وضعت ضمن الحاصرة ذات الشكل { }.

٨- شكر واعتراف بالجميل:

جاء في الحديث النبوي الشريف "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" [(١)]، وإذا كنت منذ أن بدأت هذا العمل حتى فرغت منه لا أفتأ أردد قوله جل وعلا على لسان نبيه سليمان عليه وعلى رسولنا السلام: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل والبيهقي والخطيب البغدادي والديلمي. انظر: جامع الأحاديث للإمام السيوطي ٦/٣٠٣-٦٠٤ برقمي ٢٣٠٧١ و ٢٣٠٧٨.

أنعمت عليَّ ـ فإن أدب النبوة يقتضي أن أرد الفضل لأهله، ومن هنا فإني أسجل اعترافي بالجميل الذي أولاني إياه الصديق الكريم والعالم الإسباني الجليل الدكتور خواكين بالبيه Joaquin Vallvé الأستاذ بجامعة مدريد، وعضو المجمع التاريخي الملكي الإسباني، صاحب الفضل في الطبعة الفاكسيميلية لمخطوطة ابن حيان، بعد أن ظلت محجوبة عن المشتغلين بالدراسات الأندلسية على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان، فقد ضرب بفعله مثلاً نبيلاً على الإيثار والتجرد لخدمة العلم.

ولست أنسى موقفه معي في شهر يوليه سنة ١٩٩٩م، وكنت أقضي أياماً في مدريد، استعداداً للاشتراك في أحد المؤتمرات[١]، فإذا بي أتلقى اتصالاً هاتفياً منه يبلغني فيه أنه ترك لي هدية في قسم الدراسات العربية بجامعة مدريد، إذ كان عازماً على السفر خارج العاصمة. وكنت أظن الهدية أحد كتبه أو دراساته القيمة التي كان يشتغل بها في ميدان التاريخ الأندلسي، وحينما وصلت إلى يديَّ إذا بها نسخة من الطبعة الفاكسيميلية لمخطوطة السفر الثاني من "المقتبس"، وعليها إهداؤه، ولم يكن قد مضى على صدور هذه الطبعة إلا أيام معدودة. فكانت فرحتي بهذه الهدية فرحة من عثر على كنز ثمين من حيث لا يحتسب. وشرعت منذ تلك اللحظة في نسخ المخطوطة والمضيِّ في تحقيقها، واقتضى ذلك مني عملاً دائباً فرغت له، وكان شغلي الشاغل على مدى سنتين، إلى أن أتم الله عليَّ نعمته بإنجاز تلك المهمة.

واتفق بعد ذلك أن دعيت إلى مهرجان الجنادرية بالرياض في شهر شوال ١٤٢٠هـ (فبراير ٢٠٠٠م)، واغتنمت هذه الفرصة للقاء من أعتز بصداقتهم من

---

(١) هو مؤتمر "السيد القنبيطور: الملحمة والتاريخ" (El Cid, poema e historia) الذي عقد في برغش Burgos بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لوفاة القائد القشتالي الذي عاش في عصر ملوك الطوائف (١٠٩٩-١١٩٩م). وكنت قد قدمت في هذا المؤتمر بحثاً عن "ثقافة السيد العربية" (١٢-١٦ يوليه ١٩٩٩م)، ونشر في المجلد الذي ضم أعمال المؤتمر (برغش سنة ٢٠٠٠م) ص ٢٠٥-٢١٤.

علماء المملكة، وفي مقدمتهم الدكتور منصور الحازمي والدكتور عبد القدوس أبو صالح وبعض المتخصصين في الدراسات الأندلسية؛ مثل الزميل الكريم الدكتور عبدالله العسكر وعبدالغفور روزي الذين لا أنسى أمسية علمية ممتعة قضيتها معهما، وكنت أحمل معي ما قمت بتحقيقه من مخطوطة "المقتبس" مكتوباً بخط يدي. وخلال زيارة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كنت فيها برفقة الصديق الدكتور عبدالله العثيمين عرضت على الأمين العام للمركز الدكتور يحيى محمود بن جنيد أصول الكتاب، فرحب متفضلاً بأن يتولى المركز نشره. فاستمهلته بعض الوقت حتى أتم طبعه على الحاسب الآلي بعد مراجعته وإعادة النظر فيه، واستغرقت هذه المهمة وقتاً غير قليل، إذ كان ترداد النظر في عملي يحملني على مزيد من المراجعة والتصحيح.

وما دمت في إسناد الفضل لأهله، فإنه ينبغي أن أنوه بفضل الصديق العزيز واللغوي الكبير الدكتور فيديريكو كوريني كوردوبا Federico Corriente Cordoba أستاذ الدراسات العربية في جامعة سرقسطة، فقد راجع عملي منذ بدايته، وأمدني بكثير من التصويبات والتعليقات القيمة على النص، مما عنيت بإثباته في حواشي التحقيق. وفيديريكو كوريني نموذج نادر للعالم الدؤوب المنقطع للبحث في زهد وتجرد، ومعرفته بالعربية ودقائق أسرارها تضعه اليوم في الصف الأول من المستشرقين الأوربيين، فهو يحاضر بالعربية ويكتب بها على نحو لا يكاد معه سامعه أو قارئه يشك في أنه عربي خالص، وهذا ما جعل مجمع اللغة العربية في القاهرة ينتخبه بالإجماع ممثلاً للاستشراق الإسباني. وفي أثناء تحقيقي للكتاب ـ وكان يتابع عملي فيه خطوة بخطوة ـ كان يقوم بترجمته للغة الإسبانية، إدراكاً لأهميته البالغة في خدمة تلك الحقبة من تاريخ الأندلس، التي يعدها المؤرخون والباحثون الإسبان جزءاً لا يتجزأ من تراث بلادهم الحضاري. وقد تشاركنا في

هذه الترجمة كما تشاركنا في تحرير النص وتحقيقه. وصدرت الترجمة بالفعل ـ قبل صدور الطبعة العربية ـ عن "معهد الدراسات الإسلامية والشرق الأدنى" الذي أُنشئ مؤخراً، واتخذ مقره في قصر "الجعفرية" بسرقسطة[1] التي كانت قاعدة "الثغر الأعلى" في ظل المسلمين.

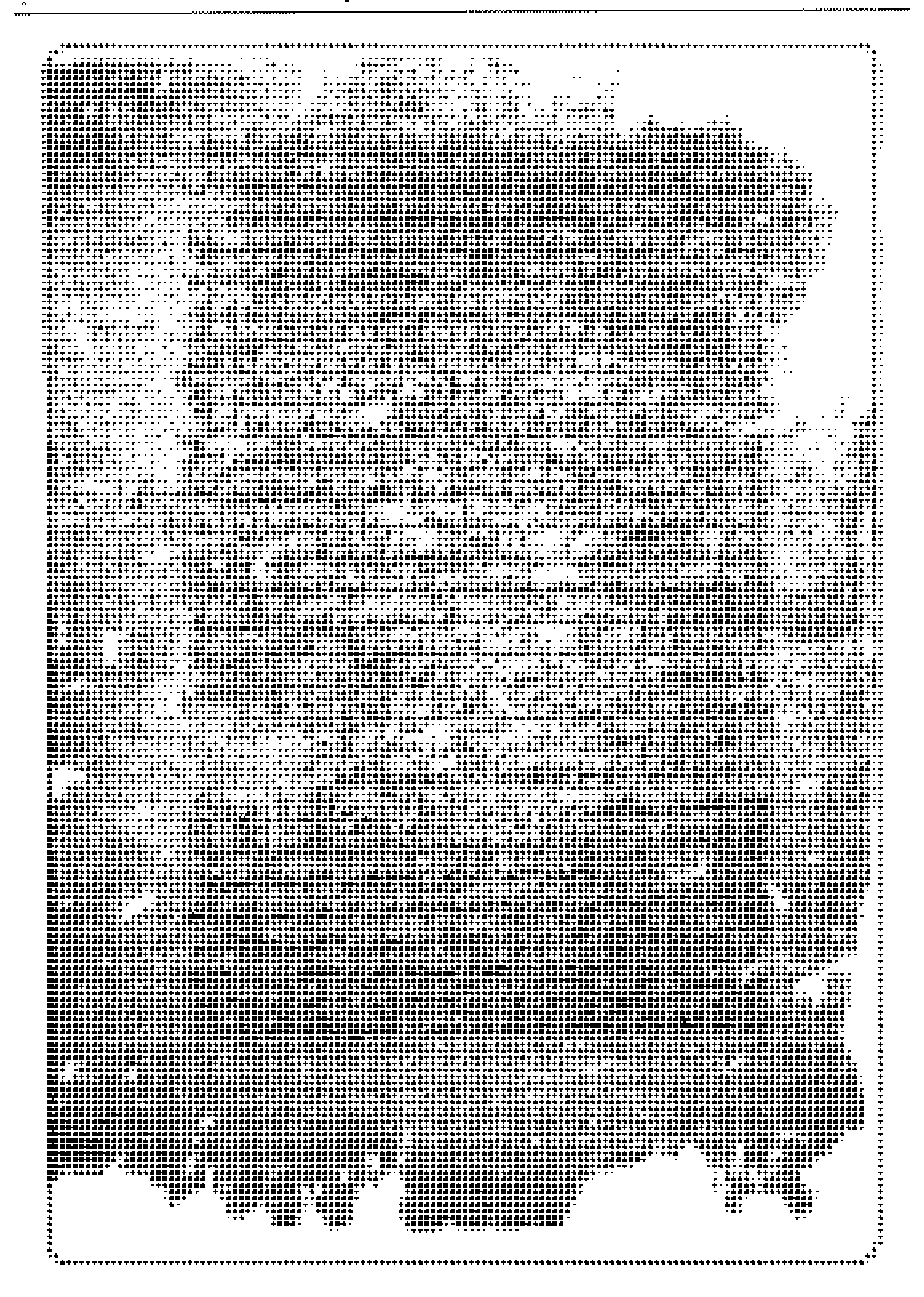
ولا يسعني بعد ذلك إلا تقديم خالص الشكر لكل من أعانني على الاضطلاع بهذا العمل، الذي لم أبتغ به إلا تجلية صفحة من أكثر صفحات تاريخنا الإسلامي العربي إشراقاً في ذلك الركن القصي من عالم الإسلام. وأول جدير بالشكر هو مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الذي تفضل بقبول هذا العمل ورعايته، ولا أنسى الاعتراف بفضل الأخ الكريم الدكتور عبد الله العثيمين الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية الذي اتصلت بيني وبينه حبال المودة منذ أن شرفتني مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمنحي الجائزة التي تحمل اسم مؤسسها طيب الله ثراه.

وفقنا الله جميعاً لخدمة ثقافتنا وتراثنا، وهيأ لنا من أمرنا رشداً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

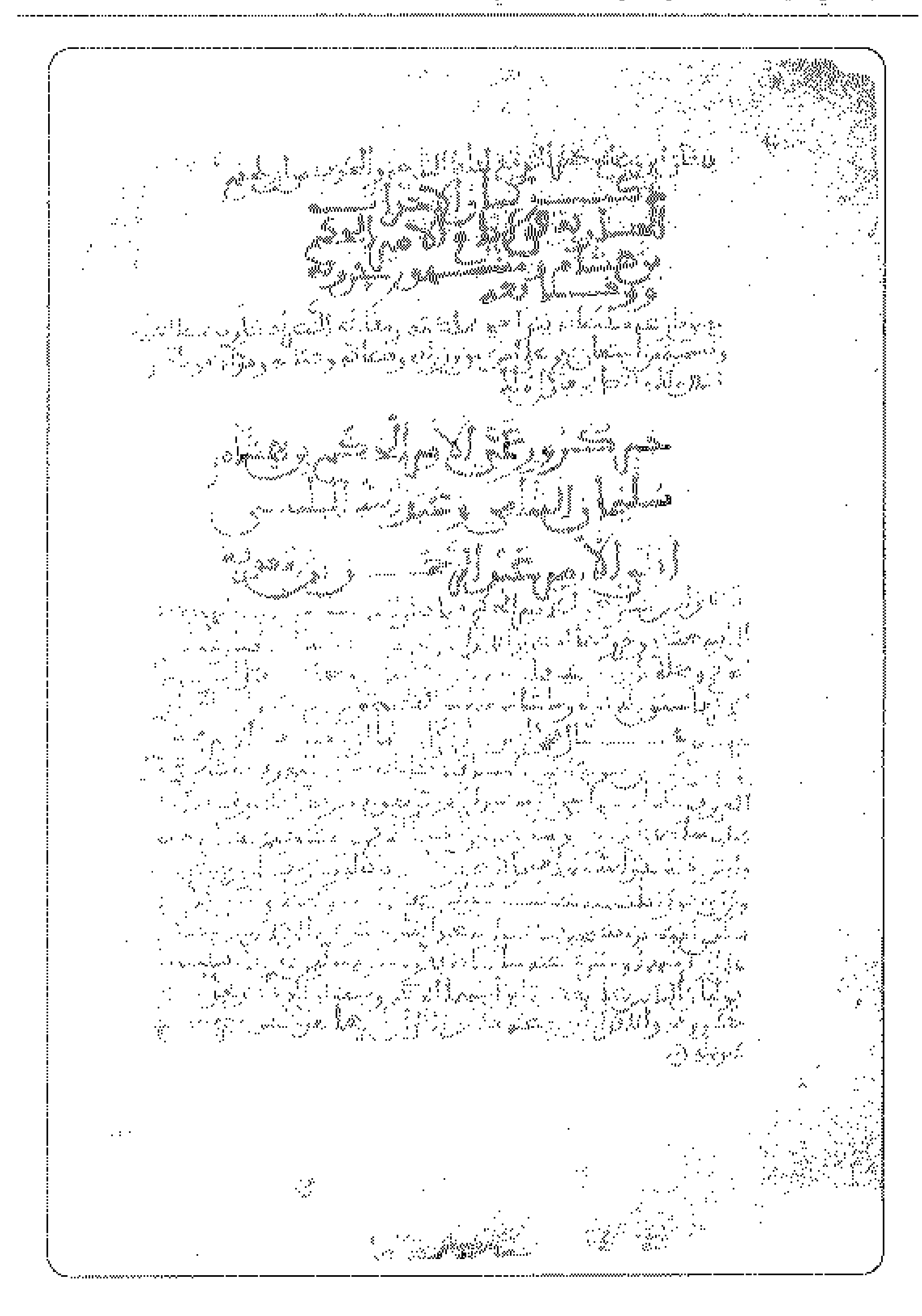
مصر الجديدة	محمود علي مكي
الحادي والعشرون من رجب الفرد سنة ١٤٢٢هـ	الأستاذ بجامعة القاهرة
الثامن من أكتوبر سنة ٢٠٠١م	وعضو مجمع اللغة العربية

(1) Ibn Hayyin: Cronica de los emires Alhakam I y Abdarrahman II entre los anos 796 y 847 (Al muqtabis II - I), Traduccion, notas e indices de Mahmud Ali Makki y Federico Corriente Instituto de Estudios Islamicos y del Oriente Proximo, La Aljaferia, Zaragoza, 2001.

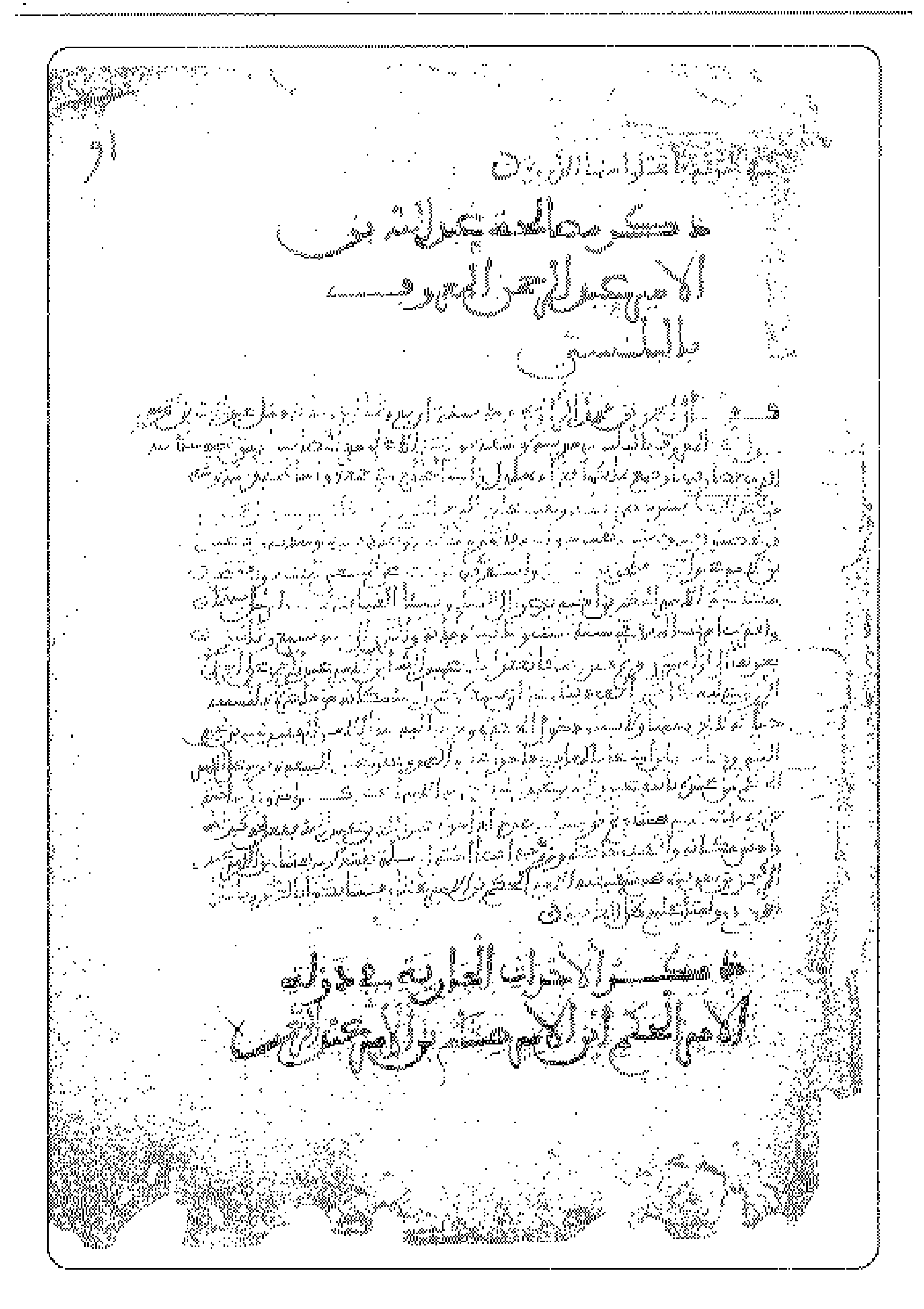
والترجمة المذكورة هي باكورة منشورات هذا المعهد الجديد الذي يعد الوحيد اليوم من نوعه في إسبانيا بعد اختفاء "المعهد الإسباني العربي" الذي كان قائماً في مدريد، وقصر "الجعفرية" بسرقسطة منسوب لأبي جعفر المقتدر أحمد بن هود كبير ملوك بني هود أصحاب الثغر الأعلى في عصر ملوك الطوائف. وقد رممت حكومة سرقسطة معظم هذا القصر الذي يعد من أروع الآثار العربية في الأندلس.



الصفحة الأولى من «السفر الثاني من كتاب المقتبس» لابن حيان القرطبي

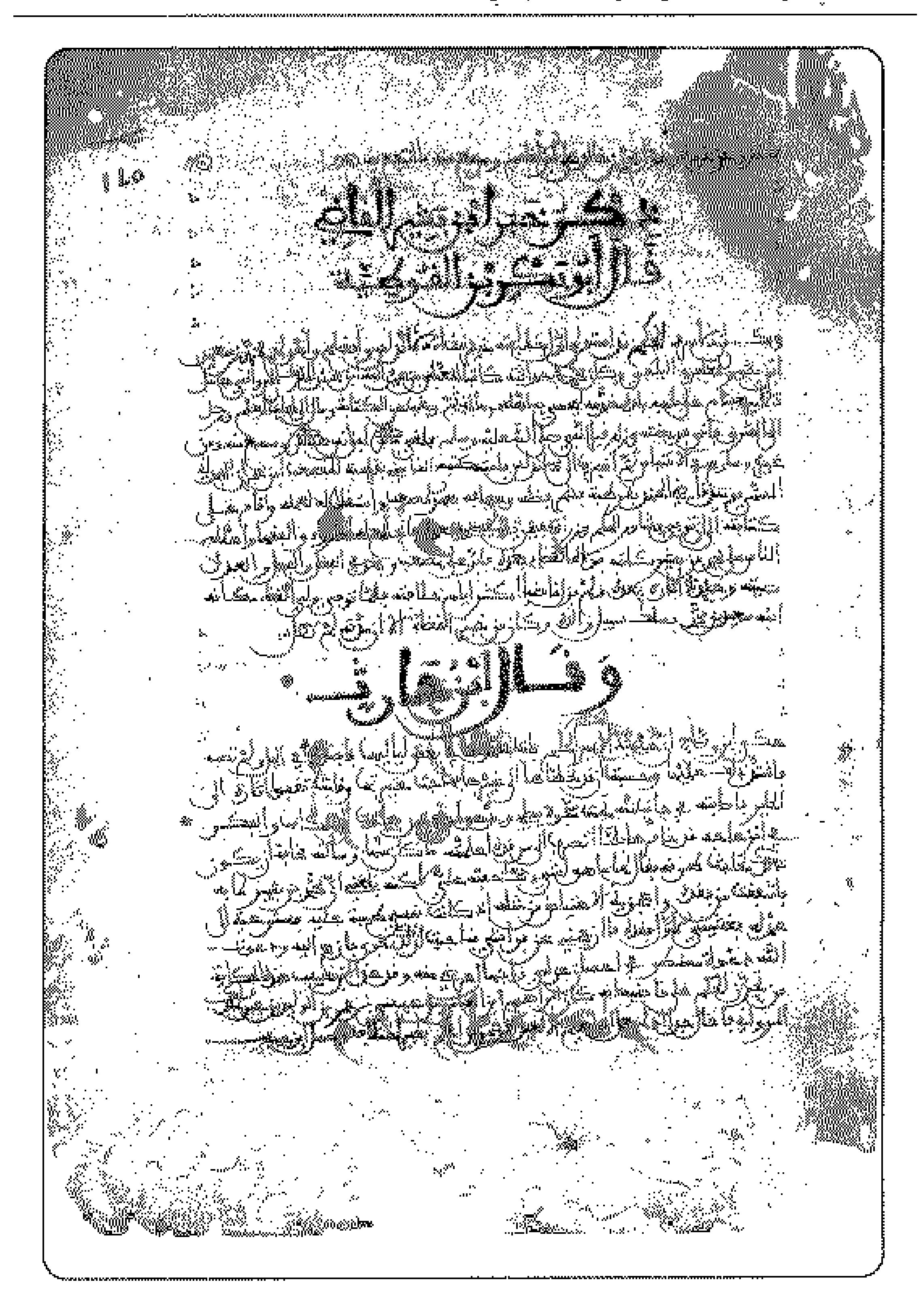


إحدى صفحات المخطوطة وفيها «ذكر بيان الأحداث الجارية في أيام الأمير الحكم بن هشام»

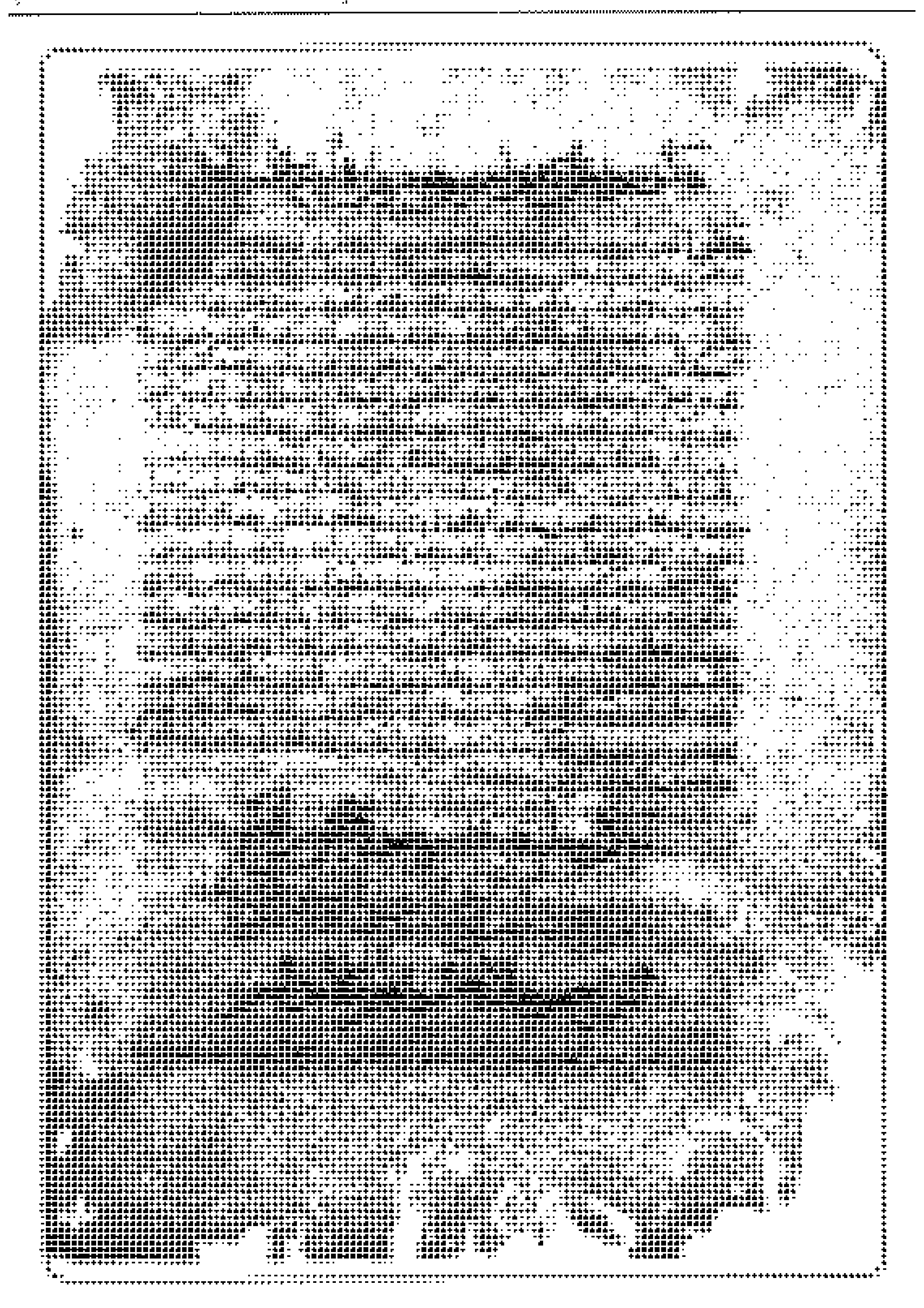

ذكر مصالحة عبد الله بن
الأمير عبد الرحمن المعروف
بالبلنسي

ذكر الأحداث الطارئة في دولة
الأمير الحكم ابن الأمير هشام بن الأمير عبد الرحمن

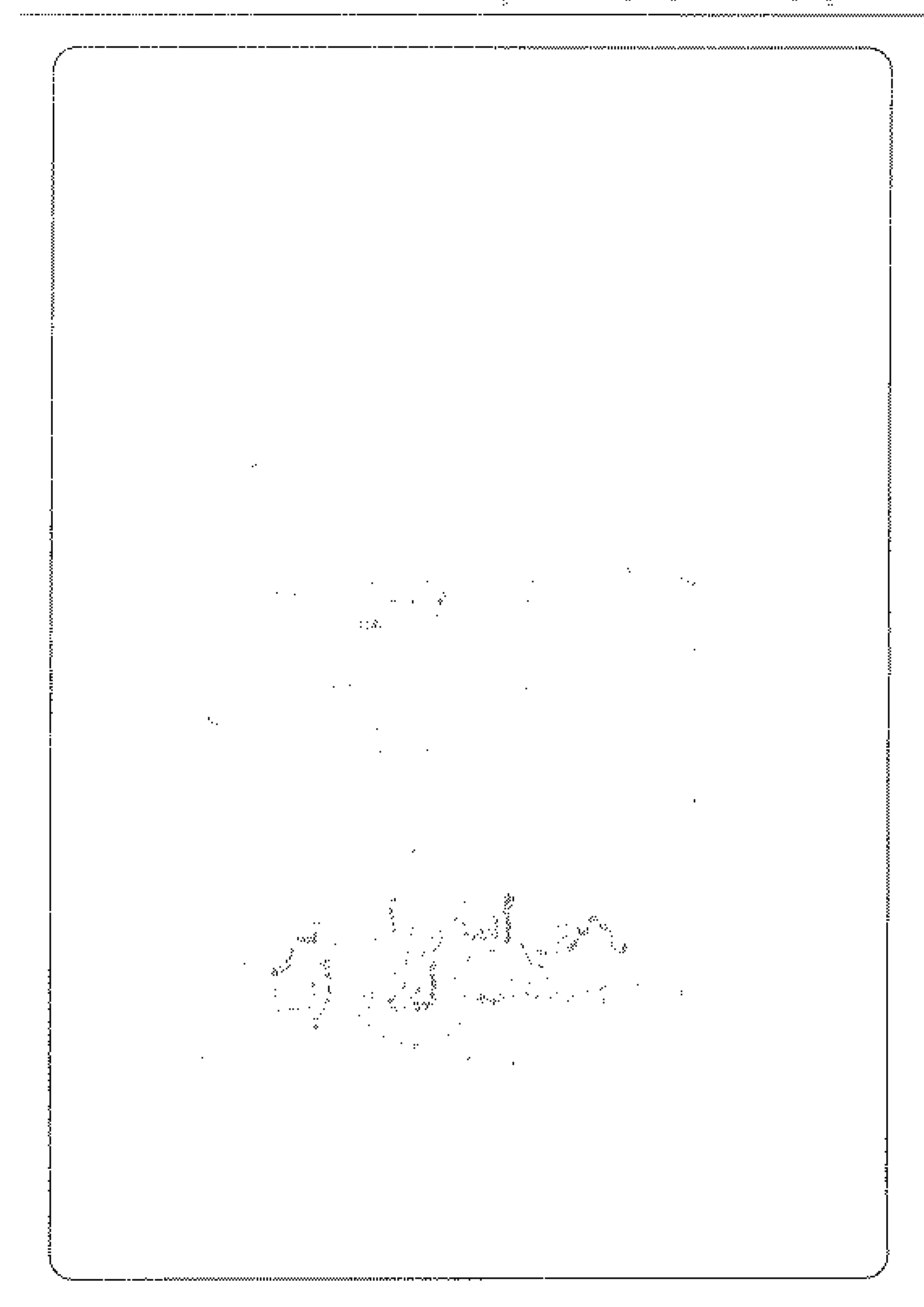
إحدى صفحات المخطوطة وفيها «ذكر مصالحة عبدالله بن الأمير عبدالرحمن المعروف بالبلنسي»



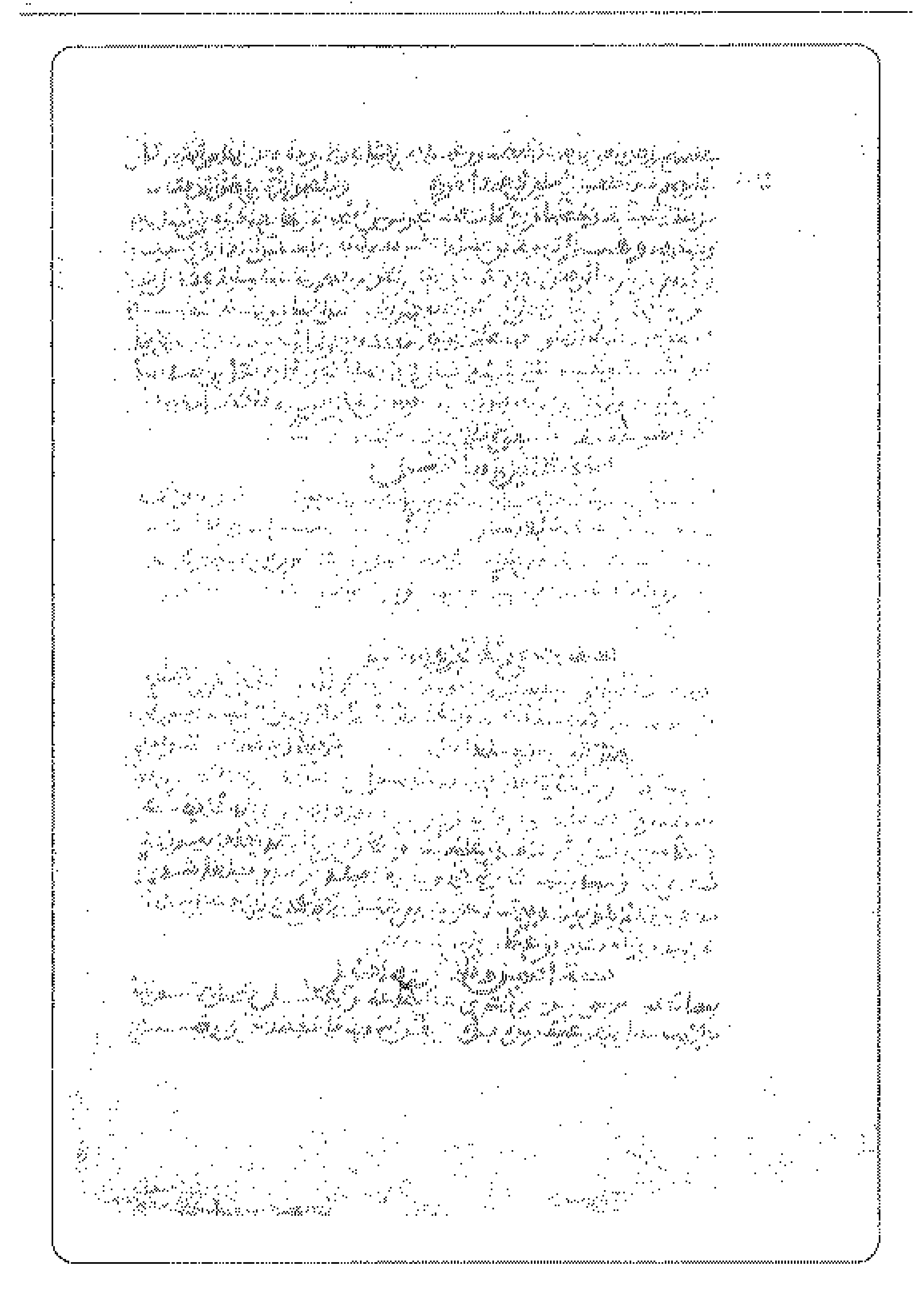
إحدى صفحات المخطوطة وفيها «خبر ابن بشير القاضي»



إحدى صفحات المخطوطة وفيها «ذكر خلافة الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام»



إحدى صفحات المخطوطة وفيها «خبر خروج أسطول المجوس من الأردمانيين لعنهم الله»



الصفحة الأخيرة من «السفر الثاني من كتاب المقتبس» لابن حيان القرطبي

القسم الأول

إمارة الحكم بن هشام

(١٨٠ - ٢٠٦هـ)

/ [وكانَ يُؤثِرُ الفقيهَ زيادَ بن عبدالرحمن الملقبَ بِشَبْطُون[1]، وحضر يومًا عنده، ١/٨٨ وقد غضِبَ فيه على خادمٍ له لإيصالِه إليه كتابًا كَرِه وصولَهَ، فأمرَ بقَطْعِ يَدِه. فقال له زياد: أصلح الله الأميرَ، فإن مالكَ بْنَ أنس][1] حدَّثني في خبرٍ رفعه "أن من كظم غيظًا يقدِرُ على إنفاذِه ملأه الله أمنًا وإيمانًا يوم القيامة"[2]. فسكن غيظُ الأمير، وقال له: "آللَّهَ أن مالكًا حدَّثك بهذا؟" فقال زياد: "آلله إن مالكًا حدثني به". فأمر الأمير أن يُمسِكَ عن الخادمِ، وعفا عنه.

وذكرَ بعضُ الشَّيخَة، أن الأمير الحكمَ بن هشام صدرَ خلافته، شهِدَ يومًا بمقبرة الرَّبَضِ جنازةً أُعْجِلَتْ لصلاةِ الظهرِ، حضَرَها جمعٌ من الناسِ، فيهم الفقيهُ زيادُ ابن عبدالرحمن، وطُرِحَتْ للأميرِ الحكمِ عَيْبَةٌ[2] قعدَ عليها، وزيادٌ إلى جانبه يُحَدِّثه إلى أن دُفِنَ الميتُ. فركب الحكمُ، وأمرَ زيادًا أن يُرَاكِبه، فراكَبَه زيادٌ وقد أَرْدَفَ وَلَدَه خلفه، ووصلَ محادَثَةَ الأميرِ إلى أن انتهوا إلى القَنْطَرة، وقد رُفِعَ أذان العصرِ من منارةِ المسجدِ الجامعِ، وقال له: "معذرةً إلى الأمير - أصلحه الله - فإنا كنا في حديثٍ عارَضَه هذا المنادي إلى الله تعالى، ولن يجوزَ الإعراضُ عنه، فمنادي الله أحَقُّ بالإجابَةِ. وإن اجتمعنا قَدَرْنا على تتميمِ الحديثِ إن كانت بنا إليه حاجة". وسلَّم زيادٌ على الأمير، فدخلَ إلى المدينة من بابِ القنطرة عامدًا إلى المسجدِ الجامعِ، واستقامَ الأميرُ الحكم على طريقِه نحو القصرِ يَسْرَةً، فلم ينكرْ على زيادٍ فعلَه، بل ازدادَ حُظْوَةً عندَه[3].

وذكر معاوية بن هشام القرشي الشبيني قال:

---

(١) ذهب أول هذا الخبر، ومكانه في آخر الورقة السابقة، فاستكملناه من نفح الطيب للمقري ١/ ٣٤٠-٣٤١، ومن ترتيب المدارك للقاضي عياض، نشر الدكتور أحمد بكير محمود، بيروت ١٩٦٧م- المجلد الأول ص ٣٥١، ومن المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٩٦٤م، ١/ ٣٩.

(٢) العَيْبَة وعاء من أدم (جلد) يجعل فيه المتاع والثياب.

كانت بالأندلس سنةَ سبعٍ وتسعين مجاعةٌ شديدةٌ، أحسن فيها الأميرُ الحكمُ مواساةَ أهلِ الحاجةِ من الناس، فأفْشَى الصدقاتِ الواسعةَ، وفَرَّقَ الأموالَ الكثيرةَ في الضعفاءِ والمساكينِ وعابري السبيلِ المنقطعينَ. وكانت مجاعةٌ شديدةٌ عامةٌ لأهلِ الأندلسِ، ماتَ فيها منهم خلقٌ، وعبرَ البحرَ إلى العُدْوَةِ منهم عالمٌ كثيرٌ [4]. وقد ذكر فضلَ الأميرِ الحكمِ فيها، عباسُ بن ناصحٍ الجَزَرِيُّ، فقال في شعر له: [الكامل الأحذ]

نَكِدَ الزَّمانُ فأمَّنَتْ أيَّامُهُ ... من أن يكونَ بعَصْرِهِ عُسْرُ

طَلَعَ الزمانُ بأزْمةٍ فَجَلا ... تلكَ الكريهةَ جُودُهُ الغَمْرُ

وحكى الفقيهُ محمد بن وَضَّاح:

وكان على أثارة من علم الحَدَثَانِ، ينمُّ بها كثيرًا إلى من يَثِقُ به. فذُكِرَ أن الأميرِ خرج يومًا متنزهًا متفرجًا بالصيد، فركضَ وراء ما أُثيرَ له منه وقتًا إلى أن نال نَهْمَةً ولَحقه فَشَلٌ، فنزلَ يستريحُ من تعبه بمكانٍ مشرفٍ سرَّحَ فيه بَصَرَه، فاستلقى وأجالَ طَرْفَه حينًا، ثم تنفس الصُّعَداء، وأشار إلى فَجٍّ يقابِلُه، فتأفَّف وتأوَّه، وقال: "يخرجُ في آخرِ الزمانِ بهذا البلد خوارجُ يَظْهَرُون على أهله، وكأنّي أنظرُ إليهم مُطَّلِعين من هذه الفِجاجِ، سيوفُهُمْ بأيديهم، يقتلون الرجالَ، ويُفْسِدونَ إليهم، ويستبيحون الحُرَمَ، ويَسْبُونَ الولدانَ والعيالَ، فيا ليتَ حكمًا كان حيًا حتى يَبْلُو الله كيف يكونُ ذَبُّه عن الإسلامِ وقيامه دونَ أُمَّةِ محمد صلى الله عليه وسلم" [5].

٨٨/ ب فكان / ابن وَضَّاح كثيرَ التوقُّعِ لتلك الخارجة والتخوُّفِ من أن يَلْحَقَهم.

ذكرُ كبارِ الأحداثِ الجاريةِ في أيامِ الأميرِ الحكمِ بنِ هشام

ومشهورِ حروبِه ووقائعِه مع من نازَعَه سلطانَه بنواحي مملكتِه ومقارَنَةِ النصرِ له كُلَّ وقتٍ على أعدائه، وتسميةِ من استعانَ بهم على أمره من وزرائِه وقضاتِه وكتابِه وقوادِه، وما جرى خلالَ ذلك واتصلَ به

فأول ذلك:

خبرُ كرورِ عَمَّيْ الأميرِ الحكمِ بنِ هشام سليمانَ الشاميِّ وعبدِالله البلنسيِّ

ابنَي الأميرِ عبدالرحمنِ بن معاويةَ إلى الأندلسِ، منازِعَيْنِ للأميرِ الحكمِ فيما صار إليه من سلطان أبيه، بعد تبرئهما ـ كان ـ إلى أبيه هشامٍ وخروجهما له عن بلدِ الأندلس، ثم عَوْدِهما إليها الآن لمنازعةِ ابنه الحكم. وجملَةُ ما جرى له في ممارستِهما، ودبَّرَه من خُروجِهما إلى أن قُتِلَ أحدهما وسالَم الآخرُ، فاستوى له أمرُه، وما شابَ ذلك من القَصَصِ، وجرى خلالَه، والإحاطةُ لله عزَّ وجهه.

قال أحمدُ[1] بن محمد الرازي:

لما أن بلغت وفاةُ الأميرِ هشامِ بن عبدالرحمن بن معاوية أخوَيْه المُشَاقَّيْن ـ كانا ـ له: سليمانَ المعروفِ بالشاميِّ [6] وعبدالله المعروف بالبَلَنْسيِّ [7] ابنَي الأمير عبدالرحمن بن معاوية، وقد صارا بالعُدْوَةِ ـ عادا في طلبِ سلطانِ الأندلس، ومنازعةِ ابن أخيهما الحكم بن هشامٍ فيما صار إليه منه. وابتدرَ ذلك عبدُالله منهما، فعَجِلَ إلى عبارةِ البحرِ بأهلِه وولده، فصار بريفِ الأندلس، ونزلَ بكورةِ بلنسيةَ عند البربر، فقاموا معه، وتعصبوا له، وتلوَّم سليمانُ أخوه بعده بطَنْجَةَ،

(١) في الأصل محمد أحمد، ثم ضرب الناسخ بخط على محمد إشارة إلى حذف الكلمة.

فكتب إليه عبدُالله يستدعيه إلى الأندلس ليتظاهرا على ابنِ أخيهما، وينتزعا عنه سلطانه. فقَدِم عليه سليمانُ بعد عامٍ ببلنسية، يؤلِّبان الناس على معصيةِ ابن أخيهما الحكم، ويبعثان الحرب له، ويجدَّان في مكروهه، والأقدار تدفع عنه كيدهما، إلى أن قهرهما بعد خطوبٍ جرت بينهم طويلة.

٨٩/أ / وقال صاحب الكتاب الأول، الخزائني المتقدم ذِكرُه في هذا الكتاب:

لما اتصلت وفاةُ الأمير هشام بن عبدالرحمن بأخويه المحادَّين له، أبي أيوب سليمانَ المعروف بالشامي، وعبدالله المعروف بالبلنسي ابني الأمير عبدالرحمن بن معاوية، وهما مسيَّران عن الأندلس مُقْصَيَانِ إلى أرضِ العدوة، ثابَتْ أطماعُهما فيما دُفِعا عنه من إمارةِ الأندلس، ورَجَوَا انتزاعَها من ابن أخيهما الحكم بن هشام، فشمَّرا عن ساقهما، وأُهْرِعا[١] كارَّيْن إلى الأندلس. وكان أبو أيوب منهما قد أقام عند البربر، ومضى عبدُالله حتى بلغَ القيروانَ، ودخل إلى ابن الأغْلَبِ[8] أميرِها لبني العباسِ، ثم رجع إلى أخيه أبي أيوب. وجاءهما خبر مَهْلكِ الأميرِ هشامٍ أخيهما بالأندلس، فأقبلَ عبدُالله مبادِرًا، وأجاز البحرَ، فدخلَ الأندلسَ، وصار بكورةِ بلنسيةَ أعلاها. فأقام عند برابرِها بجميع عيالِه وأولادِه، وسَعَى للفتنة سَعْيَه.

ثم أقبلَ أخوه أبو أيوب أيضاً بعد ذلك إلى سنة، حتى نزلَ به، وتظافرا على شأنهما، ودَعَوَا الناس إلى خلافِ الأمير ابن أخيهما الحكم بن هشام. فأمضى سليمانُ عبدَالله أخاه إلى سرقسطة والثغرِ الأعلى، فحشَدَ الناسَ، فاجتهدَ في ذلك حتى دَخَلَ إفرَنْجَة.

فلما اجتمعَ لأبي أيوب ما أرادَ، أقبل يريد قرطبة. وبلغ خبرُه ابنَ أخيه الحكم، فجمع جيشَه وخرج يستقبله [دافعًا له] عن قرطبة. فالْتَقَيا بقيجيَطة[9]، ودارت

(١) ص: وأهربا.

بينهما حروبٌ شديدةٌ ظهر فيها الأميرُ الحكم عليه، فهزمه هَزْمَةً قبيحةً، وقتل كثيرًا من رجالِه، وغنم عسكرَه. فمضى سليمان مفلولاً مترجِّلاً متجوِّلاً في البلدان. واتهم الأمير الحكم عَمَّه أُمَيَّةَ أخا سليمان في أمره، فقبضَ عليه وحبسه. ثم ثاب إلى سليمانَ جَمْعٌ أجَدَّ بهم طمعًا في لقاءِ الأميرِ الحكم أيضًا، فأقبلَ إليه من ناحيةِ كورةِ إسْتِجَةَ تُجَاهه. وخرجَ إليه الأمير الحكمُ أيضاً بجيشِه وعُدَّتِه، فلقيه بَبْرِكلُونَ[10]، ونازَلَه، فهزمَهُ أيضاً أشدَّ من هزيمتِه الاولى، ومضى في فَلِّه هاربًا مُصْعِدًا إلى ناحيةِ الجَوْفِ، يريدُ مدينة ماردة.

فلما بلغَ الأميرَ الحكم خبرُه خرج إليه، ووقع سليمان على خبر خروجه نحوه، فلم يلبث له، ومضى هارباً. فجرَّد الأميرُ الحكمُ في طلبه أصبغَ بن وانسوس زعيمَ ماردة في بَرَابرته(١). ثم عَضَّدَه بالعباسِ بن عبدالله القرشيِّ المروانيِّ في سبعمائةِ فارسٍ من نُخْبَةِ مدينَتِه من العرافات [11] وصَفْوَتِها(٢). فيقالُ إن العباسَ لم يبلُغْ إليه إلا وقد أسرَهُ أصبغُ وحصَلَ في يَدِه.

وقيل إن سليمانَ وافَقَ أصبغ إذ علم أن ليس معه أحدٌ من حَشَمِ الأميرِ، وإنما هو في برابرته(٣)، ورَجَا مخادَعَتَه واستمالته إلى نفسه. فبينما هم في ذلك إذ طلعَ العباسُ في خيْلِه(٤)، فأسرع سليمانُ وعلم أن الحيلةَ واقعةٌ عليه، فانهزمَ ومضى على وجهه جاداً في ركضه، فانكَبَّ به فرسه، وسقط عنه، فانفكَّتْ رجله، واوتَهَنَ بَدَنُه، فأصيب مُجَدَّلاً في الارض، / وقُبِضَ عليه قبضًا، فصار في أيديهم أسيرًا، فلم يلبثوا أن جاءهم رسولٌ من عند الأمير الحكم بتعجيلِ قتله، فضُرِبَتْ عنقُه، وبُعِثَ برأسه إلى الأميرِ الحكم، فبعث به إلى قرطبة، فشُهِرَ ٨٩/ ب

(١) ص: ونسوس... بربرته.

(٢) ص: وصفوه.

(٣) ص: بربرته.

(٤) ص: خيلة.

فيها. وأمر باحتمالِ جثتِه إليه، فدفنه في التربةِ بداخلِ القصرِ مع أبيهِ وسلفِه. وقفل الأمير الحكم راجعًا إلى قرطبة.

فلما اتصل بالبائس عبدالله أخي سليمان قتلُ أخيهِ واضمحلالُ أمره سُقِطَ في يده، وراسلَ الأمير الحكم يخطبُ منه السلمَ، ويسأل المواساةَ في المحنة[1]، فأجابه الأميرُ الحكم إلى ذلك صلَةً لرَحِمه، وصالَحه على أن يقيمَ بمكانه ببلنسيةَ مؤديًا طاعَتَه دون أن يَطَأَ بساطَه، ويُجْرِيَ عليه أرزاقَه ومعاريفَه من مالها كُلَّ سنة. فتمَّ ذلك بينهما وانعقد، وتواخَيا الوفاءَ به. ولم يَزَلْ عبدُالله على حالِه تلك قاطنًا، والأمرُ جميلٌ بينه وبينَ ابنِ أخيهِ الأمير الحكم وهو يُمَادُّه طَلَقَ الحياة، إلى أن هلك الأمير الحكم قبله، وصار الأمرُ إلى ولَدِه عبدالرحمن بن الحكم.

فلما بلغ عبدَالله وفاةُ ابن أخيه[2]... عبدالرحمنِ، ودعا إلى نفسه، وألَّبَ الناسَ في ناحيته، وأقبل يريد تُدْميرَ قاصدًا قرطبة، فلما بلغَ الأميرَ عبدالرحمن خبرُه استعدَّ له، وأخذَ في التجهُّزِ للخروجِ إليه. فلما بلغ ذلك عبدالله نكصَ إلى مكانه ببلنسية، ولحقه حَذَرٌ شديد اختطفَتْهُ خلالَه المنِيَّةُ، فنزلَ به الموتُ سريعًا، ورَفَع الله فتْنَتَه. فاستقدمَ الأميرُ عبدالرحمن أولادَه وعيالَه من بلنسية، فكَنَفَهم وأوْسَعَ عليهم، وصاروا في عُرْضِ أهلِ بيتِهم، وخَلَصَ الأمرُ لولد هشامٍ من بينِ ذرية[3] الأمير الداخلِ عبدالرحمنِ بن معاوية، فتردَّدَت الخلافَةُ بالأندلسِ فيهم، متوارَثَةً بالبُنُوَّةِ لا بالقرابة. فانتظم بذلك أمرُهم.

رجع الخبر إلى الرازي. قال أحمد بن محمد الرازي:

وفي سنة إحدى وثمانين ومائة، اقتحمَ عبدُالله بن الأميرِ عبدالرحمن بن معاوية

---

(١) ص: النحمة.

(٢) يبدو أن كلمات سقطت من هذا الموضع لا يتم إلا بها السياق، ومؤداها: "فلما بلغ عبدالله وفاة ابن أخيه [وولاية ولده بعده خلع طاعة] عبدالرحمن...".

(٣) ص: ذريته.

المعروف بالبلنسيّ الأندلسَ من جهة تاهَرْت من أرض العدوة، التي كان صار إليها قُدَّام أخيه الأمير هشام، فانتكث على ابن أخيه الحكم بن هشام، وأقبل لمنازعته السلطان مبادرًا، سابقًا لأخيه أبي أيوب سليمانَ بن عبدالرحمن بن معاوية، المظاهرِ له على أمرِه، المتصيِّرِ إلى أرضِ العدوة[١] صيورَه الدائمَ من خلافِ ابن أخيهما الحكمِ مَرَامه.

فأصعدَ عبدالله إلى الثغر، وأهله مضطربون على الأمير الحكم لأولِ ولايته. ووافق تَحَرُّكُه[٢] استيحاشَ زعيمَيْ دولته وكبيرَيْ رجاله وعُمْدَتَيْ قواده عبدالملك وعبدالكريم ابني عبدالواحد بن مغيثٍ وحَشْرَهما لعسكرٍ لقَّاه لخلاف الأمير الحكم. فقوِي طمعُهُ في الإسنادِ إليهما، ولم يكُنِ الشرودُ من بَيْتهما[٣]، فانضمَّ إليهما، وصارَ في جماعتِهما. وزحفوا بجمعهم إلى سَرَقُسْطَة، وفيها من قِبَل الحكم أبو صفوان. فخرجَ إليهم فيمن معه وقاتلهم، فظهرَ عليهم وانهزموا. وأُسِر زعيمُهم عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، فسُجِنَ بسرقسطة مدة، ولحق أخوه/ عبدالملك ٩٠/ أ ابن عبدالواحد ببهلولَ بن أبي الحكم المنتزي بسرقسطة، فلطَفَ لأخيه عبدالكريم حتى انطلق من السجن، فلَحق بأخيه عبدالملك عند بهلول. ومضى عبدُالله بن الأمير عبدالرحمن على وجهه فَاراً، حتى انتهى إلى قارِلُهْ ملك الفرنج [12]، ومعه ولَدَاهُ عبيدالله وعبدالعزيز.

"فَغَلْغَلَ يبغي العِزَّ كُلَّ مُغَلْغَلِ"

ولما كان سنة اثنتين وثمانين ومائة، دخلَ أبو أيوب سليمان بن الأمير عبدالرحمن بن معاوية الشامي إلى الأندلس وراءَ أخيه عبدالله، فاجتمعا معًا على منازعة ابن أخيهما الأمير الحكم، فالتفَّ بهما جمعٌ من المُرَّاق، وغَرَّتْهُما كثرته.

---

(١) ص: اعدوة.

(٢) ص: تحت.

(٣) ص: بينهما، والمقصود أن التمرد والخلاف لم يكن معهودًا في أسرتهما.

فتقدم أبو أيوب سليمان بهم نحو قرطبة لقتال الأمير الحكم ابن أخيه، وذلك في شوال من هذه السنة. وخرج إليه الأمير الحكم بجنده وحشده، فالتقيا بناحية قيجيطة[١]، ودارت بينهما حروبٌ شديدة، انهزم غِبَّها سليمان، وغادرَ أثقالَه وسوادَ عسكرِه، فغنمها رجالُ الحكم، ثم عاودوا الالتقاء بقيجيطة[٢] أيضاً في ذي الحجة من هذه السنة، فانهزم سليمانُ أيضا أَشَدَّ من هزيمته الأولى.

ثم لمَّ سليمان شَعَثَ عسكره في سنة ثلاث وثمانين ومائة بعدها، وتألَّب معه قومٌ من فُسَّاق البربر، لم يشهدوا يوميه الأوَّلَيْن، وأقبل نحو ابن أخيه الحكم بن هشام، فالتقيا ببركلون من أرض إسْتِجَة على النهر الأكبر، في صفر من سنة ثلاث وثمانين ومائة، ودامت الحرب بينهما أيامًا. فانهزم سليمانُ عنها.

ثم كرَّ على الحرب في هذا العام مرةً رابعةً، فالتقى مع الأمير الحكم بقرية بَلْمَة المعروفة بأبي أيوب من كورة إسْتِجَة[13]، فانهزم أيضاً هزيمةً لم تُبْقِ منه، وجعلها وِجْهَتَه، مُصَاعدًا إلى بلد فرِيْشَ ولَقَنْت وقد قُتِل جُلُّ أصحابه، وتشاءم به أتباعُه، وهو في ذلك كله جادٌّ مُشيحٌ مُجْلِبٌ مُؤَلِّبٌ، لا يسأم الفتنة ولا ييأس من درك الدولة.

ثم جمع مِحاشَه[٣] وأقبل لحرب ابن أخيه الأمير الحكم، فالتقيا ببركلون من إستجة لعشرٍ بقِينَ من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين، فاشتدت الحرب بينهما، وانهزم غِبَّها سليمانُ هزيمةً استمرت به فلم تكن له بعدها إنابة. ومضى ركضًا يريد اللحاق بناحية مارِدة، والطلب واقعٌ به، فأُدْرِكَ بقِيرَةَ[٤] على خمسينَ ميلاً

(١) ص: بنحيط.

(٢) ص: بنحيط.

(٣) مِحاش الرجل الذين يجتمعون إليه من قومه وغيرهم، والمراد أنصاره.

(٤) كذا ورد اسم هذا الموضع في الأصل، ولسنا على ثقة من صحة رسمه ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر ما يعين على التحقق منه، وقد اختصر ابن عذاري هذه الأحداث المتعلقة بهزائم سليمان بن عبدالرحمن ومقتله في البيان المغرب ٢/ ٧٠، وانظر تاريخ إسبانيا الإسلامية لليفي بروفنسال ١/ ١٥٢-١٥٣.

من ماردة، أسره المعروفُ بابن أويدلج[١]، فحبسه حتى قدم أصبغ بن وانسوس زعيم ماردة إليها، فقبضه منه، وحبسه عند نفسه حتى أتاه مُوَفَّقٌ الأَبْلَج رسول الأمير الحكم، فقتله وقتل معه ستةَ أنفسٍ من صحابته، ودَفَنَ جسدَهُ بفَجِّ قلنيرة[٢]، وجاء الأبلجُ برأسه[٣] ورُؤوسِ أصحابِه إلى الأمير الحكم، فكفاهُ اللهُ شأنَهُ، وأحسن الصنع له في الإراحة منه.

وأعطى الأمير الحكم الأمانَ لِولدَ سليمانَ وأهله، واستدعاهم إلى حَضْرَتِه، وكانوا بسرقسطة. ثم هلك منهم حَيُّون بن سليمانَ في شوال من هذه السنة، فقَدِموا عليه في سنة خمس وثمانين ومائة بعدها، فأحسن الأميرُ تنزيلَهُمْ، وأوسعَ جراياتِهِم، وصيَّرَهم أسوةَ أهل بيته.

/ قال عيسى بن أحمد: ٩٠/ ب

لما أن اجتمع سليمانُ وعبدالله ابنا[٤] الأمير عبدالرحمن بن معاوية بكورة بلنسيةَ عند كرورِهما إلى الأندلس من بلد العُدْوةِ منازِعَيْنِ لابن أخيهما الأمير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن في الإمارةِ، توجَّهَ عبدالله منها نحو مدينة سرقسطة والثغر الأعلى، داعيًا للناس إليهما فاستقرى ذلك الصُّقْعَ حتى بلغ بلدَ الفرنجَة مؤلبًا على ابن أخيه الأمير الحكم، ومستجيشًا على حَرْبِه. فاجتمع له بشرٌ كثيرٌ، قدمَ بهم على سليمان أخيه، غَرَّتْهُ كثرتُهم بعسكرِ سليمان، وتقدَّمَ بهم نحو قرطبة، آتيا ابن أخيهما الحكم، وتخلف عنه عبدالله بنفسه، فلم يشهد وقعة قيجيطة[٥].

---

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأصل، ويبدو أنه اسم بربري. محرفاً عن «أويداج» ومعناه «أخضر وكُلْ». وقد كان التنابز بالألقاب شائعاً في الأندلس، واستخدمت فيه اللغات المستعملة في هذا القطر: العربية والبربرية والعجمية، ومن أمثلته: أرفع رأسه، واشْتَرِ مِنّي، وابن الله ما لَهُ (النفس الخبيثة).. وهكذا.

(٢) فج قلنيرة، لم نجد في المصادر ما يعين على تحديد موقعه، والفج هو الشِّعب أو الممر الجبلي. ويرى فيديريكو كوريتي أن صواب الاسم ـ وهو بعجمية الأندلس ـ إما أن يكون «قُلُنْبَيْرَة» clunbaira، ومعناه برج الحمام، أو «قُنِلْيَيْرَة» coneliaira ومعناه مربض أو جحر الأرانب البرية.

(٣) ص: برمسه.

(٤) ص: ابني.

(٥) ص: فتجيط.

وزعم عيسى، أنها كانت بينهما هناك مرةً واحدةً لا مرتين، وأنه قُتِلَ فيها كثير من أصحابِ سليمان، وغُنِمَ عسكره، وفرَّ على وجهه يجولُ في الكُوَرِ يدعو إلى الكَرَّة[1]، فيضطرُّه العَدُوُّ إلى الفَرَّة.

وقال عيسى بن أحمد الرازي:

اتهم الأميرُ الحكمِ كاتِبه الأثيرَ محمدَ بن أمية بن يزيدَ بولاية عَمِّه سليمان بن الأمير عبدالرحمن عدوه والميلِ إليه ومكاتبتِه بأخباره، وأنه الذي حذَّره منه ونهاه عن[2] قبولِ أمانه. فسَخِط عليه وعَزَلَه عن كتابته وأقصاه، وصيَّر دارَه سجنَه. ورضي عن ابنَيْ خَطَّابٍ فولاَّهما ما كان يتولاه، وكانا منكوبين[3] مُقْصَيْنِ إلى بادية لهما انتبذا إليها عن حاضرة قرطبة، فاستدعاهما إليها. واستمر سخطه على محمد بن أمية.

وزعموا أن سليمان قد كان هم بالركون إلى أمان ابن أخيه حتى كتب إليه سِراً محمد بن أمية بهذه الأبيات: [البسيط]

لا تقبلَنَّ عُهودًا لا وَفَاءَ لَها ... إن المُديرَ عليك الرأْيَ شَيْطانُ

كيف البقاءُ بأرضٍ ليسَ يَمْلكُها ... ذاك المُبَرأُ من نَقْصٍ سليمانُ

إن الصُّدُورَ التي[4] استَعْذَبْتَ أوَّلَها ... أعجازُها لك إن حَصَّلْتَ خُطْبَانُ[5]

وقد ذكروا أنه إنما كتب بها متمثلاً بالبيت المشهور: [المتقارب]

أَرْضَكَ أَرْضَكَ إنْ تأْتِنا ... تَنَمْ نَوْمَةً لَيْسَ فيها حُلُمْ

(١) ص: الكثرة.

(٢) قبل هذا اللفظ في الأصل "عنه" وضرب الناسخ عليها بخط دلالة على الحذف.

(٣) ص: منكر بين.

(٤) ص: الذي.

(٥) ورد هذا الخبر والأبيات الثلاثة المذكورة في ترجمة محمد بن أمية في المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٩٦٤م، ١/ ٧١-٧٢ نقلاً عن ابن حيان. والخطبان الحنظل.

قال:

وكانت دارُ محمد بن أمية ودورُ أهله مجاورةً لدار سليمان، فمن أجل ذلك قال فيما كاتبه به ـ زعموا ـ هذا البيت: [الطويل]

فإنَّكَ جارِي والجِوارُ حَفِيظَةٌ ... وما طائرٌ إلا على إلْفِهِ يَقَعْ

وفي كتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي:

محمد بن يزيد، يكنى أبا عبدالملك كاتب الأمير الحكم بن هشام، كان كاتبًا مُرَسِّلاً وشاعرًا مطبوعًا. اتهمه الحكمُ بموالاة عَمِّه سليمان بن الأمير عبدالرحمن المنتزى عليه، فسَخِط عليه، وصيَّر دارَه سِجْنَه، وتُوُفِّيَ خاملاً في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم. وتحرَّكَ ولدُه بعده في / الخدمة، فاعْتَلَوْا منها الذِّرْوَةَ. ٩١/أ

ذكر مصالحة عبدالله بن الأمير عبدالرحمن المعروف بالبلنسي

قال أحمد بن محمد الرازي:

وفي سنة أربع وثمانين ومائة، دخل عبدالله بن الأمير عبدالرحمن المعروف بالبلنسي مدينة وَشْقَة، من الثغر الأعلى مع المُصَافِينَ له من بني سَلَمة (١) العرب، فصار فيها وطَمِع بملكها، فغزاه بهلولُ بن أبي الحجَّاج في جَمْعِه، وأحاط بمدينة وشقة من الثغر الأعلى، فشدَّ حَصْرَ أهلها، ونقب عليهم البرجَ المنيعَ الذي كان بنو سلمة(٢) زعماؤها قد تحصنوا فيه، وتهيأ له نَقْبُ جوانبه، فانْهَدَم خَطْفَةً،

(١) ص: سلامة، والتصويب عما سيرد في المقتبس من بعد وعن جغرافية العذري، بتحقيق عبدالعزيز الاهواني، مدريد ١٩٦٥م، ص ٥٦-٦٠ حيث يذكر أنهم كانوا من بني تجيب ويورد جملة مفصلة من أخبارهم وغزو بهلول بن مرزوق لهم.

(٢) ص: سلامة.

وهلك فيه بنو سلمة، ونجا عبدالله بن الأمير عبدالرحمن، فلَحِقَ ببلنسية واستقرَّ فيها، وأقصر عن السعي للفتنة، وافتتح مكاتبة الأمير الحكم ابن أخيه، يدعو إلى السِّلْمِ ويسأل الفَيْءَ[١]، فترددت الرسلُ بينهما. واقتربَ أمرُ تسالُمِهِما في سنة ست وثمانين ومائة، والتوى[٢] إلى سنة سبع وثمانين بعدها، إلى أن استقر[٣] وتَمَّ صَدْرَها، فانعقد أمانُ عبدالله بن الأمير عبدالرحمن، على إجراء الرزق عليه لكل شهرٍ ألفُ دينار، على أن يسكن عبدالله مكانه من حاضرة بلنسية حياتَه، لا يُحَرَّكُ منها ولا يُسامُ دخولَ الحضرة.

وخرج إليه بهذا الأمان، الفقيه يحيى بن يحيى الليثي وصاحبُه ابن أبي عامر المَعَافِرِيُّ[14]، فأجَدَّا عليه العهدَ وعقدا عليه البيعةَ، وقَدِما على الأمير الحكم من عنده بابنه عُبَيْدِ الله بن عبدالله، فأكرمَهُ الأميرُ أعظمَ كرامة، وزَوَّجَهُ أخته عَزِيزَة بنت الأمير هشام. ثم قَدِم عليه بعد ذلك أخُوه عبدالله بن عبدالله، ففعل به كذلك، وأدْنَى مكانَه، وألطف خاصَّتَه، وزوَّجه أيضاً أُخْتَهُ أُمَّ سَلَمَة بنت الأمير هشام بن الأمير عبدالرحمن بن معاوية، وهي شقيقةُ الأميرِ الحكم بن الأمير هشام، فتشابكوا بالصِّهْر، وبَلُّوا الأرحامَ، وامتدَّ عليهم ظِلُّ العافية.

(١) ص: الفبا. ويعني بالفيء العودة إلى الطاعة.

(٢) ص: والترى.

(٣) ص: استرق.

ذكر الأحداث الجارية
في دولة الأمير الحكم بن الأمير هشام بن
الأمير عبدالرحمن / بن معاوية
على نسق التاريخ

/٩١ ب

سَنَةَ ثمانينَ ومائةَ:

قال أحمد بن محمد الرازي:

فيها غزا بالصائفة الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث إلى دار الحرب، وهي الغزوة المعروفة بالقلاع، فاحتل قَلَهُرَّة، وحشد لها، وسَرَّب الخيول إلى أرض الكفرة أقاطِيعَ، ودخل إثرها فدوَّخَ بلادَ العدو، وقتل جماعةً، وأوغل في سَرَارَتهم، حتى انتهى إلى شاطئ البحر، ونهض مُسايراً له في بلادهم يَحْطِمُها حَطْمًا، والخيلُ تنبعثُ عليهم قطيعًا بعد قطيعٍ عن يمينٍ وشمالٍ. فقفل مُثْقَلاً بالغنائمِ، عزيزَ النَّصْرِ[15].

ذكر سبب وحشة الحاجب
ابن مغيث وأخيه

وفيها عزل الأمير الحكم أبا مُضَر، مُحَمَّدَ بْنَ عبدالله بن مُزَيْنٍ [16] عنَ طُلَيْطِلَة، وولَّى مكانه عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، فقبض عبدالكريم على عبدالله بن سليمان، وغَضِبَ له أهلُ طليطلة، فوثبوا به مع عَبْدِ رَبٍّ بن زُرَيْقٍ في جماعتهم، وأخذوا عليه الحِصْنَ أيامًا، وراسلوا الأميرَ الحكمَ يشكونَه، فبينما هم على ذلك قَدِمَ مُساورٌ على البربر بتوليةِ عبدِ رَبٍّ بن زُرَيْق على طليطلة وعَزْلِ عبدالكريم عنها. فخرج عبدالكريم مغاضبًا، ولحق بأخيه عبدالملك بسرقسطة، وكاشفا الأميرَ الحكمَ بالمعصية، وألَّبا على الخلاف جماعة.

ووافق ذلك مَصيرَ عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية المعروف بالبَلَنْسِيِّ إلى الثغر الأعلى مؤلِّبًا على ابن أخيه الأمير الحكم بن الأمير هشام. فلَحِقَ بهما، وانضمَّ إليهما، وقَصَدَتْ جماعتُهم مدينة سرقسطة لمُغَالبة بهلول بن أبي الحجاج المتزي بها عليها، فظهر بَهْلُولٌ عليهم، وفَضَّ جَمْعَهُمْ، وأسَرَ عبدالكريم بن عبدالواحد زَعِيمَهُمْ، ثم مَنَّ عليه فأطلقه.

وقبل ذلك ما كان: أخرجَ الأميرُ الحكمُ هانئًا وأبا صفوانَ في جيشٍ إلى سَرَقُسْطَةَ سنةَ إحدى وثمانين ومائة، فأخرجا عنها عبدالكريم وعبدالملك ابني عبدالواحدِ بن مُغيثٍ المخالِفَيْنِ عليه، إذ كانا دخلاها مغاضِبَيْنِ له ولمَّا يجاهرا بخلافه[1]، فلما دُفِعا عن سرقسطة كشفا وُجُوهَهُما في الخلاف، وألَّبا جماعة من أهل الفساد أقاما فيهم بناحيةٍ من ذلك الثغر، ما يُحْدِثانِ حَدَثًا إلى أن عاودا الطاعة.

وقال عيسى بن أحمد الرازي:

ظهر بهلول بن أبي الحجاج - واسم أبي الحجاج مرزوق [17] - في ناحية الثغر الأعلى، فجمع من أهل الخلاف جماعةً دخل بهم مدينة سرقسطة، فملكها، وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائة، فلم يلبث أن قصده عبدالكريم وعبدالملك ابنا عبدالواحد بن مغيث أيامَ استَوْحَشَا من الأميرِ الحكمِ فيمن التَفَّ بهما، فأخرجا بهلولاً عن سرقسطة وضبطاها، وهما مُقيمانِ على وحشتهما. فجرَّدَ الأمير الحكم إليهما أبا صفوان وهانئًا القائدين في الجيش، فأخرجا عنها ابني مغيث وضبطاها للأمير الحكم. وصار ابنا مغيث في طرف من الثغر فيمن تألب إليهما، والجنوح بادٍ منهما. فخاطبهما الأمير الحكم ولاطفهما إكرامًا لهما، ففاءا إلى طاعة / جمعهما، وعادا إلى أنسهما. ووردا إلى قرطبة، فزاد الأمير الحكم في إكرامهما وأدنى خاصتهما، وقلَّدهما أعباءَ خدمته. فلم يزالا بالمحل الأثير عنده إلى آخر مداه.

٩٢/ أ

وفي ذي الحجة من هذه السنة، قُتِلَ موسى بن فُرْتُونَ بسرقسطة.

---

(١) ص: لخلافه.

سنة إحدى وثمانين ومائة:

قال أحمد بن محمد الرازي:

فيها ظهر بُهْلولُ بن أبي الحجاجِ بناحية الثغر الأعلى، ودخل مدينة سرقسطة، فملكها، وانضمَّ إليه عبدالكريم وعبدالملك ابنا عبدالواحد بن مغيث ـ أيام استيحاشهما من الأمير الحكم ـ وعبدالله بن الأمير عبدالرحمن المعروف بالبلنسيِّ عَمُّ الأميرِ الحكمِ المنازعُ له، فخِيفَتْ مَعَرَّتُهُمْ ثم اختلفوا وتقطَّع ما بينهم على ما مضى ذِكْرُه فصرَفَ الله عاديَتَهُمْ.

وفيها عزلَ الأميرُ الحكم عَبْدَ ربِ بن زُرَيْق عن طليطلة، وولَّى مكانَهُ عبدالعزيزِ ابن حَسَّان، فكان الذي أفسدَ ضمائِرَهُمْ على الأميرِ الحكم، وأخرجهم إلى المعصية، فثار فيهم عبيدُ الله بن خُمَيْر وخالف ونبذ الطاعة، فنصب لهم الأمير الحكم عَمْرُوس بن يوسف صاحب طَلَبيرة[18]، وكان مُخْلِصَ الطاعة، نَدَبَهُ لحرب ابن خُمَيْرٍ [19] وأهلِ طليطلة، فتردَّدَ عليهم بالحرب[1] والتضييقِ والأذى والإغارة، وكاتب بَنِي مَخْشِيٍّ ـ وكانوا متقدمين فيهم ـ يستميلهم إلى السلطان ويَعِدُهُمُ الولاية، فغدروا ابْنَ خمير وقتلوه، ومضوا برأسه إلى عمروس، فأنزلهم عنده بطلبيرة في نهاية الترحيب والتكرمة، فهجم عليهم تلك الليلة بَرْبَرٌ من أهلِ طلبيرة كانت بينهم دماء، فقتلوا بني مَخْشِيٍّ، فاعتدَّ عمروسُ ذلك فتحًا إلى الفتح في ابن خمير، وبعث برؤوسهم مع رأسِ ابن خمير قتيلهم إلى الأمير الحكم، فشكر له سَعْيَهُ، وازداد في اصطناعه بصيرةً، ووَسَّطه أَمْرَ أهل طليطلة.

فأعمل عمروسُ الحيلةَ في استلطاف أهل طليطلة، وضَمِنَ لهم على نَفْسِهِ فَوْقَ[2] الأمنية، فأدخلوه مدينَتَهُمْ وولَّوْهُ أمرهم. فنظر لأول وقته في بناء الحِزامِ

(١) ص: بحروب.

(٢) ص: فرق.

الذي على باب جسرها الفارز(١) بين من يحله من الجند وبين مساكنِ أهلها، فنزله بجنده وأصحابه، وشدَّ بذلك تثقيفَ المدينة وضَبْطَها، وأنَّس أهلها جُهْدَه، وهو في باطنه ساعٍ في الإيقاع بهم وتعديلِ سبيلهم، توطيداً للطاعة التي لم يكونوا يخلصونها في وقت من أوقاتهم.

فصنع صنيعاً أراهم فيه الرغبةَ في تكريمهم والتأنيسِ لهم، أظهر فيه ذبح البقر وصنوفِ الحيوانِ والاستكثار من الأطعمة، واستدعى وجوههم الجَفَلَى إليه ليوم حَدَّه، أمر أن يكون دخول الناسِ إليه من بابٍ، وخروجُهم على آخَرَ، كي لا يزدحموا في مشهدِهم. فأخذ فيهم بذلك، وقد أعَدَّ لهم الرجالَ بداخل القصر مُصْلِتينَ السيوفَ، فمن دخلَ منهم وجاوز الباب مِيلَ به إلى شفا حفرةٍ عميقة، قد كانَ هيَّأها في وقتِ بنائِهِ، فضُرِبَتْ أعناقُهُمْ / ورُمِيَ بجُثَثِهِمْ فيها ووُرَّادُهُمْ ٩٢/ ب متوافرون لا يشعرون بذلك، ويحسبون أنهم يَنْفُذُونَ من البابِ الآخر بَعْدَ تَنْجيمِهِمْ، حتى أُبيدَ منهم عالم. وفُطِنَ بهم من فِجاجِ المدينة بعد حين، فثاروا وماجوا، وقد انتهى القتل فيهم إلى سَبْعِمَائةِ رجلٍ، فحلَّت بهم قاصِمَةٌ أذلَّتْهُمْ[20].

ذكر شرح محنة أهل طليطلة

قال عيسى بن أحمد الرازي:

ذكر الفقيهُ محمدُ بن عيسى المَعَافِرِيُّ المعروف بالأعْشَى قال: ولّى الحكمُ ابْنَهُ عبدالرحمنِ مدينةَ طليطلةَ عندما فاؤوا إلى طاعَتِهِ، من غَيْرِ تصحيحِ إثْرَ تَمَرُّمِهِمْ به ومُروجِهِمْ في الهَرْجِ والفتنة. فلما اطمأنَّ بها عبدالرحمنِ، تقدَّم إليه والده الحكمُ في السرِّ أن يَعْمَلَ في الحيلةِ في قتل رؤسائهم الحاملين لهم على المعصية، لمَّا أعضلَهُ شأنهم، ونَهَجَ له طريقها. فَجَرَتْ عليهم يومئذ وقعةُ الحُفْرَةِ، وهي عندهم معروفة.

---

(١) ص: الغارر، وربما كان الصواب أيضاً: الفارق.

وقد كانوا هَمُّوا بإخراج عبدالرحمن عنهم، وخلع والده الحكم، فجاءه كتابُ والده الحكم يذكرُ له أنه أعْذَرَ أصاغرَ بنيه إخوة عبدالرحمن بقرطبة، فسُرَّ بتلاحقهم في التحنيف[21]، واتَّخَذَ لإعذارِهِمْ بحضرته صنيعًا مشهورًا سَرَّ به أهْلَها، وأجَدَّ لهم مَبَرَّةً أحَبَّ أن يُشْرِكَهُمْ فيها مَنْ قِبَلَهُ هو من رَعِيَّته أهل مدينة طليطلة. وتقدم إليه أن يتخذ عندهم دعوةً مثلَها يبالغُ بها في تكريمِهِمْ ومَبَرَّتِهِمْ، وأرسل إليه علانِيَةً بما يحتاجُ إليه فيها من الآلةِ والطيبِ والأدواتِ[1] المستعملة مع العُرَّافِ[2] بصنْعِها.

فلما قرأ كتابه على وجوه أهل طليطلة سُرُّوا بما ذكره[3]، واشْرَأَبُّوا إلى حضورِ دعوته. وسَمَّى أيضًا يومًا بعينه، أمَرَ أمامَهُ بذبح الذبائحِ، واتخاذ الأطعمةِ وإعقادِ الأخْبِصَةِ، ودعا أهلَ طليطلة ذلك اليومَ الحَفْلَ، وقد جلس لهم بأول قصره، وأعدَّ لهم الرِّجالَ في السلاح بحضرة الحفرة التي قد كان أعدَّها بداخله. وجعل خَدَمَتَهُ يُدْخِلونهم إلى مجلسِ الطعامِ عشرةً عشرةً، كلما دخلت زُمْرَةٌ أفضت إلى أولئك الرجالِ المُعَدِّين على شفا الحفرةِ يضربون أعناقَهم، وأصواتُ المزاميرِ والأبواقِ تحولُ دونَ سماعِ استغاثتهم، حتى أبيد منهم خلقٌ سُوِّيَ بأجسادِهم عُمْقُ الحفرةِ، التي تعرَّفَتْ بها الوقعة بهم إلى اليوم. وفَطِنَ للحادثة بعض الدانينَ إليها من المستحضَرين لها، فنكص عن الدخول، وأنْذَرَ بالفاقرة، فنجا من بقي بعد أن سبقت[4] الدائرةُ بِمَنْ مضى.

وقال الحسن بن مفرج:

جرت وقعةُ الأمير الحكم ببياضِ أهل طليطلة المُثْخِنَةُ فيهم، المعروفةُ عندهم

---

(١) ص: والأدواة.

(٢) ص: العرام.

(٣) ص: ذكروه.

(٤) كلمة غير واضحة في الأصل. وقد تكون "سلفت" أو "عظمت".

بوقعة الحفرة سنة تسعين ومائة، قبل وقعته بأهل حضرته بقرطبة الفاحشة المعروفة بوقعة الرَّبَض بأعوام. وذلك أن أهلَ طليطلة آسفوا الأمير الحكم بِتَنَزِّيهِمْ إلى الخُلْعان، ومُروقِهِمْ من الطاعة، وتَسكُّعِهِمْ في الجهلِ والمَعْصِيَة، ودَفْعِهِمْ حَقَّ الإمامة، يُعينُهُمْ على ارتكابِ ذلك كُلَّ وقتٍ / وارتكاسِهِمْ فيه كلَّ حينٍ، ما هُمْ عليه من حَصَانَةِ جِسْرِهِمْ، ومَنَعَةِ معقلِهِمْ وما أوتُوه[1] من كثرةِ أطعمتهم وسَعَةِ رُبوعِهِم وامتدادِ نفارِهم على الأيام مُدَّخَرًا في مَطامِرِهِمْ، وأمانِهم من فسادهِ مع مَرِّ سنيهم[2]، يُمادُّ المُعَمَّرُ منهم مدى عُمْرِهِ، فيرجع منه إذا شاء إلى ذخيرته، فهم لذلك واتصالِهِ من الأشَرِ والبَطَرِ واستهانَةِ الناسِ، والجرأةِ على السلطان على ما لم يكن على مثله أهلُ بلدٍ من بلدانِ الشِّقاقِ بأرضِ الأندلس.

فلما أعيا على الأميرِ الحكمِ شأنُهُمْ، ولَجُّوا عن عِراكِهِمْ بِنَأْيِهِمْ بحر[3] في باطنِهِ لإعمالِ الحيلةِ عليهم. واعتامَ لها عَمْرُوسَ بن يوسف المعروف بالمُوَلَّد، من أهل وشقة الذي هو جد بني عمروس هؤلاء الصيديين اليوم بقرطبة، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الأعلى مُوَالِيًا الخليفةَ الحكمَ قائمًا بدعوته شَجًى[4] على أعدائه، فاطمأنَّ الأميرُ الحكمُ إليه ووَثِقَ بإصْفَائِهِ.

فاستقدمه بعد حينٍ من بلد وشقة، وقرَّب مكانه، وأفضى إليه سراً برأيه في قَمْعِ أهلِ طليطلة، وواطأه على التدبير عليهم، ووعدهُ الرغائبَ في شفاء غليلِهِ منهم، واعتامَهُ لذلك إذ رَجَا عندهُ مَيْلَ أهلِ طليطلة إليه بالجِنْسِيَّةِ وطمأنينتهم إلى جانبه بالدعوة المولَّدية التي تجمعهم، فوافقه على ما أراد من ذلك، وولاه طليطلة، وكتب إلى أهلها كتابًا يستحمد فيه إليهم به، ويقول لهم: "إني قد

---

(١) كلمة سقطت بعض حروفها.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كذا في الأصل، وقد تكون "... في عراكه... تحرى". ويبدو أن تحريفًا وقع في العبارة كلها.

(٤) ص: شجيا.

اخترت لكم رجلاً من ذويكم، تطمئنُّ إليه قلوبكم، وأعفيتكم ممَّنْ تكرهونه من عمالنا وموالينا، الذين لا تزالون تنافرونهم، فاعرفوا جميل رأينا فيكم، ورغبتنا في موافقتكم، فاستقيموا لعمروس أخيكم، فلا عُذْرَ لكم في منافرته والإفساد عليه".

فمضى عمروسُ إليهم، وقد حَدَّ له الأمير الحكم حدودًا في الذي أراده من الإيقاع بهم، ومثَّل له رسومًا في الحيلةِ عليهم فهمها عمروس، واتخذها إمامًا. ودخلَ طليطلة، فأنِسَ به أهلُها وسرتهم ولايته، واطمأنوا إليه، فأجملَ عِشْرَتهم، وبَسَطَ آمالَهُمْ، واستوى له ضَبْطُهُمْ. وظلَّ يطالِعُ الأميرَ الحكمَ بما ينسجه[1] من التدبيرِ في الحيلةِ عليهم سِرًّا[2]، فيمدُّه برأيه فيها، حتى اطَّرَدَ له قانونُها، وأتى زعماءها من قِبل شَهَوَاتِهم، فألقى إليهم في باطنِه أنه مُوافقٌ لهم في الشرود على بني أميَّة، والاستثقال لرياستهم، مؤثرٌ مذهبَهم في التفريق عليهم والإيهان لقوتهم[3]، وأنه في باطنه منحرفٌ إليهم، موافق لهم في مذهبهم إذ هو تَوَثَّق منهم وبَلا نصيحَتُهُم.

فتزيَّدُوا بذلك ومثلِه طُمَأنينةً إلى عمروسَ وثِقَةً به، وهو في ذلك يستدرِجُهم ويَمْكُرُ بهم، فكان أولَ ما افتتحه من الحيلةِ عليهم التي رسمها له الأميرُ الحكمُ أن قال لهم: "إني نظرت في شأن هذا الشرِّ، الذي لا يزال يهتاج أبدًا بينكم وبين أصحابِ السلطان، فرأيت أنما هو من قبل مُداخلةِ الحَشَمِ لكم، واختلاطِهم بكم، وتَعَرُّضهم لنسائكم وأولادِكم. وإني أرى أن أبنيَ قصبةً في جانب مدينتكم هذه، مفروزةً عنكم أسكنُها بالحشمِ وحاشيةِ السلطانِ أجمعين، فيكونون عنكم بمَعْزِلٍ، وتسلمون من أذاهم وتحاملهم".

فأجابوا / إلى ذلك، على أن يتخذ القصبة وسط المدينة، ولا ينحرف إلى أحد ٩٣/

---

(١) كلمة: غير واضحة في الأصل.

(٢) ص: سر.

(٣) ص: لقربهم. وما أثبتناه أوفق للسياق.

جوانبها، واختاروا لـه الهضبةَ المعروفةَ بجبلِ عمروسَ إلى اليوم، فاختَطَّ فيه قَصَبَةً حصينةً أقطع فيها جندَه، وأمرهم بالبناءِ لأنفسهم، وبَنَى هو لنفسه وسطها قصرًا حَسَنًا واسعًا حصينًا جعل لـه بابين، واستخرج الترابَ لبنيانه من وسط ساحَتِه، فصيَّرها وَهْدَةً واسعةً عميقةً لم يَعْرِضْ لرَدْمِها إلى أن يكملَ عملُه. وجَدَّ في بناء القصبةِ، إلى أن أكملها كما قدَّره وأحبَّه. فرحل إليها من دارِ الإمارةِ القديمةِ المرسومةِ للأمراءِ بجنده وحاشِيَتِه[1]، وسكنها فاجتمع فيها أمرُه، وانضمَّ نَشْرُه. وكلُّ ذلك بعلم الأميرِ الحكمِ ومراسمه.

فلما مضت لذلك مدة، بُلِيَتْ فيها طمأنينةُ أهل طليطلةَ، كتب الأميرُ الحكمُ إلى بعضِ عمالِه بالثغرِ الأعلى في السِّرِّ، يأمرُه أن يخاطبَه مستغيثًا من جَيَشَانِ العدوِّ بجهته، وحاجته إلى الخروج إليه والدفعِ لـه عن حريمهم، ويسأله إخراجَ المَدَدِ إليه من حضرته. فاظهر الأميرُ الحكم الانزعاج لذلك، وبادرَ بتجريدِ جيشٍ كثيفٍ إلى الثغر لقمع العدوِّ، واستنفر معهم مُطَّوِعَةَ[2] أهل قرطبةَ وقَوَّدَ[3] جيشه ابنه عبدالرحمن، وكان أثيرًا لديه، قد استبان النَّجَابَةَ منه - وإنما سِنُّه يومئذ أربعَ عشرةَ[4] سنة - فجرَّدَهُ في هذا الوَجْهِ، وأخرجَ معه عدةً من وزرائه وقواده، ونَوَّهَ بمسيره في وجهه ذلك، فنفذ له.

واجتازَ بمدينة طليطلة، فلم يَعْرِضْ لدخولها، ونزلَ بمكانٍ يُدْعَى بنحاوس[5]

(١) ص: وحاسيته.

(٢) ص: مطاعة.

(٣) ص: وقد.

(٤) ص: أربع عشر.

(٥) كذا في الأصل، ويرى فيديريكو كوريتي أن صواب الاسم قد يكون "محارس" وكان من محلات الجيوش بين شُطْران وطليطلة كما جاء في السفر الخامس من "المقتبس". (تحقيق تشالميتا وكوريتي، مدريد ١٩٧٩، ص١٠٢). وورد اسم "محارس" - ويقابله في القشتالية Caserio de Mohares - في مجموعة وثائق المستعربين (الذميين) الطليطليين التي نشرها جونثالث بالنثيا، الوثيقة رقم ١٠٤٥.

بشرقيها، فتلقاه هناك الخبر من الثغر الذي كان يؤمه في انفساخ عزمِ العدوِّ الجائشِ له في الخروج إلى بلد الإسلام، وكفايةِ اللهِ تعالى لِهَمِّه، وجنوحه إلى السلم، فتوقَّفَ العسكرُ، وأزمع الولد[1] عبدالرحمن على الرجوعِ إلى قرطبة.

فقال عمروسُ عند ذلك لأهل طليطلةَ: قد تَرَوْنَ نزولَ هذا العسكرِ إلى جانبي وما يلزمني من الخروجِ إلى الولدِ عبدالرحمنِ وقضاءِ حَقِّه، وذاك لازمٌ لكم، فإن نَشِطْتُم لذلك، أو من نَشِطَ له منكم صِرتُمْ معي، فَخَرَجْتم من لازمِ حقِّه، وإلا مضيتُ وحدي.

فنشطوا لذلك، وخرج، فخرج معه وجوهٌ منهم، حتى أتوا عسكرَ الولدِ عبدالرحمن. فلما وصل عمروسُ إليه سَرَّهُ وبَشَّرَ به وأكْرَمه، واستأذنَ لمن معه من وفد طليطلة، وعرفه بِدارِهُمْ إلى لقائه وقضاء حقه. فأذن لهم، فدخل إليه، وأكرمهم وأثنى عليهم وبَسَطَهم، حتى تمكنتْ طُمَأْنِيْنَتُهُمْ وأحْمَدُوا رأيهم في استلطافِ ابن أميرِهم.

وتهيأ خلال ذلك لخادمٍ خاصٍّ كان الأميرُ قد أرسله مع الولد عبدالرحمن، أوْدَعَهُ كتابًا لطيفًا منه خاصَّةً إلى عمروسَ بإنفاذِ الحيلةِ على أهل طليطلة، دفعه إليه مصافحاً له في مدخله إلى الولد من غير مكالمة، قرأه / عمروس في خلوته، فاعتزم على الصريمة[2].

٩٤/ أ

وأشارَ على وفد طليطلةَ بأن يسألوا الولدَ عبدالرحمن الدخولَ إلى بلدِهِمْ، كيما يُعْلِنَ الرضا عنهم والأنس بهم، فيضاعفَ بذلك تكرمَتَهُ لهم، وأوحى[3] إليهم في سره أن ذلك أخْدَعُ له ولأهلِ عسكره، وأجْلَبُ لِهَيْبَتِهِمْ لهم، وأملأُ لعيونهم وصدورهم، إذا شاهدوا من كثرتهم ومنعتهم ما يزيد على ظنونهم. فأعْجَبَهُمْ

(١) ص: العدو الولد، وقد ضرب الناسخ خطًا على الكلمة الأولى علامة على شطبها.

(٢) الصريمة إحكام الرأي والعزيمة فيه.

(٣) ص: ووحى.

ذلك منه، واعتدُّوهُ من صدقِ نصيحتِهِ لهم. فدخل القومُ إلى عبدالرحمن، وسألوهُ ذلك، وضَرَعُوا لـه في إسعافِهم، فأظهر الكُرْهَ لذلك والتأبِّيَ منه، إذ ليس عنده عهدٌ من الأمير والده. فكأنما أغْـرَوْهُ بإتيانه، وسدُّوا عليه أبوابَ اعتذارِه، واستشفعوا بعاملهم عمروسَ إليه وبكبارِ أهل عسكرِه، وألَحُّوا في سؤاله حتى أسعفهم بَعْدَ بُطْءٍ.

ومضى معهم إلى مدينتهم، فأقبلوا به نحوها يَزُفُّونَه زَفَّ العروسِ، ولا يعلمون ماذا هيأه المقدار به من حتوفهم. فدخل الولد عبدالرحمن إلى طليطلة[1]، ونزل مع عامل أبيه عمروس في تلك القصبة. وانثال عليه أهلُ طليطلة أفواجًا يستبشرون به، ويتنافسون في تكريمه، وهو يُوسِعُهم من ذلك أوفره، ويقسِمُهُ في أكابرِهم حسبما يُرَتِّبُهم عمروسُ في منازِلِهم عنده.

وأشاع عمروسُ أن الولدَ عبدالرحمن أمره أن يَتَّخذَ لهم صنيعًا حافلاً عنده، يدعوهم لشهودِه، ليعُمَّهم بكرامته، فتشوفوا[2] إلى تمام ذلك، وشَرِهوا إلى نعيمه. فتقدم عمروس في الاستعدادِ لذلك، وجمع ما يُحْتَاجُ إليه فيه، وشرع في ذَبْحِ الحيوانِ، وإعدادِ الأخبازِ، واتخاذِ صنوفِ الأطعمةِ والحلوى، وتهيئة الآلات، فاستكثر من ذلك، وأمر بإنذار وجوهِ أهلِ طليطلةَ على طبقاتهم لمشاهدةِ دعوة الولدِ عبدالرحمن وافدهم، والاشتراك فيما بسط من كرامتهم، فيحضرونه[3] مُسْتَبِقِين في اليوم الذي حَدَّ لهم.

وأمر عمروسُ الحجابَ بالإيعازِ إلى من وافى منهم، بأن يكونَ دخولُهُمْ من آخر بابي القصبةِ المحدودِ لدخولهم من قُدَّامها، وخروجُهُمْ على بابها الآخر من ورائها، فَرَقًا من ازدحامِهِمْ واغتصاصِ القَصْرِ بهم. وليتقدَّموا إلى مُمْسكي دوابِّ

(١) ص: إلى طليطلة، اللفظان مكرران.

(٢) ص: فشرفوا، وما أثبتناه أقرب إلى السياق.

(٣) ص: فيحصونه.

رُكْبانِهِمْ بتحويلِها إلى بابِ الخروجِ راقِبينَ لِخروجِهم فترتَّبَ ذلك كلُّه.

وتكفل رجالُ عمروسَ بإحكامه، وقد أقام السَّيَّافين على شفيرِ تلك الحفرة، التي أعدَّها بجَوْفِ القصرِ لِرَمْيِهِمْ، مُصْلِتِينَ سيوفَهم مُشَمِّرين عن سواعِدِهم، يُجَاءُ إليهم بزُمْرةٍ بعد زمرة منهم، فَيَضْرِبونَ أعناقَهم، ويَقْذِفون في الحفرةِ أجسادِهم، حتى أتى القتل فيهم على آلاف.

ولم يرتَفِعْ عنهم، وقد اعتلَى النهارُ بهم، إلا بإشعارِ رَجُلٍ فَطِنٍ / منهم وافَى ٩٤/ ب في أُخْرَيَاتِ الناسِ، ولم يكن لقِيَ في مَجيئِه أحدًا منصرفًا من الناس، فارتابَ بذلك، وقال لِمَنْ حَوْلَه: "يا هؤلاء ما فعل جيراننا من الملأ الذين تقدموا بُكْرَةً؟" فقالوا: "إنهم يخرجونَ من البابِ الآخرِ دُبُرَ القصبَة". "ويَمْضُونَ إلى أين؟ فإنني لم أَلْقَ منهم أحدًا. تعلَّموا والله أنهم دخلوا مَدْخَلاً لا مَخْرَجَ لهم عنه!". ثم رفع رأسه، فبصرَ ببخارِ الدَّمِ مُصَّاعِدًا في الهواءِ، فنادَى في الناس: "جُمْعتُم والله بضَعْفِ عقولكم يا أهلَ طليطلة! وهذا السيف يَعْمَلُ فيكم عَمَلَه منذ غُدْوَة. هذا والله بخارُ الدَّم لا بخارُ الأطعمة". وولَّى منصرفًا، فكان السببَ في إشعارِ الناسِ، وتوقُّفِ من بَقِيَ منهم عن ورودِ المَنِيَّة.

فذلَّ أهلُ طليطلة بعد هذه الوقعةِ، وهانوا وألقَوْا بأيديهم إلى طاعَةِ الأميرِ الحكمِ، واستقاموا على الطريقة، فاستقرَّ عندهم الولدُ عبدالرحمن مُدَّة، وتداولَهم العمل برهة، ثم لم يلبثوا إلا رَيْثَ ما امتدَّتْ بهم الأيامُ في ظلِّ الطاعَة، فثابَ عَدَدُهم، وجُبِرَ صَدْعُهُمْ، واستقلُّوا من نكبتِهِم، فسارَعوا إلى النَّكْثِ، وعادوا إلى مِلْكِ أنفسِهم ونَبْذِ الطاعة.

اجتلب أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية من خبرِ محنةِ أهلِ طليطلةَ هذه بِحيلةِ عاملِهم عمروس[1] الوشقيِّ المعروفِ بالمُوَلَّدِ عليهم، كالذي اجتلبه

(١) ص: عمروش.

الحسن بن محمد بن مُفَرِّج(١)، وزاد في آخره أن الولد عبدالرحمن شاهدَ مكانَ تضريبِ رقابِ المقدَّمِينَ منهم إلى الحفرةِ بنفسه. فلشدَّةِ ما أثار بَصَرَهُ بريق السيوفِ بأيدى الخابِطِينَ لهم ما عَرَاهُ شِبْهُ الغَمْزَةِ(٢) في عَيْنِه، فلم تفارقْهُ إلى أن مات[22].

قال: [23]

وزَعَم أهلُ طليطلةَ، أنَّ القتلَ انتهى فيهم إلى خمسةِ آلافٍ ومئاتٍ زائدة، إلى أن وافَى في أخرياتهم رجلٌ ذو نكْرَاءَ انتهى إلى البابِ الذي كان منه الدخولُ، ولم يَلْقَ من المنصرفِين أحدًا. فأنكر ذلك، وقال لمن حوله: يا هؤلاء، ما فعل أصحابُنا الذين دخلوا منذ الغُدْوَةِ؟ فقيلَ له: خَرَجُوا من البابِ الآخرِ / دُبُرِ القصرِ. فقال: /٩٥ أ وطاروا إلى حيث [24] . . . ما إنْ لقيتُ منهم والله أحدًا. ـ وقولي فيهم قولُ قُسِّ بن ساعِدَةَ في المَوْتَى: «ما لي أرى الناسَ يذهبونَ ولا يَرْجِعُون»[25]، الكلام كله، أن لأصحابنا شأنًا غيرَ شأننا ـ.

ورَفَعَ رأسَه نحو القصر، فنظرَ إلى بخارِ الدمِ مُصَّاعِدا، فنادى: «يا سُوءَ صَبَاحِكُمْ يا أَهْلَ طليطلة! تَبًّا لكم آخرَ الدَّهْرِ! وهذا السيفُ يعملُ فيكم عَمَلَه منذُ الغَدَاة(٣)، فقد أبادَ خيارَكم وصُلَحاءكم. هذا والله بخارُ الدمِ لا بخارُ الطبيخ!» وولَّى منصرفًا، فكان سببَ نجاة(٤) مَنْ بَقِيَ بطليطلة.

فاستكانوا غِبَّ هذه الوقعةِ لعمروس، وذلَّت نَوَاصِيهم، واستقامتْ طاعتُهم بَقِيَّةَ أيامِ الحكمِ، ثم أيامَ ولده عبدالرحمنِ كُلِّها. ولم يَبْعُدْ أن انْجَبَرَتْ صُدوعُهم، وأَبَرُّوا وكثروا. فلما هَلَكَ عبدالرحمنِ ووَلِيَ ابنه مُحَمَّدٌ عاجَلوه بالخَلْعِ، وتهافَتُوا إلى الحَرْبِ، فَنَشَرُوا(٥) فتنَتَهم، وعادوا إلى أسوأ أعمالِهم. وطالتْ مدةُ الخلافِ(٦)

(١) بعد هذا اللفظ: سراء، ولا معنى لها، ولعل الصواب: سواءً.

(٢) ص: العهدة.

(٣) ص: الغدات.

(٤) ص: نجات.

(٥) ص: يشبروا.

(٦) ص: الخلافة.

بهم، فما استقامت لهم طاعةٌ صادقةٌ إلى أن صارت الخلافةُ إلى عبدالرحمنِ بن محمد الناصرِ لدينِ الله، الذي به نُسِخَت الفتنةُ وثبتت الجماعة.

سنة اثنتين وثمانين ومائة:

جُلُّ ما جَرى فيها، وفي التي تليها، دخولُ أبي أيوبَ، سليمانَ بن الأميرِ عبدالرحمنِ بن معاويةَ إلى الأندلسِ، كان إليها من أرضِ العدوة منازعًا لابْنِ أخيه الحكمِ بن هشام سُلْطانها، وسَعْيُهُ بالفسادِ عليه، وسُمُوُّه لمقارَعَتِه ولقائه، إلى أن أدالَ الله الحكمَ عليه، فقتلَه وأراحَهُ اللهُ منه، ولَفَّ عاديَةَ أخيه المُظاهِرِ له، عبدِالله بن عبدالرحمن عَمِّه الآخر باصطلاحِه معه، فصَفَا له بعدَهُمَا مُلكُ الأندلس، وأجمع أهلُها عليه، فاشتدَّ سلطانُه. وقد تقدَّم ذكرُ ذلك في بابه، فغَنِينا عن إعادته[26].

سنة ثلاث وثمانين ومائة:

فيها - إلى أقاصيصِ ابنَيْ عبدالرحمنِ بن معاويةَ مع ابْنِ أخيهما الأميرِ الحكمِ -: اضطربت حالُ أهلِ الثغرِ الأعلى بالتياث[1] وقَع ما بين بُهْلُولِ بن أبي الحجَّاج، وأبي عِمْرَانَ وبني سَلَمَةَ، وكانوا قبلَ ذلك يدًا واحدةً، فاختلفوا، ثم تقاطعوا والْتَقَوْا، فَوَقَعَتْ حَرْبٌ بليانة[2] أياماً. فانهزمت العربُ المنضوونُ إلى بني سَلَمَةَ، وانهزم بنو قَسِيٍ، وقُتِلَ قائدٌ لهم: غَسَّان والعَجَنَّس وعددٌ من الرؤساء. وكان عبدالله بن الأمير عبدالرحمن عَمُّ الأميرِ الحكمِ في هذا الوقت، مع أبي عِمْران يسعى للفساد[3] جُهْدَه.

وفيها غدر أهلُ بنبلونة بمُطَرِّفِ بنِ موسى فقتلوه.

(١) ص: بالسيات.

(٢) كذا في الأصل، ولم نهتد لوجه في التحقق منها.

(٣) ص: الفساد.

سنة أربع وثمانين ومائة:

/٩٥ ب / فيها، دخولُ الأميرِ المعروف بالبلنسيِّ، مدينةَ وَشْقَةَ مع العربِ، فصارَ بها، وغزاهم بهلولُ بن أبي الحجاجِ، فنازلهم بوشقة، وحاصرهم حتى فتحها، وتفرّق العربُ عنها، ففارقهم عبدالله البلنسيُّ، ولَجأ إلى كورةِ بَلَنْسِيَة، فكان منجمه[1]. فحلَّ بها في هذا العام.

وفي آخرِهِ هلكَ أبو عِمْرَان.

وقال عيسى بن أحمد:

في سنةِ خمسٍ وثمانينَ ومائةٍ، كان حصارُ بهلولِ بن أبي الحجَّاجِ لعبدالله بن الأميرِ عبدالرحمنِ المعروف بالبلنسيِّ وبني سَلَمَةَ المُضَامِّينَ له إلى مدينةِ وشقة. ونَقَبَ عليهم البرجَ الذي كانوا تحصَّنوا فيه من جوانبِهِ، فانهدمَ، وهلك فيه بنو سلمة، ونجا عبدالله البلنسي، فلَحِق ببلنسية.

وفيها قُتِلَ سليمانُ بن الأميرِ عبدالرحمنِ بن معاويةَ إثْرَ انهزامِهِ عن الوقعةِ بِبَرْكِلُونَ، مع ابنِ أخيهِ الحكمِ بن هشامٍ. وقد مضى ذكرُ ذلك فيما قد تقدَّم ذكره.

سنة خمس وثمانين ومائة:

فيها غلبَ العدوُّ من الفِرِنْجَةِ ـ قَصَمَهُمُ الله ـ على مدينةِ بَرْشِلونَةَ، قاصيةِ ثغرِ المسلمينَ الشَّرْقِيِّ مِمَّا يليهم. انتهز فيها الفُرْصَةَ أيامَ اضطرابِ أهلِ الثغرِ الأعلى على الأميرِ الحكمِ، واشتغالِهِ عنهم بحَرْبِ عَمَّيْهِ[2]، سليمانَ وعبدالله ابنَي الأميرِ عبدالرحمن بن معاوية. فأصابَ العدوُّ غِرَّتَه من المسلمين، وفَلَّ ثغرَهُمْ هذا،

(١) كذا، ولعل صواب العبارة: "فكان [منها] مَنْجَمُه" أي مستقره الذى كان منه طلوعه، يقصد إعلانه بالثورة والعصيان.

(٢) ص: عمه.

فحازَه إليه، ونقلَ رابطتَه إليه، وقهقرَ برابطةِ المسلمينَ إلى ما دونَ برشلونة، وأناخَ عليها بِكَلْكَلِه، وحصَرَها بجَمْعِه، وأميرُها يومئذٍ سعدونُ الرُّعَيْنيُّ، لم يُمِدَّهُ أحدٌ من المسلمين، فملكها العدوُّ عليهم، وانتقلت إليها يومئذٍ رابطةُ الفِرِنْجَةِ عن مدينة جِرُنْدَة. فعَظُمَتْ بذلك على أهلِ الإسلامِ الحَسْرَة[27].

وفيها جرَّدَ الأميرُ الحكم إثر فراغِه من حَرْبِ عَمِّه سليمانَ الصائفَةَ إلى أرضِ العدوِّ ـ قصمه الله ـ، وولَّى قَوْدَها أخاه معاوية بن الأمير هشام بن الأمير عبدالرحمن، فقصدَ بها بلد ألْبَة[1] والقلاع، فابتُلِيَ عسكرُهُ بفَجٍّ أرْغَنْسُونَ[28] في شهر رمضانَ منها، وأُصيبَ قومٌ منهم من الوجوه: منصورٌ الخصيُّ الصِّقْلَبِيُّ، وذو القَرْنَيْن، وابنُ الخَوْلانِيِّ، وامرُؤُ القيس بن حيوة، وعبدوسُ بنُ السَّمْحِ وغيرهم. وقفل معاوية بن الأمير هشام بالجيشِ إلى قرطبة شديدَ الاغْتِمامِ بما / جرَى على عسكرِه، فماتَ فيها إلى اثنين وستين يومًا من تاريخِ قُدومِه، وذلك في ذي القعدة منها[29]. ٩٦/أ

وفيها صار عبدالكريمِ وعبدالملكِ ابنا عبدالواحدِ بن مُغيثٍ العاصيانِ للأميرِ الحكمِ إلى سَلَمَة بن قاسم الشرول مستأمِنَيْنِ نازِعَيْنِ عن الخلافِ، فائِبَيْنِ إلى الطاعة، فسفر لهم الأميرُ الحكمُ، وجرَتْ بينهما وبينه الرسلُ حتى زالت وَحْشَتُهُما، واطمأنَّتْ نفوسُهما، وأكَّد الأميرُ أمانَهما. فتمَّ ذلك لهما في صدر سنة ستٍّ وثمانينَ بعدَها. وسبقَ عبدالكريم منهما بالورودِ إلى قرطبة، ثم تلاه أخوهُ عبدالملك، فلاقيا لدى الأميرِ الحكم أكثرَ مِمَّا قدَّراه من الإعتابِ والمودَّة والوفاءِ بالعهدِ والإعلاءِ للمَرْتَبَة، فاطمأنَّا إلى مكانِهِما، واجتهدا في تصحيحِ الولايةِ وبَذْلِ النصيحة.

---

(١) ص: البت.

سنة ست وثمانين ومائة:

وفي هذه السنة، استعمل الأميرُ الحكمُ عمروسَ بنَ يوسُفَ، المعروفَ بالمُوَلَّدِ صنيعتَه على الثغر الأعلى، ورَمَى به أهلَ الخلافِ عليه، وضمَّ إليه الرجالَ، وأطلق[1] يده في الإنفاق، فخرج إلى الثغر، ووطئ أهل الخلاف فيه وطأة المتثاقل، فقتل بهلولَ بن أبي الحجَّاج، وتغلَّب على بلاد بني قَسيٍّ، وبني جبلَ تُطيلةَ، مدينةٌ حصينةٌ ضمَّ إليها من كان حواليْها[2] من المسلمين بغَرَرٍ عليهم، وكثروا وأضْحَوْا شَجىً في حلوقِ العدوِّ. وولَّى عليهم يوسفَ ولَدَه. ونجا بنو قَسِيٍّ لما غلب عمروسُ وضبطَ ما في يده من الثغر، فملكه شديداً، وزمَّ أهله، وأدارَ على المولدين بوشقة الحيلةَ، فقتلهم وأذلَّ جماعتهم، وكان معَهُ في التدبيرِ عليهم الولدُ عبد الرحمن بن الحكم، وذلك في صفر من هذه السنة.

وقال عيسى بن أحمد:

ما سمعنا عن حيلة لعمروس على المولدين بوشقة، وإنما جرى ذلك منه على أهل طليطلة في القصة التي مضى ذكرها، وكان معه فيها الولدُ عبدُ الرحمن بن الأمير الحكم، وذلك قبل ولايةِ عمروسَ الثغرَ الأعلىَ بمدة.

وقال معاوية بن هشام القرشي الشبينسي:

قلَّد الأميرُ الحكم عمروسَ بنَ يوسفَ الثغرَ الأعلى، في سنة ستٍّ وثمانين ومائة، فخرج إليه، وقابلَ أهلَ الخلاف فيه، فقتل رأسَهم بهلولَ بنَ مرزوق [30 / وجماعة إليه من بني قسي وغيرهم، وبني جبلَ تُطيلة، فاتخذه مدينةً نفيسةً ٩٦/ ب لحقت بامهات المدن، أحسنَ عمارتها، وضمَّ إليها مَنْ كانَ فيها من المسلمين حواليها، وقلَّدها يوسف ابنه في نُخْبَةٍ من رجاله أشْجَوْا[3] العدو يضربونَ بِسَدٍّ في وجهه.

(١) ص: واطملن.

(٢) ص: جرا إليها.

(٣) ص: أشجر.

ولَجَّ ببني قَسِيٍّ[١] الخلافُ، فلجؤوا[٢] إلى الشرك، وألَّبوا أهلَ بنبلونة وألبة والقلاع وأماية[٣] [31] وما والاهم من الشرطانيين [32] وغيرهم، وأجلَبُوا على عمروسَ مُجْلَبَهُمْ، وقد استغلظ أمرُه بالثغر، وتفرَّد بملكه، وكان ينزل قاعدته سرقسطة، ويُنْزِلُ ابنه يوسفَ تُطيلة، وينزل ابنُ عَمِّه شَبْرِيط[٤] وشقة.

فغزا فرتون الأعرج القَسَوِيُّ[٥] في جموع الشركِ يوسفَ بن عمروسَ بتُطيلَة، ونازَلَهُ حتى فَتَحَها وأسَرَ يوسفَ، فبعثَ به إلى صَخْرَةِ قَيْسٍ [33] فحبسه فيها. وقام أبوه عمروسُ لاستنقاذه، فجمعَ الجموعَ ولاقى فرتونَ ومن معه، فجَرَتْ بينهم حربٌ شديدة، انهزم عنها فرتونُ وأحزابُه من المشركين، فقُتلوا قتلاً ذريعاً، وتقدم شبريط [ابن عم] عمروس إلى صخرة قيس، فنازلها وفتحها، فقتل من ألفي فيها، واستنقذ ابن عمه يوسف، فجاء به إلى عمروس والده، وانتصر عمروس من أعدائه انتصاراً لا كفاء له.

سنة سبع وثمانين ومائة:

فيها، الصلحُ بين الأميرِ الحكمِ وبين عَمِّه عبدِ الله بن الأمير عبد الرحمن، المعروف بالبلنسيِّ، فدخل عبدُ الله بن عبدالرحمن في الجماعَة، على[٦] أن يستقرَّ نزولُه بمدينة بلنسية، ولا يَطَأَ بِساطَ الأميرِ الحكم ابنِ أخيه. ووَفَى له الأميرُ الحكمُ بذلك بالأندلس، فمادَّه عبدُالله طَلَقَ حياتِه، وتفرَّدَ الأميرُ الحكمُ حَسْبَما تقدم ذكره، وصفا الملكُ بالأندلس للأميرِ الحكم، واشتدَّ سلطانُه، فَعَتَا وتجبَّر واعتَسَفَ رعيته.

---

(١) ص: قيس.

(٢) ص: فلجوا.

(٣) ص: أمانة.

(٤) ص: بشريط.

(٥) ص: القرى.

(٦) ص: عمل.

وفي هذه السنة، أغـزى الأميرُ الحكمُ بالصـائفة من حـضرته عـبدَالملك[1] بن عبدالواحد بن مغيث إثْرَ معاودَته الطاعَةَ، وأرسـل معه ابنَهُ عبدالرحمن بن الحكم، فدخل عبدُ الملك بالجيش إلى بلـدِ أَلَبَة والقلاعِ من دار الحرب بعد تَخَلُّفِ[2] الولدِ عبد الرحمنِ بن الحـكم بسَرَقَسـطة حتى خرج من دارِ الحربِ، وقـفلا، فَمَرَّ بمدينة طليطلةَ وعليها عمروسُ، فنزل الولدُ عبد الرحمن في دارِ أبي رباح[3].

وفي سنة سبع وثمانين هذه، كانت بالأندلس مجاعة شديدة.

٩٧/ أ / **سنة ثمان وثمانين ومائة:**

وفي هذه السنة، ولَّى الأميرُ الحكمُ بن هشام صنيعَـتَه عمروسَ بن يوسفَ الثغرَ الأعلى، وهي ولايته الثانيـة الطولَى، التي تغلب فيها على الثغر ومَـلَكَهُ أجْمَعَه، ولَبِثَ في هذه الولاية تسعَ سنينَ وعشرةَ شهورٍ وعشرةَ أيَّامٍ، وكانت وِلايَتُهُ الأولى والقُصْرَى في آخر أيامِ الخليفة هشام بن الأمير عبد الرحمن، وكانت له بينَهُما إلى الثغر مَخْـرَجٌ من غير وِلايةٍ إثر[4] التياث جرى فـيه. فأقامَ فيه شُهـوراً، لَمَّ فيها شَعَثاً مُتَبَايِناً، وفتح فتوحاً كِباراً.

فلما تولاَّه في هذه الكرة استوطنَ سرقسـطةَ، وولى ابن عَمِّه شُبْرِيطَ بْنَ عبدِ الله وَمْقَةَ، وابن نَفْسِهِ يوسفَ بن عمروسَ تُطيـلةَ. وكان بنو قَسِيٍّ قد فـارقوا الطاعةَ فضافَـرُوا المشركينَ، فأناخوا على مـدينة تطيلة، وشَدَّد[5] حصْرَها حتى فـتحها،

(١) ص: عبد الله.

(٢) ص: تخلف عبد الولد، وقد حذفنا لفظ "عبد".

(٣) لسنا نعرف ما إذا كانت دار أبي رباح المذكورة في الأصل داراً في طليطلة لأحد وجوه المدينة، أو ضيعة في إحدى ضواحي المدينة كان هذا هو اسمها، وقد يكون الرأي الثاني هو الأرجح لكثرة ما في منطقة طليطلة من ضياع وقرى كانت أسماؤها تبدأ بلفظ "دار"، مما بقي في كثير من هذه المواضع حتى اليوم. (فيديريكو كوريتي).

(٤) ص: أثر.

(٥) سقط هنا اسم الذي شدد حصر تطيلة حتى فتحها، وقد جاء فيما سبق أنه فرتون الأعرج القسوي.

وأسَرَ يوسفَ بن عمروس عاملَها، وأرْسَلَ به إلى صخرةِ[١] قيسٍ. فاستقدم عَمْرُوسُ عند ذلك شُبْرِيطَ ابنَ عمه بِمَنْ معه، وحَشَدَ مَنْ في عَمَلِه، فاجتمع له خلقٌ كثيرٌ، لقي بهم القومَ وحاربهم وهزمهم، وأذْرَعَ القتلَ فيهم. وتقدَّم [أن قَتَل][٢] شبريطُ كلٌّ من ألْفَى فيها، فكانت هذه الواقعةُ سببَ تغلُّبِ عمروسَ على الثغرِ، وإطرادِه لبني قَسِيٍّ عنه، وملكه لجميعه وظهورِه على من ناوأه من أهلِ الخلاف.

سنة تسع وثمانين ومائة:

وفي جُمادى الآخرة من هذه السنة، صَلَبَ الأميرُ الحكمُ بن هشامٍ اثنين وسبعين رجلاً من بَيَاضِ أهلِ قرطبةَ، اطَّلعَ منهم على سَعْيٍ [في][٣] الخلاف عليه، والاستبدال به. وكانوا نَمَطاً من فضلاءِ الناس ووجوههم. منهم أبو كعب ابن عبدالبر، وعيسى أخوه، ومالكُ بن يزيدَ بن يحيى التُّجِيبِيُّ ابن قاضي قرطبة الأقدم، وموسى بن سالم الخَوْلانيُّ صاحبُ السُّوقِ، وأبو زكريا يحيى بن مُضَرَ الفقيه، وكان ذا شرف وفضل بقرطبة، ومسرور[٤] الخصيُّ، ويحيى بن نصر اليَحْصُبِيُّ من ساكني قرية شَقُنْدَه في جمعٍ كثيرٍ إليهم، كانوا قد هموا بالنكثِ به والخلاف عليه، فلم يُقِلْهُمُ العِثارَ، وبطشَ بهم بَطْشَ الجبَّارينَ، وجَمَعَ لهم ما بين سَفْكِ الدماءِ وفَظَاعَةِ[٥] التمثيل، فكَوَى بهم قلوبَ أهلِ / مِصْرِهِمْ أجمعينَ. ٩٧/ ب

وكانوا انْحَرَفُوا عن أميرِهم الحكمِ إلى محمد بن قاسمٍ القُرَشِيِّ المروانيِّ عَمِّ هشامِ بْنِ حَمْزَةَ [34] جد[٦] هؤلاءِ القرشيين المعروفين ببني حَمْزَة، فَدَعَوْهُ إلى

(١) ص: سخرة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) مصرور. والتصويب عن البيان المغرب ٢/ ٧١.

(٥) ص: وفضاعة.

(٦) زيادة تقتضيها استقامة السياق.

إمارتهم، وأطلعوه[١] على سَرِيرَتِهم، واستدعَوْهُ للقيام معهم، فأراهم قبولَ ذلك منهم، والتدبيرَ لإيقاعه معهم، وقد نافقهم وبَطَنَ عليهم، ووفّى بعهد ابْنِ عَمِّه الحكم، فوَشَى إليه بهم، وأطْلَعَهُ طَلْعَ مُرادهم، وأقامَ له الدليلَ على ذلك، ووَكَلَه بالكَشْفِ عليه من غير طريقه، وفَعَلَ فوقفَ على صِحَّته.

وعاجلَ القومَ عند ذلك، فأوقعَ بهم، فذُعِرَ منه أهلُ الأندلس طُرّاً، وسارَت الرُّكبانُ بحديث سَطَوَاته الشنعاء، وتَشَزَّرَ [35] من لَدُنْ هذا الوقت لرعيَّته فقلب لهم مِجَنَّ[٢] جَوْرِه، ومَدَّ إليهم بُرْثُنَ وحشته، وأخذَ أُهْبَةَ حَذَرِه، وبدأ برمِّ[٣] شَعَثِ سُورِ قرطبة، وقوَّى أركانَه، وسَدَّ خَلاَّته، واحتَفَرَ الخندقَ حوله، وأنفذَ في هذا الوقتِ قَتْلَ عَمَّيْه مَسْلَمَةَ[٤] المشتهرِ اسْمُهُ بكُلَيْب وأخيه أميةَ ابني الأميرِ عبدالرحمن بن معاوية [36] بعد أن لبث كليبٌ منهما في السجنِ بداخل القصر ستّاً وعشرينَ سنة، إذ كان هشامٌ أخوهُ هو الذي سَجَنَهُ بتُهْمَةٍ لحقَتْهُ عنده، فمكثَ إلى أن قتله الأميرُ الحكمُ في هذا الوقتِ.

وقال القاضي ابن الفَرَضِيّ: [37]

يحيى بن مُضَرَ القيسيُّ، يكنى أبا بكر، كبيرُ القَدْرِ من أهل قرطبةَ، شاميُّ الأصلِ، سمع من سُفيانَ الثَّوْرِيِّ ومن مالكِ بن أنَس رضي الله عنه[٥] مُوطَّأه، ورَوَى عنه مالكٌ حكايةً حكاها له عن سفيانَ الثوريِّ: أخبرنا الحسين بن محمد [38]، قال: حدثنا محمدُ بن عُمَرَ بن لُبَابَه قال: يحيى بن مضر روى عن مالك ـ رضي الله عنه ـ وروى عنه مالكٌ، فقال مالك: حدَّثني يحيى بن مضرَ عن سفيانَ الثوريِّ أن

---

(١) ص: واطلعوا.

(٢) ص: فقلت لهم سجن.

(٣) ص: جرم.

(٤) ص: مسلمت.

(٥) ص: عنهم.

الطَّلْح[1] المنضودَ هو المَوْزُ. وقد رَوَى عبدُ الله بن وَهْبٍ عن يَحْيَى بن مُضَر وذكره في كُتُبه، ورَوَى عنه يحيى بن يحيى قَبْلَ رِحْلَتِه، وكان عالماً متفنناً صاحبَ رأيٍ، فكان مِمَّنْ قُتِلَ بسَبَبِ الهَيْجِ وصُلِب. وذكر بعضُ الرواة[2] عن عبدالملك بن حبيب قال: صُلِب يحيى بن مضر وأصحابه سنة تسع وثمانين ومائة، وكانوا قد أرادوا قتلَ الأميرِ الحكم. فحدثني محمد بن عيسى [39] أن الجُذوعَ كانت لهم منصوبةً من رأسِ القنطرةِ إلى آخرِ الرَّصيفِ، وكانت عِدَّتُها مائةً وأربعين جِذْعاً.

ذكر شرح هذه القصة من طُرُقٍ

ذكر عيسى بن أحمد الرازيُّ، في خبرِ أبي كَعْبٍ وأصحابِه هؤلاء المتَحَنِينَ مع أميرِهِمْ الحكمِ بن هشامٍ، أنهم كانوا اثنين وسبعين رَجُلاً من وجوهِ أهلِ قرطبة وصلحائهم. قد استنكروا سيرةَ الأميرِ الحكم وذهبوا إلى خَلْعه / والوثوبِ عليه، وارْتَضَوْا[3] محمدَ بن القاسم القرشيَّ المروانيَّ عَمَّ هشام بنِ حَمْزَةَ جَدَّ هؤلاء القرشيين الوجوهِ المعروفينَ ببني حَمْزَةَ لمكانه، فداخلوهُ في ذلك، وأخذوا له البَيْعَةَ على أنفسِهم، وحَبَّبُوا قوماً من أهلِ قرطبةَ أفسدوا ضمائرَهُمْ، فحرَّكُوهُ للقيامِ، وأطلعوه على سِرِّهِم، وعَرَّفوهُ أن الناسَ قد ارْتَضَوْهُ لإمامَتِهِم، وأن بَيْعَتَهُ قد شَمِلَتْ جماعةً منهم، واستعجلوهُ. فاستظهرهم[4] ليلةً يرى رأْيَه فيها ويقضي حَقَّ استخارةِ ربِّه.

٩٨/ أ

فلما انصرفوا عنه، رَكِبَ من فورِه إلى الأميرِ الحكمِ، فأطلعه على خَبَرِ القومِ، وتبرَّأَ إليه من نِفاقِهم، وعَرَّفَهُ شَدَّهُ لِيَدِه ببيعته متبرِّئاً منهم. فسأله الحكمُ تصحيحَ

---

(١) ص: الصلح.

(٢) ص: الروات.

(٣) ص: وارتصوا.

(٤) كذا في الأصل، ولعل الأوفق للسياق «فاستنظرهم».

قولِه وإقامة الدليل عليه. فأرسَلَ الأميرُ الحكمُ مَعَهُ العباسَ بنِ عبدِالله القرشيَّ المروانيَّ [40]، فأجلَسَهُ محمدُ بن القاسم في قُبَّتِه، وأدنَى الدواةَ والقِرْطاسَ منه، وسَدَلَ عليه السِّتْرَ في القُبَّةِ(١).

ودخلَ عليه القومُ مع الصباحِ مُتَنَجِّزِينَ لِمَوْعِدِه، فأراهم غلب المهابَةِ على حق(٢) الاستخارة، وإكبارَ الخَطْبِ مع النَّظَرِ(٣) في العاقبة، وخافَ عليهم الوَهَنَ من قِبَلِ القِلَّةِ، وسألهم تَعْدَادَ أسماءِ من قد دخل معهم في أمْرِه، وظفِرُوا منه بعَقْد بَيْعَتِه، فأقبلوا يُسَمُّونَ له من الْتَمَسَ معرفَتَه، حتى عَدُّوا من أشرافِ أهلِ قرطبةَ ووُجوهِها عِدَّةً وافرة، والعباسُ يكتُبُ ويَتَسَمَّع. ثم قال لهم محمَّد: يكون هذا الأمرُ ـ إن قَضَى الله ـ يوم الجمعة في المسجد الجامع، فإنه أَفْشَى له وأدْعَى إلى تَمامِه(٤). فانصرفوا عنه على ذلك.

وانطلق العباسُ من فورِه إلى الأميرِ الحكَم، فأعْلَمَهُ صحَّةَ القصَّة، ودَفَعَ إليه القرطاسَ بالتسميةِ، وكان ذلك يَوْمَ الخميسِ، فما أتى الليلُ حتى حُبِسُوا من آخرهِم [41].

فذكر عبدُ الملك بن حبيب، عن محمد بن عيسى الفقيه الأعشَى، أن الأمير الحكم أمر بهم بَعْدَ أيام، فصُلِبُوا على الرصيفِ قُدَّامَ قصرِه على شَطِّ النهرِ صَفّاً. وكانت عِدَّتُهم اثنينِ وسبعينَ رَجُلاً، فيهم أبو كعب بن عبدالبَرِّ، وعيسى بن عبدالبَرِّ، ومالكُ بن يزيدَ التجيبي، ومُوسى الخَوْلانِيُّ صاحبُ السوقِ، ويحيى بن مُضَرَ الفقيه، ومَسْرُور(٥) الخادم، وعدةٌ إليهم من أعلامِ الناسِ وكبرائهم. فكان

(١) ص: القبت.

(٢) ص: المحابة على حب، والتحريف واضح في هذه الألفاظ، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٣) ص: النقصر.

(٤) ص: إمامه.

(٥) ص: مصرور.

يومُهم شنيعاً بقرطبة، وكان ذلك في سنة تسع وثمانين ومائة.

وذكر بعضُ أصحاب الأخبارِ في هذا القصة، أن محمدَ بن القاسم المُتَقَرِّب[1] إلى أميره الحكم بهذه القصة، لما أكْمَنَ العباسَ بْنَ عبدالله ثِقَةَ[2] الحكم للسماع منهم تسميةَ القومِ المستجيبينَ لهم فيه وأكثرَ سؤالَهُمْ يَتَقَصَّى أعدادهم، والعباسُ يكتُبُ ـ استرابَ القومُ لكثْرَةِ تَرْدَادِهِ عليهم السؤالَ عن الأسماء. وقيلَ بلْ سَمِعَ بعضُهُمْ صَريرَ القَلَمِ، فوثَبَ إلى سِتْرِ القُبَّةِ وكَشَفَه / فإذا العباسُ يكتبُ. فلما رَأوْهُ سُقِطَ في أيديهم، وبادَروا الفرار عن الدارِ على وُجوهِهِم. فصاح العباس بِمَنْ كانَ أعدَّهُ بخارِجِها، فأخذُوا بأجْمَعِهِمْ، ومضى بهم إلى الأميرِ الحكمِ، وبالكتاب الذي فيه تَسْمِيةُ أصحابِهِم فَتَتَبَّعهم أجمعينَ، وأمرَ بصَلْبِهِم. ‏٩٨/ ب

وقال ابنُ حبيب:

فَمَرِجَ الناسُ بعد الحادثة على هؤلاء الوجوه فيهم، وثبَتَتْ عداوَتُهُمْ لسلطانهم، فكانوا يجتمعون في المساجدِ والمحافلِ يخوضونَ في شأنهم، ويكبرونَ ما جرَى عليهم، ويتَّصِلُ ذلك بالأميرِ الحكمِ، فيتوقَّعُ ثَوْرَتَهم، ويتأهَبُ لانتكاثِهم، فأمر عند ذلك ببناء سور قرطبة وتقويتِهِ ورَمِّ ما تشعَّثَ منه، وجدَّ في ذلك وأشرفَ عليه حتى تمَّ على ما أراده، واستوفَى من المَنَعةِ حَظَّه. ثم احتفر باقيَ الخندق حَوَالَيْها، فأنْعَمَها حَصانَةً، وشدَّ ضَبْطَ الرَّعِيَّة، وأشْعَرَها الرَّهْبَةَ، فتأكدتْ أحقادُهُمْ عليه، وقعدوا يَرْتَصِدُونَ له الغِرَّةَ.

فتأخر وثوبُهم به الوثوبَ العامَّ مدةً طويلةً، كانت بينها هَيْئَةٌ شديدةٌ، عَجَّلَ الله إطفاءَها، وأرْجَا الحادثَةَ الكُبْرَى بعدها سنينَ كثيرةً، هاجتها عامَّةُ قُرطبةَ سنةَ تسعين ومائة، والأميرُ الحكَمُ غائبٌ عنها مُقيمٌ على حِصْنِ ماردَةَ، فجاءَهُ الخبرُ

(١) ص: المقترب.

(٢) ص: ثقت.

عنها بسرعةٍ خاطَبَهُ به المتخلفون في السَّطْحِ من وُزَرَائه وثقاته، بأن سوادَ أهل قرطبةَ أنكروا أمراً من تحامُلِ السلطانِ، أعلنوا به الذمَّ له والبراءَةَ منه، وتداعَوْا إلى صاحبِ السوقِ المُتَحَدَّثِ له بالسِّلاحِ، ومَنَعُوهُ الحُكْمَ في الذي أنكروه، وبدا من مكنونِ ما يُضْمِرونَه ما اشتدَّ الخوفُ منه [42].

فاستعجلَ الوزراءُ تعريفَه لما كانَ منهم، واستَدْعَوْا حضورَه، فانْكَفَأَ مُبادراً نحو قرطبة ولم يتلَعْثَمْ وأغَذَّ السير، فدخلها إلى ثلاثة[1] أيامٍ. وكَشَفَ على الذي أثارَ هذا الهَيْجَ، ولَبَّبَ[2] الجماعةَ، فَنُصَّ له على رجلٍ من العامة بالسوقِ الرَّبَضِيِّ، يقال له دَيْبَل أنه الذي أعْلَنَ بالذَّمِّ وضجَّ عن الأذى فأثارَ الهَيْجَ، واستجاش العامَّةَ، فالتَفَّتْ به، وسَعَى للفتنة.

فأمَرَ الأميرُ الحكمُ بطَلَبِه، وجَدَّ في إحضاره، فلَفَظَتْهُ الأرْضُ، وَجِيءَ به إليه، فأمرَ بصَلْبِه مُنَكَّساً، فنفذ الأمرُ عليه، وضُرِبَتْ أعناق جماعة ممَّنْ كان تأبَّشَ معه، فارْتَدَعَتْ بذلك العامة، وهَدَأت الفتنة، وخِيفَ السلطانُ أشدَّ المَخَافة، وأقبلَ كلُّ امرئٍ على شأنِه فيما يظهر[3]، ونارُ العداوة في قلوب الناس مُتَسَعِّرَةٌ، حتى الْتَظَتْ بَعْدَ ما مضى اثنتا[4] عشرة سنة، فحَلَّتْ بهم الفاقرةُ التي يَجيءُ ذِكْرُها في وقتها. وَانْهَمَكَ الأميرُ الحكم خلالَ ذلك في استِضْمامِ الرجالِ وإكثاف[5] الجند، وابتياعِ العبيدِ، وإعدادِ السلاحِ، واتخاذِ العُدَّة، لا يطمئنُّ إلى دَعَةٍ ولا يسكنُ إلى طُمَأْنينة.

وذكر صاحب الكتاب الخزائني: [43]

---

(١) لفظ ثلاثة مكرر في الأصل.

(٢) لَبَّبَ أي أنذر الجماعة واستصرخهم.

(٣) ص: يضهره.

(٤) ص: اثنتي، وقد تكون العبارة "بعد مُضِيِّ اثنتى عشرة سنة" بحذف "ما".

(٥) ص: واكثاف.

ـ وذلك آخِرُ خبرٍ تَضَمَّنَه ـ قال: / نافق على الأمير الحكم قومٌ من فقهاءِ قرطبة ٩٩/ أ ووجوهِها، فيهم أبو كعب بن عبدالبر، وأخوه عيسى، ويحيى بن مضر، وموسى الخولاني. وقد كان وَلِيَ خُطَّةَ السوقِ بقرطبة، وفَتْحٌ أخو يحيى بن أبي عيسى، وغيرُهم، وأرادوا خَلْعَه وتقديمِ ابن أبي القاسمِ القرشي، ودَعَوْا إليه، فغَدَر بهم وتنصَّحَ بِخَبَرِهِمْ على الأمير الحكمِ، وسأله الحكمُ البرهانَ، فقال له: أرسِلْ معي ثقةً لك أُسْمِعْهُ كلاَمهم، فأرسلَ معه العباسَ بن عبدالله القرشي. فجاء به ابن أبي القاسمِ إلى دارِه، فأدخله إلى قُبَّته، وسَدَلَ عليه السترَ، ثم أرسل[١] إلى دُعاته أولئك على عادة له [يسألهم][٢] عمن استجابَ لهم ومَنْ على رأيهم من وجوهِ الناسِ؟ فجاؤوهُ، فجعل[٣] يسألُهُمْ عمَّا قضوه بعده، وما الذي اعتزَمُوا عليه ويَتَّبِعُهُمْ؟[٤]، فجعلوا يُسَمُّونَهُمْ رجُلاً رجلاً، وهو يستحثُّهم[٥] فيتذكرون ويُسَمُّونَ، وكلما سَمَّوْا رجلاً بادرَ العباس فكَتَبَ اسْمَه، حتى ارتابوا بتقصِّيه عليهم، فوَثَبَ أحَدُهُمْ إلى سِجْفِ القُبَّة، فإذا العباسُ قاعد بيدِه قرْطاسُه.

فلما رَأَوْهُ سُقِطَ في أيديهم، وابتدروا الهربَ، فأمَرَ العباسُ بأخْذِهِمْ، وقد كانَ استظهرَ بأعوان أعدَّهُمْ لذلك، فأخذهم أجمعين، ومضَى بهم العباسُ إلى الأميرِ الحكمِ، وقصَّ عليه الخبرَ، وناولَه الكتابَ الذي فيه تسمِيَتُهم. فأمَرَ بِصَلْبِهِم، فصُلِبُوا أجمعين، وأصبَحُوا للناس مَذْعَرَةً. وكان ذلك في سنة تسع وثمانين ومائة من الهجرة قَبْلَ[٦] هَيْجِ الرَّبَضِ بثلاث عشرة سنة.

---

(١) ص: أر.

(٢) يبدو أن هذا اللفظ أو ما يقاربه في المعنى قد سقط من النص.

(٣) ص: فجاءه يجعل.

(٤) ص: يستتبعهم، ولها وجه يمكن قبوله بتأول، ولكن ما أثبتناه أوفق.

(٥) ص: يستبحثهم.

(٦) قبل مكررة.

وذكر أبو بكر بن قابل[1] قال:

حدثني الشيخُ محمدُ بن عمر بن لبابة، عن عثمان وغيره، ممَّنْ أدركَ أيَّام الهَيْج بالرَّبَض بقرطبة فقال: [صلَبَ][2] الأميرُ الحكمُ يَوْمَ الهَيْج فيمن صلَبَ من أهلِ قرطبة يحيى بن مضرَ القيسي، وكان ممَّنْ رَوَى عن مالك.

سنة تسعين ومائة:

وفي هذه السنة، غزا الأميرُ الحكمُ مدينةَ[3] ماردَة، وقد أنْتَزَى عليه فيها زعيمُ أهلِها،[4] أصْبَغُ بن عبد الله بن وَانْسُوسَ، ودَفَع طاعَتَه، فحاصَرَها ـ وهو الحصار الأول ـ وأفسد زُروعها، وبَيْنَا هو جادٌّ في ملازَمَة أهلها، جاءَه الخبرُ أن دَهْمَاءَ أهلِ قرطبة وسوادها أعْلَنُوا بالذَّمِّ، وتداعَوْا إلى صاحب السوق بالسِّلاح، وقَمَعُوهُ الحكم في السَّطْح إليه بما كانَ منهم[5]. فلم يستقرَّ بماردة، فَرَحَلَ[6] عنها وصَدَرَ قافلاً إلى قرطبة، فقطعَ الطريقَ في ثلاثة أيام، ودَخَلَ القصرَ، فعاقبَ النَّفَرَ الذين سَعَوْا للفتْنَة، وهَدَأ الناسُ بعدُ وسكَنَتْ أحوالُهُمْ مُدَّةً، على ما بهم من نَغَلِ الضمائرِ وخُبْثِ الطويَّة.

وترددت الغزواتُ على ماردةَ من قِبَلِ الأميرِ الحكمِ بعد انصرافه عنها في هذا

(١) ص: نابل، والصواب ما أثبتنا، فهو أبو بكر الحسين بن محمد بن قابل الذي أشرنا إليه في التعليق رقم ٣٨ وهو الذي ترجم له ابن الفرضي برقم ٣٥٣ وكان من شيوخه.

(٢) زيادة يكتمل بها السياق.

(٣) مدينت.

(٤) أهلنا.

(٥) هكذا وردت العبارة في الأصل، ويظهر أنه وقع فيها سقط جعل فهمها مستغلقاً، ولو أن السياق يوضح المقصود منها، فالمراد أن الذين خلفهم الأمير الحكم في سطح القصر - وكانت تلك عادة الأمراء حينما يغيبون عن قرطبة - أبلغوه ما كان من أولئك الثوار.

(٦) ص: فحل.

الوقت أعواماً سبعةً، / حتى فتحت في العام السابع سِلْماً، بصُلْحٍ انعقدَ لأصْبَغَ ٩٩/ ب ابن عبدِ الله بن وانسوس، خرج به عن مدينة ماردة، وصارَ في مَصَافِّ الأميرِ الحكمِ بأرفعِ مَنْزِلَة. ودخل عامِلُه بَعْدَهُ لماردة. وسَمَحَ الأميرُ الحكمُ بعد ذلك لأصبغَ بن عبد الله في الاختلاف إلى ضياعه بماردةَ ومطالَعَتِها[١] أيَّ وقتٍ يشاؤه، ثم لزومِ المصافِّ بقرطبة، فلم يَنْظُرْ لشيءٍ من ذلك.

وقد كان استأمَنَ قبلَه إلى الأمير الحكم، عبدُ الجبَّارِ بن زَاقِلة، فارسُ ماردةَ وصالِي حَرْبِها، كاتبه فُطَيْسُ بن سليمانَ عن الأمير الحكم، ووَعَدَه ووثَّقَ به واستماله، فنَزَعَ إلى الأميرِ، ولحِقَ بقرطبة، ونزع إثْرَهُ أيضاً عبدُ الصمد بن عبدالله ابن وانسوس أخو الرئيس أصبغ، وأفرد أخاه، ففَتَّتْ[٢] مفارقَتُهُمَا معاً في عَضُدِه. وشَدَّ الأميرُ الحكمُ الحصارَ عليه، إلى أن ضاق مُخَنَّقُه، فدَعا إلى النزولِ على الأمانِ في سنة اثنتين وتسعين ومائة بعدها، فانعقدَ أمانُه وأمانُ أهل ماردةَ فيها، وأُخِذَ رهينَتَاهُ، وبُعِثَتْ إليه رَحْمونُ بنتُ حَيُّون زوجُ ابنه محمد، وقاربه الأميرُ الحكمُ للذي أراد من رَفْعِ الاشتغالِ معه، ليَصْرِفَ وَجْهَهُ إلى عدوِّ الإسلام الجائشِ به. وبدا من أصبغَ إذعانٌ ولِياذٌ بالأمانِ، فأوَى إلى ظِلِّه[٣]، وملك الأمير[٤] ماردَةَ عمَّا قليلٍ، وصَيَّرَ فيها عامِلَه [44].

وقال عيسى بن أحمد:

كان أصبغ بن وانسوس متردداً لماردةَ، لِكَثْرَةِ ضياعِه بها، وأمواله فيها وعزَّة عشيرته في أهلها، فكانَ كلُّ من فيها من العربِ والبرابرِ ومواليهِمْ على طواعيَة له. وكلُّ عاملٍ يتولاَّها يشاوِرُهُ ويعمَلُ بما يُحِبُّه. إلى أن جرَى له معَ عاملٍ تولاَّها

(١) ص: ومضى لعتها.

(٢) ص: فبتت.

(٣) ص: فاوى إلى ضله.

(٤) ص: "وملك الامير" مكررة.

للأميرِ الحكم، صَدْرَ سنة تسعينَ ومائةٍ أمرٌ اضطهدَ أصبغَ فيه وأذَلّه[1]، فهاجَ غضبُه، وخَرَج عنه مُحْتَدماً يتمثّل:

" متى تَجْمَع القَلْبَ الذّكِيَّ وصارِماً[2]" . . . البيت [45].

ودعا أهلَ ماردة إلى القيام معه، فاستجابوا له، فدفع العاملَ عن ماردةَ، ومَلَكَها لنفسه، فاتصلَ خلافُه فيها سَبْعَ سنينَ عاصِياً للخليفة.

وفيها وَلِيَ الوليد بن عبد الملك طليطلة.

سنة إحدى وتسعين ومائة:

وفي هذه السنة، حاصَرَ الأميرُ الحكمُ ماردة الحصارَ الثاني، واشتدَّ على أصْبَغَ ابن عبدالله بن وانسوسَ المنتزى عليه فيها / حتى أذعن له ودعا إلى السِّلم، ومَشَتِ السفراءُ بينه وبينَ الأميرِ الحكمِ في خِطْبَتِها حتى آتاهُ إيّاها في سنة اثنتين وتسعين بعدها على ما قد ذكرنا.

١/١٠٠

وفي هذه السنة، انعقدَ السِّلْمُ بين الأميرِ الحكمِ وبين قارْلُهْ بن ببين[3] ملك الفرَنْجَة [46] بعد ترْدَادِ الرُّسُلِ بينهما من أول إمارةِ الأمير الحكمِ والتواءِ حَبْلِها. وكان سَبَبَ انعقادِها بينهما في هذا الوقت، ظهورُ إدريسَ بن عبدِ الله الحَسَنِيِّ بأرضِ العدوةِ [47] وفَزَعُ الفرنْجَةِ لذلك[48]، فلم يَطُلْ أمْرُ هذا السِّلْمِ بَيْنَهُما، حتى هَلَكَ الطاغيةُ قارْلُهْ[4] سنة إحدى وتسعين ومائة آخرَها[49]، ووَلِيَ مكانَهُ ابنُهُ لُذْويق[5] بن قارْلُهْ [50]، فانتقضَ السِّلْمُ المذكور، ووَقَدَتْ حربُ الفرنْجَة.

(١) ص: أضهر أصبغ فيه وأدله.

(٢) ص: وأحرما، والصواب ما أثبتنا. انظر التعليق رقم ٤٥.

(٣) نفيس، والصوات ما أثبتنا، وببين هو مقابل اسم الملك الفرنجي Pepin، وقد تكون محرفة عن ببينُش Pepinus وهي الصيغة اللاتينية لاسم ببين.

(٤) نازله، والصواب ما أثبتنا.

(٥) زرديق، محرفاً عمّا أثبتنا.

سنة اثنتين وتسعين ومائة:

وفي هذه السنة، أغزى الأميرُ الحكمُ ابْنَه عبدالرحمن إلى لُذْوِيق(١) بن قارْلُه ملك الفِرنْجَة المنتقض عليه، إثْرَ ولايَته بعد الطاغية قارْلُهْ والده، لَمَّا بَلَغَهُ أنه خارجٌ في حشوده إلى أرضِ المسلمينَ. وأغْزى ابنه هشاماً أيضاً، إلى كَفَرَةِ جِلِّيقيَةَ فأتاها من جِهَةِ غَرْبِيِّ الأندلسِ، فأَنْجَحَ كِلاَ الغَزْوَيْنِ(٢)، واجْتُزِئَ هذا العام على غَزْوَتَيْنِ، عُقِّبَتا بفتحَيْنِ على عَدوَّيْنِ شديدَيْنِ.

وفيها هلكَ أصبغُ بن عبدالله بن وانسوس المتزي على مدينة مارِدَةَ فيها، إثْرِ انعقاد سَلْمه، فقلَّ فيها متاعُه، وأمرَ ولدُه محمدٌ بالنزول إلى قرطبةَ وإسلامِها إلى عاملِ السلطانِ. وأرسلَ الأميرُ الحكمُ إليها عبيدة وحسان(٣)، فتولاها مُدَيْدَةً، ثم أعجلَتْهُ المَنيَّةُ، فأرسل الأميرُ الحكم مكانَهُ(٤) أبا زكريا المذبوحَ، وذلك في شهر رمضانَ منها، ثم استعمل الأميرُ الحكمُ عليها ابنه سعيدَ بْنَ الحكَم، فهلكَ بها. وظهرَ انتكاثُ أهلِ ماردةَ في سنة أربع وتسعين ومائة، فانتقض أمانُهُمْ، وأطلِقَ عِقالُ الحربِ، فتمادَتِ المغازي إليهم حتى تَتَمَّتْ سَبْعَةُ أعوام(٥) [51].

سنة ثلاث وتسعين ومائة:

وفي هذه السنة، التقى عبدُالرحمن بن الأمير الحكم بلُذْويق(٦) بن قارْلُهْ ملكِ الفِرنْجَة، وكان خارجاً في حشوده إلى جهة طُرْطُوشَة / قاصيةِ ثغرِ المسلمينَ فيما ١٠٠/ب

---

(١) زرديق.

(٢) فأنجح كعلى الغزوتين.

(٣) رجسان. وقد يكون الصواب " عبيدة بن حسان".

(٤) ص: مكانا.

(٥) ص: أعام.

(٦) برذريق.

يليه، [فاصلاً من حَرَفِ بلده، يريدُ اقتحامَ بلدِ الإسلام](١)، لانتهاز الفرصةِ منهم فيما قَدَّره، فلَقِيه الولدُ عبدالرحمنِ في الجنودِ، ومعه عمروسُ وعُبَيْدُون عاملا(٢) الثغورِ فيمن قِبَلَهما من الجند والمُطَّوِّعَة. فكانت بين الطائفتين وقعةٌ عظيمةٌ، نصر الله فيها المسلمينَ وهزَمَ المشركين، فَنِي فيها كثيرٌ من الإفرَنْج [52].

وفيها أغْزَى الأميرُ الحكمُ ابنه هشاماً بالصائفَةِ إلى بلدِ الغَرْبِ، يريدُ قَصْدَ المعروف بطُمْلُس، وكان قد ثارَ بالأشبُونَة فملكها وما حولها من قاصيَةِ غربيِّ الأندلسِ إلى مدينة قُلُنبرِيَّة، واشتدَّتْ شوكَتُه(٣)، وعَدَتْ عنه [دحنة](٤) فِتْنَةُ أهلِ ماردة، وكَوْنُهُمْ ما بَيْنَه وبينَ السلطانِ، حتى كَثُفَ أمْرُه وكثُرَ جَمْعُه، فغلب على أكثرِ الغربِ، فصرفَ الأميرُ الحكم إليه وَجْهَه(٥)، وأغزاه جَيْشَه مع هشامٍ ولدِه، ووطِئَ بلاد(٦) الغربِ وطأة المتثاقلِ من الأرض. ولاذَ منه طُمْلُس بمَنَعَةِ المعاقل. فدمَّرَ بلادَه، وأذل رَقَبَتَهُ، وقفل عنه. فلم يلبث طملسُ إثر ذلك أن غَدَرَ به بعضُ أصحابِه، فقتلوهُ وجاؤوا برأسِه ورؤوس من قُتِلُوا معه من ثِقاته فيهم مكحولٌ [53] وغيره إلى الأميرِ الحكمِ في رجبٍ منها، فأجزل الأميرُ الحكمُ صِلاتهم، وصيَّرهم في جنده برزقٍ واسعٍ. وانفتح له الغربُ بعد مقتلِ طملس هذا، وكُفِيَ شأنُه [54].

---

(١) هذه العبارة وردت مقحمة بين "من الجند المطوعة" و "وكانت بين الطائفتين" فأخلت بالسياق، فأعدنا ترتيب الجمل على النحو المثبت حتى يستقيم السياق.

(٢) ص: عامل.

(٣) ص: شركته.

(٤) هذه الكلمة تبدو مقحمة لا حاجة للنص بها، ولعل صحتها "محنة" ثم استبدل بها الناسخ لفظ "فتنة" الذي يليها.

(٥) ص: وجه.

(٦) ص: بلاد مكررة.

سنة أربع وتسعين ومائة:

وفي هذه السنة، انكشفَ خُلْعَانُ أهلِ ماردة، فانتقضَ أمانُهم، وعادت الغُزَاةُ إليهم، فبدأ الأميرُ الحكم فيها بغَزْوِهم، وسارَ بنفسه بصائفةِ هذهِ السنةِ إليهم، فأحاط بهم وحاصَرَهم.

وفيها التاثَ أمرُ عمروسَ بن يوسفَ صاحبِ الثغرِ الأعلى، مما انبعثَتْ [عنه][1] وَحْشَتُه، وبَدَتْ عاديتُه[2]، واستبانَ فسادُ مذهبِه، بعد ما أسْلَفَه من صِدْقِ طاعتِه، وجميلِ بلائه، فكثُرَتْ وقائعُ أهلِ الثغرِ عليه وتظلُّمهم منه، حتى وقعَ بنفسِ الأميرِ الحكمِ ارتيابٌ به والحَذَرُ من نكْثِه، وحاولَ عَزْلَه. فتوقع تصريحَه بالخلاف. فأخرج ابنه عبدالرحمن بالصائفةِ إلى الثغرِ كيما يطمئن إليه فيَحْتَلَّه.

فاحتل بجانب عمروس، وقد حذر فانقبض عن الخروج إلى عبدالرحمن أو الدخول في معسكره، وضم أطرافه، وأخذ حذره. وكان ابنه يوسف بن عمروس بتطيلة، وابن عمه شبريط بوشقة، فانقبضا بانقباضه، ولم يكشفا وجهاً لحربه، خلا أن يوسف / وفرتون بن شبريط اعترضا علافةَ العسكر في بعض مواضع 1/101أ وناشبا رجالهم[3]، فنالا منهم، فأغضى عبدالرحمن عما كان منهما، وقفل بالعسكر، فأعلم أباه الأمير بما علن من عصيان عمروس وأغراه به.

فأغزى الأمير الحكم إليه الحاجب، عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث بالجيش، فحل بعمروس حلول المستصلح له، ولم يزل يستدعيه إلى الطاعة ويلطف به، وتكفل له بإرادته، إلى أن وثق به عمروس وخرج إليه، فجاء به إلى الخليفة الحكم بحضرته قرطبة، فاشتد سروره لمراجعته، ووفى[4] له بما ضمنه

(1) زيادة يقتضيها السياق.

(2) ص: عايته.

(3) ص: رجالهما.

(4) ص: وفا.

الحاجب عبدالكريم عنه، ورفع منزلته، وأزلف خاصته، حتى نادمه ولاعبه في الحائر[١] [55] بالصولجان، وأجزل صلته وصلات من جاء معه من ولده ورجاله. وأقام بقرطبة حتى سكنت نفسه واستقرت حاله، وارتفع الشك[٢] في إخلاصه. فصرفه الأمير الحكم عند ذلك إلى عمله[٣] بالثغر، وزاده من إنعامه، فلم يزل عاملاً له، محققاً لطاعته، باذلاً لنصيحته، إلى أن توفي بسرقسطة في حياة الأمير الحكم، وهو أرضى الناس عنه [56].

وقال معاوية بن هشام:

اعتورَتْ عمروسَ بْنَ يوسفَ السِّعاياتُ عند الأميرِ الحكم، عند سموِّ حاله وملكه للثغرِ كُلِّه، حتى خافَ نكبَتَه وذهبَ إلى صَرْفِه فبايَن بخُلْعانه. وأخرجَ الأميرُ الحكمُ بالصائفة إليه عَبْدَالرحمنِ، فاحتجزَ عمروسُ عنه بمدينة سرقسطةَ، وخلَّى له عن البلادِ، فدوَّخها عبدالرحمن وشدَّ حصونَ أهلِ الطاعةِ، وقفل إلى قرطبة.

ثم أغْزَى الأميرُ الحكمُ بالجيشِ عبدَالكريمِ بن عبدالواحد بن مُغيثٍ إلى عمروسَ، فنَزَل به وحَصَرَه وضيَّق عليه، فدَعَا عمروسَ إلى الأمانِ، ونزل إلى ابنِ مُغيث، فقَدِمَ به إلى قرطبةَ، فَصَفَحَ عنه الأميرُ الحكمُ، وأكرمَ مثواه، وأنْزَلَه في جوارِه[٤] بقرطبة، حتى بَلاَ نِيَّتَه واختبَرَ إنابَتَه، فَصَرَفَهُ إلى الثغرِ، واستعملَه عليه كَرَّتَه الأخرى. ولم يَزَلْ مستقيمَ الطاعةِ، بَذولاً للنصيحةِ، إلى أن هلكَ هنالك في حياةِ الأميرِ الحكم، فاستجلَبَ ولَدَهُ ورِجالَه إلى قرطبة، فكانَتْ مُدَّةُ ولايتِه على الثغرِ تسعَ سنين وعشرة أشهُرٍ وأياماً.

ولم يكن في سنة خمس وتسعين بعدها خبرٌ يُؤثر.

---

(١) ص: الحائز.

(٢) ص: الشرك.

(٣) ص: عمه.

(٤) ص: وتركه في جواريه.

/ **سنة ست وتسعين ومائة:** ١٠١/ب

قال عيسى بن أحمد الرازي:

وفي هذه السنة، غزا الأميرُ الحكم مدينةَ طليطلة، وقد انتقضوا عليه غِبَّ إنابَتِهم(١) من سَطْوةِ انتقامه. فأوقَعَ بهم وأثْقَلَ الوَطْأةَ عليهم، ثم قفل عنهم. وكان خروجُه إليهم في شعبانَ من هذه السنةِ، وقفولُه عنهم في رمضانَ منها. ثم أخرجَ إليهم آخرَ السنةِ ابنَه عثمانَ بن الحكم مواصِلاً حَصْرَهم والتضييقَ عليهم.

قال:

وفيها، أغزى الأميرُ الحكم أيضاً ابنَه محمداً إلى بلنسية، فوطِئَ فيها أهلَ الخلافِ بأطرافِها، ثم إلى قرطبة(٢)، فأخْرَجَه إثر انصرافِه مُخْرَجاً إلى سرقسطة، وذلك في شهرِ رمضان منها.

سنة سبع وتسعين ومائة:

وفي هذه السنة، كانت الشدَّةُ التي عَمَّتْ أرضَ الأندلسِ أجمَعَها، فماتَ فيها أكثرُ الخَلْق، وأجازَ بعضُهم البحرَ إلى أرضِ العُدْوة، إذ كانَتْ مُخْصِبَة، وكان مُقِلُّو الناسِ يطوون(٣) الأيام [بغير](٤) تَعَلُّلٍ بطعام [57].

وفيها خرجَ الحاجبُ(٥) عبدُالكريم بنُ عبدِالواحد بن مغيثٍ إلى مُرْبَة [58]، للإصلاحِ بين البرابر. فراسَلَه أهلُ طليطلةَ داعينَ إلى الطاعة، فأمَّنَهم وقَبَضَ رُهُنَهُم، وولَّى عليهم أخاه أحمد بن عبدالواحد بن مغيث، فأدْخَلُوهُ إليهم، وأظهروا(٦) الإنابةَ إلى الطاعة من غير صِحَّةِ عَقْدٍ، استِرْواحاً منهم على دَعَةٍ يكتَسِبُونَ بها قُوَّة.

(١) ص: إثابتهم.
(٢) كذا في الاصل، وربما كانت قرطبة محرفة عن طرطوشة.
(٣) ص: وكان معلوا الناس يطرون.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) ص: الحاب.
(٦) ص: واظهر.

وفيها، خرج الولدُ محمدُ بن الأمير الحكَم، في ذي القعدة منها إلى الثغر في جيشٍ كثيفٍ وخَلْقٍ من المُطَّوِّعَة، بأتمِّ عُدَدِ الجهادِ وأهْبَةِ الجلاد.

وفيها أيضاً، كانت غزوةُ عُبَيْدالله بن عبدالله البلنسيِّ المعروف بصاحب الصوائف[1] ابن عَمِّ الخليفة وصهرِه، بصائفةِ هذه السنة. فحلَّ مَدينَةَ برشلونة المُتَرَعَةِ من المسلمينَ، وقد / احتلها أمدادٌ لأعداء الله الفرنجة، جَمٌّ عدَدُها يومَ 1/102 حُلوله بالمسلمينَ ساحَتَها، وكان يوم خميس، فتشوَّفَ المسلمونَ[2] لقتالهم، ومَنَعَهُمْ قائدُهم عبدُ الله من ذلك أشدَّ مَنْع، وحَلَّتْ[3] من غَدِ يومِهم الجُمُعَةُ، إلى أن حَضَرَ وقتُ الصَّلاة لها. فلما تحقَّقَ وقتُ الخُطْبَة في جوامع المسلمينَ، وقد تقدَّم في تكْتيبِ الكتائب[4] وتعبئة الردود وترتيب المراتب. ثم صلى ركعتين، وركب ونادى في الناس بخلاط العدو، فاختلطوا بهم لحينهم، وجعل يحمل [على][5] صفوفهم بأولى الحفاظ من المسلمين حملة إثر حملة، لا يثني إلا عن نقض صف وإفشاء قتل وعقر خَيل، حتى دهش أعداء الله، وقذف الرعب في قلوبهم، فانهزموا، ومنح الله المسلمين أعناقهم، ففض جموعهم، وقتل عامتهم.

فلما انجلت الحرب، أمر عبيدالله[6] بقناة طويلة، فركزت في الأرض، وصُفَّتْ رؤوس الكفرة حواليها حتى ارتفعت فوقها وغيبت شباتها[7]، فلم يعلم مكانها من كوم[8] الرؤوس المتراصفة حفافها، إلى أن تمهدت على قرارة الأرض. وأمر

(1) ص: الطرائف.

(2) ص: المسلمين.

(3) ص: وصلة، غير أن أقرب ما يوافق السياق هو ما أثبتنا.

(4) الكتاب.

(5) زيادة يقتضيها السياق.

(6) ص: عبدالله، وكذا أيضاً في البيان المغرب محرفة عمَّا أثبتنا.

(7) ص: سناتها، والشباة سنان الرمح.

(8) ص: على يوم، ولعلها محرفة عما أثبتنا.

المؤذنين فعلوا قمة ذلك التل يؤذنون فوقها. فكانت غزاة شنيعة الخبر، ممهدة للنصر، شديدة الإثخان في أهل الكفر، اختال الإسلام في أردية عزتها دهراً [58].

سنة ثمان وتسعين ومائة:

وفي هذه السنة، انتكث أهل طليطلة[١] ونبذوا الطاعة، وهموا بواليهم أحمد ابن عبدالواحد بن مغيث، فهرب عنهم ليلاً ناجياً بنفسه، وذلك في جمادى الآخرة. فاشتعلت طليطلة، وعادت حرباً. وابتدر الأمير الحكم الخروج إليها بالجيش والعدة، وقدم بين يدي خروجه الأمر[٢] بقتل محمد وموسى ابني سماعة، وقتل أخيهما لأمهما، فقتلوا جميعاً. وفصل نحو طليطلة، فندب مهاجر ابن عتبة لولاية طليطلة، إذ [٣] جنحوا للمسالمة / قدمه إليها من طريقه. ١٠٢/ب

وأنهض ابنه عثمان بن الحكم إلى الثغر الأعلى، في جيش عظيم وعدة كاملة، وضم إليه أحمد بن عبدالواحد بن مغيث، المدفوع عن طليطلة حاجباً له ووزيراً. فقدم عثمان إلى الثغر وأقام فيه شهرين ويومين، ثم خرج يوسف[٤] بن عمروس، وعيال عمروس وشريط ابن عمه وعياله حتى قدَّمهم قرطبة في ذي الحجة منها. فأُنزلوا منها منزل كرامة، وأُوسعت لهم الأرزاق والنفقة، وولَّى عثمان مدينة سرقسطة عبيدون بن الغمر [59]، نقله إليها من مدينة طرطوشة.

سنة تسع وتسعين ومائة:

وفي هذه السنة، أدال عبيدون بن الغمر، عثمان بن الأمير الحكَم على الثغر، وهي إدالته الثانية. وفي عقب هذه السنة، جمع الأمير الحكم لابنه عبدالرحمن جميع الثغر.

---

(١) ص: طيطلة.

(٢) ص: الامير.

(٣) ص: إذ، والسياق يقتضي التصويب.

(٤) كذا في الأصل، فإذا قرئ الفعل " خَرَّجَ " بهذا الضبط كان له وجه مقبول، ولو أن الأصح "أخرج " أو " خرج بيوسف ".

وفيها غزا الأمير الحكم أهل طليطلة، فأثخن فيهم؛ وذلك أنه رآءى بالغزو إلى كورة تدمير، ذكرها وأعد لها، وفصل بالجيش، فمضى في طريقها، واحتل[1] بها، وأظهر حرب بعض حصون أهل الخلاف بها. وكاتب[2] أولياءه وعماله بنواحي الثغر بمكانه منها وإرادته فيها، فانتشر ذلك عنه، وأمن به أهل طليطلة عاديته، وقد كانوا على تخوف شديد له زايلهم، فانبسطوا في قراهم، وخرجوا لضم غلاتهم وقت أزوفها عندهم، وعين الأمير الحكم تلحظهم ويتحسس عنهم.

فلما صح عنده[3] أمانهم، وانبساطهم لضم[4] معايشهم، وخلو مدينتهم منهم، تقدم إليهم من كورة تدمير، مشمرَ الذيل ساهر الليل، يطوي المراحل، ويصل الضياء بالظلام. فلما دنا منهم، أسرى إليهم بقطيع من الخيل، اعتامهم من أبطال الرجال الأقوياء الخيول، فأتاهم بعد هدوٍّ من الليل، وجل أهلها خلوف، وحاضروها[5] غافلون، وأبوابهم مهملة لم يرده عنها أحد، فملكها وصار فيها. وترادفت العساكر خلفه بقية الليل ومن غد يومه فأحاطوا بها وحصروها[6] من جهاتها، وحالوا ما بينهم[7] وبين من بخارجها وفي باديتها، فلم يدخل إليها من غُيّابها داخل، ولا خرج من حاضرها خارج. / فاستنزل أهلها من جبلهم، وأنزلهم السهل، أسكنهم إياه في خيامهم[8]، وخرب مساكنهم، وحرق ديارهم عليهم من ملك نواصيهم، فأخذ بأكظامهم[9]، وقفل عزيزاً ظاهراً فذل أهل

٣/٧٠ ب

(١) ص: واحتمل.

(٢) ص: كانت.

(٣) ص: عندهم.

(٤) ص: نضم.

(٥) ص: وحاصرها.

(٦) ص: وحقروها.

(٧) ص: بينهما.

(٨) ص: خرامهم.

(٩) ص: بالظامهم. ويقال أخذ بكَظَمه أي كبته.

طليطلة بعد وقعته هذه ذلاً لم ينلهم قط مثله، حتى لرحل أكثر وجوههم إلى قرطبة وغيرها، فزالت نخوتهم، وأخنت الأيام دهراً عليهم. ثم ثابوا بعد حين، وعادوا إلى شِماسهم [60].

سنة مائتين:

وفي هذه السنة، كانت غزوة الحاجب، عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، إلى عدو الله بلشك الجلشقي صاحب بنبلونة(١) [61]، وكان قد استمد على(٢) المسلمين بالأندلس، واجتمعت جلائب النصرانية، فأقدم عليهم الحاجب عبدالكريم بجميع المسلمين، وصافّهم ثلاثة عشر يوماً، يغاديهم الحرب ويراوحهم بها، حتى انكسر أعداء الله، وولوا مدبرين، فأصيب منهم خلائق، منهم غرسية ابن لب ابن أخت برمود [62] خال أذفونش(٣) وشانجه فارس بنبلونة، وصلتان فارس المجوس غيرهم، واعتصموا من المسلمين بنهر وعر [63]، وشعاب لجؤوا إليها ووعّروا مسالكها بالخشب والخنادق، فمنعت المسلمين(٤) من اقتحامها عليهم، فأقصروا عنهم، وأقفلوا عن بلدهم، صدر ذي القعدة من هذه السنة، والولد عبدالرحمن ابن الأمير الحكم والي الثغر يومئذ، ساكن بأمه سرقسطة.

سنة إحدى ومائتين:

وفي هذه السنة، انتكث أهل ماردة، ورجعوا في الخلاف والمعصية، فقتلوا عاملهم عقبة بن أبي الأشمط(٥)، وملكوا أنفسهم، ووليَ قتل عقبة نصر بن مسرور منهم. وكان القائم بأمرهم يومئذ مروان بن يونس الجليقي [64]، فغدوا

---

(١) ص: بلبلونة.

(٢) ص: استدعى، والسياق يقتضي ما أثبتناه من تصويب، وقد تكون صحة اللفظ: استعدى.

(٣) ص: أدمونس.

(٤) ص: المسلمون.

(٥) ص: الأسمط، بغير إعجام.

حرباً للسلطان، عاجلهم بالعقاب، فأغزاهم الولد عبد الرحمن ابن الأمير الحكم، وأخذهم بالحصر والتضييق.

سنة اثنتين[1] ومائتين:

ذكر الوقعة العظمى بأهل قرطبة المعروفة بوقعة الربض

قال أحمد الرازي:

وفي هذه السنة، كانت وقعة للأمير الحكم بجيرانه أهل قرطبة المشهورة المعروفة عندهم بوقعة الربض، هم جَرُّوها[2] ودخل معهم جميع أهل قرطبة فيها، وكانت/ يوم الأربعاء النحسة، لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، سنة اثنتين ومائتين: ثاروا به هذا اليوم غِبَّ أحقاد احتقبوها[3] عليه كثيرة، فحملوا السلاح بغتة، وزحفوا إلى قصره، فلم يتزحزح عن سريره، وجاءته مواليه وغلمانه وجنده من كل جانب ممتازين في حزبه[4] متبرئين من عصاته، وكان معه حاجبه عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، وكاتبه صاحب ابنه هشام فطيس[5] بن أصبغ يشدان منه. واجتمع أولياؤه إليه عند باب القصر فقَوِيَ قلبه بهم، وأمرهم بالنهود إلى من سما له من رعيته، ولمَّا يرمْ مكانه إظهاراً لهوانهم عليه، ودلالة على طمأنينة جأشه، فجاء في ذلك بالعجب.

١٠٣/ب

وتقدم رجاله إلى باب القنطرة، يدافعون أهل الربض[6] عن الدنو إليه،

(١) ص: اثنين.

(٢) ص: هاجروها.

(٣) ص: أصابت هذه الكلمة قطوع فلم يبد منها إلا "احد وها" ولعلها كما أثبتنا، وقد تكون أيضاً "احتملوها".

(٤) ص: حربه.

(٥) ص: ابن فطيس، والصواب حذف "ابن".

(٦) ص: الربط.

ويضاربونهم[1] بالسيوف ويطاعنونهم بالأسنة. وتحرك نحوهم عبيد الله بن عبدالله المعروف بالبلنسي ابن عم الأمير الحكم، المشتهرة معرفته بصاحب الصوائف، وإسحاق بن المنذر القرشي [65] مع من انضم إليهما[2] من داخل قصبة مدينة قرطبة، وقصدا[3] على بابها الشرقي المعروف اليوم بالباب الجديد، ففتحاه وخرجا منه في الفرسان والرجالة على تعبئة محكمة، فاحتلا[4] في الزقاق الأعظم المعروف بالزقاق الكبير شرقي قرطبة، وأجازا[5] النهر من عدوة الرملة بشط قرطبة، فصارا بمن تبعهما بجهة دمنة الخشابين، وتوافت إليهما جيوش من أهل الكور، وكانوا قد أنذروا بحضور باب السلطان قبل الاهتياج، إذ كان تبدَّى للسلطان فساد ضمائر أهل قرطبة.

فحمل الرجلان بجمهورهم على[6] ساقة الربضيين، وهم مقبلون على قتال من في وجوههم تلقاء القنطرة من جند السلطان، ونار حربهم مستعرة[7]، فغشيهم عبيد الله ومن معه من خلفهم، وجدُّوا في قلعهم، ووضعوا السلاح فيهم، فأدهشوهم وفلُّوا غربهم، وجدَّ بهم عند ذلك من كان يصل حربهم من جهة الأمير الحكم من الفرسان والرجالة المضاربين[8] لهم عند باب القنطرة، عندما رأوا فشلهم عمَّن جاءهم من خلفهم، فنخبت[9] قلوبهم من الوقوع ما بينهم، وانهزموا هزيمة لم تكن لها عطفة.

---

(١) ص: ويظاربونهم.

(٢) ص: إليها.

(٣) ص: وقصد.

(٤) ص: الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعلها كما أثبتنا، وتحتمل أيضاً قراءة "فاتخذا".

(٥) ص: وأجاز... فصار.

(٦) ص: لساقة، والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٧) ص: مشتعرة.

(٨) ص: المظاربين.

(٩) ص: فخبت، ونخبت قلوبهم أي داخلهم الفزع فجبنوا.

وبذل[1] أصحاب الأمير فيهم السيف، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وتتبّعوا في الدور والمنازل، ونهبت دورهم، وهُتكت ستورهم، وأُسر منهم خلق، صلب الأمير الحكم منهم ثلاثمائة رجل، صُفُّوا أمام قصره ما بين القنطرة إلى طرف المصارة مع شط النهر. فأعظم فيهم الحادثة، وأفشى القتل وملأ قلوب الخلق رهبة. وأمر مع ذلك بالكف عن الحرم والتخفيض عن الذُّرِّية. ونادى في فلهم بالترحال عن قرطبة، والتفرق في البلاد النائية[2]، فلا أمان عنده لمن تخلف منهم بحضرته. فأجفلوا[3] بالهرب عن قرطبة، وتفرقوا شذر مذر، لجؤوا إلى أطراف الثغور وأقاصي الكور.

١٠٤/أ ‏ وركب / خلق منهم البحر، فصاروا بأرض العدوة، وكان رحيل جمهور الناس المُقْصَيْنَ منهم عن قرطبة إثر خبر [حجز][4] الحرب عنهم وبذل الأمان لهم يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من رمضان، من سنة اثنتين في انسلاخ شهر مارس الشمسي الكائن في هذه السنة. وابتداء قتالهم يوم الأربعاء لثلاث عشرة[5] خلت من شهر رمضان المؤرخ، ولسبعة أيام باقية من شهر مارس المذكور.

وكانت نسخة الكتاب بالفتح فيهم النافذ إلى كور الأندلس:

" بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن الله ذا[6] المن والفضل، والطول والعدل، إذا أراد إتمام أمر

---

(١) ص: ونزل.

(٢) ص: النادية.

(٣) ص: فاجعلوا.

(٤) ص: خبر، وما أثبتناه هو أقرب ما يكون إلى رسم الكلمة، ولعل صحتها ما أثبتنا، أو شيء في معنى رفع الحرب عنهم.

(٥) ص: عشر.

(٦) ص: ذوا.

وتهيؤه[1] لمن جعله أهله وكفوه[2] ـ سدده وأعزه، وأنفذ قضاءه بفلجه، ولم يجعل لأحد من خلقه قوة على عناده ودفاعه حتى يمضي فيه حكمه له وعليه كما شاء، وختم في أم الكتاب، ألا مبدل لكلماته عز وجل.

وإنه لما كان يوم الأربعاء لثلاث عشرة من شهر رمضان، تداعى فسقة أهل قرطبة وسفلتهم وأدبتهم، من السبرطانيين الدالفية المعلوجا[3] أشراً وبطراً من غير مكروه سيرة ولا قبيح أثر، ولا نكر حادثة كان منا فيهم، فأظهروا[4] السلاح، وتلببوا[5] للكفاح، وهتفوا بالخلعان وباينوا بالخلاف، ومدوا عنقاً إلى ما لم يجعلهم الله أهلاً من التأثير على خلقه والتسوّر في حكمه.

فلما رأيت من غدرهم وعدواتهم، أمرت بشدّ جدار المدينة، فشُدّ بالرجال والأسلحة، ثم أنهضت[6] الأجناد خيلاً ورجالاً إلى من تداعى إليّ من الفسقة في أرباضها[7]، فأقحموا الخيل[8] في شوارعهم وأزقتهم، وأخذوا بفوهاتها عليهم، ثم صدقوهم الحملات، وكرروهم بالشدّات المتواليات، فما صبر العُبْدانُ أن كشفوا السوءات، ومنحوا أكتافهم المتوانيات، وأمكن الله منهم ذوي البصائر المؤيّدات، فأسلمهم الله بجريرتهم، وصرعهم ببغيهم، وأخذهم بنكثهم، فقتّلوا تقتيلاً،

(1) ص: وتهيه، وقد تكون "وتهيئته".

(2) ص: وكفيه.

(3) ص: كذا وردت الكلمات، ولم نهتد لوجه في قراءتها وفهمها. ويرى الأستاذ فيديريكو كوريتي أن لفظ "السبرطانيين" الوارد في العبارة محرف عن "السبرطانيش" وهو في رأيه عجمي يقابل في الاستخدام الأندلسي esparteros أي لابسي نعال الحلفاء (وهي esparto) على سبيل التحقير، وقد يكون لفظ "المعلوجا" محرفاً عن "العلوج".

(4) ص: فاظهر.

(5) ص: وتلينوا، والتلبب بمعنى التجمع.

(6) ص: أنهظت.

(7) ص: أرباطها.

(8) ص: الخير.

وعُمُّوا تدميراً، وعُرُّوا تشويهاً وتمثيلاً، جزاءً عاجلاً على الذي نكثوه من بيعتنا، ودفعوه من طاعتنا، ولعذاب الآخرة أخزى وأشدُّ تنكيلاً.

فلما قتلهم اللهم بِحَرِّ جَهَنَّم فيها[1]، وأحسن العون عليهم لنا، أمسكت عن نهب الأموال وسبي[2] الذرية والعيال، وعن قتل من لا ذنب له من أهل البراءة والاعتزال، ازدلافاً إلى رضًا ناصري عليهم، ذي العزة والجلال، تهنأت صلحه وفلجه[3]، واسترعيت[4] حمده وشكره، فاحمدوا الله ذا[5] الآلاء والمنح معشر الأولياء والرعية إلى الذي أتاح لنا[6] ولجميع المسلمين في قتلهم وإذلالهم، وقمعهم وإهلاكهم، مما أعظم[7] به علينا المنة، وخصنا فيه بالكفاية، وتمم علينا وعليكم به النعمة، فقد كانوا أهل جرأة مقدم، وذَعَرَة[8] ضلالة، واستخفاف بالأئمة، وصَغْو[9] إلى المشركين وحطوط إليهم، وتَمَنٍّ لدولتهم. فلله الحمد المكرور، والاعتراف المذخور، على قطع دابرهم، وحسم شرهم.

١٠٤/ب أحببت إعلامك بالذي كان من صنع الله عليهم / لولائك بنا، ومكانك منا لتشاركنا في مسرته[10]، وتحمد الله ومن قبلك من شيعتنا ومعتقدي طاعتنا، على جميل صنعه فيه، وتشيعوا شكره عليه، إن شاء الله".

---

(١) ص: بحرجهم.

(٢) ص: وسبب.

(٣) ص: وبلجه، والفلج هو النصر. وقد تكون "وسلمه".

(٤) ص: واسترعت، وقد تكون "واستدررت".

(٥) ص: ذي.

(٦) ص: أباح.

(٧) ص: أعضم.

(٨) ص: ودعرة.

(٩) ص: وصعر، والصغو هو الميل.

(١٠) ص: مصرته.

وأنشد أحمد بن محمد [66] إثر حكايته لهذه الوقعة أبياتاً للأمير[١] الحكم في ذكر إيقاعه بجيرته هؤلاء الناكثين به، من أهل حضرته قرطبة[٢]، ومعذرته لنفسه لدفاعه إياهم عن ملكه. وإنها عند الرواة لمن أحسن شعر قيل في معناه وأبرعه، وهو:

رأبْتُ صدوع الأرض بالسيف راقعا ... وقِدْماً لأمت الشعب مذ كنت يافعاً

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة ... أبادرها مستنضي السيف دارِعا

وسائل على الأرض الفضاء جماجماً ... كأقحاف شريان الهبيد لوامعَا

تُنَبِّيك أني لم أكن في قراعهم ... بوانٍ وقدماً كنت بالسيف قارعا

وأني إذا حادوا جِزاعاً عن الردى ... فما كنت ذا حَيْدٍ عن الموت جازعا[٣]

حميت ذماري فاستبحت دماءهم ... ومن لا يحامي ظل خزيان ضارعا

ولما تساقينا سجال حروبنا ... سقيتهمُ سَجْلاً من الموت ناقعا

وهل زِدْتُ إن وفَّيْتُهم صاعَ قرضهم ... فلاقوا منايا قُدِّرَتْ ومصارعا

فهاك بلادى إنني قد جعلتها ... مِهاداً ولم أتركْ عليها منازعا

فذكر عثمان بن المثنى النحوي المؤدب[٤] قال:

قدم بعد الوقعة علينا عباس بن ناصح قرطبة، أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فاستنشدني شعراً للأمير الحكم بن هشام في الهيج، فأنشدته إياه، فلما بلغ إلى قوله:

(١) ص: لأمير.

(٢) ص: عظرته قرطبت.

(٣) ص: جراعاً... جارعا، والصواب ما أثبتناه، وهو ما ورد في سائر المصادر الأخرى.

(٤) ص: المندب.

" وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم . . . البيت "، فقال عباس: لو أن الحكم جُوثِي[١] لخصومة بينه وبين أهل الربض لقام بعذره فيهم هذا البيت [67].

قال:

وتفرق فَلُّ قرطبة عند إزعاجهم، فلحق جُلُّ من تردد منهم بالأندلس بطليطلة دار الخلاف على الأئمة، وكاتبوا مهاجر بن القتيل شهاب الفتنة[68]، وقد[٢] كان لحق بدار الحرب في سنة ثمان وتسعين ومائة بعياله ومن تبعه من أصحابه، لائذاً بالمشركين من سلطان الجماعة عند مخافته على نفسه.

فأتبعه إبراهيم بن مزين [69] عامل طليطلة، فلحقه فقاتله مهاجر ودافعه عن نفسه إلى أن جنح الأصيل، فحال بينهما، فلما انسدل الظلام، هرب مهاجر فيمن اتبعه، وأسلم عياله، فأخذهم[٣] ابن مزين واعتقلهم عنده، وجدَّ في اتباعه، فأدرك بعض[٤] أصحابه فقتلهم. ومكث مهاجر بن القتيل بجليقية إلى أن استقدمه الربضيون[٥] فلُّ أهل قرطبة، فاستجاب لهم وقدم عليهم، فولوه أمرهم، وسعوا للفتنة وجاهروا بالمعصية، فخالفهم مهاجر بن عتبة، ودعا إلى الأمير الحكم، وملك قصبة طليطلة، فجرت بينهم / في هذه السنة خطوب طويلة. ١٠٥/أ

قال:

وبذل الأمير الحكم الأمان لمن استقر بقرطبة بعد سكون الحادثة وتحمُّل الجالية، فظهر من استخفى منهم وتراجعوا، فجدَّد بيعته عليهم مُغَلَّظة، فاطمأنوا إليها

---

(١) ص: المجاثاة هي أن يجثو كل من الخصمين على ركبتيه في مجال المنافرة أو المخاصمة وأن يدلي كل منهما بحجته.

(٢) ص: وكد.

(٣) ص: فأخذهن.

(٤) ص: بعضهم.

(٥) ص: الربطيون.

وسكنت روعتهم، وثابت حالهم، فاستقروا بوطنهم.

وقال عيسى بن أحمد الرازي:

جرى الهيج الأكبر من عوام أهل قرطبة على الأمير الحكم بن هشام آخر هيوجهم الذي فيه ابتُلُوا[1] وذُلّلت رقابهم، وهو الثالث المشتهر في الناس إلى اليوم بوقيعة الربض في سنة اثنتين ومائتين. فذكر محمد بن عيسى الفقيه الأعشى قال:

فعاد سواد أهل قرطبة إلى التمرس بالأمير والغمز لقناته[2]، والطغيان عليه، والذم لسيرته، وتضاعف شرهم في ذلك سنة اثنتين[3] ومائتين، فأكثروا الخوض، وأطالوا الهمهمة، وفزع رؤساؤهم إلى السمر في مساجدهم بالليل، مستخفين من السلطان، مدبرين عليه. وقد كان خائفاً من ثورتهم[4]، متهماً لدخائلهم، حذراً منهم، مستعداً لهم، مرتقباً لوثبتهم، مرتبطاً الخيل على باب قصره نُوَباً بين غلمانه، وهم مُشمِّرون للهيعة، شاكو الأسلحة، يأخذهم ثقات عُرّاضه بالعرض مرتين في اليوم غدوة وعشية. والناس من فعله ذلك، على تزيُّد في الحقد والضغينة[5] وخبث الطوية. إلى أن بلغ الوقت بهم مداه. فصار البداء بهم من العامة، وحقت عليهم بذلك عقوبة البَغْي، بقضاء سابق من ذي العزة.

وكان سبب ذلك، أن بعض مماليك السلطان أولئك، المرتبطين بباب قصره، المشترين من العامة، دفع سيفاً صدئاً إلى رجل من صياقلة السوق ليصقله ويصلحه بثمن قدمه إليه، وسأله إعجاله له، فمطله الصيقل شديداً، والغلام يكرر عليه في

(١) ص: ابتلاوا.

(٢) ص: لبناته.

(٣) ص: اثنين.

(٤) ص: ثوترهم.

(٥) ص: والضعفة.

إطلاقه إليه، ويشتكي مخافة العقوبة من عريفه متى وقع عليه العرض وليس سيفه معه، فيخلفه الصَّيقَل ويستهين به.

إلى أن لزَّه الغلام في الساعة المشئومة، تحت القدر المردي بمن حان من العامة، فاحتدَّ الغلام على الصيقل وأغلظ له بمكانه من التَّجَرة وصاح[1] به، فهاج غضب الصيقل، وحرك فساد ضميره، فلم يتنهنه أن قام إلى السيف بكِسْر دكانه، فاستلَّه[2] وعلا به الغلام خبطًا فقتله[70].

فثار الهيج لوقته[3]، كأنما الناس كانوا يرتقبون. فتداعوا إلى السلاح، وهتفوا[4] بالخلعان، وكان أبدرهم إليه وأسرعهم إجابة لداعيه وأول من شهر السلاح وبرز للكفاح أهل الربض القبلي بعدوة النهر القصوى، قبالة القصر المسماة بطحاؤه بالربض إلى هذه الغاية.

١٠٥/ب ثم ثار أهل المدينة تلوهم، وأهل الربض الشرقي / بعدهم، وغيرهم من الأرباض، فتسلحوا[5] وأقبلوا مهطعين إلى أهل الربض القبلي، مُمِدِّين لهم. فتميز الناس للوقت، وتنادوا بشاعرهم، وابتدر الأمويون من جميع فرقهم إلى الأمير الحكم صريخهم ومولاهم[6]، فحفوا بقصره، وتألبوا[7] لنصره.

وارتقى الحكم للحين إلى سطح قصره فوق باب السدة، فشدَّ[8] من نفوسهم، وهوَّن الخطب عليهم، وحرَّك من حفائظهم، وأمر بتفرقة السلاح والخيل على

(١) ص: كلمة أخل ببعض حروفها قطع أصاب الورقة.

(٢) ص: فاستباله.

(٣) ص: لزفته.

(٤) ص: وهتفروا.

(٥) ص: فتسلهوا.

(٦) ص: ومولهم.

(٧) أصاب الكلمة قطع ذهب ببعض حروفها، وتحتمل أيضا أن تكون "وتاهبوا" أو "وتلاحقوا".

(٨) ص: فشدوا.

أجناده، وأنهضهم لقتال من جاش به، بعد أن كتّبهم كتائب قوّد عليها كبارًا من قواده، منهم ابن[1] عمه عبيد الله بن عبدالله بن الأمير عبدالرحمن بن معاوية البلنسي المعروف بصاحب الصوائف، والعباس بن عبدالله المرواني، والمغيرة بن هشام بن عبدالرحمن[71]، وإسحاق بن المنذر[2] القرشي.

فأما المغيرة[3] بن هشام، فكان يقاتل أهل الأرباض بباب القنطرة، وأما العباس ابن عبدالله فعبر النهر بالمصارة إلى عدوة الربض، وصار بإزاء منازل أهل الربض، وأما عبيد الله بن عبدالله فإنه خرج من باب المدينة الشرقي المعروف بالباب الجديد، وأجاز النهر بشط الرملة بإزاء دمنة الخشابين فأتى أهل الربض من تلقائها، وحمل[4] عليهم، وغشيهم القواد من كل جهة، فوضعوا عليهم السلاح، وأشرعوا الرماح إلى نحورهم، وجدوا في مناهضتهم، لما استبانوا خورهم لدن توافوا من كل جهة إليهم، وجدّ أيضاً صُلاة[5] بأسهم بمأقط[6] الحرب مع المغيرة ابن هشام، بحومة باب القنطرة بالشدّ عليهم.

فلما حمي وطيسهم اقتحم عليهم العباس بن عبدالله المرواني الربض من جهته، فأضرم الدور فيه حريقًا، وأباحها نهبًا، ووقع الصريخ على من كان يقاتل منهم بحومة القنطرة، فنكصوا نحو دورهم يبغون إغاثة أهليهم، فركب المغيرة بن هشام أكتافهم، فولوا منهزمين، واتبعهم عبيد الله بن عبدالله وسائر القواد، فأثخنوا القتل فيهم، وبذلوا السيف في فُرّارهم، وأبيد خلق منهم.

---

(١) ص: منهم ابن ابن عمه، والصواب حذف "ابن".

(٢) ص: وإسحاق بن المنذر والقرشي.

(٣) لم يذكر ابن حزم في الجمهرة (ص٩٥-٩٧) المغيرة بين أبناء الأمير هشام بن عبدالرحمن.

(٤) ص: أحمل.

(٥) جمع صالٍ، وصَلِيَ بالنار أو بالحرب مجازًا قاسى حرَّها.

(٦) ص: بملنط، والمأقط هو المضيق في الحرب.

وانصرف القواد إلى الأمير الحكم، يحملون رؤوس أعلامهم فوق رماحهم. وجرت الهزيمة على جميع أهل الأرض كلها، فلم تكن لأحد عليهم كرَّة، فأفشى القتل فيهم، وتُتُبِّعوا في الدور والمنازل، وأسر خلق منهم، صلب منهم بعد ذلك نحو ثلاثمائة رجل صُفُّوا من إزاء باب القنطرة إلى آخر المصارة مع ضفة النهر، لم يُرَ فيما سلف مصلوبون أكثر منهم عددًا ولا أهول منظرًا. وتمادى القتل فيهم، والنهب لمنازلهم، والتتبع لمستخفيهم ثلاثة أيام كاملة، لم يُقَلْ من عُثِر عليه منهم عثرة، وجرت / عليهم خلالها مِحَنٌ لا تضبطها الصفة. ١/١٠٦

قال:

وكان يوم هذه الوقيعة الشنعاء بهم يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، سنة اثنتين ومائتين لسبعة أيام باقية من شهر آذار[١] الشمسي الكائن فيها. فلما كان في اليوم الثاني منها، وهو يوم الخميس، أمر الأمير الحكم بهدم جميع الربض القبلي، الذي منه نشأت الفتنة، والتدمير عليه، وإلحاق أعاليه بأسافله، وتعفية أثره. فَفُعِل ذلك، وأعيد بطحاء مزرعة، أكد الأمير الحكم عهدًا مؤكدًا منه على من يقوم بالأمر من بنيه وأهل بيته بتعطيله وتحريم[٢] البناء فيه، ما كان لهم من سلطان بالأندلس. صير ذلك وصية فيمن خلفه، لم يخلوا بها إلى آخر دولتهم. وخصت يومئذ بالهدم دور معينة، لقوم من أعيان المنافقين بداخل المدينة. وكُفَّ عن سائر محال أهل الخلاف بسائر الأرباض، نظرًا في العاقبة، ورغبة في البقيا[٣].

وقال غيره:

كان الذي تولى هدم هذه الديار، ربيع القومس، عامل أهل الذمة، قائد

---

(١) ص: آذر، وشهر آذار السرياني هو مارس.

(٢) ص: وتحرج.

(٣) ص: البقية.

الغلمان الخاصة، المعروفين بالخرس [72] في جميع من تولاه لهم من الأمويين، فغادروها قاعًا صفصفًا: أخنوا على الربض القبلي بالعدوة القصوى بأمره، فصيروه مزرعة كأن لم يَغْنَ بالأمس، وهدموا دورًا كثيرة بالمدينة وأرباضها، إلا من جاء ببينة أنه من موالي بني أمية، أو من أهل ولايتهم. وتتبعوا دور أهل الخلاف، في جميع أهل الأرض بالهدم والإحراق، إلا من كان بسبب من السلطان أو حاشيته. فكان الخطب في ذلك جليلاً.

فلما انقضت الأيام الثلاثة، أمر الأمير الحكم برفع القتل، وتأمين الفَلِّ والإقصار عن طلب المستخفين. وكتب لهم كتاب أمانٍ شُيِّع فيهم، وهتف عليهم بالأمان، على أن يخرجوا عن حضرة قرطبة، فظهروا. ووفي لهم بالأمن، فتيسروا بالتحمل عن أوطانهم، كل بحسب ما أمكنه، وانشمروا ظاعنين عن قرطبة، على الصعب والذلول في يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر رمضان المؤرخ، ولانسلاخ شهر آذار الكائن فيه.

قال:

وقد كان الأمير الحكم عند ظفره بأهل الربض، شاور فيهم حاجبه عبدالكريم ابن عبدالواحد بن مغيث، وكاتبه فطيس بن سليمان، ولم يك في رجاله عِدْلٌ لهما لديه في الخاصة، فأشار عليه فطيس بالإثخان في القتل / واستباحة العامة، ١٠٦/ب وأشار عبدالكريم بضد ذلك من الصفح والاستبقاء[1]، وقال له: "إن الله قد أحسن إليك بالظفر ابتلاءً لك، فأحسن إلى خلقه بعفوك". فقبل منه ولم يتقصَّ. وكان عبدالكريم جميل المذهب، ميمون الطائر، راغبًا في العافية.

قال:

وكان بزيع مولى أمية بن الأمير عبدالرحمن بن معاوية [73] محبوسًا في حبس

(١) ص: كلمة ذهبت بعض حروفها، ولعلها كما أثبتنا.

الجرائم في قيد ثقيل. فلما حضر الناس يوم الهيج، جعل يتلهف على ألا يكون شهده، فيبلي في الذياد عن مولاه. فلما أكثر من ذلك قال له البوابون: "هل لك في أن تعاهدنا على أنَّا إن أطلعناك فقضيت حق مولاك وسلمت أنك تعود إلى قيدك، وبعدُ نعلم مولاك بما كان منك؟". فوافقهم على ذلك، وأطلقوه من قيده، وجاؤوه بفرس من دار الخيل، فاستوى وشدَّ على نفسه، واندخل في كتيبة المماليك أصحابه وهم مع المغيرة بن هشام صالي الحومة، فأبلى بلاءً لم يُبْله أحد، وحمى معه المماليك بأسرهم فَفَرَّق الفِرَق، وكانت عدتهم مائة وثلاثين مملوكًا يدعون بالخاصة أكثرهم من فيء أربونة، ورثهم الأمير الحكم عن هشام والده، وكان فيهم حدير أبو موسى المعروف بالمذبوح[74]، جد بني حدير هؤلاء المؤثلي الشرف في موالي الأندلس وغيره من الجلة.

فلما أن هزم الله أهل الربض، عاد بزيع إلى الحبس كالأسد الهصور مختضبًا بدمائه، فرده البوابون في قيده وأُنهِيَ خبره إلى الأمير الحكم، فأطلقه[1] من حبسه ورضي عنه واختصه وأحسن إليه[75]، فجاء من نسله بعد ما لا خفاء بنبلهم.

قال:

وقد كان بسجن الأمير الحكم يومئذ أيضاً من مساعير[2] الرجال شبريط المعروف بالوشقي ابن عم عمروس بن يوسف صاحب الثغر الأعلى، حبسه الأمير الحكم منذ جاء به من الثغر بعد موت عمروس، لخوفه من غدره. فاتصل محبسه[3] إلى يوم ثورة الناس بالأمير الحكم، فلما سمع بثورتهم، وهاله جمعهم جعل يقول: "أيُّ غنمٍ لو كان لها راعٍ! كأنهم قد مُزِّقوا!" ـ يعيبهم بأن لم ينصبوا رئيسًا يضم

---

(١) ص: فطلقه.

(٢) ص: مشاعير، ومساعير ومساعر جمع مِسعَر، ويقال مسعر حرب أي موقدها كناية عن نجدته وشدة بلائه فيها.

(٣) ص: مجلسه.

نشرهم ويقومهم، ويتلهف على ألا يكون فيهم - فنُمِيَتْ كلمته إلى الأمير الحكم، فأمر بصلبه فيمن صلب منهم[76].

قال:

وكف الأمير الحكم عن حُرَم أهل الربض وصانهن ومنع الأيدي منهن، وأمر بجمعهن إلى مكان حفظن فيه حتى تفرقن عنه، وقد رق عليهن وعلى ذراريهن، فأجمل في ذلك ما شاء. وأمر بجمع أموال أهل الربض المُخْلَى عليهم وأثاثهم وما غادره النهب من متاعهم في منازلهم، فضم جميعه إلى الخزائن التي بإزاء السطح أودعه فيها وحماها طوال أيامه.

قال:

وأجفل أهل قرطبة في الهرب، الذي / علقوا الأمان عليه، ففروا عنها إلى كل جهة متفرقين في قاصي الكور وأطراف الثغور. ولحق جمهورهم بطليطلة، اعتاموها لخلاف أهلها على الخليفة الحكم، فاستقروا فيها، وكاتبوا منها مهاجر بن القتيل، الذي كان بدار الحرب هاربًا من بأس الأمير الحكم أيام خالفه فيها. فقدم عليهم، فولَّوه أمرهم وأكدوا به معصيتهم، فجرت لهم بها بعدُ خطوب طويلة. ١/١٠٧

قال أبو بكر ابن القوطية :[77]

خرج أكثر فل الربضيين بعد خبر حربهم عن بلد الأندلس، فلحقوا بسواحل بلاد البربر بعدوة البحر، فتفرقوا فيها ونازلوا أهلها، وأصعدت منهم طائفة عظيمة نحو الخمسة عشر ألفًا في البحر نحو المشرق، حتى انتهوا إلى الإسكندرية، وغزاهم أهلها فسطوا بهم سطوة منكرة هزموهم غِبَّها وبذلوا السيف فيهم، فقتلوا خلقًا منهم وملكوها.

وكان سبب ثورتهم بالإسكندرانيين، أن جزارًا منهم ضرب وجه رجل من هؤلاء الأندلسيين بكرش ملوثة، فنادى أصحابه فامتعضوا له، وقاموا على أهل

البلد فغلبوهم. وأقاموا به إلى أن صالحهم عامل بني العباس بمصر [78] على الخروج سلمًا عنه، وخيرهم في الحلول بحيث يختارونه من جزائر البحر، يعانون على حلولهم بها، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي، وكانت يومئذ خالية من الروم، فاحتملوا إليها بكليتهم، ونزلوها واعتمروا، وجاءهم الناس من كل مكان، فهم بها مقيمون إلى اليوم.

قال:

وأغرب[١] الأمير الحكم في بأساء حربهم، عندما حمي وطيسها وأعضل[٢] خطبها، بنادرة من نوادر الصبر والتوطين على الموت، ما سمع لأحد من الملوك مثلها :[79] وذلك أنه في مقامه بالسطح عند بصره باشتداد الحرب، وجثوم الكرب، وقعقعة السلاح، وانتماء الأبطال، ما[٣] دعا بقارورة غالية لتُدْنى منه توانى عنه بها خادمه المسمى بزنت [80] ظنّاً منه أنه يَهْجُر[٤] في منطقه. فصاح به وزجره، فجاءه بالقارورة، فأفرغها على رأسه، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له: وأية ساعة طيب هذه يا مولاي فتستعمله؟!. فقال له: اسكت لا أُمَّ لك. ومن أين يعرف قاتل الحكم رأسه من رأس غيره إذا هو جزَّه؟ فعجب الخادم ومن حضره من قوة نفسه، وطيبها على المكروه، مع إبلاغها في حماية سلطانه.

قال:

وعند فراغ الأمير الحكم من حرب أهل قرطبة، أعتق جميع مماليكه أولئك الخاصة، وأتبعهم أموالهم، ووالى الإحسان إليهم، وصيرهم بطانة له دون من

---

(١) ص: ورغب.

(٢) ص: وأعظل.

(٣) تبدو «ما» زائدة هنا، غير أنها ترد كثيرًا في كلام العرب، ويسميها سيبويه لغوًا. انظر الكتاب ٢/٥٨، ١٤٠ وفهرس الكتاب.

(٤) أي يهذي.

سواهم. وكان كثيرًا ما يقول بعد تلك الجولة: ما استعدَّت الملوك بمثل الرجال، وما حامى عنها مثل عبيدها، ولا فزعت في شداتها إلى أحضر نفعًا منهم.

قال:

وقرأت في بعض التواريخ:[١] أنه كان فيمن فرَّ عن وقعة الربض من كبار / ١٠٧/ب العلماء بقرطبة زعيمهم يحيى بن يحيى، وكان مسكنه بالربض المسوَّى[٢] بالتدمير، نجا بنفسه، فلحق بطليطلة وأسلم ماله وأهله. وكان قد خرج معه[٣] أخوه [و] نفراً متنكرين على باب اليهود[٤] [81] دبر المدينة، وقد سبق أمر الأمير الحكم إلى البوابين عليه ومن معهم من الجند، أن كل من اجتاز بهم ممن ينكرونه أن يقتلوه. فعدل أخو يحيى إلى كبير أولئك البوابين ـ وكان صديقًا له يثق به ـ ليودعه ويوصيه بتفقد أهله، بعد أن نهاه أخوه يحيى عن ذلك وخوَّفه[٥] عصاه قضاءً على قوة ثقته بذلك البواب. فدنا إليه وكشف له عن وجهه، وطلب خلوته، فساعة[٦] وقعت عينه عليه قبض عليه وأمر بضرب عنقه، ويحيى ينظر[٧] قد تضاعف ذعره. فبالغ في تنكير نفسه والخلاص من ورطته، فنجاه الله.

ولحق بطليطلة، فتقبله أهلها أحسن قبول وأجاروه وأكرموه. وطالبهم الأمير الحكم بإسلامه إليه وإرساله نحوه وجهد بهم في ذلك، فلم يفعلوا، وجرت لهم معه في شأنه خطوب طويلة[٨]. فأتاه الأمير الحكم آخرًا من قبل نفسه، ووكله

(١) ص: التوريخ.

(٢) في الأصل: المسور، ولا معنى لها، ونظن الصواب ما أثبتنا.

(٣) ص: مع.

(٤) ص: الهود.

(٥) ص: وخوه... فصا، ولعل الكلمتين كما أثبتنا ولو أننا لسنا على يقين من ذلك. والمقصود أنه خوفه من إفراط ثقته بذلك البواب.

(٦) ص: ساعة.

(٧) ص: ينضر.

(٨) ص: طولية.

إلى اختياره. وكاتبه يستدعيه إلى وطنه، ويعرض عليه الأمان يتوثق به لنفسه عمّا يحبه، ويحضه على الرجوع إلى وطنه، والحوط لحاله في حفظ منصبه ونعمته، فاستجاب له يحيى عند ذلك، وقبل أمانه وعاد إلى قرطبة، وذلك في أخريات أيام الحكم. فنزل بداخل المدينة موطن آبائه الأول إلى أبي عيسى جده الأعلى، فاستقرت بقرطبة حاله، واعتلت رياسته، وطاولته مدة الحياة بعد الأمير الحكم، فعرض جاهه، وانتشر علمه، وشهر فضله.

وقال أبو بكر ابن القوطية:

كان فيمن فرَّ من أعلام الفقهاء الخارجين[١] على الأمير الحكم في ثورة أهل الربض، عيسى بن دينار الغافقي، ويحيى بن يحيى الليثي، في آخرين إليهما[82]، وكان ممَّن استخفي عنه منهم، فنجا من عقابه لما ظفر به بعد طول استخفائه طالوت بن عبدالجبار المعافري، الذي ينسب إليه مسجده المشهور بداخل المدينة[83]، وهو أحد من لقي مالك بن أنس رحمه الله من أهل الأندلس [، وكانت له قصة][٢] في الوفاء بالذمة والإخفار لها، لما بدأ بالاستخفاء عند جارٍ له من يهود الذمة، حنى عليه ضلوعه[٣] حفظًا ومبرَّة، وأطال لديه الثواء حتى قدَّر مللَه[٤]، والذمي[٥] يتبرأ إليه مِمَّا ظنه وينشده العهد في القرار عنده، فلا يعفه، إلى[٦] أن اختار عليه جارًا من كبار المسلمين، كان من أوثق الناس عنده، تحول إليه، فلم يكد يستقر لديه حتى نمَّ به وأخفر ذمته، وقاده إلى الأمير الحكم برمته.

---

(١) ص: الحارسين.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) ص: طلوعه.

(٤) ص: أمله.

(٥) ص: والذي.

(٦) ص: في القرار عنه... إلا، وما أثبتناه هو الذي يستقيم به السياق.

فأصابه أغلظ ما كان عليه وأتوقه إلى سفح دمه، وجعل / يقفه على ١٠٨/أ ذنوبه[١]، ويكشفه على أمكنة تقلته في استتاره[٢]، فلما عرَّفه بتباين ما جرى من جاريه المسلم واليهودي، في الوفاء بذمته تطلق له وحلل الله عقدة حقده عليه، فغلبه على وزيره الإسكندراني الذي أخفره، فصفح عن طالوت وأمَّنه وخلَّى سبيله، ومقت الإسكندراني، فجفاه فيما بعد وقلاه[٣].

وقال ابن القوطية :[84]

تولع الناس بعزو[٤] هذه الحكاية الطالوتية إلى الإسكندراني الوزير، وذلك غلط، وإنما جرت له مع أبي البسَّام الوزير، الذي هو جدُّ بني بسَّام هؤلاء الهرَّائين[٥] اليوم، فهو الذي أخفره، فعاب الأمير الحكم فعله فيه، وأبعده عن خدمته، وأمَّن طالوت وعفا عنه. وصار من العجب اصطبار الأمير الحكم له على فظاعة جوابه إياه عندما تقرَّعه بذنبه وعدد عليه سالف أياديه، فقال له طالوت: إني إنما أبغضتك لله عز وجل، فلم ينفعك عندي كل ما اصطنعت إياي. فقال له الأمير الحكم: فقد صفحت عنك للذي أبغضتني فيه. وخلَّى سبيله. وما زال بعدُ في رعايته إلى أن مات في أيام الأمير الحكم، فحضر جنازته.

قال:

وجرت لحدير مولى[٦] هشام، جد بني حدير هؤلاء الأشراف من الموالي الأندلسيين بقرطبة، في حادثة هؤلاء الربضيين، منقبة[٧] مُزْلِفَة، كانوا يرون أن بها

(١) في الأصل كلمة أصابتها قطوع فلم يبق منها إلا. . . .وبه.

(٢) في الأصل غير واضحة: ا. . .ستارة.

(٣) ص: وقلله.

(٤) ص: بعقرو بغير إعجام.

(٥) ص: الهرَّابين، والهراءون أصحاب الأهراء، جمع هُرْي، وهو الأندر أو مخزن الغلال.

(٦) ص: مولاي.

(٧) ص: منقهة.

رفع الله ناظره ونواظر عقبه في الدنيا، وخوَّلهم الجاه والنعمة.[85] وذلك أنه كان من الأمير الحكم ابن مولاه بالمكان المكين من الثقة والأثرة، يتولى لـه حجابة أدنى أبوابه منه، ويرجع أمـر جميع مـن يضبط[١] قصـره إليه، ويستعينه في مـهام أموره[٢]. فلما سكنت فورة الربض، صـار في سـجن الأمير الحكم رهط من صلحاء أسراهم، حـماهم الأمان وأحبَّ بوارهم، فصيَّرهم في المطبق مصفدين، ودعا حـديراً في بعض الليالي فقـال له: ادخل إلى هؤلاء المشيخة المجـرمين، فاضـرب رقابهم أجمـعين، ثم اصلبهم على باب القصـر، فلا يُصْبِحُنَّ إلا فوق خشوبهم، فتلكأ عليه فزجره وقال له: انفذ لما أُمِرْت به.

فقال لـه: يا مولاي، إني لمطيع على كل حال، ولا بُدَّ من صدقك، والله إني لأكره لك ولي أن نجـتمع غـداً في زاوية من دار جهنم، تهـرُّ إليَّ وأهرُّ إليك، لا تنفعني[٣] ولا أنفعك. فانتهره وعزم عليه، فقال له: أما وقد وقفتني[٤] بينك وبين خالقك فلـن أختارك عليـه، فاقض مني قـضاءك، فلست والله أطيعك في قتل هؤلاء القوم. فـضن به عن القتل وقـال لـه: اعزب قبحك الله! ودعا بصاحبه المعروف بابن نادر البواب، فأمره بقتلهم، فنفذ الأمر ولم يتلعثم.

قـال:

فمـا[٥] زال آل حـدير ينمـون ويعلون حـتى بلغـوا المبـالغ، وآل نادر يرذلون ويسفلون حتى انقرضوا[٦].

---

(١) ص: يبط.

(٢) ص: ويستعليه في أم اموره.

(٣) ص: ينفعني.

(٤) ص: وقفني.

(٥) ص: فيما.

(٦) ص: انقضوا.

١٠٧/ب

/ ذكر مساق الحسن بن محمد بن مفرج

لحديث أهل قرطبة المتحنين مع أميرهم الحكم بن هشام، من طرق خامرها شوب[١] خلاف الحكايات المتقدمة، بضمها إليها يُسْتَوْعَب خبر تلك الكائنة.

قال الحسن بن محمد بن مفرج مجتلبًا لقصة[٢] أهل قرطبة الممتحنين بيد أميرهم الحكم بن هشام لأوَّل انبعاثها منبيًا عن أسبابها الجارَّة لها:

ذكر سكن بن إبراهيم الكاتب التاريخي قال:

كانت الوقيعة الكبرى[٣] برعية أهل قرطبة، الغالبة على اسمها، وقيعة الربض الذي كان بعدوتها القصوى من نهرها الأعظم، بسطو أميرهم الحكم بن هشام بهم يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، سنة تسع وثمانين ومائة. وكان مبدؤها هيجًا تقدم لغوغاء قرطبة وسوادها، لأمر أنكروه من السلطان، اجتمعوا له على خلافه، وتلففوا لحربه[٤]، ونهضوا إلى ابن لبيد والي المدينة، وكان يسمى[٥] بعامل العجم، وكان قعوده للنظر في دار أبي أيوب، سليمان بن هشام المقتول في طلب الدولة [86] التي بداخل المدينة. فثاروا به بغتة[٦]، ورجموه بالحجارة وأرادوا قتله، فامتنع منهم بمن حضره[٧] من الجند، وكان في ذاته ثبت الجنان شهمًا، خرج عليهم في أصحابه، ففضَّهم وقتل قومًا منهم، فتفرق جمعهم مخزين.

---

(١) ص: شرب. والشوب هنا الاختلاط والاضطراب.

(٢) ص: القصة.

(٣) ص: الكبرى وربما كانت محرفة عن "الأولى".

(٤) ص: وتلعقوا الجربة. وقد تكون أيضا وتلببوا أي تجمعوا.

(٥) ص: يسمى.

(٦) ص: بغتتا.

(٧) ص: حضره.

واتفق أن كان الأمير الحكم يومئذ غائبًا في نزهة[1] الصيد، فلما بلغه ذلك، بادر الرجوع إلى قرطبة، فنظر في شدها، وعاقب بعض من سعى للهرج فيها، فسكنت الحال مع أهلها فيما يظهرونه وهم ساعون لإثارة الفتنة، عاملون في الوثوب على الخليفة، فكان من تدبيرهم في السر أن قصدوا إلى ابن عم الأمير الحكم من ولد منذر بن عبدالرحمن بن معاوية يعرف بابن الشماس، [87] من فضلاء فتيان قريش ارتضوا هديه، فدعوه إلى القيام معهم في خلع الحكم، وشكوا إليه بشهم به، ونكوبه عن السيرة القاصدة، وانهماكه في غيه. وأرادوا خلعه عن الأمر، وتصيير هذا الفتى مكانه. وداوروه على ذلك، وأعطوه مواثقهم عليه، إلى أن أظهر الاستجابة لهم بعد شدة إبائه، وقال لهم: عَرِّفوني من دخل معكم في هذا الأمر الجليل خطره[2] كيما أزداد طمأنينة فيه، فوعدوه ليوم بعينه.

فلما ذهبوا عنه، مضى إلى الحكم، فخلا به وأعلمه بذلك متبرئًا إليه، وكان كثير التثبت في أموره، شديد الفحص عنها، فأظهر الاتهام له وقال: إنما أردت أن تغريني بأعلام رعيتي ووجوه أهل حضرتي. فإذا أنا أهلكتهم فعلى من أتأمَّرُ[3] بعدهم؟ والله لَتُصحِّحَنَّ هذا الأمر عندي أو لأقتلنك! فقال له: أرسِلْ إليَّ من تثق به ليلة كذا، فلهم موعد مني فيها، فتقف على صحة قولي.

١/١٠٩ / فأرسل إليه خادمه بزنت، وكاتبه المعروف بابن الحَذّاء، جد بني الحذاء هؤلاء الوجوه بقرطبة [88]. فأقعدهما القرشي خلف ستر مجلسه، بمكان دانٍ منه لا يخفى عليهما ما يدور بينه وبين القوم.

وقدر الله تعالى أن وافوه لموعدهم تلك الليلة، فخلا بهم على عادته، وفاتحهم

(١) ص: فرهة.

(٢) ص: خطر.

(٣) ص: أيتأمر.

القول، وفاوضهم وجوه التدبير، وقال لهم: فمن معكم من أعلام[1] الناس في هذا القيام؟، اذكروهم وأَحْصُوهم[2] لتقوى بَعدِّهم بصيرتي. فجعلوا يسمون له فلانًا بعد فلان، ويُذكِّر بعضهم بعضًا من ينونه. والكاتب ابن الحذاء يكتب أسماء من يذكرونه من وراء الستارة، وبزنت الخادم يلاحظ ما يكتبه. فكثرت التسمية حتى خشي الكاتب أن سوف تبلغه التسمية، فشدَّ شقَّ القلم على القرطاس حتى صرَّ، فأسمع القوم، وثاروا سراعًا، وقالوا للقرشي: فعلتها أيْ عدوَّ الله؟ فمن ابتدر الخروج قبل أن يؤخذ الباب نجا، ومن تباطأ علق وقبض عليه.

فكان فيمن نجا وفرَّ فقيها[3] الأندلس في وقتهما، عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى، وكان فيمن قبض عليه من مشاهير أصحابهما يحيى بن مضر القيسي وقيل اليحصبي من ساكني قرية شقندة بعدوة نهر قرطبة وتلقاء قصرها، وأبو كعب[4] ابن عبدالبر، وأبو عيسى أخوه، وابن عمهما، وموسى بن سالم الخولاني وولده، وقد كان موسى هذا ولي سوق قرطبة، في جماعة من الفقهاء والوجوه صلبوا أجمعين بالمرج من شط نهر قرطبة، ومثّل بهم[5]، فاتعظ بهم أهل قرطبة وقتًا، وأقصروا عن الهمهمة، وقلوبهم بنار الغِلِّ مضطرمة.

ثم كانت ثورة أهل الربض الكبير القبلي بقرطبة، ومن التف[6] بهم من سائر أرباضها[7] بالأمير الحكم بعد ذلك بمدة طويلة. وكان سببها إنكارهم عليه

---

(١) ص: الأعلام.

(٢) ص: واحضرهم.

(٣) ص: فقيه.

(٤) ص: وابن كعب.

(٥) بعد لفظ "بهم": "أهل قرطبة" وهي زيادة مقحمة لا يحتاج إليها السياق، فحذفناها.

(٦) ص: أنف.

(٧) ص: أرباطها.

توظيفه[١] عليهم عشور الأطعمات، التي ألزمهم[٢] إياها وظيفًا مؤدّىً للسنين من غير خَرْص غلة ولا على حدود شرعية[٣]، فغلظ شأنه عليهم جداً، إلى أشياء نقموها عليه في ذاته من بطالته وراحاته، فثاروا به من أجل ذلك الثورة الكبرى، وجاشوا بجمعهم، فحملوا السلاح، ونصبوا للحرب، وزحفوا إلى باب قصر السلطان في خلائق لا تحصى، فثبت لهم، وملك قصره عليهم، ودارت الحرب بينهم وبين جنده، ومن تميز معه من شيعته ملياً من النهار، فاشتدت وغشمت. ثم ثاب أنصار الأمير الحكم من كل ناحية وكثروا، واصطبروا على ما نابهم، فرزقه الله النصر على من قد كان غشيه[٤] من العامة، وهم كالذباب كثرة[٥]، فانهزموا قدامه، واستباح منازلهم بالربض الكبير وغيره، وعَفَّ عن حرمهم[٦].

قال سكن:

١٠٩/ب فلما أكب أهل الربض على الأمير الحكم، وأخذوا عليه / الأبواب وغَشُوه بالقتل - ركب نحوهم في جنده وأنصاره، ومعه حاجبه عبدالكريم بن عبدالواحد ابن مغيث وكاتبه فطيس بن سليمان المعروف، فواضعهم الحرب بفناء قصره، وتداعت إليه شيعه وأولياؤه من كل جهة، فاشتد بهم ظهره، ودفع في نحور من قد كان هجم عليه، فكفكفهم عنه.

وتحرك ابن عمه عبيد الله بن عبدالله المعروف بصاحب الصوائف، وإسحاق بن المنذر القرشي من داخل قرطبة، مع من توافى إليهما، فقصدوا الباب الشرقيَّ منها المحدث المعروف بالباب الجديد[89]، ففتحوه، وخرجوا منه من حيث لم يشعر

(١) ص: توضيفه.

(٢) ص: أزمهم.

(٣) ص: تركية. وخرص الغلة هو تقديرها ظناً وتخميناً بغير تيقن.

(٤) ص: غشه.

(٥) ص: كثيرة.

(٦) ص: حربهم.

[بهم][(١)] إليها، فسلكوا في الزقاق الكبير إلى آخره، وعبروا النهر من مخاضة بالرملة، فحضروا في عدوة الربض الكبير، وحملوا من هناك على مأقط القوم، وقد احتدمت حربهم، فجاؤوهم من ناحية دمنة الخشابين من خلفهم، وهم مقبلون على قتال من أمامهم من جيش الأمير الحكم، فحصروا بين الجيشين، فدهشوا، وأشفقوا على بيوتهم وعيالهم، وظهر الوهن فيهم فلم يقالوا.

وجدّ من كان بين يدي الأمير الحكم بهم، وقد انتهوا في عراكهم إلى باب القنطرة، فألقى الربضيون بأيديهم، وانهزموا هزيمة لم يكن لها كرة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وتتبعوا في الدور والمنازل والأرباض، وأسر كثير من وجوههم، صلب منهم ثلاثمائة رجل عددًا، صُفُّوا في المرج بشط النهر، قدام باب القصر، إلى أن انتهوا إلى طرف المصارة لم يعقل على كثرتهم مُصَلَّبين في وقت من الزمن. فاغتدوا موعظة بالغة. وتفرق فَلُّهم عند موج حربهم أيادي سبأ إلى كل جهة من الأندلس والعدوة.

وقال محمد بن حفص بن فرج:[90]

لما انحاز[(٢)] أهل الربض عن حومة الحرب، وتكاثرت الحشم عليهم نادوا بالطاعة، وسألوا الأمان، فشاور الحكم فيهم أهل رأيه، واختلفوا عليه بين مشير بالإبقاء، ورآءٍ للاستقصاء، فأخذ برأي من أشار منهم بالعفو، إلا أنه لم يفسح لهم في المقام بقرطبة البتة. وأعطاهم الأمان على الخروج[(٣)] منها، والضرب إلى كل ناحية. فارتحلوا في الطية. فلجأ خلق منهم إلى طليطلة، إذ كان أهلها يومئذ على انتزاء[(٤)] على الأمير الحكم وملك لأنفسهم، فأجاروهم عليه وآووهم،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ص: إن حاز.

(٣) ص: المخرج.

(٤) ص: افتراء.

وابتغوا القوة بهم. ومضى جمهورهم نحو الساحل القبلي، فعبروا إلى أرض العدوة، وتفرقوا في سواحل البربر. ونزل خلق منهم مدينة فاس، فإن محلتهم بها [هي] المنسوبة إليهم إلى اليوم[91]. وصاعد كثير منهم في البحر الرومي إلى جزيرة إقريطش من جزائره، فسكنوها وعمروها، فكثروا بها وعزوا واستقروا بها إلى اليوم.

قال أبو بكر بن القوطية:

وصاعد فريق من فَلِّ هؤلاء الربضيين المطردين عن الأندلس في البحر الرومي ذوي عدد وجلد، فأتوا إلى الإسكندرية من أرض مصر، وذلك في أول ولاية عبدالله المأمون الخليفة / بالمشرق، فعازّهم أهلها، وذهبوا إلى إذلالهم، فأبوا الضيم، وثاروا بأهل الإسكندرية، فغلبوهم وقتلوا كثيراً منهم، وملكوا البلد مديدة، إلى أن ورد كتاب عبدالله بن طاهر أميراً على مصر من قبل المأمون[92]، فصالحهم على التخلّي عن الإسكندرية، على ما بذله لهم، وخيّرهم في النزول بحيث شاؤوا من جزائر البحر، فاختاروا جزيرة إقريطش، وساروا إليها فأوطنوها إلى اليوم.

1/110

قال ابن مفرج:

فنصر الحكم على رعيته الناكثين به من أهل قرطبة نصراً لا كفاء به، وشفي منهم نفسه، فشمل ذوي الأضغان[1] المنحرفين عنه من بقايا أهل قرطبة بالعقوبة، وضمّ كثيراً منهم إلى الاستخفاء، وجحد كثير منهم أنسابهم، واحتموا بالانتماء إلى ولاء بني أمية. وأمر الأمير الحكم إمرار عرطته[2] عهداً مؤكداً في ولده

(١) ص: الاصغار.

(٢) كذا في الأصل، ولابد أنه لحق الكلمتين تحريف شديد، وربما سقطت كلمات قبلهما. وقد تكون العبارة: [بتخريب الربض و] إهدار حرمته.

وأعقابهم[١] ما دام الأمر بالأندلس فيهم، ونقل السوق العظمى[٢] التي كانت هنالك منذ نزل ذلك الربض في الدولة العربية إلى مكانها اليوم من العدوة الدنيا، التي فيها المدينة وسائر الأرباض، فوضعوها[٣] هناك بأسفل قصره وبالقرب منه، فاستقرت هناك واستوسعت إلى اليوم.

وازداد الأمير الحكم من بعد ظفره بأهل الربض في شدًّ سلطانه، وإغلاظ حجابه، وتمكين هيبته، فآتته الرعية من ذلك ما وَرَّثه أبناءه، فانغضَّت عنهم الأبصار، وخضعت لهم الرقاب، وربَّوا رعيتهم رِباية العبيد، فحصلوا من دنياهم على عيش[٤] مجيد. وانهمك الحكم فيما بعد على اشتراء[٥] العبيد المماليك، والاستكثار منهم، والانتخال لهم، وتمرينهم على ركوب الخيل والعمل بالسلاح، فأوى منهم إلى ركن شديد، ألزمهم السكنى على باب قصره، على نوب متصلة في حجر اتخذوها لهم هناك ذوات إصطبلات لدوابهم مقسمة، صيرهم عدة له فيما يطرقه من خطوبه، يبادر إنهاضهم لها لحينه في ليله ونهاره، من غير تمكث ولا تؤدة. وعززهم بإلحاق الرجال الأحرار بهم، وتنزيلهم في مراتب الارتزاق بحسب الغناء وقدر الاستحقاق، وأحسن إليهم، وأقام همتهم، فاعتدوا على الناس، واستشعروا لهم رهبة. وأنفذ توظيف العشور على جميع الناس بحضرته، وكور مملكته على ما أحبه هو وكرهوه هم. فأذعنوا له به، ولم يجسر أحد فيها بعد أن يفوه بكلمة فيه. فاستمروا على سنته إلى اليوم، واستوسع السلطان في الإنفاق منه ما شاء.

---

(١) ص: وأغقي بهم.

(٢) ص: العظم.

(٣) ص: فوصفوها.

(٤) ص: عيس. وعيش مجيد لعله مشتق من الجيد وهو العوج.

(٥) بعد هذا اللفظ "فحصلوا من دنياهم" وضرب عليها بخط علامة على الشطب، إذ هي عبارة تكررت من قبل.

خبر الفقيه طالوت

قال أبو بكر بن القوطية:

وتوارى من كبار أهل النكث، الغالب عليهم اسم الربضين من رجال قرطبة بعد خروج فَلَّهم عنها، الفقيه طالوت بن عبدالجبار المعافري، [93] أحد من أخذ عن مالك بن أنس ونظرائه من أهل العلم، وشهر بالصلاح والفضل، وإليه ينسب المسجد والحفرة بداخل المدينة، وبها كان سكنه. فلما حلت الدبرة بأهل الربض، فرَّ طالوت عن داره، فاستخفى عند رجل من اليهود جيرانه وثق به، فتقبله اليهودي أحسن قبول، وحَصَّن[١] مكان تواريه لديه، واحتفى[٢] به جهده. فمكث عنده بأفضل حال حولاً كريتًا،[٣] حتى سكنت الحال / وصُفِّيت النائرة. وكانت بينه وبين أبي البسام، جد بني بسام هؤلاء الهرائين[٤] وصلة مَتّ[٥] بها إليه، رجاء أن يأخذ له بها أمانًا من الأمير الحكم، يأمن به على نفسه، فيتصرف في شأنه لما طال مدى[٦] استخفائه، وثقل عليه مكانه عند اليهودي مئونة.

١١٠/ب

فلما همَّ بذلك ساء اليهودي تحوله عنه، ونصح له في اتهام ثقته بصاحب السلطان، وحلف له على رغبته في مقامه عنده حياته واستخفافه لمئونته وتبركه بثوابه لديه، فعصاه ولجَّ في الذهاب عنه، وقصد أبا البسام صديقه خفية بين العشاءين، فلما[٧] جاءه أظهر الاستبشار به والقبول له، وسأله عن مكانه ـ كان ـ

(١) ص: حطن.

(٢) ص: واختفى.

(٣) الحول الكريت السنة التامة العدد.

(٤) ص: الهرايين.

(٥) ص: من.

(٦) ص: هدى.

(٧) ص: فما.

قبل مجيئه إليه، فخبره أنه كان عند رجل يهودي من جيرانه، اضطر إلى الاستخفاء عنده فأجمل فيه، فصوّب رأيه في التحول إليه، ووعده بالشفاعة له إلى الأمير الحكم.

وبادر بالركوب إلى الأمير الحكم من وقته، وقد وكل بطالوت من يحرسه. فقال للأمير: ما رأيك في عجل سمين عاكف على مِذْوَده[1] منذ سنة تلَذُّ مطعمه؟ فقال له: أنا على المنقلب الدارج [94] أحرص مني على ما يَفْضُلُهُ. فقال أبو[2] البسام: إنما حاجَتُك، وغير ذلك قصدي. طالوت طليبتك[3] رأس المنافقين عندي، قد أظفرك الله به. فقال له: قم فعَجِّل عليَّ به! ووثب فجلس على كرسي بباب مجلسه، فجمع من نفسه، وجعل يفتل سباله تغيُّظًا على طالوت.

فلم يلبث أن أدخل عليه يُتَلُّ تَلاًّ، فلما مثل بين يديه جعل يقول: طالوت ـ يرددها ـ الحمد لله الذي أظفرني بك! ويحك، أخبرني لو أن أباك أو ابنك[4] قعدا مقعدي بهذا القصر، أكانا يزيدانك من البر والإكرام [على][5] ما فعلته بك؟ هل رددتك قط في حاجة لك أو لغيرك؟ ألم أشارِكْكَ في حلوك ومرك؟ ألم أعُدْكَ مرات في عِلَلِك؟ ألم أشاركك في حزنك على زوجك، فمشيت في جنازتها راجلاً إلى مقبرة الربض، وانصرفت معك كذاك إلى منزلك؟ وغير شيء من التوقير والتعظيم فعلته بك؟ فما الذي حملك على ما فعلته لي وقابلت به إجمالي حتى لم ترض بدون خلعي من سلطاني، والسعي لسفك دمي واستباحة حرمي[6]

(١) ص: يذوده. والمذود هو معلف الدابة.

(٢) ص: ابن البسام.

(٣) يرى الأستاذ فيديريكو كورينتي أن «طليبتك» هي الصيغة الأندلسية للفظ «طلبتك» فقد جرت عادتهم إلى إشباع الكسرة حتى تتحول إلى ياء.

(٤) ص: ابناك.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) ص: حزمي.

وهتك ستري؟

فقال له طالوت: ما أجد في هذا الوقت مقالاً أنجى من صدقك. إني أبغضتك لله وحده، فلم ينفعك عندي كل ما صنعته لي لحوط دنياي[1].

قال:

فَسُرِّي عن الأمير الحكم، وسكن غيظه، وملئ رقة على طالوت، وحيل بينه وبينه، فقال له: والله لقد أحضرتك وما في الدنيا عذاب إلا وقد عرضته على نفسي أختار أفظعه[2] لك، فقد حيل بيني وبين ذاك، فأنا أعلمك أن الذي له[3] أبغضتني قد صرفني عنك إليه. فانصرف في أمان الله تعالى، وطامِنْ جأشك، وتصرف حيث شئت، وارفع إليَّ حاجاتك فلن تعدم مني يداً ما بقيت. فيا ليت الذي كان لم يكن! فقال له طالوت: صدقت، فلو لم يكن كان خيراً لك، ولا مردَّ لأمر الله.

ثم قال له: أخبرني أين ظفر بك صاحبك أبو البسام؟ فقال: أنا أظفرته بنفسي، وقصدته لوصلة كانت بيننا أستشفع / به إليك، فأخفر ذمتي، وكان منه ما تراه. فقال له: فأين كنت في عامك قبله؟ قال: عند رجل من اليهود ملت إليه بجواري، فآواني ولم يقصر في حفظي ولا قلق بمكاني.

١١١/أ

فتهانف[4] الحكم إلى أبي البسام وقال له: سوأةً لك! رجل من اليهود أعداء الملة حفظ لهذا الشيخ محله من الدين والعلم فأخطر في إخفائه دمه وماله، وأنت رجل من أهل ملته وذوي[5] صداقته ناقضت اليهودي فيما أسداه إليه، وهو من

(١) ص: دنياك.

(٢) ص: أمضعه.

(٣) ص: لي.

(٤) تهانف أي تضاحك إليه في تعجب وسخرية.

(٥) ص: و . . . وى.

خيار أهل ملته وأولى برعايتك، فأثمت[1] فيه ولَؤُمْت ما شئت، وأردت أن تزيدنا فيما نحن نادمون عليه من سوء الاتهام وسفح هذا الدم الحرام؟ لبئس[2] الصاحب أنت! اخرج عني قبَّحك الله فلا نرى وجهك!.

وأمر بتوفير أرزاقه، وطيِّ فراش كرامته ببيت وزارته. فتلك التي حطته لديه وأخملته، ووصمت عقبه، فلم يزالوا في ارتكاس وسفال إلى اليوم. وبقي طالوت بعد إقالته مبرورًا لدى الأمير الحكم، محفوظًا إلى أن توفي إلى مديدة من خروجه من نكبته، فأسيَ الأمير الحكم له وحضر[3] جنازته بنفسه وأثنى عليه بصدقه.

وقال أحمد بن محمد بن خلف الوراق:

كان أكثر أهل الربض الأكبر بعدوة النهر، الذين هاجوا الفتنة الكبرى المُـمَوَّنْ إليه سوامًا طغامًا جُهَّالاً أجلافًا[4] أولي استخفاف بالسلطان، وجرأة عليه، وتحصيل لأخباره وطَعَنَان في سيرته[5]، لا يشكرون له نعمة، ولا يغمضون له عن عورة، ولا يعتقدون له هيبة، ولا يزالون يتسلطون على غلمانه العجم، وجنده الحشم بالألسنة، ويعرضون لهم في الأندية، ويسمعونهم القبيح، حتى بلغ من استخفافهم بالأمير الحكم، أن كانوا ينادونه بالليل من أعلى صوامعهم ناعين عليه بطالته، نابشين عن مساويه[6]، هاتفين به "الصلاة يا مخمور!"، هاتكين منه المستور.

---

(١) ص: فائت.

(٢) ص: ليس.

(٣) ص: وحظر.

(٤) كلمة غير واضحة الحروف في الأصل.

(٥) ص: سيره. ولعل الصواب ما أثبتنا، والطعنان مثل الطعن، وهو الثلب والذم.

(٦) الكلمات الثلاث الأخيرة متراكبة الحروف، إذ أمرَّ الناسخ عليها قلمه لتصحيحها مرارًا، ولعلها كما أثبتنا.

لقد انتهى بهم الاجتراء عليه، أن خرج في بعض أيامه متفرجًا بالصيد إلى جهة القنبانية[1]، فسلك على القنطرة واشتق سوق الربض، فعرضوا له بالقول، ورموا[2] إليه بالتعريض، وصفّقوا عليه بالأكف، فأعرض عنهم، ومضى لسبيله، وضميره نَغِلٌ عليهم، وقلبه مملوء من مخافة شرهم. فلما تبين له مذهبهم، ونظر إلى سوء فعلهم وكشفهم لوجوههم بالخلاف له والترك لطاعته،[3] أخذ حذره منهم. فبنى ما استهدم من سور مدينة قرطبة، وجبر ثلمه، وأقام الرصيف قدام قصره وما فوقه، وشرع في ابتياع العبيد، وإلحاق الرجال الأنجاد، وإعداد العدة، وتحصين عوراته، وإكثاف حجابه وحراسه.

فلما استوثق لنفسه، واتسق له مراده، قبض على عشرة من رؤساء سفهاء أهل قرطبة وأعلام أحداثهم المسارعين إلى الشر، فقتلهم وصلبهم منكسين. فهاج لذلك أهل الربض، وأسعدهم بعض أهل شبلار على فتنتهم هذه، فثاروا بالسلطان، وعطلوا / الأسواق، وحملوا السلاح، وجاهروا بالمعصية، وزحفوا في جموعهم إلى باب القصر، يقاتلون الأمير الحكم، ويسطون ألسنتهم فيه، وهم كالجراد المنتشر كثرة، وتهافتًا على الكريهة.

١١١/ب

فناصبهم الأمير الحكم الحرب، وخرج إليهم من قصره في جميع عبيده وجنده، قد فرق بينهم السلاح، ووضع لهم الأعطية، والتحم بين الفريقين القتال وتصادقوا النزال. فغلب أهل الربض على القنطرة[4]، وكشفوا عنها رجال الأمير حتى بلغوا بهم باب السدة، فأخذوا بمخنق الأمير، وأحاطوا بقصره، فلم يشك الأمير ومن

(١) ص: القنانية، والصواب ما أثبتنا، والقنبانية لفظ عجمي يعني الحقول والمروج الممتدة على ضفة الوادي الكبير الجنوبية في مواجهة قرطبة. واسمها الإسباني La Campina.

(٢) ص: وأرموا.

(٣) ص: لطاغية.

(٤) ص: العنطر.

معه أنهم مغلوبون لا محالة، فظهر من شدة صبره وتوطية[1] نفسه على الموت في مقامه؛ ذلك أنه لما اطلع على مأزق الحرب، فرأى شدتها، قال لخادم[2] له: جئني[3] الساعة بقارورة غالية. فكأن الخادم شك في طلبته، واتهم سمعه، فتوقف عن[4] المضي لأمره، فصاح به الأمير: انطلق يابن اللخناء[5]، فعجِّلْ عليَّ بالغالية! فأتاه بها، فغشي بها رأسه ولحيته. فقال له الخادم: وأية ساعة طيب هذه يا مولاي؟ وقد ترى ما نحن فيه! [فقال له الحكم[6]:] أُعْزُبْ لا أُمَّ لك! وكيف يُفَرِّق رأسُ الحكم من رأس غيره إن لم يفرِّق الطيب بينهما؟ ثم شدَّ على نفسه، واستلأم للحرب، وشمَّر عن[7] ساعده.

وأمر يابن عمه عبيد الله بن عبدالله البلنسي وإسحاق بن المنذر القرشي أن يخرجا عن المدينة من باب اخترعه[8] يومئذ بركن المدينة الشرقي لم يكن قبل، يعرف بالباب الجديد إلى اليوم، نهض منه هذان القائدان فيمن ضمه إليهما من العبيد والجند، فأخذوا على الزقاق الكبير، وعبروا النهر من قبله، فصاروا عند دمنة الخشابين، وأتوا أهل الربض من خلفهم، فوضعوا السلاح فيهم، وشد عليهم الأمير الحكم فيمن معه من أمامهم، فجالدوه[9] على باب القنطرة جلادًا شديدًا، قاومه بفرط صبره وصدق رجاله.

---

(١) كذا في الأصل، وهي تحتمل وجهًا مقبولاً وإن كنت أظنها محرفة عن "وتوطين".

(٢) ص: الخادم.

(٣) ص: جئني.

(٤) ص: على.

(٥) ص: اللخنا.

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

(٧) ص: على.

(٨) ص: اخترقه.

(٩) ص: فجادلوه.

إلى أن منَّ الله عليه بالنصر، وقذف في قلوب عدوه الرعب، فانهزموا أعظم هزيمة، وقتلوا مقتلة عظيمة. وتتبع فلهم، فأخرجوا من البيوت والدور، واقتصوا في الأطراف والطرق. فانتقى من وجوههم زهاء ثلاثمائة رجل، صلبوا على شط النهر، قدام باب القصر إلى حد المصارة.

واستباح الأمير الحكم حريم أهل الربض، ومن مالأهم من أرباض قرطبة ثلاثة أيام، بالقتل والنهب والاستباحة والإحراق[1]. وأمر مناديًا ينادي في الناس: أنه من ظفرنا به من أهل الربض بقرطبة بعد ثلاثة أيام من هذا اليوم قتلناه وصلبناه. فخرج عند ذلك من كان مستخفيًا منهم ومن أتباعهم إلى سائر البلاد بنسائهم وأولادهم وما خطفوه من خِفِّ أموالهم، فتقطعوا أيادي سبأ، وبُدِّد شملهم، فقطع دابرهم، وقعدت لهم خيل الجند وفسقة الناس بالمراصد في وجوههم من البلد، فنهبوا قومًا منهم، وقتلوا من امتنع عليهم.

١١٢/أ وأمر الأمير الحكم بهدم الربض / الكبير مأواهم، وإحراق دوره وأسواقه، والتعفية[2] له وطمس أثره، فانتهى في ذلك إلى حده، وصُيِّرت ساحته صحراء مزرعة، كأن ما غنيت بسكنى قط. فأصبح حديث القوم عبرة سارت به الركبان إلى البلاد النائية[3]، وتحدثت عنه السُّمَّار في الأحقاب الرادفة.

وعهد الأمير الحكم عهدًا مؤكدًا في تعطيل عِراص أهل الربض، وتحريم البناء فيها ما تمادت لولد هشام خلافة، وصيَّره في ولده وصية مرعية، حافظوا عليها بعده إلى آخر مدتهم.

ولقد بسط قوم من أهل قرطبة بآخر زمن الجماعة في آخر دولة خاتم خلفائهم الأمير هشام بن الحكم بن عبدالرحمن المفوض أمره إلى آل عامر حُجَّابه، مدُّوا

---

(١) ص: والاسواق.

(٢) ص: والتعية.

(٣) ص: النايبة.

أيديهم إلى الابتناء بهذه الساحة المحرمة من ديار أهل الربض العافية إلى جانب قرية شقندة على مقربة[1] من شط النهر، وذاك وقت احتفال عمارة قرطبة واغتصاص أكنافها المتشرة بقطينها الجمّ من أهلها والمهاجرين إليها من بلاد الأندلس والعدوة، فاستحسنوا[2] طيب تلك المحلة وفرجتها وسعتها أوانَ ضاقت بهم ساحة قرطبة العريضة، فابتاعوا العِراصَ هناك من أربابها بالأثمان الموفَّرة[3]، وشرعوا في ابتناء الدور والمنازل بها بقوة، فأمعنوا في ذاك، والخليفة هشام المؤيد ذاهل عنهم بعكوفه في قصره وتركه الظهور[4] لرعيته والمشي في أرضه.

إلى أن صعد يومًا من ذلك إلى بعض علالي القصر المشرفة على هذه العدوة ابتغاء الفرجة، فساعة وقعت عينه على ذلك البناء المحدث بتلك الساحة المُحْماة، أنكر وانزعج منه، وسأل عن مداه، فعرف من ذلك بما زاد في قلقه واستذكار جهد سلفه[5]، واستقصر حاجبه عبدالملك بن أبي عامر النائب يومئذ عنه في إضاعة مثله. وبادر بالكتاب إليه يلومه على غفلته، ويأمره بالإرسال لهدم ذلك كله، وحط ذراه، وتسويته بالأرض، وإعادته قرقرًا حسب ما كان عليه، والإشادة بذكر عهد جده الحكم المحفوظ[6] فيه والنبذ بغليظ الوعيد لمن تخطاه. فبلغ عبدالملك الغاية في تغيير ذلك وإزالته، وإعادته إلى حاله الأول. والأخبار عن هذه الوقعة الشنعاء بأهل قرطبة أوسع من أن تحصى، فهي التي ضربت أوتاد ملك بني مروان بالأندلس، فاستقرت على الثرى.

(١) ص: معربة.

(٢) ص: فاستحسُوا، وما أثبتناه هو الأوفق للسياق.

(٣) ص: الموافرة.

(٤) ص: الضهور.

(٥) ص: سلبه.

(٦) ص: المحفوض.

ذكر خبر غريب الشاعر

قال:

وأنشد معاوية بن هشام الشَّبِينسي[1] لغريب بن عبدالله الشاعر العِرِّيض في رثاء أهل قرطبة من شعر له طويل، يحدو أشعاراً له في مراثيهم مختارة. وقد كان هاجر إلى طليطلة قبل الحادثة على أهل الربض بمدة، لخوفٍ لحقه من الأمير الحكم، إذ كان متهماً في طاعته[2]، منحرفًا عن ولايته، فلاقى من أهل طليطلة لموافقتهم[3] له في رأيه قبولاً ورحباً: ألقى ببلدهم عصاه، وأهدى لهم من معايب السلطان ما زادهم غيّاً، فأوجهوه في مشيختهم، وأشركوه في آرائهم. فلم يزل على حاله تلك لديهم، إلى أن هلك عندهم، وما إن سلم قوم من زعمائهم على ذلك / من هجائه لخبث لسانه. وأخباره[4] في ذلك سائرة، ومنزلته في صنعة الشعر مكينة[95]. ١١٢/ب

فالمختار من رثائه لأهل قرطبة في القصيدة التي قدمنا ذكرها قوله: [من الكامل]

يا أهل قرطبة الذين تواكلوا	جِدُّ الدفاع من التواكل أفضلُ
جِدُّ الدفاع لو انَّكُمْ دافعتمُ[5]	يوم الهياج لكم أعزُّ وأجملُ
إن التواكلَ وَهْنَةٌ ومذلَّة	والجِد فيه الصُّنع والمتَهَلَّل
يا أهلَ قرطبة المباحَ حماهمُ	أورثتموني حسرةً ما تُحْمَلُ
يا أهل قرطبة العظيمَ بلاؤهم	أمسيتُ من طول الأسى ما أَعْقِلِ

(١) ص: الشبِّيس.

(٢) ص: طاعته.

(٣) ص: لمرابعتهم.

(٤) ص: وأخبوره.

(٥) ص: دافعتهم.

يا أهل قرطبة الطويلِ نعيمُهُمْ … رَحَلَ النعيم وبؤسكم ما يرحل

يا أهل قرطبة الذين لذلهم … أَهْوَى لوَ انَّ التربَ فوقِيَ يُجْعَلُ

يا أهل قرطبة الذين لذلهم … أهوى لو انِّي للمنيةِ مأكلُ

يا أهل قرطبة الذين لذلهم … أمسي طويل الحزن ما أتهلل

يا أهل قرطبة الذين لما لَقُوا … أَمْسَتْ دموعُ العين مني تهملُ

صرتم أحاديث العبادِ وكنتمْ … عونًا لهم في كل هَمٍّ ينزلُ

فإلى الذي مَلَّكَ الملوكَ وعَزَّهُمْ … أشكو تَفَرُّقَ شملكُمْ وأُعولُ(١)

كم كان فيكم من صَئُومٍ قائمٍ … تالٍ لما نَصَّ النبيُّ المُرْسَلُ

أمسى عبيدكم الذين ملكتمُ … ملكوا عليكم والأمورُ تَحَوَّلُ

ماذا خَرَجْتُمْ عنه أو ما أنتمُ … فيه تعالى اللَّهُ ماذا يفعلُ

بعد القصورِ وبعد عَيْشٍ ناعمٍ … صرتمْ إلى ذُلٍّ يهين ويَسْفُلُ(٢)

بعد السرور وبعد أمنٍ واسعٍ … صرتم وأنتم للمنايا منهل(٣)

بعد التجمُّعِ في المساجد صرتمُ … مِزَقًا فمَنْعِيٌّ وآخرُ مُعْجَلُ

أمست مساجدُكم تحنُّ إليكم … واهًا كما حنَّ الحزينُ المُعْوِل

عَطَّلْتُمُوها بعد طولِ عمارةٍ … من كان يَحْسَبُ أنها ستُعَطَّل

فَقَدَتْ تلاوةَ وَحْيٍ من بُنِيَتْ له … واللَّه يجبرُ أهلَها ويَمُولُ

يا أهلَ قرطبة العظيم بلاؤهُمْ … عُوذوا بربٍّ عادلٍ لا يَغْفُلُ

اللَّهُ أبلاكم لِيَعْلَمَ صَبْرَكم … واللَّه أَوْلى بالأمورِ وأعْدَلُ

يا رَبِّ قَرِّبْ من عبيدكَ رحمةً … تعطيهمُ منكَ الذي قد أَمَّلوا

واكشف برُحْمَى ما بهم واجْبُرهمُ … من بأس عبدٍ بالغويةِ يُعْجِلُ

---

(١) كلمة الملوك مكررة في الاصل، وفيه أعدل محرفة عما أثبتنا.

(٢) ص: يسبل.

(٣) ص: الشطر الثاني "اصم وأنتم صرتم".

وهي طويلة جداً. وله في فقهاء قرطبة يهجوهم: [الطويل]

١١٣/ب أَيُؤْخَـرُ عنكُمْ مـا شَـرَعْـتُمْ وأنتمُ ... لكم فُرُشٌ تُحْشَى بريشِ الحواصلِ/

فما كانَ هذا هَدْيَ مَـن كانَ يُقْتَدَى ... بِهَـدْيِهِمُ من صـالحـينا الأوائلِ

وله في هجاء أهل طليطلة على جميل فعلهم وكريم إحسانهم فيه: [الطويل]

أراني غـريبًـا في بلادي ومـوطني ... فَمَنْ را غـريبًا غَيْرَ مُغْـتَرِبِ الأهْلِ

عَـجِـبْـتُ لِـكَـوْنِي طليـطلَةَ الَّتي ... يَـسُـودُ بها أَهْلُ الـسفاهَةِ ذا العَـقْلِ

فلم أرَ مـثلـي قَـرَّ فـيـهـا قـرارُهُ ... ولا مـثلَ قومٍ ضـاعَ عِنْدَهُمْ مـثلي

ولو أنني في دارِ قـومي لأمـسكوا ... بِضَبْـعِيَ حتى أَسْـتَخِفَّ من الـثِّقْلِ

وحتى يُزيحُوا الفـقر عني بِرِفْدِهِمْ ... ولن يَجِـدَ المرتادُ خـيـرًا من الأهلِ

وله أيضاً في أهل طليطلة: [البسيط]

أَحَبُّ شيءٍ لديكُـمْ من أَضَـرَّ بكم ... كـالْكَلْبِ آلَفُ مـا يُـلْفَى إذا خُنِقـا

ولـه في عبدالخالق الباهليِّ أيامَ سَعَى لولاية قضـاءِ طليطلة من أبيات: [البسيط]

تَرْجُو القضـاءَ على ما فيكَ من دَخَلٍ ... لِلَّهِ أنت لقـد أصبَـحْتَ ذا هَيَمِ[1]

مَنَّيْتَ نفسَـكَ لمـس الشمسِ طالعـةً ... هيهـاتَ حـاولْتَ أمـرًا غيـرَ ملتئمِ

كُلُّ امـرئٍ فَـلَهُ حـالٌ يـليـقُ به ... والذِّيبُ لَيْـسَ بمأمـونٍ علـى الغَنَمِ

إنَّ الذئاب إذا ما اسـتُرْعِـيَـتْ غَنَمًا ... أصَبْنَ منها الذي يَشْفِي من القَرَمِ[2]

(١) الهيم في الأصل العطش، والمراد هنا الرغبة الجامحة.

(٢) القرم شهوة اللحم.

وله أيضاً: [السريع]

اعْتَزِلِ الناسَ وأعمالَهُمْ … تسلَمْ من القالَةِ والناسِ
إن تلقهم تَلْقَ أذًى حاضراً … ما أرْوَحَ المعتزلَ النَّاسي
كم من أذًى كنتُ به واثقاً … نافرني من بعدِ إيناسِ
لما تصدَّى لِيَ [يوماً] لَوَى … جانبَ نابَيْهِ بأضْراسِ[١]

وله أيضاً: [الوافر]

حَلَفْتُ بربِّ مكةَ والهدايا … يميناً ليسَ فيها مثنويَّه[٢]
لَمَا في الناسِ مَنْ يُرْجَى لفعلٍ … يسودُ به ولا فيهمْ بقيَّه
أماتوا كل مكرُمَةٍ وأحْيَوْا … من الأفعالِ أفعالاً دنيَّه
يَرَوْنَ المنعَ والإمساكَ حِذقاً … ونبلاً والعطاءَ من الرزيَّه
كأنَّ الناسَ كلهمُ جميعاً … قد اقتسموا الرذائلَ بالسَّويَّه
فَمَنْ يستعذبِ الدُّنيا يَجِدْهَا … إذا اسْتَمْرا حلاوتَها وَبِيه[٣]

وله أيضاً: [الطويل]

لا تَحْقِرَنْ عِلْمَ الوضيع فإنما … يُلَقَّطُ ياقوتٌ خلالَ المزابلِ[٤]
ولا تكرِمَنَّ المرء يوماً لماله … فرُبَّ كثيرِ المالِ نُكْرِ الفضائلِ
ولا تَحْقِرنَّ المرءَ إن قلَّ مالُهُ … فربُّ قليلِ المالِ حُلْوِ الشَّمائلِ
ولا تُعْجَبَنْ بالمرءِ راقَكَ حُسْنُهُ … فكَمْ مالئٍ لِلْعَيْنِ ليس بعاقلِ

---

(١) "يوما" زيادة يقتضيها تمام المعنى والوزن.

(٢) اليمين التي ليس فيها مثنوية هي التي لا استثناء فيها. والهدايا جمع هديّ وهو ما يُهْدَى إلى البيت الحرام من نعم: إبل أو بقر أو غنم.

(٣) ص: استرى.

(٤) لحق هذا البيت الخرم وهو ذهاب سبب من أول شطره الأول.

١١٣/ب / وقال أحمد بن محمد:

كان غِرْبيبُ بن عبدالله الشاعر حَرُوريًا،[١] صادقًا عن الإمامة، ناقمًا على الجماعة، متعصبًا لأهل الربض، متبرئًا من الأمير الحكم المُوقِع بهم، كثير القول في رثائهم، وقد لحق بطليطلة أنسًا بهم لطول[٢] خلافهم على الأئمة، وشرق الأمير الحكم بغُصته حتى أهدر دمه، وبذل في رأسه الصلة الرغيبة، فكان بطليطلة مذعورًا لا يقر به قرار، إلى[٣] أن دخلها الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، لتسكين حال أهلها وتأمين من صار عندهم من فَلّ الربضيين.

فرفع إليه غربيب بأبيات شعر يمدحه فيها، وقد كان قليل المدح، وكتب في أسفل بطاقته:

"أما بعد، فإني أراني لو كنت معتصبًا بالسحاب فَرَقًا من عظيم ذنبي لما أَقَلَّتْنِي، فها أنا مُلْقٍ بيدي إليك، راجيًا عطفك، فحنانيك!"

فوقّع عبدالكريم على ظهر رقعته:

"قرأت كتابك تذكر وجلك، ولم يبلغك أبا عبدالله نابغة بني ذبيان[٤] شدة خوف وذعر جنان. فإن كنت صادقًا فالحق بكنف الأمير - أصلحه الله - تلْق أمَد الأبرّ إن شاء الله".

فلم يطمئن، وأقام على تخوُّفه إلى أن لحقته المنية.

---

(١) الحروريّ نسبة إلى حَرَوْراء، موضع بظاهر الكوفة ينسب إليه الخوارج الحرورية إذ كان أول اجتماعهم وتحكيمهم بها حين خالفوا الإمام علي بن أبي طالب، ثم أطلق اسم الحرورية على الخوارج كلهم، وبعد ذلك على كل متشدد في الدين أو ثائر على السلطان، وهذا المعنى الأخير هو المقصود في النص.

(٢) ص: بطول.

(٣) ص: إلا.

(٤) ص: ذبيان. والإشارة هنا إلى النابغة الذبياني صاحب الاعتذاريات المشهورة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة.

قال أبو بكر بن القوطية:

لم يتملَّ الأمير الحكم حلاوة العيش بعد وقعته بأهل الربض، وامتُحن بعلته الصعبة التي طاولته أربعة أعوام من آخر عمره، فلَّتْ غربه، وأطالت ضناه، واحتجب فيها آخر مدته، واستناب ولده عبدالرحمن في تدبير ملكه، فمات أسفًا على توبة من ذنوبه، وندم على ما اقترف[1] منها، واستغفار لربه مما جرى على يديه لأهل طليطلة وأهل قرطبة وغيرهما من كبائره، وعرضت له رقة شديدة عَفَّت[2] على ذكرته وصلابة قناته، فطفق يكثر الذكر، ويفزع إلى استقراء القرآن، ويأنس بتلاوته إلى أن مات على حاله تلك، فكانوا يرجون له خيرًا [96].

سنة ثلاث ومائتين:

(رجع التاريخ) قال أحمد بن محمد الرازي:

[في][3] هذه السنة، أنفذ الأمير الحكم حاجبه عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث إلى طليطلة. وكان قد عمل على الخروج إليها بنفسه، فأتاه خبر من العدو توقف من أجله، بعد أن كانت قُرِّبت إليه دابته ليركبها، فانصرف إلى بيته، وأنهض حاجبه عبدالكريم إلى أهل طليطلة، ومعه رهائنهم ابن مضاء، وابن حمدون، وغيرهما، ناظرهم بالإيعاد[4] فيهم على معاودة الطاعة، وإرعاج الأعداء اللاحقين بهم من أهل طليطلة، أخرجوهما إلى القتل الديلي[5]. وأباحوا

---

(١) ص: اقترب.

(٢) ص: عقبت، ولها وجه لا يبعد عن الصواب، غير أن ما أثبتناه أصوب وأوفق للسياق. يقال عفَّى على الشيء أي أذهب أثره. والذُّكرة الواردة بعد ذلك هي الذكورة والفحولة.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) ص: بالإعاد.

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الأصل، ويبدو أن فيها سقطًا ولحق بعض كلماتها تحريف، إذ لا يتوجه بها معنى مقبول. ويرى فيديريكو كورينتي أن لفظ "الديلي" قد يكون محرفًا عن "الويلي" أي الموجب للويل. وهو وجه مقبول، وإن كان تعبيرًا غير مألوف. وهناك احتمال أن يكون اللفظ محرفًا=

للحاجب عبدالكريم الدخول إلى طليطلة، فسكن أحوال أهلها ولاطفهم وأمضى مهاجر بن عتبة على ولايتهم، [وعاد][1] إلى قرطبة.

وفي هذه السنة ظهر طملس المعروف بالدوي بدعوة اليمانية. كانت له عادية قبل ذلك في بلد الغرب مع جرير بن وهب الله، وأنفذ إليه الأمير الحكم صائفة في هذه السنة حاصرته بباجة، فقتل في هذا العام، وفتحت باجة، وتفرقت / جماعة اليمانية. ١/١١٤

سنة أربع ومائتين:

فيها أغزى الأمير الحكم الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث بالجيش إلى أهل طليطلة، لأخذهم بما تكلموا به، من إخراج من صار عندهم من فلّ قرطبة، ومسكنهم أي البلاد أحبوا سواها وسوى قرطبة، فأعطاهم على ذلك أمانًا مؤكدًا، كتبت لهم به صحيفة.

وفيها نكث أهل طليطلة، واستعادوا مهاجر بن القتيل مغويهم، فولوه أمرهم، ودفعوا مهاجر بن عتبة عنهم.

وفيها، حصر مهاجر بن القتيل المذكور مدينة اليهود [97] وضيّق عليهم حتى أخذهم فيها، فقدم إلى طليطلة وأقام فيها مدة.

سنة خمس ومائتين:

وفي هذه السنة، خرج الأمير الحكم بجيشه، يريد مدينة طليطلة، لإصلاح ما التاث من حالها. فلما بلغ فج سراج [98] تلقاه ظهيره[2] عمروس المعروف

= عن "الدُّوْنِي" نسبة إلى الدُّوْلة وهي الداهية. وأما لفظ "طليطلة" الوارد في قوله "الأعداء اللاحقين بهم من أهل طليطلة" فإنه يبدو لي محرفًا عن قرطبة، إذ يظهر أنه يشير إلى فلّ الربضيين، بدليل ما سيذكره المؤرخ في أول أخبار سنة ٢٠٤هـ الوارد بعد.

(١) إضافة يتطلبها السياق.

(٢) ص: ظيره.

بالحزم، ومعه جماعة من أهل طليطلة باخعين بطاعته، متبرئين من شقاقهم، فاسْتَرَقَّهُ عمروس فقبل منهم، وتوقف عن غزوهم، وانصرف من مصافه ذلك إلى قرطبة.

وفيها قتل القرشي الذي كان ظهر بشنت بَرِيَّة [1] [99]، ولفَّف على الخلاف جماعة، فأخرج إليه الأمير الحكم إبراهيم بن مزين في الجيش، فأتاه به مكبولاً، فأمر بضرب عنقه.

سنة ست ومائتين:

وفي هذه السنة، أخرج الأمير الحكم ابنه عثمان إلى مدينة طليطلة في عسكر مَجْرٍ، وأرسل معه الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، ومهاجر بن عتبة، وإبراهيم بن مزين، من أجل فتنة وقعت فيها بين مهاجر بن القتيل، ومحمد ابن زريق. فلما بلغوا وادي العسل... [100] وسجن مهاجر بن القتيل، وولى طليطلة حكم بن عتيهة في ذي الحجة منها.

ذكر بيعة الأمير الحكم لابنيه

قال معاوية بن هشام القرشي الشبيني[2]:

لما انفضَّ أمر هيج الربض بقرطبة، واستقرت الحال، وهدأت الأطراف، رأى الأمير الحكم أخذ البيعة بالعهد لابنه عبدالرحمن أكبر ولده. فدعا الناس لها، وأخذها على جميعهم، فأعطوه بها صفقة أيمانهم. ثم رأى أن يأخذ البيعة عليهم لابنه المغيرة [101] بعد عبدالرحمن، ففعل أيضًا وأكد وأنفذ، إذ كتب بذلك إلى عمال الكور بعد أخذها على أهل الحضرة، فاستوثق الناس له عليها.

---

(١) ص: بسنت برية.

(٢) ص: القشي الشيي.

فلما أن أفضت الخلافة إلى عبدالرحمن بعد مهلك الأمير الحكم، أقر أخاه[١] المغيرة على حاله، وأمضى له ولاية عهده، فكان يدعى بها، ويسمى مدة، وله بأخيه الأمير ألطف خاصة، ولديه أرفع منزلة، إلى أن رأى المغيرة من ذاته[٢] التخلي عن ولاية العهد والانحلال[٣] عما عقده له والده منها، فسأل في ذلك الأمير / عبدالرحمن أخاه[٤]، وتبرَّع إليه عن طيب نفس منه بِحَلِّه عنها. فأمر ١١٤/ب الأمير عبدالرحمن بجميع أهل المملكة من الوزراء وأهل الخدمة والقضاة والحكام والفقهاء وأعلام الناس إلى المسجد الجامع. وجاءهم المغيرةُ إلى هناك، فخلع نفسه عندهم خلعًا مكشوفًا مسئولاً عن اختيار واغتباط، لم يتصل به إكراه ولا مخافة[٥]. فشهدوا عليه بذلك، وارتفع الأمل فيه، واستقرت حاله مع أخيه إلى أن توفي الأمير عبدالرحمن، فكان المغيرة أول من بايع الأمير محمد بن الأمير عبدالرحمن ولده، وأقام مكرمًا عنده إلى أن توفي في شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائتين، وعقبه كثير[102].

وقال أحمد بن محمد الرازي:

في هذه السنة، بايع الأمير الحكم بالعهد لابنيه عبدالرحمن، ثم المغيرة أخيه من بعده. وانعقدت البيعة لهما يوم عيد الأضحى منها، وكان يوم الثلاثاء العاشر من ذي الحجة من هذه السنة. ابتدأ الناس بالبيعة لهما ذلك اليوم في القصر، ثم قعدا معًا في دار عبدالرحمن المقدم منهما في الولاية، وانثال الناس عليهما مستبقين إلى إتيانهما[٦] إليها. ثم إن المغيرة منهما ركب إلى المسجد الجامع، وقعد فيه يومًا بعد

(١) ص: أخوه.

(٢) ص: داية.

(٣) ص: والانغلال.

(٤) ص: أخوه.

(٥) ص: مجاف.

(٦) ص: ايثانهما.

يوم لمبايعة العامة له، فتسالموا إليه، وكانوا يبايعونه عند المنبر، ثم بايع له آخر الناس في داره، فعمت هذه البيعة جميع الناس، وكان أول بيعة لولي عهد وقعت بالأندلس لهؤلاء المروانية.

وقال أبو بكر بن القوطية:

لما خمدت الفتنة بالوقعة المثخنة في أهل الربض، فاعتلت عنده الخلافة للأئمة من بني مروان، وتوطدت الطاعة بدولتهم للأمير الحكم بن هشام، رأى أن يُحَصِّن الملك، وينظر للعامة، ويَشُدَّ[1] بهم صلاح الأمة بالاقتداء بسلفه، في نصب[2] ولي عهد، ينقطع به الاختلاف وتسكن إليه / نفوس الرعية. فأخذ عليهم البيعة بولاية العهد في حياته، والخلافة من بعده لعبدالرحمن ولده، ثم المغيرة أخي عبدالرحمن من بعده، وذلك عندما جدَّت به عِلَّته، وأيس من نفسه، فأتاه الناس إياها مبادرين، ولم يختلف عليه أحد. ١١٥/أ

وقال الفقيه محمد بن وضاح:

كان الأمير الحكم، أول من[3] أقام للناس ولي عهد، من خلفاء بني أمية بالأندلس في حياته؛ مخافة الاختلاف بعده. أشار عليه بذلك وزراؤه؛ وذلك بعد وقعة الربض بمدة، فبايع لابنه عبدالرحمن بعده، ثم من بعد عبدالرحمن للمغيرة ابن الحكم أخيه، وذلك في صدر ذي الحجة من سنة ست ومائتين.

وقال أحمد بن محمد:

لما انقضت أيام البيعة لعبدالرحمن والمغيرة ووالدهما الحكم شديد العلة، خرج أمره بلسان ولي عهد ولده عبدالرحمن، بقتل ربيع بن تدلف القومس [103] العامل على طبول أهل الذمة، والمتولي لقهرمة الأمير الحكم وأموره الخاصة. وكان من

(١) ص: ويشتد.

(٢) ص: نصف.

(٣) ص: ما.

شر الخليقة، وأشغفهم بالظلم والاستطالة. طالما استهدف للمسلمين، فيما يتولاه للأمير الحكم: يسومهم الخسف، ويحدث فيهم المنكر من الخبيثة. فأراد ولي العهد عبدالرحمن بن الأمير الاستحماد إليهم بقتله، واستلال أحقادهم بإهلاكه والتمثيل به. فأنفذ ذلك ولي العهد بين يدي وفاة الأمير أبيه، فأصاب به من مَسَرَّةَ أهل قرطبة فوق ما أراده، وجفلت[1] جماعتهم لمشاهدة حِمامه، وتملّي المسرة بنكايته[2]، معلنين الدعاء للأمير على ما أزال من مكروهه.

وأمر ولي العهد مع ذلك، بهدم الفندق الذي كان في جهة الربض بعدوة النهر قرب القنطرة، وكان أحد القصور الفخمة مبنيًا بالجص والآجُرّ، متخذًا لبيع الخمور والأشربة، مقبّلاً بالضرائب الثقال، ينتابه أهل الباطل من كل أوب، فيعلن فيه بالمعاصي الموبقة، أبيح للناس هدمه، فغشوه رِجْل[3] الجراد، وغادروه قاعًا صفصفًا في ساعة. وكان متقبّله[4] حيُّون الفندقي، المضروب به المثل في الفسوق والجرأة. وله أخبار طويلة.

وذكر معاوية بن هشام الشبينسي[5] القرشي قال:

لما أن ثقل الأمير الحكم بن هشام، وأيقن بالمنية، ألقى بالأمر إلى ولده ولي عهده عبدالرحمن، وصيَّره معه في القصر. فكان أول ما أحدثه ـ وأبوه الأمير الحكم بعدُ حيٌّ ـ أن صلب ربيع بن تدلف القومس على النصارى، أحق مخلوق بالصلب والمثلة لسوء آثاره ـ كانت ـ في المسلمين، وكثرة تشكيهم لفرط أذاه لهم،

(١) ص: وجعلت.

(٢) ص: بكفايته.

(٣) غشوه رجل جراد أي أقبلوا عليه متكاثرين كأنهم رِجْل جراد والرِّجْل هو الطائفة الكثيرة، وخصَّ به بعضهم الجماعة العظيمة من الجراد.

(٤) المتقبِّل هو المتكفل بجمع القَبالات وهي الضرائب.

(٥) ص: الشيبي.

فبطش به استحمادًا إليهم، فكان صلبه مشهورًا لكثرة اجتماع الناس له، وفرط ضجيجهم بشكر الله تعالى على رفع فتنته.

وقال في ذلك / عبدالله بن الشمر الشاعر، يمدح ولي العهد الأمير عبدالرحمن ابن الحكم، ويغبطه بحبته تلك في الكافر ربيع القومس من أبيات: [الرمل] ١١٥/ب

يا وَلِيَّ الأَمْرِ من بَعْدِ الحكَمْ ... بكَ جادَ الصُّنْعُ للخَلْقِ وتمْ

خُذْ بشكرٍ نعمةَ اللَّهِ التي ... هِيَ من خيرِ العطايا والقِسَمْ

واشكُرِ اللَّه على نعمتِهِ ... إنَّ في الشكرِ مزيدًا في النعم

فلقد قَرَّبتَ قُرْبانًا بهِ ... تردُ الفِردَوْسَ من طاغي العَجَمْ

ملأَ الناسَ سُرورًا قتلُهُ ... وانجلَتْ عنهم دياجيرُ الظُّلم

كافِرٌ أسلَمهُ أشياعُهُ ... وبه حَلَّت مِن اللَّهِ النِّقَمْ

أيها الناسُ أطيعوا واسمعوا ... لأمين اللَّهِ من بَعْدِ الحكَمْ

مِلِكٌ إن سيلَ خَسْفًا قال لا ... وإذا سيل نَدىً قالَ نَعَمْ

لم تَزَلْ تسمو به هِمَّتُهُ ... وجميعُ الفضلِ في بُعْدِ الهِمم

أقبلَ الخيرِ جميعًا تابعًا ... بعضُه بعضًا إلينا وازْدَحَمْ

قال ابن مفرج:

ولما أيِس الأمير الحكم من نفسه دعا ولده ولي عهده عبدالرحمن، فتخلّى له عن النظر في أمور الخلافة، وولاه تنفيذ أحكامها، وتقدم إليه بالانتقال إلى القصر، والتزام الكون فيه إلى أن يقضي الله قضاءه عليه، فأكبر عبدالرحمن ذلك وزعم أن نفسه لا تسعده على ذلك، وسأله أن يقتصر به على القعود في كرسيّ الشرطة على باب السُّدَّة، مقعد صاحب المدينة، فيكون نظره هناك. فأذِنَ له به واستحسن رأيه، وفعل عبدالرحمن ذلك.

فكان أوّلَ شيء نظر فيه، تغييرُهُ المنكرَ بقرطبة، فأمر بهدم الفندق الذي كان للسُّلطان بقرية[1] شقندة على الوادي، وبصَلْبِ ربيع المُحْدِث له، وكان يُباعُ فيه النبيذُ ويعلَنُ فيه بالمنكر، فهُدِم وأُحرِق، وصُبَّتْ أشربتُه، وكُسِرت آنيته، وأُقيمت الحدود على من وُجِدَ فيه. فضجَّ الناسُ بالدعاء، وعلت أصواتهم حتى سمعها الحكم، فارتاع وسأل، فلما علم بما صنعه ابنه سكن وقال: هو أعلم بما صنع.

ذكر وفاة الأمير الحكم
رحمة الله عليه

قال أحمد بن محمد:

وتوفي الأمير الحكم ما بين صلاتي الظهر والعصر، من يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين، وذلك لتسعة أيام بقيت من شهر مايه الشمسي/ الكائن في هذه السنة، فصلَّى عليه ابنه الأميرُ عبدالرحمن الوالي بعده، ١١٦/أ ودُفِن في تربة الخلفاء بداخل القصر المعروفة عندهم بالروضة مع أبيه وجده يوم الجمعة بعده. ومولده سنة أربع وخمسين ومائة، ومدة خلافته ست وعشرون سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام، وقيل وثمانية عشر يومًا وبالشمسية ست[2] وعشرون سنة وشهر ونصف شهر، وقيل إلا شهرًا واحدًا. وسنه ثلاث وخمسون سنة.

وولي الخلافة وهو ابن ست وعشرين سنة، وكانت البيعة له بها يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة، فكانت سنه يوم توفي خمسين سنة.

---

(١) كذا في الأصل، وأظنها محرفة عن «قربة»، إذ سبق ذكرها بهذه الصيغة (انظر ص ١٧٣).

(٢) ص: سبع وعشرون سنة، وهو خطأ واضح، وذلك لأن الحكم ولي الإمارة بالتاريخ الشمسي أي الميلادي في ١٨ أبريل ٧٩٦ وتوفي في ٢١ مايو ٨٢٢، فمدة إمارته ست وعشرون سنة وشهر وعدة أيام.

صفته رحمه الله: أسمر طُوالٌ، أشَمُّ نحيف لم يخضب. نقش خاتمه: بالله يثق الحكم وعليه يتوكل.

أولاده:

عبدالرحمن أبو المطرف ولي عهده لحلاوة(١)، أبو الأصبغ عثمان، أبو عبدالله محمد، المغيرة(٢) ولي العهد بعد عبدالرحمن، عبدالله: درج، أبو الوليد هشام، أبو العباس الوليد، أبو عبدالرحمن معاوية، أبو عثمان سعيد لمتعة، أبو العاصي أمية، أبو الأصبغ عبدالعزيز، أبو عثمان سعيد الخير(٣)، وأبو بكر يحيى شقيق(٤) سعيد للشفاء، أبو القاسم أصبغ، أبو سعيد كليب، مروان لِعَجَب، مسلمة وعبدالملك والحكم والعاصي: درجوا[104].

ومن الإناث:

البهاء، أمة العزيز، عزيزة، أسماء، عائشة، أم سلمة، أمة الرب، رملة، كندة الكبرى، كندة الصغرى، آمنة، زينب، أم عمرو، رقية، السيدة آمنة(٥)، أم الأصبغ، سعيدة، أم أيمن، فاطمة، فطيمة، ولادة، هشيمة الكبرى، هشيمة الصغرى، نسيمة، عاتكة، أمة الرحمن، تملال، البهات(٦)، بريهة.

وذكر معاوية بن هشام الشبينسي، أن الأمير الحكم كان شديد الانتخاب لمن يتخذه من سراريّه، مستطيبا لمن يولده منهن، بحّاثا عن أصول بيتهن ومظان

(١) المقصود أن أمه كانت تسمى حلاوة، وهو ما يؤكده ابن عذاري في البيان المغرب ٢/ ٨٠.

(٢) ص: المغير.

(٣) ص: سعيد أبو الخير.

(٤) ص: شفين.

(٥) الاسم غير واضح في الأصل، ولعله كما أثبتنا.

(٦) كذا في الأصل، وربما بدا أن الاسم تحريف للبهاء، غير أن "البهاء" كان أول اسم في قائمة بنات الحكم، ولهذا فربما كان تحريفًا لـ "المهاة".

تأديبهن، فيحظيهن بحسب ترقيهن في درج فضائلهن، ولا يزال يُتَعَرَّف الإنجاب في أبنائهن. فكان من آثر حظاياهن عنده الباقيات الأثر في الفضل معه بعده عجب أم ولده أبي عبدالملك مروان بن الحكم: إليها ينسب مسجد عجب بالربض الغربي من غربي قرطبة، ومنية عجب التي بعدوة النهر المحبَّسة على الرحا[١] من تحبيسها. ومنهن متعة أم ولده أبي عثمان سعيد بن الحكم سميٍّ أخيه سعيد الخير ابن الحكم، فهما سعيدان، وربما غُلِط فيهما، وإلى متعة هذه ينسب المسجد الذي بغربي قرطبة أيضاً والمقبرة المتصلة بالمسجد كلاهما من تحبيسها، ولها حباسات غيرها كثيرة في سبل الخير والبر، وكانت من كرائم النساء. وتوفي سعيد ولدها ١١٦/ب في أيام / أخيه عبدالرحمن بن الحكم.

حُجَّابُه:

قال أحمد بن محمد:

كان حاجب الأمير الحكم عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث[105]، تفرَّد بحجابته إلى أن توفي الحكم. وأبى هذا الحسن بن مفرج فقال: استحجب[٢] الأمير الحكم لما وليَ سنة ثمانين ومائة عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث أخا عبدالملك. وكان أحد رجال الكمال المعدودين الأراجح بالأندلس، جامعًا للخصال، التي بِخَصْلَةٍ منها يرتقي صاحب الدنيا إلى الذروة، إذ كان فارسًا شجاعًا، أديبًا فهمًا، كاتبا مرسِّلاً، بليغًا مفوَّهًا، شاعرًا محسنًا. قد ولي الكتابة للأمير الحكم بعد[٣] محمد بن أمية بن يزيد عند صرفه له عن كتابته[106]، فاستقل بالصناعة، وأربى على من قبله. وله رسائل عن الحكم في الهيج وغيره مشهورة.

(١) كذا في الأصل، ولعل صحة الكلمة "المَرْضَى".

(٢) ص: استجب.

(٣) ص: أبو.

وقد قاد للأمير الحكم بالصوائف الكبار، وجرت على يده فتوح جسام. وعلى يده علق أهل الربض بالأمان. وهو الذي أخرجه الأمير الحكم أيضاً ـ وهو حاجبه ـ إلى عمروس المعروف بالمولد، وقد كان خلع بسرقسطة، وأعيا مرامه، فقدم الأمير الحكم إليه بالصائفة الولد عبدالرحمن بن الحكم، فلم يظفر منه بطائل، فأخرج خلفه الحاجب عبدالكريم، وحكمه شأنه، فاستماله ولاطفه، وضمن له مرغوبه، فاستنام إلى عبدالكريم[1] وترك الخلاف وعاود الطاعة، وخرج معه إلى حضرة الأمير بقرطبة. فوفى الأمير لعمروس بجميع ما تكفل له به الحاجب عبدالكريم، ورفع منزلته، وبالغ في تكرمته، وأعاده إلى أعلى محل ثقته به، فسجل له على سرقسطة وذواتها والثغر الأعلى، وأخرجه إليه، فهلك هناك والياً[2] عليه.

عبدالعزيز بن أبي عبدة

قال ابن مفرج:

واستحجب الحكم بن الأمير هشام بعد عبدالكريم بن مغيث، عبدالعزيز بن أبي عبدة[107]، وكان من أهل الفضل والورع مع السخاء والجود، فدخل في الشورى محل أبيه، أبي عبدة حسان بن مالك. وتصرف في مراتب الخدمة العالية، وقاد الصوائف الحافلة، وكان مع ذلك من أهل الفضل والورع، واعتدال الطريقة والتواضع، على تناهي الرفعة. فكان يصلي بجيرانه في مسجده الفرض إذا غاب إمامه، أو عيق عن الحضور.

وكان رسمه أن يقصر وقته في الخدمة بالقصر، فينصرف عشاءً وحده لا تابع له، ولا سائس لدابته، فلربما اجتاز بمسجد تقام فيه الصلاة، فيبادر[3] فضل

(١) ص: عبدالملك.

(٢) ص: وليا.

(٣) ص: فيها ذو.

الجماعة، وينزل عن دابته، فيدخل عنان لجامها في ذراعه، ويقوم في آخر المسجد أو على بابه مغتنمًا فرض جماعته تورعًا وديانة.

وكان كثير الصدقات، فعَّالاً للمعروف، محسنًا إلى الناس، طالبًا السلامة منهم، بارًّا بإخوانه / وجيرانه، مشاركًا لهم في أحوالهم، مطلق البشر، كثير الإسعاف بالحوائج، كريم الصنائع رابًّا لها عند من ولاه إياها، غير مُخِلٍّ بهم في تمكينها وتأثيلها، نَهَّاضاً بالثقيل، مستخفًا[1] بأعباء الخدمة، رفيقًا بمعاملة العلية والسفلة. وقد كان قبل ولايته الحجابة وزيرًا مشاورًا ثقة. وفيه يقول بكر بن قيس الكناني الشاعر [108] من قصيدة: [الطويل]

1/117

أَلِكْنِي إلى عبدالعزيزِ أخي الندى	ثناءً وقولاً فَاتْلُهُ[2] متفرِّقا [109]
لعمري لِنِعْمَ المستغاثُ وجَدْتَهُ	لَدُنْ جئْتَهُ صِفْرًا من الزادِ مُملِقا
أرى كُلَّ يومٍ منه بِشْرًا مُجَدَّدًا	ووجهًا طليقًا بالبشاشَةِ مُشْرِقا
لأضحى وزيرًا للخليفة حاجبًا	يرى رأيهُ رأيًا إذا قال صُدِّقا
فهذا يرى وَجْهَ النصيحةِ قَوْلَهُ	وهذا يرى قولَ النصيحةِ مُوثَقَا
لفازَتْ بنو حَسَّانَ منه بسابقٍ	هنيئًا مريئًا أن تفوزَ وتَسْبِقا

الهيثم بن أصبغ

وقال بعض الرواة: إن الهيثم بن أصبغ [110] هذا معدود في حجاب الأمير الحكم بن هشام، ولم يصح ذلك عند حفاظهم. وهو رجل من الأعلام الموالي وأعيانهم ورؤسائهم. وقد اختلف في نسبه، فقيل إنه من ولد عُكَّاشة بن محصن الأسدي[111]، وأوله من جَيَّان، كانت منزل جدهم. وكان موصوفًا بالذكاء

(1) ص: مستخلفا.

(2) ص: قتله.

والكيس والمعرفة والنبل وحسن التصرف في الخدمة السلطانية، يجمع[1] إلى ذلك الستر والصيانة والخير والفقه. وله أخبار معروفة.

ذكر محاسن
الحاجب عبدالكريم بن مغيث

قال عيسى بن أحمد:

كان الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، من أهل الأدب البارع، والمعرفة التامة، والبلاغة في المخاطبة، والقرض للأبيات الحسان من الشعر. وكان هو ومحمد بن أمية بن يزيد الكاتب وحجاج المغيلي [112] كاتب الرسائل، نمطًا واحدًا في البلاغة والشعر والظرف والنبل. يتكاتبون بالمنثور والمنظوم، ويستعملون في مراسلاتهم فنون الجد والهزل، فيُنْدِرون في كثير مما يأتون من ذلك، ويلقحون به ألباب من يقتبسه من أهل الأدب. وكانوا يتفردون في وقتهم بانتزاعهم[2] كلامهم بالمكنى. وربما حرَّفوا حروفًا من الهجاء يتفاهمونها كما حُرِّفت حروف المُعَمَّى يَحُدُّونها / بينهم، فترهف خواطر من يذهب إلى معرفتها. ١١٧/ب

وقال القاضي أبو الوليد بن الفرضي في كتابه المؤلف في تسمية الأدباء والشعراء بالأندلس، وذكر الحاجب ابن مغيث فقال: هو أبو حفص، عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، مولى الوليد بن عبدالملك بن مروان. دخل جده مغيث إلى الأندلس قبل دخول الأمير عبدالرحمن بن معاوية، فاختط بغربي قرطبة، بلاط مغيث الذي ينسب إليه [113]. وبعده دخل ابن مولاه حبيب بن عبدالملك بن عمر ابن الوليد بن عبدالملك، فاختط قرب خطة مغيث مولى جده. وصار ولد مغيث

---

(١) ص: يجتمع.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها "باختراعهم".

من بعده يزعمون أن عدادهم في العرب الغسانيين، الذين دخلوا أرض الروم عند ظهور الإسلام[114] وأنه وقع على جدهم مغيث سباء، فمنّ عليه الوليد بن عبدالملك، فعلق به ولاء النعمة.

وكان ابن ابنه عبدالكريم هذا، قد أدرك دول أربعة من الخلفاء المروانية، إلا أنه لم يتصرف في أولها أيام الأمير الداخل عبدالرحمن بن معاوية، وإنما تحرك في أيام ولده هشام، فقاد له الخيل سنة تسع وسبعين ومائة، ثم استحجبه ابنه الأمير الحكم، فلم يك له حاجب سواه، إلى أن توفي الحكم، فأمضاه ولده الأمير عبدالرحمن على الحجابة، ولم تطل به فيها المدة إلى أن هلك إلى نحو ستين أو دونهما. وكان دليل ذلك أن عيسى بن دينار الفقيه حضر جنازته، فأثنى عليه، وتوفي عيسى سنة اثنتي عشرة ومائتين. فحكيَ عن عيسى، أنه لما قام على جدث عبدالكريم وقد ووريَ في رمسه وودّعه فقال يخاطبه: يا عبدالكريم، لقد كنت تجعل للناس وجوهًا فليت شعري ما وجهك اليوم عند الله؟

قال:

وكان عبدالكريم كاتبًا مُرَسِّلاً، بليغ اللسان والقلم، ممن جاد ترسيله، وفُصِّلت فصوله، واستُبْرِعَتْ أشعاره. وزعموا أنه وقف على محمد بن أمية بن شهيد[115] لما مات والده أمية يعزيه فقال له: أحسن الله عزاءك، وقدّس مثواك! ما مات من أنت ولده، ولا فُقد من أنت خلفه، فعليك بما لا غنى بك عنه، ولا بُدٌّ لك منه: الصبر الجميل، أمدك الله به.

وكان عبدالكريم جميل المذاهب، شديد التواضع، معترفًا بالحق عليه، منصفًا من نفسه مع اعتلاء منزلته. حكى عنه جماعة، ممن لحقه أنه كان ينقلب من القصر كل عشية وهو يتولى الحجابة في مركب نبيل، فربما مر بمنازل [بني] حبيب مواليه[116]، وهم قعود في دهاليزهم، فإذا دنا منهم نزل عن دابته / ومشى إليهم ١/١١٨

حتى يسلم عليهم ويسأل بهم. فإذا ولّى قُدِّمت إليه دابته إلى مكان لا تدركه أعينهم، فيركب عند ذلك، إجلالاً لهم ورعاية لحقوقهم.

وقال محمد بن حارث:

أخبرني عثمان بن محمد قال: أخبرني الفقيه أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى [117] قال: قال أبي[1] - أي يحيى بن يحيى - في حديث جرى بيننا: ما أزين الحلم بالرجال! كنت مع عبدالكريم بن مغيث في الغزو، يوم أربونة،[118] ومعي صاحبي سعيد بن محمد بن بشير[119]، فكان يكرمنا، ويرسل إلينا، ويستشيرنا فيما عنّ له. وكان ربما استخصّ بالإرسال فيّ دون سعيد حتى قلت له: لا تفعل، فربما أحفظَ ذلك صاحبي. فأقصر عن ذلك. وأرسل إليّ يومًا بصلة مائةَ دينار وإلى سعيد مثلها، فصرفتها إليه، وقلت له: أما أنا فمُستَغْنٍ عنها بحمد الله، ولكن اجمعها لصاحبي؛ فإني أعلم حاجته إليها. فلما فتح الله على المسلمين، وعظمت غنيمتهم، قسم ما هناك بمحضرنا وعلى رأينا، وجرى أمره على السداد أجمعه. فأذكر أني قلت له يومًا في بعض ما جرى بيننا: إني أحب أن أكلِّمَك بشيء فرقَ وجهي عن مقابلتك به. فقال لي: يا أبا محمد، كُلُّ ما بلغ بك الحشمة فضعه عن نفسك. فأفادني كلمة حكمةٍ تلقفْتها عنه وأعْجِبتُ بها جداً.

قال: فلما أن قفلنا - قال - قال لي يومًا: يا أبا محمد، أردت أن أكرمك أنت وصاحبك، فأمكن بكما الأنس، وألقي بيني وبينكما المئونة. فقلت له: وبماذا أعزَّك الله؟ قال: بأن أُسْمِعكما سَماعًا حسنًا عندي. فقلت له: أنت والله تريد إهانتنا[2] لا إكرامنا. فقال لي: يا أبا محمد، لا تظن إلا خيرًا، فوالله ما كان رأي من قبلك فينا أنا نبلغ في تكريمهم حتى نفعل ذلك بهم. قال: فقلت: لا جزاهم

(١) ص: لي.

(٢) ص: إيهاننا.

الله خيرًا عن أنفسهم، ولا عنك، فقد والله خانوا الله ورسوله. قال يحيى: فخجل عبدالكريم، وأخذ في الاعتذار بأبسط وجه وألطف كلام سكّن به ثورة نفسي، واشتد من حلمه عجبي[120].

قال:

وكانت لعبدالكريم مكاتبات بالشعر حسنة، وقطع رائقة في أفانينه مستجادة. وكان أخوه أحمد بن عبدالواحد بن مغيث، أغزر منه شعرًا، وأكثر في أبوابه تصرفًا، وإليه تنسب الملعبة [121] التي أولها:

"ألا رُبَّ نَهْدٍ رائعٍ قد علوته" [الطويل]

وهي مشهورة، أحاقت بقائلها الإقصاءَ، وأكسبته التهمة.

وتوفي عبدالكريم الحاجب في حدود العشر والمائتين[122].

وأنشد عيسى بن أحمد الرازي، لغريب بن عبدالله الشاعر الفار إلى طليطلة، في مديح الحاجب عبدالكريم بن مغيث، أيام دخل طليطلة لتأمين من لحق بها من الربضيين / من أبيات كثيرة ـ ولم يكن المدح من شأنه ـ: [البسيط] ١١٨/ب

يا فارسَ الناسِ في الهيجا ومَعْقِلَهُمْ ... هَنَّاك ربُّك ما أَوْلَى وأعطاكا

حفظتَ في نَسْلِنا قَيْسًا وحُطْتَهُمُ ... كأنَّ قَيْسًا بنا ـ إذْ ماتَ ـ أوْصاكا

إن كان سَرَّكَ ما جاءَ البريدُ به ... فلا لَعَمْرُ أبي ما سَرَّنا ذاكا

إنَّ التُّقى شِيمةٌ أُعْطِيتَ حُظْوَتَها ... فَثَبَّتَ اللَّهُ بالإحسانِ تَقْواكا

أُعْطِيتَ من هذهِ الدُّنيا رفاهتها ... واللَّه يجعلُ دارَ الخلدِ مأواكا(١)

---

(١) ص: رفاعتها.

ذكر وزراء الأمير الحكم، وذوي مشورته

منهم إسحاق بن المنذر القرشي، وكان له يومَ الربض مقام محمود، ومشهد مشهور مذكور.[123]، وفطيس بن سليمان[124]، وكان أيضاً كاتبه سعيد بن حسين[1] [125].

وقال معاوية بن هشام الشبينسي:

كان أصحاب مشورة الأمير الحكم من أهل بيته، ابن عمه عبيدالله بن عبدالله المعروف بالبلنسي، واشتهرت معرفة عبيدالله بصاحب الصوائف[2]، والعباس ابن[3] عبدالله بن عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم، والمغيرة بن هشام بن سعيد الخير[126]، وإسحاق بن المنذر بن عبدالرحمن، ومن مواليه الحاجب عبدالكريم ابن عبدالواحد بن مغيث المتقدم ذكره، وفطيس بن سليمان، وسعيد بن حسين.

كُتّابُه

قال الرازي:

وكان يكتب للأمير الحكم رسائله كاتبه الأعلى فطيس بن سليمان، وخطاب بن زيد [127]. وكتب له أيضاً حجّاج المغِيلي[128]، وكانا مقدمين في صناعتهما.

وفي كتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي:

حجاج هذا المغيلي كاتب نحرير، كتب عن الأمير الحكم مع كاتبه الأعلى فطيس بن عيسى[4] الوزير، وخطاب بن زيد وغيرهما، وأدرك أيام الأمير[5]

---

(١) ص: خشين. وفي ابن عذاري ٢/ ٦٨: سعيد بن حسان.

(٢) ص: الوصايف.

(٣) ص: ابنا.

(٤) كذا ورد الاسم في الأصل، وهو كذلك في البيان المغرب لابن عذاري (٢/ ٦١) ولكن الذي تكرر في تاريخ ابن حيان هو تسميته بفطيس بن سليمان.

(٥) ص: الوزير.

عبدالرحمن بن الحكم، وكان مُرَسَّلاً مطبوعًا، وشاعرًا مجيدًا، وفحلاً حاذقًا. وبه ضرب مؤمن[١] بن سعيد [129] المثل، في الإملال حيث يقول: [من الوافر]

وشرواه المحكّكُ[٢] في المعاني وفي الإملال حَجَّاجُ المَغِيلي[٣]

أصحاب شرطته

سعيد بن عياض القيسي[130]، ثم جودي بن أسباط[٤] السعدي[131]، ثم محمد بن كليب بن ثعلبة الجذامي[132].

قضاته

١١٩/أ / محمد بن بشير المعافري، وسعيد بن محمد بن بشير ولده، ثم الفرج بن كنانة، ثم قطن بن خزر، ثم بشير بن قطن، ثم عبيد الله بن موسى، ثم محمد [بن][٥] تليد، ثم حامد بن يحيى[٦] آخرهم، تولى القضاء سنة أربع ومائتين[٧].

وقال الحسن بن محمد بن مفرج:

قال ابن عبدالبر: استقضى الأمير الحكم بعد المصعب بن عمران [133] قاضي والده هشام محمد بن سعيد بن بشير المعافري ثم الباجي، فكان قاضيه من سنة

(١) ص: موسى بن سعيد.

(٢) ص: المحكمك.

(٣) شرواه أي مثله ونظيره.

(٤) ص: جوادي بن أسبط.

(٥) زيادة يتطلبها السياق.

(٦) ص: وحامد بن محمد، وهكذا ورد الاسم أيضاً في قضاة قرطبة للخشني (ص٦٨)، غير أن ابن حيان سوف يذكره في آخر هذا الفصل باسم حامد بن يحيى واصفًا إياه بأنه آخر قضاة الحكم وأول قضاة ابنه عبدالرحمن حتى سنة سبع ومائتين (وقد توفي في هذه السنة)، فولي القضاء بعده مسرور ابن محمد. (وانظر القطعة التي نشرناها من قبل المقتبس ص٥٠). وتابع ذلك ابن سعيد في المغرب (١٤٦/١). ولهذا فقد صححنا الاسم بما أثبتنا.

(٧) ص: وثمانين. وواضح خطأ هذا التاريخ.

ثلاث وثمانين ومائة إلى سنة ثمان(١) وتسعين ومائة. ففيها مات ابن بشير رحمه الله، فاستقضى الحكم بعده الفرج بن كنانة، فكان قاضيه إلى سنة مائتين، ثم استقضى عبيد الله بن موسى سنة إحدى ومائتين، ثم حامد بن يحيى(٢) سنة أربع ومائتين، فكان آخر قضاته[134].

ذكر الفتاوَى
ورجالها في دولته

قال الحسن:

وقال ابن عبدالبر: دارت الفتيا بقرطبة في أول أيام الأمير الحكم على شيخ الأوزاعيين(٣) صعصعة بن سلام، والغازي بن قيس، وزونان بن الحسن، والحارث ابن أبي سعيد. فتوفي الشيخ صعصعة إمامهم صدر(٤) دولة الحكم، وبعده ارتقى هؤلاء الثلاثة المستأخرة أسماؤهم عنه إلى الشورى،(٥) أخريات أيام الأمير الحكم. خبرني بذلك إسماعيل بن بشير التجيبي [135] ومحمد بن سعيد السبئي[136].

وفي كتاب القاضي ابن الفرضي:(٦) [137]

صعصعة بن سلام الشامي، يكنى أبا عبدالله، روى عن الأوزاعي، وعن سعيد ابن عبدالعزيز ونظرائهما(٧) من الشاميين، وكانت الفتوى بالأندلس دائرة عليه،

(١) ص: ثمانين.

(٢) ص: محمد. انظر ما أوردناه حول تصحيح الاسم في الفقرة السابقة.

(٣) ص: الاورعيين.

(٤) ص: آخر صدر، والسياق يقتضي حذف الكلمة الأولى..

(٥) ص: أشوري.

(٦) ص: أبي الفرض.

(٧) ص: ونظائرهما.

أيام الأمير الداخل عبدالرحمن بن معاوية، وصدراً من أيام ولده هشام. ثم تحول أهلها إلى رأي مالك بن أنس[١]. وقد وَلِيَ صعصعة الصلاة بقرطبة، وتوفي بها في سنة ثمانين[٢] ومائة. وقال الرازي بل سنة ثلاث وتسعين ومائة، في أيام الأمير الحكم بن هشام[٣]. ومن [138] رأْيِ صعصعة، كان اغتراس الشجر في صحن الجامع، وهو مذهب الأوزاعي والشاميين، ومالك وأصحابه يكرهونه[139].

وقال[٤]:

الغازي بن قيس، يكنى أبا محمد، قرطبي قديم شهير، رحل صدر أيام الأمير عبدالرحمن بن معاوية، فسمع من مالك الموطأ، فكان يقرأ عليه، وقيل[٥] كان يحفظه ظاهراً. وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة، وسمع من ابن أبي ذئب وابن جريج والأوزاعي. وانصرف إلى الأندلس بعلم عظيم، نفع الله به أهلها. وقيل: إنه عرض عليه القضاء [فأبى][٦] وقال أصبغ بن خليل: سمع الغازي ابن قيس يقول: والله ما كذبت كذبة منذ عقلت[٧]، ولولا أن عمر ابن عبدالعزيز قاله ما قلته، ولا قاله عمر فخراً ولا رياء[٨]، ولا قاله إلا ليقتدى[٩] به. وقيل توفي الغازي قبل الهيج سنة تسع وتسعين ومائة في أيام الأمير الحكم.

---

(١) هذه العبارة لم ترد في نص ابن الفرضي.

(٢) ورد هذا التاريخ في ابن الفرضي نقلا عن القاضي محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج مسنداً إياه إلى المؤرخ المصري أبي سعيد بن يونس. ومن الواضح أنه خطأ.

(٣) لم يرد هذا التاريخ الذي ذكره الرازي لدى ابن الفرضي. على حين تجاهل ابن حيان التاريخ الذي نقله ابن عبدالبر عن عبدالملك بن حبيب وهو سنة اثنتين وتسعين ومائة.

(٤) تتفق هذه الترجمة في جملتها مع الواردة في تاريخ ابن الفرضي رقم ١٠١٣.

(٥) قبل هذه الكلمة: وكل، وهي زيادة لا معنى لها، فحذفناها.

(٦) زيادة يتطلبها السياق فأضفناها من تاريخ ابن الفرضي.

(٧) ص: اعتقلت. وفي ابن الفرضي: اغتسلت، يقصد احتلمت، والمعنيان متقاربان.

(٨) ص: رأيا. والتصويب عن ابن الفرضي.

(٩) ص: يقتدى.

/ قال ابن عبدالبر: ١١٩/ب

وفي أيام الحكم، انتقلت الفتاوى بالأندلس من رَأْيِ الأوزاعي وأهل الشام بالكلية. وعليه كانوا منذ[١] أول حلول الإسلام بها. فحولت إلى رأي مالك وأهل المدينة. وانتشر رأي مالك بقرطبة، وعم بلاد الأندلس، وذلك برأي الحكم وأمره وإيثاره[٢] [140]. وكان السبب في ذلك - زعموا - أنه كان قد رحل في أيام الأمير هشام بن عبدالرحمن[٣] إلى المشرق جلة من رجال قرطبة للحج وطلب العلم، منهم زياد بن عبدالرحمن المعروف بشبطون، ويحيى بن مضر القيسي، وقرعوس بن العباس، وعيسى بن دينار، وسعيد بن أبي هند وغيرهم.

فأما زياد بن عبدالرحمن شبطون فسمع منه موطأه كاملاً[٤]، وسمع منه كتابًا من رأيه وفقهه يعرف الآن بسماع زياد. وأما يحيى بن مضر وقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار فلم يبلغنا[٥] أنهم سمعوا منه الموطأ، ولا ندري ما الذي منعهم من ذلك، إلا أننا نظن أن لقاءهم كان من قبل أن يكمله[٦] ويخرجه، فانصرفوا[٧] إلى الأندلس، ما خلا عيسى بن دينار، فإنه تلوم بعدهم بالمشرق، ولزم عبدالرحمن بن القاسم المصري صاحب مالك، فأخذ عنه سماعه[٨] في الرأي عن مالك، الذي قيده عليه ابن القاسم، فجمع علمًا عظيمًا.

---

(١) ص: منذوا.

(٢) ص: واتياره.

(٣) ص: عبدالملك.

(٤) ص: كلامًا.

(٥) ص: تبلغهم.

(٦) ص: يكلمه.

(٧) ص: فانصرف.

(٨) ص: سمعه.

فلما أن رجع هؤلاء الرجال إلى الأندلس،[1] وذاكروا[2] أهلها من فضل مالك ابن أنس، وسعة علمه وجلالة قدره وإمامته لأهل مدينة رسول الله ﷺ، وانحراف الناس إلى رأيه ما عظم به لديهم قدره، وأصغوا آذانهم إليه، ومدوا أعناقهم نحوه، وسارعوا في قص آثاره وطلب علمه، والاقتداء به. فانتشر من يومئذ رأي مالك بالأندلس، وطوى ما عداه، ومال أهلها عن رأي الأوزاعي بالكلية إليه، واعترفوا بفضله.

وكان زياد بن عبدالرحمن شبطون سابقهم ورائدهم إليه. وأول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك مكملاً مثبتًا بالسماع عنه. فأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي، وهو يومئذ صدر[3] في طلاب الفقه، وأشار زياد [عليه][4] بالرحيل إلى مالك ما دام حيًا وأخذه عنه. فعلم أن قد نصحه، فرحل يحيى بن يحيى سريعًا إلى المشرق، فلقي مالكًا، وسمع منه الموطأ بأسره، ما عدا أبوابًا من كتاب "الاعتكاف" لحقه فيها شك لصدق ورعه، فأقرها فيما بعد على سماعه من زياد[5]، وأخذ عنه أيضاً الكتب العشرة المنسوبة إلى يحيى بن يحيى. ولقي أيضًا عبدالله بن وهب، صاحب مالك، وسمع منه، وسمع من الليث بن سعد فقيه مصر، ومن سفيان بن عيينة بمكة، وقدم إلى الأندلس في أيام الأمير الحكم وقد استكثر، فانتشر به وبعيسى بن دينار فيها علم مالك، ورجعت الفتيا بها إلى رأيه، فانثنى الناس إلى سماع الموطأ من يحيى بن يحيى، وأعجبوا بتقييده[141].

فلم يلبث إلا يسيرًا، حتى كان من هيج الربض ما كان، ولحقه الطلب وخاف

(١) ص: فلما أن رجع هوالى الرجال إلى أندلس.

(٢) ص: وسافروا إلى، وفي العبارة تحريف واضح، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٣) ص: صدور.

(٤) زيادة يتطلبها السياق.

(٥) ص: مالك. والسياق يقتضي التصويب.

على نفسه، فخرج عنها هاربًا فيمن هرب ولحق بطليطلة، فلم يزل فيها حتى أمَّنه الأمير الحكم آخر أيامه، وأعطاه أمانًا مؤكدًا اطمأنَّ إليه. فرجع إلى قرطبة عن فاقة بالناس إليه، فاعتلت من يومئذ منزلته، وتضاعفت رياسته، وتطاولت مدته، إلى أن هلك على أجلِّ أحواله[1]، فتفاقده[2] أهل زمانه.

ورحل بعد هذه العصابة السابقة إلى المشرق من أهل الأندلس في أيام الأمير الحكم لقضاء الفرض، واقتباس العلم، زمرة أخرى من ذوي الفضل من رجال قرطبة، منهم محمد بن عيسى الأعشى، ومحمد بن خالد [142] الأشج،[3] وسعيد بن حسان وعبدالملك بن حبيب. فلم يدرك واحد منهم مالكًا، / فأخذوا عن غيره، وعوَّل محمد بن خالد على ابن القاسم وسمع منه ما انتفع به. ١/١٢٠

ذكر خبر ابن بشير القاضي [143]

قال أبو بكر بن القوطية:[144]

وكان الأمير الحكم قد استقضى[4] أول خلافته خير قضاة الأندلس، وأفضلهم وأعدلهم، محمد بن سعيد بن بشير المعافري الباجي. وكان محمد في حداثته كاتبًا للعباس بن عبدالله بن عبدالملك المرواني، عامل الأمير هشام على باجة بلده، خَدَمه ليحميَ به أهله وماله. ثم رغب عن الكتابة، ومال إلى طلب العلم، ورحل إلى المشرق، فأدى فريضته وزار قبر النبي ﷺ، فلقي مالك بن أنس هنالك، وسمع منه ومن غيره، وسارع في الاقتباس. ثم انصرف إلى الأندلس، فاستكتبه القاضي بقرطبة، المصعب بن عمران الهمداني المسمى يومئذ قاضي الجند

(١) ص: أجزاله.

(٢) كذا في الأصل، ولها وجه مقبول، وقد تكون: فافتقده.

(٣) ص: الأشم، محرفة عما أثبتنا.

(٤) ص: استولى.

بقرطبة، فشهر فضله، وعفافه بعهد المصعب، واستقلاله بعمله[١]. وأقام على كتابته إلى أن توفي. فشاور الحكم وزراءه فيمن يستقضيه بعده، فأجمع له الوزراء، والفقهاء، وأعلام الناس، على محمد بن بشير كاتبه. فولاه القضاء بعده، فأبرّ على مصعب وبعد في الفضل والفصل والعدل صيته، وخلدت آثاره بعده. ولم يزل قاضيًا أكثر أيام خلافته. فلما توفي ولي القضاء مكانه ابنه سعيد ابن محمد، فسلك سبيل والده، وكان من خير القضاة، إلا أن مدته لم تطل.

وقال ابن حارث: [145]

حكى ابن وضاح أن حظية للأمير[٢] الحكم، باتت عندها في بعض الليالي، فافتقدته[٣] في الليل ولم تصبه، فاشتد ذلك عليها، وحسبت أن قد تخطاها إلى غيرها، فهاجت غيرتها، وقامت تقفو آثاره إلى الحائر، فأصابته في جانب منه تحت شجرة يصلي ويدعو ويجتهد. فعادت إلى مكانها، والفكر في انزعاجه قد خامرها، فلما انصرف إلى مرقده، أعلمته ما كان منها، وسألته مخافة أن يكون ذلك لحادث طرقه. فقال لها: ما هو لشيء مِمّا خفتِه عليّ، لكنه بلغني أن محمد ابن بشير لِما بِه[٤]، فأشفقت من فقده، وأعجزني الاعتياض من مثله، إذ كانت نفسي طيبة عليه مستريحة إلى عدله. فغشيني لأول فقده ما أزعجني عن فراشي، فناجيت لذلك نجوى فازع إليه، ودعوت الله دعوة مضطر في إحسان عزائي وإجمال غرضي منه.

وقد عزا ابن حبيب هذه الحكاية من تحزن الحكم على قاضيه، أنه كان إبراهيم ابن العباس بن عيسى بن عمر بن الوليد بن عبدالملك المرواني، فأحال جداً، إذ لم

(١) ص: لعمله.

(٢) ص: الأمير.

(٣) ص: فافتدته.

(٤) يعني أنه مريض مرض من يخشى على موته.

يعمل إبراهيم إلا لعبدالرحمن بن الحكم بغير اختلاف. وحمل ابن حبيب / عن ١٢٠/ب بعض صلحاء خصيان القصر عن سيدتهم عجب حظية[١] الأمير الحكم أنها قالت: كانت ليلتي عند الأمير الحكم، قد وافقت الليلة التي عرف فيها بوفاة قاضيه إبراهيم بن العباس، فلما صار معي في الفراش، فقدته بعد مضي هُدُوٍّ من الليل، فقمت أقصُّ آثاره، فأصبته[٢] على دكان في الدار، قارنًا قدميه يصلي، فيطيل القيام والسجود، ويُحفي[٣] المناجاة، وأنا ألحظه مهتمة بشأنه، إلى أن غلبتني[٤] عيني، فلم أشعر إلا به يحركني لانصداع الفجر. فأقبلت عليه أسائله ما الذي أسهره وأباه عن فراشه؟ فقال: رزء عظيم، ومصاب فادح: قد كنت استرحت من أمور الرعية بالقاضي إبراهيم، الذي كان يحمل عني همهم، فناجيت الله ضارعًا أن يعوضني مثله أسد به مكانه. فلما أصبح دعا بوزرائه، وذوي رأيه، وشاورهم فيمن يستقضيه، فأشار عليه مالك بن عبدالله القرشي بمحمد[٥] بن بشير المعافري الباجي. وقد كان كاتبًا له عند ولايته لكورة باجة، ووصف ما بلاه من فهمه وعمله وعفافه وفضله. فوقع بقلب الأمير، وقاد التوفيق إليه، فولاه القضاء على تكرُّهٍ[٦] منه له، فأعانه الله عليه، واستقل به، وزاد على إبراهيم في هديه[٧] ومتانته وحسن سيرته وقوام طريقته.

قال:

وكان ابن بشير قبل استقضائه، يفرق شعره إلى شحمة أذنيه، ويلتحف رداءً

(١) ص: عطية.

(٢) ص: فصبته.

(٣) ص: ويخفي، ويحفي المناجاة يجتهد فيها.

(٤) ص: غلبني.

(٥) ص: لمحمد.

(٦) ص: تكرة.

(٧) ص: هذينه.

معصفراً على الرسم الأقدم، وكان حسن الرأي، جميل الخلق. فتمادى على زيه في قضائه، وقعد للناس في المسجد الجامع في شعرته تلك المفرقة وردائه المعصفر. فجرى له من ذلك مع الرجل الطارئ إلى البلد سؤاله عنه، وإنكاره على الرجل المرشد إليه للذي لم يوافق من زيه ما هو مشهور.

وقال الفقيه أبو عبدالله ابن حارث: [146]

هو أبو عبدالله محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري، أصله من جند باجة، وعداده في عرب مصر. كتب في حداثته للقاضي المصعب بن عمران، ثم خرج حاجاً مقتبسًا للعلم، فلقي مالك بن أنس وجالسه وسمع منه. واقتبس أيضاً بمصر، ثم انصرف إلى الأندلس. فلزم بنايته واقتصر على عمارة ضيعته بباجة، إلى أن استدعي للقضاء بقرطبة.

وقال أحمد بن خالد:

١/١٢١ / طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة، عند من أدركه من مشيخة أهلها. فأخذ منه بحظ وافر. ثم كتب لأحد أولاد عبدالملك بن عمر المرواني، عند ولايته لكورة[١] باجة على وجه الاعتصام به من مظلمة نالته، فتصرف معه مديدة، ثم انقبض عنه، وخرج حاجاً، فقضى الفريضة واستوسع في المعرفة.

قال:

وذكر غير واحد من مشيختنا، أن الأمير الحكم شاور العباس بن عبدالملك بن عمر المرواني[٢] فيمن يوليه[٣] قضاء قرطبة لما توفي قاضيها المصعب بن عمران، فقال له: ابن عمران وإن كان قد تعجَّز بي بالخصومة وعجَّل عليَّ في الحكومة

(١) ص: لكوة.

(٢) ص: كذا ورد الاسم أيضاً في كتاب الخشني، ولكن تمام الاسم هو العباس بن عبدالله بن عبدالملك ابن عمر المرواني.

(٣) ص: يواليه.

فتركني له على خِزْية[1] ـ فليس ذلك بمبلغي إلى استسقاطه[2] واستطعان على فضل رأيه، وحسن اختياره الذي قاده إلى استكتاب محمد بن بشير، فليس له معدل عنه، مع زيادة معرفتي بابن بشير، عندما تولى كتابة أخي إبراهيم في حداثته. فليستخر الأميرُ اللهَ في استعماله. فقبل الحكم رأي العباس، وصنع الله للعباد في ابن بشير، فاستقدمه الأمير الحكم وولاه القضاء، فبرز شأوه، واغتدى مثلاً في العدل والفضل آخر الأيام.

قال ابن حارث:

فمن مستفيض أخباره، التي لا يتواطأ عليها لسعة الإجماع عليها، أن محمد بن بشير هذا كان من عيون القضاة الهداة بأرض الاندلس، ومن أولي السداد والمذاهب الجميلة، وأصالة الآراء والسير العادلة والذكر الجميل الخالد في الناس غير دارس. وأنه كان مع ذلك شديد الشكيمة، ماضي العزيمة في الحق، مريداً للصدق، لا هوادة[3] عنده لأحد من أهل الجرم، ولا مداهنة لديه لرجل من كبار أصحاب السلطان، وخواص أسبابه في أخذهم بالخروج عن حق أحد ممن يستعديه[4] عليهم. ولا يؤثر غير الحق الصادع في جميع أحكامه، ولا يميل به ميل عن اتباع السنة في جميع شأنه.

وقال أحمد بن خالد: [147]

كان أول ما أنفذه ابن بشير في قضائه هذا من نادر أحكامه، التسجيل على

---

(١) ص: خزة، وتبدو محرفة عما أثبتنا، والذي ورد في كتاب الخشني يتفق في المعنى مع هذه العبارة وإن كان يختلف في الألفاظ، فسفيه ينسب إلى العباس قوله: "إن مصعب بن عمران وإن كان حكم عليَّ فأغضبني فنافرته ونابذته فليس ذلك بالذي يبلغني إلى الطعن عليه في فضله وحسن اختياره".

(٢) ص: استقاطه.

(٣) ص: هوادات.

(٤) ص: يستقدمه.

الحكم في أرجاء القنطرة عُصْرَة[1] أهل قرطبة الماثلة[2] بباب قصره، إذ قيم عليه فيها، وثبت عنده حق مدعيه، وسمع من بيِّنتِه ما أعذر به إلى الحكم. فلم يكن عنده مدفع، فسجل بها وأشهد على نفسه. فلما مضت مديدة ابتاعها ابتياعاً صحيحًا طاب به ملكها. فسُرَّ بذلك الحكم بعد مساءة وجعل يقول: رحم الله ابن بشير، فقد أحسن فيما فعل بنا على كره منّا[3]، إذ كان في أيدينا شيء مشتبه فأزاح شبهته عنا، وصححه ملكًا حلالاً لنا سائغ الموروث[4] لأعقابنا.

وقال محمد بن وضاح:

١٢١/ب / حكم ابن بشير على ابن فطيس في حق ثبت عنده، دون أن يُعَرِّفه بالشهود. فشكا ابن فطيس إلى الحكم، وظلَّمَ ابن بشير في قضائه عليه، فأوصى الأمير الحكم إلى ابن بشير يقفه على ذلك، ويذكر له ما اشتكى من إمضائه الحكم عليه دون أن يعذره في شهوده، وذلك حق له بإجماع من أهل العلم. فكتب ابن بشير: ليس ابن فطيس ممن يُعرَّفُ بمن شهد عليه، لأنه إن لم يجد سبيلاً إلى تجريحهم [لم يقصر][5] عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم، فَيَدَعُون الشهادة هم ومن أتى بهم، وتضيع أمور الناس.

وقال خالد بن سعد:

أخبرني محمد بن فطيس بن واصل الغافقي، عن يوسف بن عيسى، أنه سمع عبدالملك بن حبيب [يذكر] ابن بشير فقال: كان من خيار المسلمين، ووصف عدله

(١) ص: لم يرد هذا اللفظ في نص الخشني (ص٥٣) والعُصْرَة هي الملجأ والمنجاة، والمقصود أن هذه الارحاء هي مرتزق أهل قرطبة. ويرى فيديريكو كوريتي أن صواب العبارة 'بحضرة قرطبة' وأن لفظ 'أهل' زائد يجب أن يحذف.

(٢) ص: لماثلت.

(٣) ص: منها.

(٤) ص: المروث.

(٥) ص: زيادة يتطلبها السياق.

وفضله. قال: وكان يصلي بنا الجمعة وعليه قَلَنْسُوَةُ خَزّ.

قال ابن حارث:

وكان ابن بشير يقضي في سقيفة معلقة، بقبلي مسجد أبي عثمان بأول الربض الغربي دون دبر قصر قرطبة، وكانت داره هنالك في الدرب القبلي من ذلك المسجد. وكان إذا قعد للقضاء هنالك جلس وحده لا يجلس أحد معه، وخريطته موضوعة بين يديه يتولى تقليب أكثر ما بها بيده، ويتقدم إليه الخصوم على كتبه مرتبة، فيقف الخصمان على أقدامهما بين يديه يختصمان ويدليان بحجتهما على تؤدة[1] من غير صخب[2] ولا مهاجرة[3]، فيفصل بينهما وينصرفان. وكان رسمه أن يقعد لسماع الخصومات من لدن غدوه إلى وقت الزوال قبيل الظهر بساعة، ثم يعود للقعود من بعد صلاة الظهر إلى وقت العصر، فلا يكون نظره غير السماع من البينات وتقييد الشهادات، لا سبيل إلى أن يسمع من بيِّنة في غير ذلك الوقت بحيلة. وكان لا يخلو به أحد في مجلس نظره ولا في داره، ولا يقرأ كتابًا لأحد في سبب من الأسباب للمخصومة ولا يدخل إليه.

وقال محمد بن وضاح:

لما ولي محمد بن بشير القضاء طبع عشرة طوابع، يدفع الناس بها إليه، لم تزل في خريطته بعينها إلى أن مات. كان إذا جاءه الرجل يسأله طابعًا لرفع خصمه، كشف عمن يريده له، فإن كان قريبًا بقرطبة أعطاه طابعًا من تلك الطوابع، وأمر كاتبه بزمّ اسمه ومسكنه واسم من أخذ الطابع فيه، ويقول له: إياك إن كنت مُبْطِلاً أو عاديًا[4] أن تقدم / على أخذ طابعي فينالك مني ما يسوؤك. ويعهد إليه 1/122

(1) ص: تورة.

(2) ص: صخب.

(3) المهاجرة تبادل الهجر (بضمة فسكون) وهو القبيح من الكلام.

(4) في كتاب الخشني (ص55): ظالمًا.

بصرف الطابع بعينه إليه إذا حضر خصمه. وإن كان خصمه بعيدًا، أجَّل له بقدر بعده. فلم تزل الطوابع تتردد بين الناس مثل الأدوات تقيمهم وتقعدهم، يصرفونها بحالها إلى يديه حتى توفي.

قال:

وشهد عند محمد بن بشير رجل من إخوانه وذوي الخاصة به، والتكرار عليه يكنى بأبي السبع[١]، فرد شهادته. وبلغ ذلك الرجل فوجد منه وجاء إليه ليعاتبه، فعرض إليه وهو رائح إلى المسجد الجامع ماشيًا، وكانت عادته، فقال له: أيها القاضي قد علمت أني لا أقدر على مخالفتك وكلامك، فمالك في نفسي إلا الولاء[٢]، فاعذرني وعرفني على علمك بي وخاصتي بك وتشيعي فيك. ترد شهادتي علانية؟ فابتسم له وجعل يضرب بيده على منكب الرجل ويقول: الورع يا أبا السبع! الورع يا أبا السبع! لا يزيده عليها.

وقال محمد بن أحمد الإشبيلي الزاهد:[148]

سمعت محمد بن وضاح يقول: أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلاً على باب المسجد الجامع يوم الجمعة، وعليه رداء معصفر وفي رجليه حذاء صرَّار وعليه جُمَّة مفروقة، ثم يقوم فيخطب في زيه هذا، وإن العيون لتغضي عنه تجلة. وكذا كان يجلس للقضاء بين الناس، فإن رام أحد نيل شيء من دينه وجده أبعد منالاً من الثريا. ولمواظبته[٣] على زيه هذا، جرت له القصة المشهورة عند الناس، الدائرة على ألسنتهم من الشك الذي خامر الرجل الطارئ إلى قرطبة، المدلول عليه في عينه وقد سأل به. وذلك أن هذا الرجل المجهول به أتاه إلى

(١) كنيته في الخشني (ص٥٧): أبو اليسع.

(٢) ص: الملاء.

(٣) ص: ولمواضبته.

مجلسه لحاجة عنت له إليه، فسأل عنه[1] بعض من كان يجلس بقربه، فأرشد إلى مكانه. فلما نظر إلى ما هو عليه من الجمة المفروقة والرداء المعصفر وزينة الخضاب في أطرافه، والكحل والسواك لمحياه، رابه مَرْآهُ واتهم مرشديه إليه، فتقهقر إليهم وقال لهم: يا هؤلاء إني رجل غريب سألتكم بصدق عن قاضيكم فسخرتم بي. أسألكم عن قاضٍ فتدلوني على زامر؟ فأسكتوه وزجروه وقالوا له: ما كذبناك، إنه هو الذي رابك زيه، فكُنْ إليه وكلمه بحاجتك، فإنك لاقٍ عنده ما يَسُرُّك. ففعل الرجل ذلك، فأصغى إليه القاضي واستمع لشكايته، فوجد عنده من الإنصاف والعدل فوق ما ظنه. فكان بعد يحدث بقصته معه.

وذكر خالد بن سعد[2] عن زونان قال:

عاتبت محمد بن بشير، في إرساله لِلمته ولبسه الخز والمعصفر[3]، فقال: إني على بينة من أمري. حدثني مالك بن أنس / أن محمد بن المنكدر كان سيد القراء، وكان له لمة، وأن هشام بن عروة كان فقيه هذا البلد ـ يعني المدينة ـ وكان يلبس المعصفر، وكان القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق كان يلبس الخز فماذا تعيب[149]؟ ذكر هؤلاء لي أسوة[4].

١٢٢/ب

قال:

وكان الفقيه محمد بن عيسى الأعشى،[5] المشهور بالدعابة والإندار[6] كثير

---

(١) ص: فسأله عن، والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٢) ص: خالد بن سعيد، والصواب ما أثبتنا، فالمقصود هو خالد بن سعد القرطبي: محدث فقيه ألف كتابًا في رجال الأندلس للحكم المستنصر اعتمد عليه ابن الفرضي في تاريخه وكانت وفاته في سنة ٣٥٢هـ (٩٦٣م). (ترجمته في ابن الفرضي رقم ٣٩٧). وقد سبق أن ورد الاسم صحيحًا.

(٣) اللمة شعر الرأس الذي يجاوز شحمة الأذن، والثوب المعصفر المصبوغ بالزعفران.

(٤) ص: ذكر هؤلاء له أسوة.

(٥) ص: الاشعري.

(٦) ص: الإنذار، والإندار والتطييب والدعابة كلها بمعنى.

التطيب في القاضي[1] محمد بن بشير يبلغ به الانخرون[2] في التعريض به إلى أن سماه "عشر الدّلاّل" - [150] اسم مخنث مشهور بالمدينة -، فإذا رأى[3] من يختلف عليه من أصحاب محمد بن بشير قال له: متى عهدك بعشر الدلال؟ ومتى تمضي إلى عشر الدلال؟ حتى بلغ قوله محمد بن بشير من جهته، فأحفظه. فجمعه والأعشى[4] مجلس أمكنه القول فيه، فانعطف إليه ابن بشير وقال له: يا أبا عبدالله، إن الشر لا يعجز[5] عنه أحد، وإن الخير لا يناله إلا أهل الصبر الجميل ومن يقوم على نفسه بالرياضة المحمودة، فأقصر عما بلغني عنك، فإنه أجمل بك[6]. فاستحيا محمد بن عيسى ولم يَحِرْ جوابًا، وأقصر فيما بعد عما[7] كان ينال منه.

قال ابن حارث:

وهذا المعنى الذي أتى به محمد بن بشير، قد قاله مالك بن أنس لرجل من الشعراء، أفتى عليه في قصة جرت له بما لم يوافقه فأحفظه، وقال لمالك: يا أبا عبدالله، أتظن[8] الأمير - أصلحه الله - لم يكن يعرف هذا القضاء الذي قضيت به؟ بلى[9]، ولذا أرسلنا إليك كيما تصلح بيننا فلم تفعل. وتالله لأقطعن جلدك

(١) ص: القضاء.

(٢) كذا ورد اللفظ في الأصل، ولم نهتد لوجه مقبول في فهمه.

(٣) عبارة "فإذا رأى من يختلف..." وردت في الأصل وقد أصابها تحريف شديد، إذ جاءت على هذا النحو: "في دار يزاى يخاف".

(٤) كلمات أخرى حرفت في الأصل تحريفا بالغًا، إذ وردت: "حتى بلغ قوله محمد بن بشير من جهة فاخطفقه فحفظه فجمعوا الأعشى".

(٥) ص: إن الشر ليعجز عنه أحد، وفيها تحريف يحيل المعنى ويفسده.

(٦) ص: منك.

(٧) ص: فيما.

(٨) ص: انظر.

(٩) ص: بل.

هجاءً ولأطلينّ عرضك دمًا! فقال له مالك: يا هذا، أتدري ما وصفت به نفسك؟ وصفتها بالضعة والدناءة، وهما اللتان[١] لا يعجز أحد عنهما. فإن استطعت فَاتْتِ غيرهما، مما تنقطع دونه الرقاب من الكرم والمروءة.

قال:

وكان محمد بن بشير جيد الفطنة، حسن الاستنباط، صادق الحس، قوي الإدراك. قال لي عنه بعض العلماء: إنه كان ربما قبل الشاهد عنده على التوسم والفراسة، ولربما عدل إلى[٢] السؤال عنه في السر أهل الثقة.

قال:

وقال لي عثمان بن محمد: [151] قال لي عبيد الله بن يحيى بن يحيى: قال أبي يحيى بن يحيى لمحمد بن بشير[٣] إن الحالات بالناس تتغير ولا تثبت، فإذا عُدِّل عندك الرجل فحكمت بشهادته عن صحة نظر، ثم تطاول العهد وعاد للشهادة عندك فأعد فيه نظرك، وكلفه التعديل إن[٤] رابك، واستأنف الكشف عنه جهدك. ثم أقدم أو أحجم عاملاً بحسب ما يبدو لك. فتلقفها منه ابن بشير، وعمل بها. فلما أن شعر بها الشهود من فعله أخذوا حذرهم منه[٥].

وقال محمد بن وضاح:

أخبرني قاسم بن هلال [152] أن رجلاً من أهل البادية من معارفه، شهد عند ابن بشير، فاحتاج إلى تعديل. قال: فدخلت أنا ـ يقول قاسم[٦] ـ وابن شرحبيل،

(١) ص: التي. والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٢) ص: عن. والسياق يقتضي التصحيح.

(٣) وردت العبارة في الأصل هكذا: "قال لأبي يحيى بن يحيى محمد بن بشير" وواضح ما لحقها من الاضطراب والخلل.

(٤) ص: وإن.

(٥) ورد النص مع اختلاف في بعض ألفاظه في كتاب القضاة للخشني (ص ٦٣).

(٦) العبارة في الأصل "فدخلت أنا يقول قاسم" وهي بهذه الصورة لا تكاد تفهم، فاصلحناها بما يرى، على أن تصبح "يقول قاسم" جملة معترضة.

وثالث معنا إلى ابن بشير في ذلك، وكنت أنا أحدث القوم. فقال لنا: ما جاء بكم؟ قلنا جئنا لنعدل هذا الرجل. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله! ـ وبها كان يفتتح / حكومته ـ. قال قاسم: فلما سمعنا ذلك قهقهت، فصرت ساقة[1]. ١/١٢٣
قال: فرد وجهه نحونا وقال: آلله الذي لا إله إلا هو إنه عندكم رضيٌّ؟ فقلنا: بيمين أصلحك الله؟ قال: والله لا أكتب له[2] حتى تحلفوا أنه رضِيٌ. قال: فتورعنا عن ذلك وانصرفنا[153].

قال:

وكان الشيخ يحيى بن يحيى من أشد الناس تعظيمًا لمحمد بن بشير، وأحسنهم ثناءً عليه في حياته، وتأبينًا له بعد وفاته. ولقد سئل يحيى بن يحيى عن لبس العمائم قال: هي لبس الناس في المشرق، وعليه كان أمرهم في القديم. قيل له: لو لبستها لتبعك الناس في لبسها. فقال: قد لبس[3] محمد بن بشير الخزَّ ولم يتبعه الناس فيه، وكان ابن بشير أهلاً أن يُقتَدَى به. فلعلني لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير بخزه[154]. وكان يحيى بن يحيى كثيراً ما يحكي عن محمد بن بشير عن مالك بن أنس. قال لي محمد بن عمر بن عبدالعزيز: [155] ذكر محمد بن عمر بن لبابه، أن محمد بن بشير سأل مالكا عن لبن الأُتن، فلم ير به بأسًا[156].

وذكر بعض أهل العلم، عن يحيى بن يحيى قال: تظلم حمدون بن فطيس من محمد بن بشير في شيء حكم به عليه إلى الأمير، وسأله أن يجلس لهم الفقهاء،

---

(١) كذا في الأصل، والعبارة على هذا النحو غامضة المعنى، ويرى فيديريكو كوريتي أن صواب النص "قال قاسم: فلما سمعنا ذلك قهقرت (بدلاً من قهقهت) فصرت ساقة" أي رجعت وبقيت وراءه، إذ لا معنى هنا للقهقهة وأما الصيرورة إلى ساقة فاندلسية صميمة. (وساقة الجيش مؤخرته ويستخدم اللفظ مجازاً فيمن يتخلف ويتقهقر، وقد دخل إلى اللغة الإسبانية في صورة zaga). وهو تصويب له وجه جيد مقبول.

(٢) ص: لا أكتب له اما. فحذفنا الكلمة الأخيرة لإخلالها بالمعنى، إلا إذا كانت محرفة عن "أمرًا".

(٣) ص: لبسها، وما أثبتناه أوفق للسياق.

فوعده. فقال له حمدون: يا أبا محمد، إني قد سألت الأمير أن يجلس لنا الفقهاء، وأن يجلسك مع من يجلسه منهم، فقلت له: إني لأعظم[1] أن أجلس المجلس الذي يتظلم فيه [من] ابن بشير. مَنْ مثلُ محمد بن بشير؟ فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين فعليكم بشيخنا يحيى بن مضر. ومع ذلك فاعلم أن محمد بن بشير على السخط خير لك مني على الرضا. قال: فاستحيا حمدون وكان حليما دينًا. وكف عن الدعاء إلى جمع[2] الفقهاء.

وذكر بعض الرواة، أن موسى بن سماعة صاحب الخيل أكثر على الأمير الحكم في محمد بن بشير وشكا إليه أنه يحيف عليه، فقال له: أنا أمتحن قولك الساعة بواحدة: اخرج من فورك هذا فاقصد ابن بشير / ، واستأذن عليه، فإن أذن لك صدقت قولك فيه وعزلته، وإن لم يأذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه، فليس هو ممن يحابي[3] على حال، وإنما مقصوده الحق فيما يتصرف فيه ويميل إليه. فخرج ابن سماعة من عنده مبادراً نحو ابن بشير ينوي استسقاطه، وقد أمر الأمير الحكم خاصياً من ثقات خدامه أن يقفو أثره، فيعرف ما يكون منه، فلم يك إلا ريثما[4] بلغ وانصرف، فجعل يحكي للأمير قال: لما استأذن موسى على القاضي وأعلم بمكانه على بابه خرج الآذن سريعًا إليه فقال له: إن كانت لك حاجة فاقصد لذكرها مجلس القضاء، إذا كان مجلس[5] القاضي، فلا سبيل إلى لقائه. فابتسم الأمير وقال: قد أعلمت[6] الأنوك[7] أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة عنده لأحد.

١٢٣/ب

(١) ص: لا أعظم منها.

(٢) ص: جميع.

(٣) ص: يحاير.

(٤) ص: رأيت ما.

(٥) ص: جلس.

(٦) ص: أعلمته.

(٧) ص: الأنوك هو الأحمق.

وقال ابن عبدالبر:

محمد بن بشير المعافري[١]، يكنى أبا بكر[٢]، كان في ابتداء حداثته كاتبًا لأحد بني العباس المروانيين[٣]، وزير ـ كان ـ للأمير هشام، كتب لـه وهو والٍ على بلده باجة ليحتجز بخدمته من النوائب، ثم استعفي صاحبه عن كتابته، فأعفاه، ورحل إلى المشرق، فحج وسمع هنالك، فاتسع علمه، وانصرف إلى بلده، فشهر فضله وعلمه وصلاحه ومتانة دينه حتى انتهى الثناء عليه إلى الأمير الحكم، فاستقضاه بعد قاضيه[٤] المصعب بن عمران، فبرز شأوه في القضاة. وكان يشاور عبدالملك ابن الحسن زونان والغازي بن قيس والحارث بن أبي سعيد وإسماعيل بن بشر التجيبي ومحمد بن سعيد السبئي.

قال:

وكان محمد بن بشير قد اشترط على الأمير الحكم عندما تولى لـه القضاء ثلاثة شروط، التزمها لـه ونصها عليه عند إجابته لـه على العمل. وقال: أقبل خطتك هذه على ثلاثة شروط مضمونة إن التزمتها لي تقدمت، وإلا فلن أقبلها البتة. قال له: وما تلك؟ قال: نفاذ حكمي على كل أحد ما بينك ـ أعزك الله ـ فحارس السوق[٥]، وأني إذا ظهر لي العجز من نفسي استعفيت فأعفيتني، وأن يكون رزقي من مال الفيء. فقال لـه الأمير الحكم: هن لك حفيظات عندي. وعند ذلك تقلد العمل[157].

---

(١) ص: المعاوري.

(٢) قبل هذا اللفظ "أبا عبدالله" وضرب الناسخ عليها بخط علامة على الشطب.

(٣) كان محمد بن بشير في الحقيقة كاتبًا لأحد أولاد عبدالملك بن عمر المرواني كما ورد من قبل (الورقة ١٢١ أ). وهو إبراهيم بن عبدالله بن عبدالملك بن عمر المرواني، ولم يكن في الحقيقة من ولد بني العباس المروانيين، وإنما كان له أخ يدعى العباس.

(٤) ص: قضائه.

(٥) كذا في الأصل، وهو تعبير مقبول في العربية، والمقصود: ما بينك.. وبين حارس السوق.

قال أحمد بن خالد:

سمعت محمد بن وضاح يقول [158]: وكَّل سعيد الخير بن الأمير عبدالرحمن ابن معاوية عند القاضي محمد بن بشير وكيلاً يخاصم عنده في مطلب قيم به عنده عليه. وكانت بيد سعيد وثيقة، فيها شهادات جماعة من العدول، أتى الموت عليهم ساعدا شاهدًا واحدًا من أهل القبول، إلى شهادة الأمير الحكم ابن أخي سعيد خطها أيام حداثته بعهد هشام والده. فاضطر عمه / إليها في خصومته تلك 1/124 لما قبل القاضي شهادة ذلك العدل(1)، وضرب له الآجال على وكيله في شاهد ثانٍ. وجدَّ به الخصام، فدخل سعيد الخير بوثيقته تلك إلى الأمير الحكم، ووقفه(2) على شهادته فيها، وعرفه مكان حاجته إلى أدائها عند قاضيه خوفًا من بطول حقه. وكان الأمير الحكم يعظم عمه سعيد الخير ويلتزم مبرَّته، فقال له: يا عم، أعفني(3) من هذه الكلفة، فقد تعلم أننا لسنا من أهل الشهادات عند حكامنا، إذ نلتبس من فتن هذه الدنيا، وتُنْطِقُنا أدْناسُها(4) بما لسنا نرضى به عن أنفسنا، ولا نلومهم على انطوائهم على مثل ذلك فينا كشحًا(5) إن توقفنا مع هذا القاضي المتين الديانة موقف خزي نفديه بملكنا. فَصِرْ في خصامك إلى ما يصيِّرك الحق إليه، وعلينا خَلَفُ ما ينقصك وإسعافه.

فأبى عليه سعيد ولجَّ وقال: سبحان الله، وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك، وأنت وليته وارتضيته لمكانه؟ فهو حسنة من حسناتك، وقد لزمك في الديانة أن تشهد

(1) ص: العد.

(2) ص: ووقف.

(3) ص: أعفيني.

(4) لحق هذه الجملة تحريف شديد جعل تبين المراد بها أمرًا بالغ الصعوبة، فقد جاء أولها هكذا: "إذ ند من فتن هذه الدنيا.." وقد أصلحناها متقعين بالنص الوارد في معناها في كتاب النباهي، وقوله: "تُنطِقُنا أدناسها" يعني تلطخنا أقذارها.

(5) ص: وكشحا.

لي بما علمته ولا تكتمني ما أخذه الله عليك. فقال لـه الأمير: بلى، إن ذلك لمن حقك كما تقول، ولكنك تدخل[1] علينا داخلة تَغُض[2] منا، فإن أعفيتنا فهو أحب إلينا، وإن اضطررتنا لم يُمْكِنَّا عقوقك. فعزم عليه سعيد الخير عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته ووَقَم[3] خصمه مع إسعافه. وضايقته الآجال، فتنجز موعد الأمير وألحَّ عليه. فأرسل الأمير الحكم عند ذلك في فقيهين من فقهاء زمانه، وخط شهادته تلك بيده في قرطاس، وختم عليها بخاتمه، ودفعها إلى ذينك الفقيهين وقال لهما: هذه شهادتي بخطي تحت طابعي[4]، فأدياها إلى القاضي. فأتاه بها الرجلان إلى مجلسه في وقت قعوده للسماع من الشهود، فأدياها إليه. فقال لهما: قد سمعت منكما، فقوما راشدين وانصرفا في حفظ الله.

وجاءت[5] دولة وكيل سعيد الخير، فتقدم إليه مُدِلاً واثقًا فقال له: أيها القاضي، قد نقلت إليك شهادة الأمير أصلحه الله فما تقول؟ فأخذ كتاب الشهادة، وأعاد النظر فيه، ثم قال للوكيل: هذه شهادة لا تعمل عندي، فجئني بغيرها. فدهش الوكيل وقهقر، ومضى إلى سعيد الخير وأعلمه.

فركب سعيد من فوره ذلك إلى الأمير الحكم فقال له: ذهب سلطاننا، وأهينت عزتنا! يجرؤ هذا القاضي الحَروري[6] على رد شهادتنا وإظهار جرحتك؟ والله قد ارتضاك لخلافته، واستخلفك على خليقته، وجعل الأمر في دمائهم وأموالهم إليك! هذا ما لا يجب أن تحتمله عليه. وجعل يغريه بابن بشير، ويحرضه على

(١) ص: ولكنه تدخل.

(٢) ص: نقض.

(٣) ص: وقم. ووقم خصمه أي إفحامه وإلزامه الحجة.

(٤) ص: طباعي.

(٥) ص: وجاءة.

(٦) الحروري أي الخارجيّ، ولكن المقصود هنا المتشدد المتزمت. وقد مر بنا استخدام هذا اللفظ في دلالة مماثلة.

الإيقاع به، والأمير مطرق كاظم غيظه. فقال له: يا عم، هذا ما قد ظننته بالقاضي وتوقعته، لكني أسعدتك على غيّك، فقد آن لك أن تقصر عنه، فالحق أولى بك، والقاضي قد أخلص بينه وبين الله، فلا تأخذه فيه لومة لائم، فعل ما يجب عليه وما يلزمه، وسد دونه بابًا كان يصعب عليه الدخول منه، لو لم يفعل ما فعله لأحال الله بصيرتنا فيه، فأحسن الله عنًّا وعن نفسه جزاءه.

فاشتد وجد[١] سعيد من قوله وقال: فهذا نصرك لي في حاجتي وحسبي منك؟! فقال: نعم، قد أجبتك إلى ما أردته مني على علمي بخطئه. ولست والله أعترض القاضي فيما احتاط به لنفسه، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله.

فذكر أن بعض إخوان ابن بشير عاتبه فيما أتاه من ذلك، وخشَّاه من سطوة الحكم وكثَّر عليه، فقال له: يا عاجز، تعلم أنه لا بُدَّ من الإعذار في الشهادات، فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الأمير. فلو قبلتها ولم أعذر لبخست المشهود بعض حقه. فعذره ودعا له[٢] بالتوفيق، وفقنا الله وإياه.

/ وذكر القاضي أسلم بن عبدالعزيز عن بقي بن مخلد قال [159]: كانت لمحمد ابن بشير القاضي في قضائه مسالك دقاق، ومذاهب لطاف يغمض[٣] بها الاستنباط ويشتد[٤] التحفظ، لم تكن[٥] لقاض قبله بالأندلس. وما كان يقارن إلا بمن تقدم من صدور هذه الأمة. ١٢٤/ب

قال: [160]

ورأيت له غير ما سِجِلّ، فوجدتها مختصرة جداً، محتوية على نص المعنى من

(١) الوَجْد هنا بمعنى الغيظ.

(٢) ص: إليه.

(٣) ص: يغمظ.

(٤) ص: ويشد.

(٥) ص: يكن.

غير إكثار، إنما هي أسطار قليلة خلاف ما يجتلب الآن في زماننا من الكلام.

وحكى أنه كانت لمحمد بن بشير أيام نزل قرطبة خادم سوداء(١) اسمها بلاغ تخدمه، ويستمتع بها عند حاجته، فكان إذا غشيها وقضى وطره منها دفع في صدرها بيده وقال: يا بلاغ، إن فيك لبلاغًا إلى حين.

وذكر محمد بن عمر بن لبابة عن عبد الأعلى بن وهب قال: [161]

استحقت جارية عند الأمير الحكم أم ولده على حكومة القاضي محمد بن بشير، فكتب القاضي إلى الأمير بذلك، وعرفه ثبوت الحق فيها لديه، وسامه الإفراج(٢) عنها ليجري الحكم عليها، فانقاد(٣) لإنفاذه عليه، ووجب أن تُقوَّم الجارية ويدفع ثمنها إلى مستحقها على فتوى مالك بن أنس، التي دُفِعَ إليها في ذاته، فأخذ للأمير الحكم بها منقبة من مناقبه.

قال ابن لبابة:

فأخبرني شيخ من تجار الرقيق مشهور الثقة، أنه حضر إبراز الجارية بداخل القصر للتقويم، فكان ممن قَوَّمها وارتضى مستحقها قبض ثمنها، فصار إذعان الأمير الحكم بها منقبة من مناقبه. وقد اعتذر [عن](٤) الخلاف في خبر هذه الجارية في وجه الحكومة فيها واسم الحاكم بها من القضاة اعتذارًا شديدًا، قد مضت منه طرق فيما تقدم في هذا الكتاب. والله العليم بالصحيح منها إن كانت من ذلك الشرك فيها أو كانت توأمة، فالأخبار مظنة بهذه الآية(٥).

(١) ص: سوادا اسماها.

(٢) ص: الإبراع. وقد تكون "إبراز" كما سيرد بعد ذلك.

(٣) ص: فانقد.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) هكذا وردت هذه العبارة وقد لحقها تحريف شديد، ولو أن فحواها لا يستعصى على الفهم، فهو يريد أن يقول: إن خبر تلك الجارية وحكومة القاضي في أمرها موضع خلاف بين الرواة، إذ هم لا يتفقون على اسم القاضي ولا على اسم الأمير الذي قضى عليه بالحكم، ولهذا فإن المؤلف - أي ابن حيان - يعتذر عن هذا الاضطراب.

قال:

وتوفي القاضي محمد بن بشير سنة ثمان وتسعين ومائة، فاستقضى الأمير الحكم بعده في قول بعضهم ابنه سعيد بن محمد بن بشير. ودفع ذلك بعضهم فقالوا: ولى الأمير الحكم بعد محمد بن بشير، الفرج بن كنانة الكناني، وذلك الأشهر عندهم.

ذكر الفرج بن كنانة

قال ابن حارث: [162]

هو الفرج بن كنانة بن نزار بن غسان وقيل غسان بن نمرة [163] الكناني، نسبه في كنانة، ومكتبه في جند فلسطين، ومسكنه بشذونة. وكان من أهل العلم والعبادة. وكانت له رحلة إلى المشرق[1] / سمع فيها من عبدالرحمن بن القاسم ١٢٥/أ وغيره من أهل العلم. وقدم من رحلته، فاستخلصه الأمير الحكم، وولاه القضاء بقرطبة، فكان هو قاضيها أيام الهيج فيها المعروف بوقعة الربض، فأنقذ الله بشفاعته كثيرًا من جيرانه[2] ومعارفه، وكان الذي ثنى من غرب الأمير الحكم على عصاة أهل قرطبة وحداه على الصفح عنهم. وقال له أيها الأمير: إن قريشًا[3] حاربت رسول الله ﷺ، وأطردته وبالغت في أذاه وناصبته العداوة، وهو يدعوهم إلى الهدى، ثم كان من صفحه عنهم لما أظفره الله بهم ما قد علمت. وأنت أحق الناس بالاقتداء به، لقرابتك منه ومكانك من خلافته في عباده، فقدع[4] منه، وبذل الأمان لفلّ القوم على الجلاء عن أوطانهم.

وكان الفرج هذا مع فقهه فارسًا شجاعًا، يتصرف للسلطان في قود الخيل وسد

(١) العبارة مكررة في الأصل.

(٢) هذه الجملة جاءت في الأصل مختلطة الحروف.

(٣) ص: إن كان قريش.

(٤) يقال قدع فلانًا عن الشيء كفه ومنعه.

الثغور. وقد غزا مع عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث معقوداً له على جند شذونة بلده إلى جليقية، فقدمه عبدالكريم بن عبدالواحد من أستورقة إلى جمع للنصرانية اجتمعوا لصده، ففضهم الفرج وأذرع القتل فيهم. وأخرجه الأمير الحكم أيضاً وهو قاضيه بالجيش إلى سرقسطة، أيام اضطرابها بالثائر المسمى عمارة، اعتامه لمكان عدة قومه كنانة بها، فصار إليها وأصلح ما فسد منها، وتهيأ له القبض على عمارة وولده، وحسم شره، وأقام هنالك مدة ثم قفل.

وقال ابن عبدالبر:

الفرج بن كنانة، يكنى أبا القاسم، كان عربياً شريفًا، فارسًا شجاعًا، حكيمًا جزلاً خيِّرًا فاضلاً. ولي إثر محمد بن بشير، فكان يسلك سبيله ويتبع أقضيته، وكان صلب القناة في حكومته، غير مراقب لأحد في نظره، يعطي طوابعه في كل أحد من قرابة السلطان ووزرائه وخدمته فمن دونهم[1]، فلا يرد طابعه. لم يزل قاضياً وصاحب صلاة من سنة ثمان وتسعين إلى سنة مائتين، ثم استعفى، فأعفاه الأمير وولى عبيد الله بن موسى.

وقال محمد بن عبدالملك بن أيمن:

كان للفرج بن كنانة قدر جليل في الناس، ومكان مكين عند السلطان، وله عقب فاشٍ بشذونة بلدهم، ذوو نباهة وفضل، تردد فيهم قضاء بلدهم في دول الخلفاء إلى عهد الناصر لدين الله؛ فإنه ولى رجلاً منهم يكنى أبا العباس، اسمه خلف بن حامد بن الفرج بن كنانة قضاء شذونة، وكان قد عني بطلب العلم معنا عند شيوخ بلدنا[164].

وفي كتاب القاضي أبي الوليد ابن الفرضي:

هو الفرج بن كنانة بن نزار بن غسان، وقيل غسان بن مالك الكناني، من أهل

(١) ص: دونه.

شذونة، يروي عن ابن القاسم وابن وهب، استقضاه الأمير الحكم بقرطبة / بعد ١٢٥/ب
محمد بن بشير، وذلك سنة ثمان وتسعين ومائة، فلم يزل قاضيًا إلى سنة مائتين.
وخرج إلى الثغر الأقصى [في][١] هيئة القواد، ذكر ذلك خالد، ولم يقع إليَّ
تاريخ وفاته.

ذكر عبيد الله بن موسى الغافقي

وقال ابن حارث: [165]

عبيد الله بن موسى بن إبراهيم بن مسلم بن عبدالله بن مسلم بن خالد بن يزيد ابن عمار بن عبيد الله بن موسى الغافقي. أصله من عرب الشام، من جند فلسطين. نزل ناحية الجزيرة، وانتقل والده بعده إلى إشبيلية. وبنو موسى الوزير المشتهرون[٢] بهذه التسمية[٣] بقرطبة من بين جميع وزراء الأزمنة [٤] كانوا يتولون هذا القاضي عبيد الله بن موسى[166].

وقال ابن عبدالبر:

عبيد الله بن موسى يكنى أبا مروان. استقضاه الأمير الحكم بقرطبة بعد الفرج ابن كنانة أول سنة إحدى ومائتين، فلم يزل قاضيًا وصاحب صلاة إلى أن مات في سنة أربع ومائتين.

فاستقضى الأمير الحكم بعده حامد بن يحيى على قضائه، إلى أن توفي سريعًا سنة سبع ومائتين، فلم يزل قاضيًا وصاحب صلاة. ولا نادرة في أخبار هذين القاضيين فنحكيها عنهما.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ص: المشتهر الوزير، فبدلنا ترتيب اللفظين، وجعلنا الأول "المشتهرون".

(٣) ص: التسمى.

(٤) تعبير فيه بعض الغرابة لم يرد في نص الخشني. راجع التعليق رقم ١٦٦.

ذكر الوفاة في أعلام الناس
في دولة الإمام الخليفة
الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية

قال الرازي أحمد بن محمد:

مات في خلافة الأمير الحكم أبو مضر، محمد بن مزين سنة ثلاث وثمانين ومائة(١) [167].

وأبو عثمان عبيد الله بن عثمان، المعروف بصاحب الأرض، كبير النقباء، توفي رحمه الله تعالى بوشقة من الثغر الأعلى في شوال سنة ست وثمانين ومائة. ومولده بالشام سنة ثمان ومائة. دخل الأندلس في طالعة بلج القشيرى[168].

وأبو أمية، عبد الغافر بن أبي عبدة حسان بن مالك(٢) سلخ رجب سنة سبع وثمانين ومائة. وكان يتولى ديوان الخاتم للأمير الأول عبدالرحمن بن معاوية[169].

وشهيد بن عيسى الداخل، في سنة ثمان وثمانين ومائة، وكان دخوله إلى الأندلس بأخرة [من] أيام الأمير الأول عبدالرحمن بن معاوية. وبلغ شهيد من السن ثلاثاً وتسعين سنة. رحمة الله عليهم[170].

١/١٢٦ والحاجب أبو عمر، أحمد بن أبي عبدة في رجب سنة تسعين ومائة. / وتمام ابن علقمة النقيب[171]، وعبدالواحد بن مغيث مولى الوليد، وعبدالعزيز بن أبي عبدة، وسعيد بن عياض القيسي: توفي جميعهم في سنة إحدى وتسعين في أوقات منها مختلفة. قال: واختلف في وفاة تمام بن علقمة، فقيل إنها كانت في سنة ست وتسعين ومائة بعدها. قال ذلك عيسى بن أحمد ولد الرازي، وقال: تولى تمام بن علقمة الثقفي للأمير عبدالرحمن الداخل الحجابة والوزارة والقيادة،

---

(١) ص: ومائتين، وهو خطأ واضح.

(٢) ص: الهلك.

ثم انتقل عن التصرف، فثبت على خطة الوزارة للأمير من بعده هشام والحكم ابنه إلى أن مات في ست وتسعين ومائة.

الرازي:

محمد بن أمية بن يزيد، الكاتب الرفيع، مات معزولاً خاملاً في سنة ست وتسعين ومائة، وفطيس بن سليمان، وأبو علي بن أبي عبدة غرة جمادى الأولى منها. ومات ابن عمه أمية صدر شوال. وجودي المعلم النحوي مولى عبس(١) [172]. وحجاج المغيلي الكاتب البليغ من موالي عبس أيضاً، كانا يتوليان إلى يزيد العبسي(٢) الوزير. وعبدالواحد بن رزين: كلهم في سنة ثمان وتسعين ومائة. وصلى على جودي القاضي الفرج بن كنانة.

وإبراهيم بن أيوب، وعبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن، وعبدالخالق بن عبدالجبار بن قيس الباهلي القاضي [173]: كلهم في سنة إحدى ومائتين. تاريخ عبدالخالق منهم في صفر منها، وهم ينتمون إلى قتيبة بن مسلم[174]، يزعم عبدالخالق بن أحمد بن الوليد بن عبدالخالق بن عبدالجبار، أن جدهم هو عبدالجبار ابن قيس بن عبدالله بن عبدالرحمن بن قتيبة بن مسلم الباهلي. أبو محمد حسن ابن محمد بن أبي عبدة، أخو أحمد بن محمد المعروف القائد، شقيقه الذي لم يكن له شقيق غيره صدر رمضان سنة أربع ومائتين.

وقال غيره:

أمية بن عبدالملك بن قطن الفهري، مات في سنة إحدى وتسعين(٣) ومائة[175]. وخطاب(٤) بن زيد بن عبدالرحمن الكاتب في سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقد

---

(١) ص: عيسى.

(٢) ص: القيسي.

(٣) ص: وسبعين.

(٤) ص: حطا.

كتب للأمير الأول عبدالرحمن بن معاوية بعد أمية بن يزيد كاتبه، ثم لابنه الأمير هشام بعده. الفقيه الناسك زياد بن عبدالرحمن اللخمي، المعروف بشبطون سنة أربع وتسعين ومائة، وقيل بل سنة ثلاث وتسعين قبلها، وقيل بل سنة تسع وتسعين ومائة، لقي مالك بن أنس وسمع منه موطأه، فكان أول من أدخله إلى الأندلس وتلاه[1] يحيى بن يحيى، وقد سمع منه يحيى بن يحيى ما فاته من سماعه من الموطأ.

وقال القاضي ابن الفرضي:

بل توفي سنة أربع ومائتين، قبل مهلك الأمير الحكم بعامين. وهو زياد بن عبدالرحمن بن زهير بن ناشرة بن لوذان بن حُيَيّ بن أخطب بن الحارث بن وائل اللخمي. وقد قيل: إنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة[176]، يكنى / أبا عبدالله، سمع من مالك الموطأ، وله عنه سماع معروف بسماع زياد، وسمع من معاوية بن صالح الحمصي وكان صهره: كانت بنت معاوية تحته. وأراده الأمير هشام على القضاء فأبى عليه، وخرج هاربًا بنفسه، فقال هشام: ليت الناس كزياد حتى أُكْفَى أهل الرغبة في الدنيا! ثم أمنه فرجع إلى وطنه.

١٢٦/ب

وكليب بن ثعلبة بن عبيد سنة ست وتسعين ومائة [177]. وقاضي قرطبة الفاضل محمد بن بشير المعافري سنة سبع وتسعين ومائة [178]. وفيها توفي الفقيه عبدالرحمن بن دينار. وأبو صفوان القرشي[179].

وقال القاضي ابن الفرضي [180]:

عبدالرحمن بن دينار بن واقد الغافقي، أخو الفقيه عيسى بن دينار، يكنى أبا زيد، من أهل قرطبة، كانت له رحلات، استوطن في إحداهن المدينة، وهو الذي أدخل الكتب المعروفة بالمَدَنِيَّة بالأندلس، فسمعها منه أخوه عيسى بن دينار، توفي في المحرم سنة إحدى ومائتين، مولده سنة ستين ومائة.

---

(١) ص: وتلا.

وعبدالملك بن الأمير هشام أخو الأمير الحكم[181]، هلك فيها أيضاً بعد الحبس، بعد اتصال مقامه فيه إلى هذا الوقت تسع عشرة سنة، منها ثلاث من حياة والده هشام، وكان هو الذي حبسه قبل موته، فوالى حبسه الأمير الحكم أخوه بعده إلى وقت وفاته. وفيها هلك أيضا عمروس بن يوسف صاحب الثغر الأعلى بسرقسطة. وفيها توفي الغازي بن قيس المؤدب المقرئ بقرطبة، إمام الناس بالأندلس في القراءة، قرأ على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة.

وقال القاضي ابن الفرضي[182]:

توفي الغازي بن قيس قبل الهيج، سنة تسع وتسعين ومائة. وقال: يكنى أبا محمد، قرطبي قديم شهير، رحل في صدر أيام الأمير عبدالرحمن بن معاوية، فسمع من مالك موطاه، فقيل إنه كان يحفظه ظاهراً، وسمع من ابن أبي ذئب وابن جريج والأوزاعي وغيرهم. وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة، وانصرف إلى الأندلس بعلم كثير، فقرئ عليه فيها، وانتفع به. وروى عنه عبدالملك بن حبيب وأصبغ بن خليل وعثمان بن أيوب وغيرهم. وقيل: إنه عرض عليه القضاء فأبى. وقال أحمد بن خالد: سمعت أصبغ بن خليل يقول: سمعت الغازي بن قيس يقول: والله ما كذبت كذبة منذ اغتسلت، ولولا أن عمر بن عبدالعزيز قاله ما قلته، وما قاله إلا ليُقْتَدى به.

وتوفي الفقيه المفتي صعصعة بن سلام صاحب الأوزاعي سنة اثنتين ومائتين. وقد اختلف في ذلك اختلافًا متفاوتاً، فقيل إنه مات سنة ثمانين ومائة. وقال الرازي / بل سنة ثنتين وتسعين ومائة. وقال غيره بل سنة ثنتين ومائتين. ١/١٢٧

وقال القاضي ابن الفرضي: [183]

صعصعة بن سلام الشامي، يكنى أبا عبدالله. روى عن الأوزاعي[1] وعن

---

(١) ص: روى عن الأوزاعي عن سعيد، والسياق يقتضي إضافة الواو.

سعيد بن عبدالعزيز ونظرائهما من الشاميين، ورأس بالأندلس، فكانت الفتوى فيها أيام الأمير الداخل عبدالرحمن بن معاوية وصدرًا من أيام ولده الأمير هشام تدور عليه، إلى أن رأى الأمير هشام الأخذ برأي مالك بن أنس. وولى صعصعة الصلاة بقرطبة. وفي أيامه اغترست الأشجار بصحن جامع قرطبة من مذهب الأوزاعي والشاميين، ومالك وأصحابه يكرهونه. وروى عن صعصعة من علماء الأندلس عبدالملك بن حبيب[1] وعثمان بن أيوب وغيرهما. وقد ذكره ابن حبيب في كتاب طبقات الفقهاء، وكانت له رحلة إلى المشرق، فكتب عنه بمصر من أهلها موسى بن ربيعة الجمحي وغيره وصار إلى الأندلس، فكتب عنه فيها. وكان أول من أدخل الحديث إلى الأندلس.

وقال ابن الفرضي[184]:

وعبدالرحمن بن أبي هند الأصبحي، طليطلي سكن قرطبة، وكان رحل، فلقي مالك بن أنس وسمع منه، وكان مالك له مكرمًا ومؤثرًا، وهو الذي كان يسميه حكيم الأندلس ـ زعموا ـ على شدة اختلاف الرواة في اسم هذا الرجل وتاريخ وفاته. فمنهم من يقول: إنه سعيد بن أبي هند، ومنهم من يقول: عبدالوهاب، ومنهم من يقول: إنه مات في صدر [أيام][2] الأمير الداخل عبدالرحمن بن معاوية، ومنهم من يقول: بل في أيام ولده الأمير هشام. وأبو زيد عبدالرحمن بن أبي هند، مذكور في كتاب أبي سعيد[185] أنه انصرف إلى الأندلس بعد حجه، فاستوزره بعض خلفاء بني أمية، وأنه توفي سنة ثمان وتسعين ومائة.

---

(١) ص: ابن صعصب، والتصويب عن ابن الفرضي.

(٢) إضافة يتطلبها السياق.

ذكر الوصف لمحاسن الأمير الحكم
رحمه الله تعالى

قال أحمد بن محمد الرازي:

كان الأمير الحكم خطيبًا لسنًا، مفوهًا شاعرًا، له شعر كثير، في أوصاف الحروب، وفي الشيب وغير ذلك من فنون الملك. فمن ذلك ما أنشده له معاوية ابن هشام القرشي الشبينسي في الفخر، بصدق البأس ومضاء الرأي، والحزم والرجولة، وقوة النفس وذكر الحرب، حيث يقول[184]: [الطويل]

غناءُ صليل البيضِ أشهَى على الأذْنِ ... من اللَّحْنِ في الأوتارِ واللَّهْوِ والدَّدْنِ(١)

إذا اختلفت زُرْقُ الأسِنَّة والقنا ... أرَتْكَ نُجومًا يطلعْنَ من الطَّعْنِ

/ بها يَهْتدِي السَّاري وينكشفُ الدُّجَى ... وتستقبلُ الدنيا مطابَقَةَ الأمْنِ(٢) ١٢٧/ب

وما لي إذا استلأمتُ غَيْرُ ظِلالِها ... إذا حادَ عن حَرِّ الحروب ذَوُو الجُبْنِ

وإن لَفَحَتْ ريحُ الظهائر لم يكُنْ ... لِفاعِيَ فيها غَيْرَ فَيْءِ القنا اللُّدْنِ(٣)

وإن تجِدِ الأبطالُ حِصْنًا ومَعْقِلاً ... فما لِيَ غيرُ السيفِ في الأرض من حِصْنِ(٤)

قَذَفْتُ بِهَمِّي في فضا الأرْضِ فَانْزَوَتْ ... لهُ الأَرْضُ واستولَى على السَّهْلِ والحَزْنِ(٥)

(١) في الأصل "فوق الوتر" مكان "في الأوتار"، وقد آثرنا قراءة الحلة السيراء فهي الأصح والأوفق للسياق، والدَّدْن أي اللعب، وفي الحلة "الردن" وفسرها محقق الكتاب بأن معناها وقع السلاح، ولا وجه لهذه القراءة.

(٢) الشطر الثاني في الحلة "وتستشعر الدنيا لباسًا من الأمن"، وهي قراءة أفضل مما ورد في الأصل.

(٣) في الأصل: وإن لفحت حرب الظهائر، ولهاعي مكان لفاعي، وقد آثرنا قراءة الحلة، والظهائر جمع ظهيرة وهي وقت اشتداد الحر.

(٤) البيت في الحلة:

وإن لم يجد حصنًا سوى الفر مقدم ... فما لي غير السيف والرمح من حصن

(٥) في الأصل "قذفت بهم" ولا يستقيم بذلك الوزن ولا المعنى، وفي الحلة "قذفت بهم [من] فوق يهماء فانزوت"، وما أثبتناه أصوب. ويعني بقوله "همي" هِمَّتي.

فَـــالَ يُرَوِّي كُلَّ صَـدْيَانَ حـائمٍ ... وسَحَّ كما سَحَّتْ عَزَالِ من المُزْنِ(١)

فـإن عَـنَّ للتـيَّـــارِ من سَـيَــلانِه ... ذُرًا شـاهقٍ أَضْحَى كمُنْتَفِشِ العِهْنِ

هَنَأْتُ بِهِ جَـرْبَى تَقَـشَّعَ عُـرُّها ... بِحَمْلِ هِنـاءٍ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْبُدْنِ(٢)

وأنشد لـه أيضاً من النسيب في خمس جوارٍ من حظاياه مصطحبـات تغاضَبْنَ عليه وقتًا في طريق الغَيْرة وهَجَرْنَه، فقال: [187] [البسيط]

قُضْبٌ مِنَ البانِ ماسَتْ فَـوْقَ كُثْبانِ ... وَلَّيْنَ عَنِّي وقـد أزْمَعْنَ هِجْراني

من لي بمُغْتَصِباتِ الرُّوحِ من بَدَني ... يَغْصِبْنَني في الهوى عِزِّي وسُلْطاني(٣)

ملكـنني مَلِكًا ذَلَّتْ عـزائِمُـهُ ... لِلْحُبِّ ذُلَّ أسـيـرٍ مُوثَقٍ عـانِ

ناشَدْتُهُنَّ بحقِّي فـاعْتَزَمْنَ على الْـ ... ـعِصْيانِ حتى خَلاَ منهنَّ عِصْياني

وأنشد لـه في الغزل: [188] [الخفيف]

ظَلَّ من فَـرْطِ حُبِّه مَمْلوكـا ... ولقَـدْ كـانَ قَـبْلَ ذاكَ مليكا

إنْ بكى أو شكا الهوى زِيدَ ظُلْمًا ... وبِعـادًا أدْنَى حِمـامًا وشيكا

تَرَكَتْـهُ جـآذِرُ القَصْرِ صَبًّا ... مُسْتَهامًا على الصَّعيدِ تريكا

يجعلُ الخدَّ واضِعًا فَوْقَ تُرْبٍ ... لِلَّذي يجعلُ الحريرَ أريكا

هكذا يَحْسُنُ التَّذَلُّلُ بالحُرِّ (م) إذا كـانَ في الهوى مَمْلوكا

---

(١) في الحلة "فسار"، والصديان والحائم العطشان، والعزالي جمع عزلاء وهي فم القربة، وبها يشبه المطر الغزير.

(٢) ورد الشطر الأول في الحلة محرفا تحريفًا شديدًا، والصواب ما جاء في الأصل. وهنأتُ أي طليت بالهناء وهو القطران، وبه كان العرب يطلون الإبل الجَرْبى لعلاجها من الجَرَب، وهو العُرُّ الوارد في البيت، والتعبير مجازي، إذ كنى بالجرب عن الفتنة التي شبها الثوار وما أعقبها من حرب وكنى بالهناء عن إخماده لها وإقرار الأمن. البُدْن هي الإبل.

(٣) بين هذا البيت والذي يليه في الأصل: "وأنشد في الغزل" ثم ملاحظة من الناسخ يقول فيها: "في الترجمة غلط، والبيتين الأخيرين (كذا) متصلة (كذا) بالأولين". وبغض النظر عن الخطأ النحوي في هذه العبارة فهي صحيحة، ويعني بها الناسخ أن الأبيات الأربعة متصلة السياق، فما ورد في الأصل من قوله "وأنشد في الغزل" فاصلاً بين البيتين الأولين والأخيرين خطأ ينبغي معه حذف تلك العبارة.

ذكر الخبر عن وصية الأمير الحكم بن هشام لابنه ولي عهده عبدالرحمن حين حضرته الوفاة [189]

قال عيسى بن أحمد الرازي:

لما حضرت الأمير الحكم الوفاة من علته التي لازمته، استدعى ابنه الأمير عبدالرحمن بن الحكم فقال له: "يا بُني، احفظ ما أقول لك وأوصيك به، وأصغْ إليه بسمعك وذهنك. إني قد وطدت لك الدنيا، وذَلَّلْتُ لك الأعداء، وأقمت أَوَدَ الخلافة، وأمِنْتُ عليك الاختلاف والمنازعة، فاجْرِ على ما نهجت لك من الطريقة. واعلم أن أولى الأمور بك، وأوجبها عليك، حفظ أهلك ثم عشيرتك، ثم الذين يلونهم من مواليك وشيعتك، فهم أنصارك وأهل دعوتك ومشاركوك في حلوك ومرك. فَبِهِمْ أنزِلْ ثقتك، وإيَّاهم واسِ من نعمتك، وعصابَتَهُمْ استشعِرْ دون / المتوثِّبين إلى مراتبهم من عَوَامِّ رعيَّتك، الذين لا يزالون ناقمين على الملوك أفعالهم، مستثقلين لأعبائهم، فاحْسِمْ عِلَلَهم ببسط العَدْل لكافَّتهم، واعتيامِ أُولي الفضل والسداد لأحكامهم وعمالاتهم، دون أن ترفع عنهم ثِقَلَ الهيبة وإصر الرهبة، فلتحبِّبهم ما تحملهم عليه من قصد السيرة وبذل النَّصَفَة، فلا تمكنهم من الارتقاء إلى فوق منازلهم البتَّة، إلا أن ترى رجلاً قد نهضت به نفسه، وسَمَتْ به خصالُه، فانهض به وأعِنْهُ، فإن أول كل شرف خارجيَّة[1]. ولا تَدَعْ كُلَّ وقتٍ وعلى كل حالٍ تعجيلَ مكافأةِ المحسنِ بإحسانه، وتنكيلَ المسيءِ بإساءته، فهما يجبان عليك الرغبة والرهبة. وملاكُ أمرك كُلُّه المالُ، وحفظُهُ بأخْذِهِ من حِلِّه، وصرفه في حقه، فإنه روحُ الملك المُدَبِّرُ لجثمانه[2]. فلا تجعلْ بينك وبينه أحداً في

1/128

---

(1) ص: خارجيته. والخارجية هي البروز والسبق بغير قديم موروث، والخارجيُّ في مثل هذا السياق هو الذي يشرف بنفسه من غير أن يكون له نسب عريق أو حسب موروث.

(2) ص: بجثمانه.

الإشراف على اجتبائه وادّخاره والتثقيف لإنفاقه وعطائه. وختامُ وصيّتي إياك بإحكامك في أحكامك، فاتّقِ الله ما استطعت وإلى الله أكِلُك، وإياه أستحفظك".

قال ابن حيان:

وقد أدخل معاوية بن هشام القرشي الشبينسي هذه الوصية بغير هذه الألفاظ في كتابه فقال:

لما أيس[1] الحكم من نفسه، وفوّض أمره إلى ابنه عبدالرحمن ولي عهده أدناه إليه يومًا، فقال له: "يا بُنيّ، طِبْ نفسًا بما يصير إليك من سلطاني، وانبسط فيه كيف شئت، فقد مهدت لك البلاد، ووطّدْت[2] لك الدنيا، وكفيتُك[3] الأعداء. وأولى الأمور بك وأزينها لك حفظ أهلك ومراعاة عشيرتك، ثم الذين يلونهم من مواليد، فهم أولياؤك حقًا، وأنصارك صدقًا، القُوّامُ بدعوتك دِنْيًا[4]، وإن رأيت فيمن يرتقي من صنائعك رجلاً لم تنهض به سابقة، ويثِبُ بخَصْلَةٍ وتطمح به نفسه وهمته فأعِنْهُ واختبره، وقدِّمْه واصطنعه، ولا يريبنّك خمولُ أوّله، فإن أوّلَ كل شرف خارجية.

ولا تَدَعْ مجازاة المحسن بإحسانه، ومعاقبة المسيء بإساءته؛ فإن عند التزامك بهذين ووضعك لهما مواضعهما يُرْغَبُ فيك، ويُرْهَبُ منك. ومِلاكُ ذلك كلّه أن تتقيَ اللّهَ ما استطعت، وتعدلَ في أحكامك، وتتخير حكامك. وإلى الله أكِلُكَ، وإياه أستحفظُ أمْرَك. فقد هانَ الموتُ عليَّ إذ خلّفتني مثلُكَ". ثم استدناه فالتزمه وودّعه، وبكى، فبكى أهلُ القصر لبكائه. وقام عبدالرحمن، فلزم مكانه بباب القصر إلى أن قضى الأمير الحكم نحبه، رحمة الله عليه.

---

(١) ص: أياس.

(٢) كذا أيضاً في إحدى نسختي الزهرات، وفي الأخرى "وطأت" والقراءتان صحيحتان.

(٣) في الزهرات مكان هذه الجملة، "وذللت لك الأعداء" وبعدها "وأمنت عليك الاختلاف والمنازعة".

(٤) يقال هو ابن عمّي دِنيا (منونة وغير منونة) ودنية أي لَحًا (بمعنى القرابة المباشرة) برحم أدنى إليَّ من غيرها. والمراد هنا ليس قرابة النسب، وإنما يعني النصرة والتأييد.

لمع من مناقب الأمير الحكم
رحمه الله

قال عيسى بن أحمد:

كان عصر الأمير الحكم قبل وثوب أهل حضرته به، من أوثق أعصار الخلفاء المروانيين وأنبهها: فيه ظَهَرَ العلماءُ والشعراءُ والبلغاءُ والأدباءُ، مثل عبّاس / ابن ١٢٨/ب ناصح الثَّقفي الشاعر الجزيري [190] فحلِ شعراء الأندلس، المتفنِّنِ في جميع العلوم، البارعِ في حفظ اللغة وضبط اللسان العربي، الحاذقِ في البصر بدقائقِ الحساب والفلسفةِ والهندسةِ، والنفاذِ في مطالعة الكواكبِ، والرسوخِ في علم الآثارِ العُلْوِيَّة. له في جميع ذلك آثارٌ معلومة، وأخبار سائرة. وكانت له بالأمير الحكم خاصة قريبة، ومنزلة رفيعة. ولحقته على ذلك سعاية أحفظته عليه، تَثَبَّتَ فيها الأمير الحكم فاستثناه. فله فيه أشعار كثيرة محكمة في المديح والاعتذار والشكرِ على التثبُّت، والاعتدادِ بجسامِ الأيادي، هي في أيدي الناس باقية.

وكان عباس في ذاته عفّاً عاقلاً، جميل المذهب، حسن النية. وكان يُهْدي النصائح إلى الأمير الحكم على سبيل الديانة، ويذكِّره بالثغور، ويحضُّه على الجهاد عند الفترة. ولقد حمله على إنشاء غزوة مجهولة التاريخ هاجتها منه حفيظة، وذلك أن عباس بن ناصح صار إلى الرِّباط على عادَةٍ له، فاحتلَّ مدينة الفرج، التي تدعى اليوم بوادي الحجارة، فأصاب العدوَّ من كفرة الجلالقة قد غلبوا على المسلمين بناحيتها ودوَّخوهم بالسرايا أيام شغلت الأمير الحكم عنهم حروب نادرة.

فسمع عباس ببعض أطرافهم امرأةً ثغريَّةً حُرَّى تنادي مستصرخة: وا غوثاه بك يا حكم! لقد غفلتَ عنَّا ونسيتَنا، واستأسد العدو علينا، فأيِّم منا وأيتم فينا. فأوجعه كلامها. فلما قدم من وجهته تلك، رفع إلى الأمير الحكم بأبيات يذكر له

اختلالَ الثغور(١) وما شارفه من كَلَب العدو الذي كان فيها، وشرح له الحال، وأورد عليه قول المرأة المتحزِّنة، فحَمِي أنفًا، ووثب مشمّرًا، فأعدَّ للغزو بسرعة وخرج مبادرًا فُرَج مدينة الفرج. فدخل إلى بلد العدو من تلقائها، فأثخن فيها، وفتح حصونًا، وقتل رجالاً، وأسر جمعًا، وصيَّر طريقه في قفوله على الناحية التي كانت فيها المرأة المستصرخة. فأمر لهم بعدة من الأسرى لفكاك أهاليهم، وخصَّ المرأة بعطائه، فأرضاها. وأمر بضرب رقاب باقي الأسرى، وجعل يقول للمرأة لما دخلت عليه: يا أمة الله، هل أغاثك الحكم؟ فقالت: نعم، أغاثه الله، فقد شفى والله الصدور، وأدرك التُّبول(٢)، وأشجى العدو، وأغاث المكروب، ومحا عنه ذم الغفلة، إذ ابتدر منا الصرخة، فأعانه الله وأعز نصره![191].

وقال ابن مفرج في كتابه:

وكانت لعباس بن ناصح الجزيري الثقفي أخرى من مُهَذَّبات نَصَحَاته في أهل القبلة من محمَّرة أهل الجزيرة الخضراء، جرت على من أنذره بهم من مجرميهم فاقرة. وذلك أنه ظهرت فيهم أيام الأمير / الحكم طائفة تدين برأي الخوارج، وتدعو إليه، وتبرأ من علي بن أبي طالب وهوان الله عليه ومن تلاه من الأئمة، وتسيء ذكرهم، تلفف إليهم جمع عظيم، وعملوا على قتال الجماعة. فكتب عباس بن ناصح الثقفي الشاعر - وكان رئيس أهل الجزيرة، وعين الأمير الحكم فيهم - إلى الأمير يعلمه بأمرهم، وحيث انتهى تشغيبهم، يحرضه عليهم، ويحضه على مبادرتهم قبل أن يستفحل أمرهم، وينتشر شرهم [192]. وضمن كتابه شعرًا منه هذا البيت: [البسيط]

١/١٢٩

---

(١) ص: الثغر.

(٢) التُّبول جمع تَبْل وهو الثار.

صُلْ بالأفـيلِ الذي ربَّوْا لفـتنتـهم   من قبل أن يَرْحَلُوهُ نَحْوَنا جَذَعا[1] [193]

فلما قرأ الحكم شعره قال: أي والله نفعل وكرامة. ثم عبأ جيشه، وخرج فيه بنفسه حتى أخذ بباب الجزيرة، وأهلها لا يعلمون، فحمل السيف على أكثرهم[2].

قال ابن حيان:

إن الفقيه العالم علي بن أحمد بن حزم، عفّى على جميع ما ذُكِر من محاسن هذا الخليفة الذكر[3] الحكم بن هشام بقوله في رسالته في نوادر الأخبار، المُسَمَّاة بنقط العروس ـ وهي دائرة في أيدي الناس ـ فقال[4]:

ومن المجاهرين بالمعاصي، السفاكين للدماء لدينا، الحكم بن هشام صاحب الربض. فقد كان مع جبروته يخصي من اشتهر بالجمال من أبناء رعيته، ليدخلهم إلى قصره ويصيرهم من خدمه. فمنهم طرفة بن لقيط، أخو عبد البر بن لقيط، الذي ينسب إليه مسجد طرفة بداخل مدينة قرطبة، وهو هوّاري النسب قد تصرف أبوه وأخوه في الولايات الرفيعة، ومنهم نصر الخصي الأثير ـ كان ـ عند ولده عبدالرحمن الأمير، الذي إليه تنسب منية نصر. كان أبوه من أسالمة الذمة من أهل قرمونة، مات قبل ابنه نصر بأيام قليلة. ومنهم سُرَيج،[5] صاحب مسجد سُرَيج بقرطبة وغيرهم.

---

(١) البيت في الأصل محرف تحريفا شديداً، فشطره الثاني فيه "من قبل أن يدخلوها نحونا حزنا" والتصحيح عن ابن القوطية والخشني. والأفيل هو الفصيل أو الصغير من الإبل الحديث العهد بالميلاد، والجذع الجمل الفتيّ، يريد اقْضِ على هذه الفتنة وهي في مبدئها قبل أن تستشري وتستفحل.

(٢) ص: آكثر.

(٣) كذا، وربما قصد ابن حيان أن يصفه بالذكورة أي الفحولة، وإن كنت أظن أنها زيادة مقحمة.

(٤) ورد هذا النص في رسالة نقط العروس. وكرر ابن حزم هذا الحكم في جمهرة الأنساب ص ٩٥-٩٦. (وانظر نقط العروس، الجزء الثاني من رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٧ ص٧٥).

(٥) ص: سريح، وفي الجمهرة شريح، وكلاهما تحريف، والتصويب عن الصلة لابن بشكوال ص ٨٦.

ذكر عباس بن ناصح

في كتاب **طبقات العلماء باللسان العربي**، لأبي بكر الزبيدي قال [194]:

عباس بن ناصح الجزيري الثقفي، كان من أهل العلم باللغة والعربية، ومن الشعراء المجودين الفصحاء المكثرين. ومذهبه في شعره مذاهب العرب الأول في أشعارهم، فيُصَرِّف الغريب، ويهوى المتانة[1]، وكان مقدمًا في العلم، مبرزًا في الفضيلة، مُنجب الولادة. قد ولي قضاء بلده الجزيرة مع شذونة، ووليه بعده ابنه عبدالوهاب بن عباس، ثم ابن ابنه محمد بن عبدالوهاب بن عباس، فأضحوا ثلاثة قضاة علماء شعراء أدباء ذوي[2] شرف ونباهة. ومنهم / عباس بن ١٢٩/ب عبدالرحمن بن عباس بن ناصح، كان فقيهًا عالمًا ولغويًا حافظًا، أدرك جده وأخذ عنه وعن جماعة غيره، وكانت له رياسة ببلده[195].

وقرأت في كتاب الفضل بن المفضل المذحجي، نسابة أهل الجزيرة [196] قال:

كان ناصح والد عباس بن ناصح الشاعر المتسمي في ثقيف، عبدًا لمزاحمة بنت مزاحم بن محمد الثقفي الجزيري، اسمه يَذْرُف، اشترته مزاحمة في سنة خمس وستين ومائة، وهو من أهل أُورْبَة[197]، أخذه السِّباء، فاشترته مولاته هذه وسمته ناصحًا، ثم أعتقته وزوجته وحبست عليه ضيعتها بقرية لنقيلة[3] [198] التي يذكرها ولده عباس في شعره، فجاء بعباس أحوذيًا[4] نسيج وحده. وكان عباس في وقته يهاجي إبراهيم بن قطن[199] المهري الجزري ويعارضه، فيناقضه إبراهيم ذلك ويرد عليه في أشعاره ويوري به في أبوته، فمن ذلك قوله في شعر له: [الطويل]

(١) ص: يهوى في المتانة، وحرف الجر مقحم يفسد المعنى، فآثرنا حذفه.

(٢) ص: ذو.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) ص: أجوديا ولا معنى لها، والأحوذي الذكي العالم بالأمور لا يند عنه منها شيء.

بني يَذْرُفٍ لا تَلْهَجُوا بهجائنا ... فإنكمُ أَخْفَى دَبِيبًا من الذَّرّ

بني يذرفٍ عُدُّوا الكلامَ فإنكُمْ ... بقية أهل النَّوْكِ واللؤمِ والكفرِ[١]

سواءٌ علينا ما طَرَا من هجائكمْ ... ونبَّة تيس بين عُسْفانَ فالبحرِ[٢]

ولعباس هذا عدد كثير ذو شرف ونباهة وعلم، ينتفون من الرق، ويزعمون أن يذرف جدهم من أوربة شلاش[٣] من أقوام يعرفون ببني عبدالرحمن. وليس بالجزيرة اليوم ثقفي صحيح النسب: من انتمى فيهم فهم من أبناء مواليهم.

وقال القاضي أبو الوليد ابن الفرضي، في كتابه المؤلف في العلماء والأدباء[٤]:

عباس بن ناصح الجزري، يكنى أبا العلاء، وكان عالمًا شاعرًا أثيرًا عند الخلفاء يتنصحونه فيما عنَّ بجهته، ويفد عليهم بقرطبة، فينوهون به، ويغشاه أدباؤها للاقتباس منه والرواية لشعره. فحكى جابر بن غيث النحوي [200] قال: وفد أبو العلاء عباس بن ناصح الجزيري على الأمير الحكم بقرطبة في بعض أيام وفاداته إليه، يقرؤون عليه كتب اللغة، ويستكتبون منه أشعاره، فمرت عليهم قصيدته الميمية التي أولها: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما البَلْوَى بعارٍ ولا العَدَمْ ... إذا المرءُ لم يَعْدَمْ تُقَى اللهِ والكرمْ

حتى انتهى القارئ إلى قوله:

تجافَ[٥] عن الدنيا فما لمعجِّزٍ ... ولا حازمٍ إلا الذي خُطَّ بالقَلَمْ

فقال له يحيى بن حكم الغزال ـ وكان في الحلقة، وهو إذ ذاك حدث نظار

---

(١) في الأصل: الترك، والنَّوْك الحمق.

(٢) نَبَّ التيس نبيبًا صاح. وعُسْفان قرية على مرحلتين من مكة. والمقصود الاستهانة بهجائهم.

(٣) لسنا على ثقة من صحة هذا الاسم البربري. وفي أسمائهم ما هو قريب في الرسم منه مثل وسلاس الجد الأعلى للفقيه يحيى بن يحيى، فلعله محرف عن الاسم المذكور.

(٤) هذا الكتاب لابن الفرضي غير كتابه المنشور في علماء الأندلس، فهو مفرد للأدباء والشعراء خاصة.

(٥) ص: تجافى.

متأدب ذكي القريحة ـ: أيها الشيخ، وما الذي يصنع مفعَّل مع فاعل؟ فقال له:
وكيف كنت تقول أنت / يا بُنَيّ؟ قال: كنت أقول: 1/130

تجافَ عن الدنيا فليس لعاجزٍ ... ولا حازمٍ إلا الذى خُطَّ بالقَلَمْ

فقال عباس: والله يا بني لقد طلبها عمك ليالي[1] فما وجدها[201].

وقال عثمان بن سعيد :[202]

لما أنشد عباس بن ناصح أصحابه الآخذين عنه بقرطبة، قصيدته التي فيها هذا البيت: [الطويل]

بقرتُ بطونَ الشعرِ فاستُفْرِغَ الحشا ... بكفِّي حتى آبَ خاويه من بَقْري[2]

قال بكر بن عيسى الكناني الأديب - [203] وكان فيهم ـ: أما والله يا أبا العلاء لئن كنت بقرت الحشا، لقد وسَّخْتَ يَدَكَ بِفَرْثِه، وملأتَها من دَمِه، وخَبُثَتْ نفسُك بِنَتْنِه، وخَشَّمْتَ أنفَكَ بعَرْفِه! فاستحيا عباس ولم يَرُدَّ عليه، وأُفْحِم عن[3] جوابه [204]. وقد كان بكر حاضر الجواب، شديد العارضة، على إهماله لنفسه وانهماكه في بطالته.

قال:

وبلغني أنه نُعِيَ إليه عباس وهو سكران في بعض المواخير، التي كانت مَوَاطِنَه ساعةَ ورد الخبرُ بموته، فقال بديهة: [الكامل]

نُبِّئْتُ أنَّ أبا العلاءِ أصابه ... ما لم يَفُتْهُ الأعْصَمُ المُتَوَقِّلُ[4]

من بعد ما هطلت غيومُ سمائِهِ ... عِلْماً تُناخُ به المطيُّ وتُرْحَلُ

(1) ص: ليال.

(2) ص: حتى آب ذاويه من بقري، والتصويب عن نفح الطيب. والفَرْث بقايا الطعام في الكرش، وخشمت أنفك بعرفه: أنتنت أنفك بخبث رائحته.

(3) ص: وفحم من.

(4) الأعصم الظبي الذي يسكن الجبال، المتوقِّل المصعد في الجبل، وهو يعني الموت الذي يصيب كل حي مهما حاول التوقي منه.

وأنشد لعباس أيضاً: [البسيط]

ما خَيْرُ مُدَّةِ عيشِ المرءِ لو جُعِلَتْ ... كمدة الدهرِ والأيامُ تُفْنِيها

فارغَبْ بنفسكَ أن ترضى بغيرِ رِضًا ... وابتَعْ نجاتك بالدنيا وما فيها

وقال أيضاً: [البسيط]

وقد أُحَلِّئُ نفسي وَهْيَ صادِيَةٌ ... عن وِرْدِ ماءٍ قريبٍ غيرِ ممنوعِ[1]

وأهبطُ الخَبْتَ لم تؤكل أجِمَّتُهُ ... في فتيةٍ كمصابيح الدجى رُوعِ[2]

بكلِّ أشعثَ قد رثَّت عمامته ... ماضٍ إذا همَّ سام غير مدفوعِ

يتَّخِذُ السيف عند الهول مَفْزَعَهُ ... ولا يظل مُطارًا عند ترويعِ

ومحاسن شعر عباس كثيرة.

قال:

وتوفي عباس بن ناصح في آخر أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وأعقب ابنًا فاضلاً منجمًا عالمًا يسمى عبدالوهاب، قدمه الأمير إلى قضاء بلده بعد وفاة أبيه. وقد كان أيضًا عالماً، متفننًا شاعرًا محسنًا، وكذلك كان ابنه محمد بن عبدالوهاب ابن عباس، وولي قضاء بلده أيضًا بعد عبدالوهاب أبيه، فاكتملوا ثلاثة قضاة في نسق، كلهم أدباء شعراء علماء، أهل بيت علم وشعر وخطابة.

وقرأت بخط عبادة الشاعر [205] قال:

محمد بن عبدالوهاب بن عباس بن ناصح الجزيري ثم الثقفي / كان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس رحمه الله وأديبًا نحويًا بصيرًا بالفقه والعربية، جم الآداب، شاعرًا محسنًا، خطيبًا مرسِّلاً، استقضى على الجزيرة الخضراء بلده بعد ١٣٠/ب

(١) أُحَلِّئ: أمنع نفسي من الشرب، صادية عطشى.

(٢) ص: الغيث مكان الخبت، وهو تحريف، والخبت المطمئن المنخفض من الأرض والأجمَّة جمع جميم وهو النبت الكثير الذي يغطي الأرض. ورُوع جمع أروع وهو الشجاع الذكي الفؤاد.

عبدالوهاب والده[1]، وكان يلقب بالطلل. ذكر ذلك إسحاق بن سلمة [206] في كتابه.

وقال الفقيه يحيى بن مزين: [207]

خرجت من قرطبة راحلاً إلى المشرق، فكان معي محمد بن يوسف الأعرج القرطبي [208] وعبدالوهاب بن عباس بن ناصح، وأتينا مكة، فسألنا عن أبي عبدالرحمن بن يزيد المقرئ، فإذا هو ميت قبل دخولنا بأشهر. قال إسحاق: ونيف عبدالوهاب بن عباس على تسعين من عمره.

ذكر عباس بن فرناس
ونوادر أخباره، وعجائب أموره

قال:

وفي عصر الأمير الحكم، نجم عباس بن فرناس[209]، حكيم الأندلس الزائد على جماعة علمائهم بكثرة الأدوات والفنون. وهو أبو القاسم عباس بن فرناس ابن ورداس، يتولى بني أمية، وينتسب في البرابر، وأصله من كورة تاكرنا[2]، انتقل إلى قرطبة. كان عالمًا مُفَنَّنًا فيلسوفًا حاذقًا، وشاعرًا مفلقًا، ومُنَجِّمًا مطبوعًا موفقًا، صحيح الخاطر، ثاقب الذهن، جيد الفكر، حسن الاختراع، كثير الإبداع. هو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، ودبرها بالحكمة. حدثني بذلك بعض أصحاب ابن لبابة الفقيه، وهو أول من فك بها كتاب العروض للخليل، وأول من فكّ فيه الموسيقى، وكشف غوامض الأشياء، وصنع الآلة المعروفة بالمقانة، لتعرف الأوقات على غير رسم ولا مثال، وأول من

(١) ص: ولده.

(٢) ص: تاكرتا. وكورة تاكُرُنَّا هي التي عاصمتها مدينة رندة Ronda.

فك منهم العروض، ميزان الشعر وفهمها، فله فيها كتاب حسن بلغ فيه من التجويد الغاية.

فذكر الفقيه محمد بن عمر بن لبابة قال:

أدخل بعض التجار كتاب المثال من العروض للخليل بن أحمد، فصار إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم، ولم يَبِنْ عليه ولا على أصحابه ولا فهموه. فأخبرني أبو الفرج الخصي ـ وكان من خيار خدمهم ـ قال: صار ذلك الكتاب مطَّرَحًا داخل القصر يتلهّى به الجواري، حتى إن بعضهن[1] ليقول لبعض: صيَّر الله عقلك كعقل هذا الذي ملأ كتابه من مفاعيل مفاعيل! وبلغ خبره ابن فرناس، فكتب إلى الأمير يسأله إخراج الكتاب إليه، ففعل، ونظر فيه بحذقه، فانفتح عليه، وأدرك علم العروض منه وقال بفضل نظره: هذا كتاب يدل على أن ما قبله ما يفسره. فأرسل الأمير عبدالرحمن إلى المشرق يطلب تمامه. فجيء إليه بكتاب الفرش، فاستكمل به عباس نظره وفتحه على الناس، وكان أول من حمل منه علم[2] العروض بالأندلس، ولم يلك فيها قبله، ووصله على ذلك الأمير عبدالرحمن بثلاثمائة دينار وكساه.

قال [210]:

وكان عباس صاحب نيرنجات، كثير الإبداع / والاختراع والتوليد والاستنباط، ١/١٣١ واسع الحيل، حتى إنه نسب إليه السحر وعمل الكيمياء وكثر عليه الطعنان في دينه.

وذكر بعض المشيخة، أنه احتال في تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش على سَرَق[3] الحرير، ومَدَّ لنفسه جناحين على وزن تقدير قدِّره، فتهيأ له أن استطار

(١) ص: بعض.

(٢) ص: منه على.

(٣) سرق بتحريك الحرفين الأولين جمع سرقة وهي الشقة من الحرير.

في الجو، فطار من ناحية الرُّصافة، واستقلَّ في الهواء، فحلَّق فيه حتى وقع[1] من مكان مطاره على مسافة بعيدة، وساء على ذلك موقعه لما تأذَّى في عَجْبِ[2] ذنبه، إذ لم يحسن الاحتيال في وقوعه، ولم يقدر أن الطائر إنما يقع على زِمِكَّاه[3]، فلها عن ذلك. وقد كان أفزع من عاين[4] مطاره من أهل الصحراء، فكثر تحدثهم عمَّا عاينوا منه ولا يعلمون شأنه. ولذلك قال فيه مؤمن بن سعيد الشاعر، قِرْنه في بعض ما جرى بينهما: [الطويل]

يَطُمُّ على العنقاءِ في طيرانِها ... إذا ما كسا جُثْمانَهُ ريشَ قَشْعمِ

وذكر محمد بن يحيى عبدالعزيز قال[1][2]:

لمّا صنع عباس بن فرناس في بيته هيئة السماء، التي ركبها على منهاج الحكمة، ومَثَّل فيها أفلاكها، وأقام فيها آلات تُخَيِّل إلى الناظر فيها أنها نجوم وغيوم وبروق ورعود، فأراها كثيرًا من عيون الناس مفتخرًا عليهم بحكمة شاع ذكرها في الناس وحديثهم عنها، فساء ذلك قرنه[5] مؤمن بن سعيد الشاعر، وعارض ذاكريه بالذم لفعله والطعنان في دينه، وقال في ذلك أشعارًا كثيرة شاب فيها السخرية بالإفحاش منها قوله: [البسيط]

قَعَدْتُ تحت سماءٍ لابنِ فرناسِ ... فخِلْتُ أن رَحىً دارت على راسي
سماءُ أنوكَ سوَّاها وحقَّقها ... بحَيَّةٍ ذاتِ أنيابٍ وأضراسِ
لها نجوم تُنَبِّي أن خالقها ... إذا نظرتَ إليها أحمقُ الناسِ
يُمسي ويُصبح من شُغْلٍ بصَنْعَتِها ... نَجِيَّ هَمٍّ وتفكيرٍ ووَسْواسِ
كانَ الجديرَ بأنْ يَرْقَى إليه بها ... راقٍ فَيَدْحُو بِهِ منها على الرَّاسِ

(١) ص: في. والسياق يتطلب "من".
(٢) العجب هو أصل الذنب.
(٣) الزمكى منبت ذنب الطائر.
(٤) ص: دن.
(٥) ص: قوله.

قال:

فلما وردت على ابن فرناس قال لمن معه: ليس كذا قال، قد غُيِّر هذا البيت الأول على أبي مروان وحُرِّف. إنما قاله أبو مروان هكذا:

قَعَدْتُ من فوقِ عَرْدٍ لابنِ فرناسِ ... فخلته نائتًا شِبرًا على راسي

فلا ترووه إلا هكذا، فهو الصحيح عنه.

قال:

وكتب عباس بن فرناس إلى مؤمن بن سعيد في شأن سمائه هذه لأولِ ما اتخذها أبياتًا يُهازِله بها أولها: [المنسرح]

دِنْ لسمائي يا خَلْقَ خالِقِها ... واستَشْعِرِ الخوفَ من صواعقها

فهاج مؤمن لسخره هذا وأجابه عنه بأبيات أكثر منها أفحش فيها جداً منها[212]:

/ سماءُ عباسٍ الأريب أبي الـ ... ـقاسم ناهيكَ حُسْنُ رائِقِها ١٣١/ب

أمّا ضُراط استِهِ فراعِدُها ... فليتَ شعري ما لَمْعُ بارِقِها

أجَلْتُ عَيْنَيَّ في مغاربها ... فحار طرفي وفي مشارقها

هِمٌّ له في جُنونِهِ هِمَمٌ ... يقصر كيوانُ عن شواهقها(١)

لقد تمنَّيْتُ حين دوَّمها ... فِكْرِيَ بالبَصْقِ في استِ خالقِها(٢)

وذكر عبدالحميد بن بسيل الوزير [213] قال:

أبدع عباس بن فرناس طول أمده إبداعات لطيفة، واختراعات عجيبة، في غير ما صناعة من جد وهزل، إلى أن ضرب بالعود، وصاغ الألحان الحسنة، وكان مع ذلك مجيداً للشعر، حسن التصرف في طريقه، كثير المحاسن، جم الفوائد، ذا خصال رائقة، وأخبار سائرة، واستأخر أمده إلى أن هلك في أيام الأمير محمد بن

(١) الهم بكسر الهاء الشيخ الطاعن في السن. وكيوان هو كوكب زحل.

(٢) في الأصل "حين دوخها فكري بالبصر..."، والتصويب عن النفح.

عبدالرحمن بن الحكم، سنة أربع وسبعين ومائتين، قد والى صحبة الملوك الثلاثة، ما بينه وبين جَدِّه الحكم، ومدحهم أجمعين بمدائح مختارة. وجرت له معهم أخبار حسنة.

وقرأت بخط عبادة الشاعر قال:

قيل في ابن فرناس: إنه من المولدة، وقيل بل من البرابر، نشأ بقرطبة، وسكن منها في الربض الغربي. ونَبُلَ في جميع العلوم القديمة والمحدثة، أحكم لسان العرب، وحذق صنعة الشعر الحسن، وفاق في علم الفلسفة والنجوم والهيئة، فصار صاحب نيرنجات وألطاف وأسحار، تحمل عنه في ذلك أنباء وأخبار. وهو الذي عمل بالأندلس المنقانة لمعرفة الأوقات، ورفعها إلى الأمير محمد حفيد الأمير الحكم، ونقش فيها أبياتًا من قوله [214]: [الطويل]

ألا إنَّني للدينِ خيرُ أداةِ ... إذا غابَ عنكم وَقْتُ كُلِّ صلاةِ

ولم تُرَ شمسٌ بالنهارِ ولم تَبِنْ ... كواكبُ ليلٍ حالكِ الظلماتِ(١)

بِيُمْنِ إمامِ المسلمين محمدٍ ... تجلَّت بِيَ الأوقاتُ للصَّلواتِ

وعمل عباس أيضاً من قبلُ، ذاتَ الحَلَق، للأمير عبدالرحمن بن الحكم، ورفعها إليه بها، وكتب معها[215]: [الكامل]

قد تَمَّ ما حَمَّلْتَني من آلةٍ ... أعيا الفلاسفةَ الجهابذَ دُوني

لو كان بَطْلَيْموسُ أُلْهِمَ صُنْعَهُ ... لم يشتغِلْ بجَداولِ القانونِ

فإذا رأَتْهُ الشمسُ في آفاقِها ... بَعَثَتْ إليه بنورِها المَوْزُونِ

ومنازِلُ القَمَرِ التي حُجِبَتْ مَعًا ... دونَ العيونِ لكُلِّ طالعِ حِينِ

فَيَرَوْنَ فيها بالنهارِ كما بَدَتْ ... بالليلِ في ظُلُماتِهِنَّ الجُونِ

---

(١) في القطعة التالية من المقتبس "ولم تنر" بدلاً من "ولم تبن" والقراءتان صحيحتان.

وذكر محمد بن إسماعيل الحكيم قال: [216]

عُقِدَتْ على عباس بن فرناس وثيقةٌ بالزندقة، وشهد بذلك عليه من العامة جماعة عند سليمان بن أسود[217]، فمنهم من قال: سمعته يقول مفاعيل مفاعيل، ومنهم من قال: رأيت الدم يفور من قناة داره ليلةَ يَنَيِّر، إلى أُحْموقات/ 1/132 من غَبْرَاء شهودٍ عليه ذَوي جهل وفدامة[1]، كشفهم القاضي عنها، فلم يجد طائلاً. وشاور الفقهاء فيما قُيِّد منها، فلم يَجِدْ إلى عقابه سبيلاً، فأفلت عباس بِجُرَيْعَةِ ذَقَنِه[2].

ذكر الغزال الجَيَّاني

وكان مِمَّن نَجَمَ في دولة الأمير الحكم من الحكماء، الشعراء الدهاة، العلماء، يحيى الغزال حكيم الأندلس، وشاعرها وعرافها .[218] شُهِر بالشعر في أيام الحكم، وامتدحه بأماديح كثيرة مستحسنة، وله فيه بيته المشهور عند رواته وهو: [الطويل]

أيا حكمًا للمعضلاتِ الفَوَاقِرِ ... ويا حكمًا تحت القنا المتشاجرِ

وأبدع منه بيته الآخر المفضل، الذي في ولده عبدالرحمن بن الحكم، المفرط في التفضيل له، الذي جعله فيه بين غايتين متناهيتي[3] المدى، من شيث إلى حكم، فقال: [البسيط]

يا بْنَ المُحَلَّين من شِيثٍ إلى حكمٍ ... بالمُلْكِ طورًا وطَوْرًا بالنبوَّاتِ

---

(1) يعني بالغبراء عوامَّ الناس، ويصفهم بذوي الفدامة أي الغباء.

(2) يقال "أفلت بجُرَيعة ذَقَنِه" أي نجا وهو مشرف على التلف والهلاك.

(3) ص: متناهيتين.

وكان الغزال من المُعَمَّرين: زعموا أربعًا وتسعين سنة، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس، أولهم الأمير عبدالرحمن بن معاوية الداخل، وآخرهم الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن. ومدح منهم ثلاثةً، أولهم الحكم بن هشام. وقد ذكر ذلك بقول: [الرجز]

أَدْرَكْتُ بالمِصْرِ مُلوكًا أربَعَهْ وخامسًا هذا الذي نَحْنُ مَعَهْ

يريد محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الأمير الداخل.

إلا أن براعة الغزال في الشعر، وافتنانه في أساليبه، إنما كان في أيام الأمير عبدالرحمن أبيه، وفيه مختار شعره وأخباره كثيرة ممتعة. ومن آخر ما قاله في وقت هَرَمه أبياته التي منها: [البسيط]

يا مُستريبَ حياتي هَلْ تَظُنُّكَ إنْ غالَتْنِيَ الغُولُ يومًا خالدًا بَعْدي

وذكر القاضي أبو الوليد بن الفرضي قال:

زعم محمد[1] بن مسعود النحوي الخطيب، [219] أن اسم الغزال حبُّون بن حكم ـ بالباء المعجمة بواحدة مأخوذ من الحُبِّ ـ وأنكر ذلك أحمد بن بكر ابن بنت الغزال [وقال][2] إن اسمه حيُّون ـ بالياء المعجمة باثنتين من الحياة ـ، وكذلك هو عندي لا شك، وعليه وجدته في وثائق كانت له قديمة.

وقرأت بخط أبي بكر عبادة الشاعر قال:

هو أبو زكريا، يحيى بن حكم البكري. ينتمي إلى بكر بن وائل، وهو القائل في كلمة له: [الطويل]

وما أنا من أبناءِ بكرِ بْنِ وائلٍ وما نفعتني قَطُّ بكرُ بن وائلِ

---

(١) في الأصل: محمود، وهو تحريف أصلحناه بما يرى. انظر التعليق رقم ٢١٩.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

للفقيه عبدالملك بن حبيب السلمي في كلمة له يستلطفه، إذ كان عبدالملك مشاحنا له، ومتخوفًا من هَجْوِه إياه، وكذلك كانت جماعة الفقهاء، لأخذه منهم وعيبه لهم: [الكامل الأحذ]

إن التي خُوِّفْتَ يحجزني عنها الحياءُ وحاجزُ الحِلْمِ

وجزاءُ جَدِّكَ يوم وقعة ذي قارٍ يطاعن مَعْ بني عَمِّي

/ يعني أن مرداس بن أبي عامر السلمي، الذي إليه ينتمي عبدالملك، كان يدًا ١٣٢/ب مع بني شيبان يومئذ [220].

قال:

ولُقِّب بالغزال لجمال كان فيه، وقيل: بل بنصاعة ظرف، وحسن شِكْل،[١] وملاحة حركة كنَّ فيه. وأصله من جَيَّان، وقريته بها معروفة، تصيرت إلى هاشم ابن عبدالعزيز، من أجل الصِّهر الذي كان بينهم، إذ كان عبدالعزيز بن هاشم[٢] الوزير والد هاشم ابن أخت الغزال؛ ولذلك يقول فيه الغزال من أبيات له: [الطويل]

أنا خالُهُ وهو ابْنُ أُخْتِي فما الَّذِي أُلامُ عليه والدِّماءُ تَفُورُ

وكان الغزال يسكن بداخل مدينة قرطبة، في جوار الإسكندراني الوزير.

وكان مقتدرًا على الشعر، سلس الطبع فيه، يُصَرِّفه في ضروب الشعر، بحلاوة لفظ، وملاحة معنى وغُزْر مادة. وأكثر شعره محمول على الدعابة والهزل؛ فلذلك خرج بعضه بألفاظ عامية مبتذلة. وهو فيما روَّى ونقَّح محسن مُجَوِّد. وكان على نصاعة أدبه، عالما مُفْتَنًا جزلاً، متكلماً عرِيضًا مُنَدِّرًا، كبير الغور ظريف الخبر، خالد الذكر في الأعصر البائدة.

(١) الشِّكل بكسر الشين هو الدَّلُّ والظَّرْف.

(٢) ص: هشام.

قال:

وصار من أملح الأفانين التي تصرف فيها الغزال من أنواع شعره فن التَّعْنين[١] الذي نحله نفسه من بين شعراء الأندلس، مقتفيًا لأثر أبي حُكَيْمَة، راشد بن إسحاق الكاتب، [221] السابق إليه من بين شعراء المشرق، فصلَّى بعده وقَرْطَسَ،[٢] فيما ابتدعه[٣] منه، فأجمع الرواة على استحسانه، وطيَّروا[٤] ذكره. فمن ذلك قوله في قصيدته البائية الطريفة التي أولها: [الكامل] [222]

خَرَجَتْ إليكَ وثوبُها مقلوبُ ... ولِقلبِها طربًا إليك وَجِيبُ

....

فكأنَّها في الدارِ حين تَعَرَّضَتْ ... ظَبيٌ تظلَّل باللّوى مَرْعوبُ[٥]

وتبسَّمَتْ فأرتك حين تبسَّمَتْ ... مصفوفَ دُرٍّ لَمْ تَشُبْهُ ثقوبُ[٦]

ودعتك داعيةُ الصبا فَتَطَرَّبَتْ ... نفسٌ إلى داعي الضلالِ طَروب

فوصلتَ ذاك على القديم ولم تكن ... وَزَعَتْكَ عنه كَبْرةٌ ومَشيبُ[٧]

حَسِبَتْكَ في حالِ الغلامِ كعهدها ... في الدارِ إذْ غصنُ الشبابِ رَطيبُ[٨]

وعَرَفْت ما في نَفْسِها وضَمَمْتُها ... فتساقَطَتْ بهنانَةٌ رُعْبوبُ[٩]

---

(١) التعنين هو أن يصف المرء نفسه بالعجز عن مباشرة النساء، مشتق من "العِنِّين".

(٢) صلَّى: أتى تاليًا، وقرطس: أصاب القرطاس وهو الهدف.

(٣) ص: انتزعه.

(٤) ص: وظهروا.

(٥) في الأصل: تضلل مكان تظلل، وفي النفح: تعلل بالفلا.

(٦) في النفح: بجمان در.

(٧) هذا البيت أخلت به رواية النفح.

(٨) في النفح: في حال الغرام.

(٩) البهنانة الخفيفة المرحة، والرعبوب البيضاء الحلوة الناعمة.

فقبضت ذاكَ الشيءَ قبضة شاهنٍ ... فَنَزَا إليَّ عَضَنَّكٌ حلبوب[1]
بيدي الشمالِ وللشمالِ لطافَةٌ ... ليست لأخرى والأديب أريب
فأصاب كفي منه حين لمسته ... بَلَلٌ كماءِ الورد حين يَسيب
وتحلَّلَتْ نَفْسِي للذَّةِ رَشْحِهِ ... حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه وربما ... نادَيْتُه خيرًا فليس يجيب[2]
وأبى فحَقَّق في الإباء كأنه ... جانٍ يُقادُ إلى الردى مكروب
وتَغَضَّنَتْ جَنَبَاته فكأنه ... كِيرٌ تقادمَ عهدُه مثقوب
/حتى إذا ما الصبح لاح عموده ... فما وَحَانَ من الظلام ذهوب[3] 1/133
ساءلتها خجلاً أما لك حاجة ... عندي فقالت ساخرًا: خَرُّوب[4]
قالت: حِرُ امِّك إذ أردت وداعها ... قَرِنٌ وفيه عوارضٌ وشعوبُ

وهي طويلة. قال عتبة التاجر، جهيز الأميرين الحكم وابنه عبدالرحمن إلى المشرق: إن عبدالله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون، استنشده إياها بالعراق، فسُرَّ بها، ونال عتبة بها عنده حظوة.

وله في ذلك: [السريع]

لم تَرْضَ أُولائِي ولا عَصْرِي ... ولا عَشِيَّاتي ولا فَجْري
وابتعتها بيضاءَ بهنانةً ... خُمْسَانةً براقةَ الشعر

(1) العضنك الغليظ الكثير اللحم، الحلبوب الأسود الشعر؛ الشاهن والأصل الشاهين طائر جارح كالصقر.

(2) في الأصل: عوضته خيرًا، وقد آثرنا رواية النفح لأنها أوفق للسياق.

(3) في النفح: قبسًا مكان فما.

(4) في النفح: فقالت ساخر وحروب، وما أثبتناه هو الصحيح، ولفظ خروب قولةٌ يقصد بها السخرية.

كـــأنَّمـــا سنَّتَـــهـــا إذ بَدَتْ ... سُنَّـةُ شـــمـسٍ أو سنـا بَدْرِ[1]
فـأصـبحت تـدعو علـى نفـسهـا ... بالتَّـعْسِ والويلاتِ والتَّـبْـرِ[2]
في عَـبْـرةٍ مـا ينقـضي فَيْـضُـهـا ... كـــأنما تَغْـــرِفُ من بَحْـــرِ[3]
ونـافـــذٍ من قـــولهـــا وَخْـــزُهُ ... وَخْـزُ الأشـافِي أو حُـمَى الدَّبْرِ[4]
جـعلت عـــمـدًا أتَغـابَى لهـا ... كـــــأنني أبْـلَـهُ لا أدري[5]
مــاذا الذي يبكيك قــالت ومــا ... باليَ لا أبـكي مـدى عـمـري
قطعـتَ بي عن حـاجـتـي ظالمًا ... مـــا لكَ عـندَ اللـهِ من عُـذْرِ
قلتُ لهـــا إني امـرؤٌ صـــالح الْ ... حـالِ رفـيـعُ الـنفـسِ ذو وَفْـرِ
وقِـبَلي مـــا شـئتِ من مـطعمٍ ... ومن نـبـيـذٍ طيبِ النـشـرِ
ومن ثـيـابِ الوَشْـيِ مـا تشـتـهي ... مِـثْلُكِ مـن بيضٍ ومن صُـفْـرِ
ومن صنوف الحَلْيِ مـا شئتِ من ... فـاخـرِ ياقـوتٍ ومن شَـذْرِ
ومن جَـوارٍ كُـلُّهـا سـامعٌ ... يـخفُ عـند النهـيِ والأمـرِ
وإنني في الناسِ ذو حُـرْمـةٍ ... عظيـمـةِ الشـأنِ وذو قَـدْرِ
وأهلُ بـيـتـي كـلهم فـاضلٌ ... يُوصَـفُ بالعـلمِ وبالـشـعـرِ
قـالـت: ومـاذا لِيَ فـي كلٍّ ذا ... من عـاجلٍ يُحْـمَـدُ أو ذُخْـرِ
أنت امـرؤٌ يـا سـيـدي شـاعـرٌ ... فكيـف لا تشـعـرُ فـي أمـري
قلت لها: صـف لي فـقالـت ومـا ... أكـثـر من هذا مـع العـمـرِ[6]

(١) السنة هنا الوجه أو الصورة.

(٢) التبر بفتح التاء: الهلاك.

(٣) ص: في عبر ما ينقضي فيضه.

(٤) الأشافي جمع إشفي وهو المخراز، حمى جمع حماة وهي الإبرة، والدبر جماعة النحل.

(٥) ص: أتغاوى، ولعلها كما أثبتنا.

(٦) ص: قالت لها صف لي، ولا يستقيم بها المعنى، بل ويـنكـر البيت، وربما كانت العبارة: قلت لها قولي....

لا والذي ليس له صاحبٌ ... ما أنت من بَزِّي ولا عِطْرِي
وإن أبْزَارَكَ هذا الذي ... تَهْرِسُ ما يَدْخُلِ في قِدْرِي
ما لِيَ لا أسْمَعُ في كُلِّ ذا الـ ... وصفِ لذاك الشيءِ من ذكر
وصَرَّحَتْ في بعضِ تعريضها ... ما حاجَةُ الليثِ إلى النَّمر
/ والفَرَسُ الجائِعُ ما ذا لَهُ ... في الجُلِّ والبرقعِ والضَّفْرِ(١) ١٣٣/ب
قلتُ لها إن تصبري تُؤْجَري ... قالت ونحنُ الآن في الأجْرِ؟
واتسبعت ذلك دَعْ عَنْكَ ذا ... أنت تداوي قرحة النسر(٢)

وقال أيضًا: [الكامل الأحذ]

قالت أحبكَ قلت كاذبةٌ ... غُرِّي بذا من لَيْسَ يَنْتَقِدُ
هذا كلام لستُ أقبلُهُ ... الشيخُ ليس يحبُّه أحدُ
سِيَّان قولكِ ذا وقولك إنَّ (م) الرِّيح نعقدها فتنعقد
أو أن تقولي: النار باردةٌ ... أو أن تقولي: الماءُ يتَّقدُ(٣)
إن كان عِشْقُ المرءِ يُسْكِنُهُ ... قَلْبَ الفتاةِ الشَّيْبُ والدَّرَدُ(٤)
بيضاءُ مثلُ الشمسِ سُنَّتُها ... بَهْنانةٌ ما شَقَّها ولَدُ(٥)
وكأنَّما تُبْدِي مَضَاحِكُها ... ما دِينجًا بخلالِه بَرَدُ(٦)
ويُقالُ لي لِجْهَا فقلتُ لهم ... ما بي على ما قلتمُ جَلَدُ

(١) الضَّفْر الحزام.

(٢) كذا، وللبيت معنى لا يبعد عن الصواب وقد يكون الفعل في الشطر الثاني "توارى". والحوار كله في القصيدة حافل بالتعريضات التي لا يعسر فهمها.

(٣) ص: تتقد.

(٤) الدَّرد هو سقوط الأسنان.

(٥) ص: تهتانة.

(٦) لفظ ما دينج في الأصل بغير إعجام.

[وقال]: [المتقارب]

سألتُ الأطباءَ عن بَعْضِ ما يُعينُ على ما يريدُ الرجُلْ

إذا ما الشباب . . . . تولَّى ووالَتْ عليه العلَلْ[1]

فَسَمَّوا عقاقير لي جَمَّةً فأكثرهُمْ قال شُرْبُ العَسَلْ

وكلُّ الذي زَعَمُوا ليس في مُشَاشِي لأجْمَعِهِ مُحْتَمَلْ[2]

وجَرَّبْتُ ما اسطعتُ من كلٍّ ما قَدَرْتُ فلم تُغْنِ عني الحِيل

فعدت إلى بعضهم سائلاً كذلك يسألهم من جَهِل

فقال مقالا إذا ما بلا هُ باليه لم يُلْفِ فيه خَلَلْ: [3]

إذا اسْطَعْتَ أن تستعيد الشبابَ فذاكَ وإلا فلا تَشْتَغِلْ

أريُكَ هذا الذي تبتغي له الطبُّ ينهضُ أو قد بَطَلْ

فقلت له: قد وهى أصله فإنْ هَمَّ أسلمه فانْجَدَلْ

فقال ومَعَّر لي وجهه فماذا تريدُ إذَنْ يا رجل؟[4]

رأيتَ الذي حَضَرَتْهُ الوفاةُ يَمُدُّ الطبيبُ له في الأجل؟

فأعْوَلْتُ إعوالَ مفجوعة تُخَبَّرُ أن ابنها قد قُتِلْ

وقرأت بخط عبادة الشاعر قال:

كان يحيى الغزال، شاعرًا مجودًا، عالمًا مبرزًا، فيلسوفًا منجمًا، فلكيًا معدلاً، جدليًا متكلمًا. تفنن في أنواع العلم. ويقول بالاستطاعة، وهو أول من أفصح

---

(١) كذا ورد البيت، وواضح أن الشطر الأول تنقصه كلمات يتم بها المعنى ويستقيم الوزن، ولعل تمام البيت:

إذا ما الشباب [انقضى عهده] فولّى ووالت عليه العلَلْ

(٢) لفظ مشاشي غير واضح في الأصل، والمشاش العظم اللين، ووصف الشاعر عظمه باللين لشيخوخته.

(٣) ص: أليه مكان باليه.

(٤) معّر وجهه: غيره غيظًا.

بذلك وتكلم فيه بالأندلس. وقد صرح بالقدر في أرجوزته الطويلة جامعة الحكم المشهورة، التي صاغها في أبواب العلوم، وصنعها على ضروب من المعاني، فلا نظير لها[224].

وكان كثير التعريض بالفقهاء الأكابر من أهل عصره، شديد المنافرة لهم، والطعان عليهم، والاستخفاف بهم، وسوء الذكر لهم في أشعاره ومرسل كلامه، حتى نصبوا له، ورموه بالزندقة ونابذوه وسعوا في مكروهه. وكان قد أُغْرِي بزعيميهم[1] يحيى بن يحيى، وعبدالملك بن حبيب وأصحابهما، فكاد يَرْدَى بأيديهما. فأضحت طبقة المتفقهين أعدائه ساعين عليه، وقد ذكرهم في أرجوزته تلك المقدم ذكرها، فقال في الطالب منهم: [الرجز]

جاء بجسمِ الفيلِ في العيونِ حتى إذا سارَ إلى سحنونِ

فجاء بالتَّوْراةِ والإنجيلِ كأنما سارَ إلى جبريلَ

/ حدثني يوسف بن هارون الشاعر [225] عن بعض شيوخه قال: 1/134

لما قال الغزال كلمته، التي عرَّض فيها بالفقهاء، التي منها البيت المشهور في الناس وهو: [الخفيف]

لستَ تلقى الفقيه إلا غنيّاً لَيْتَ شِعْرِي من أَيْنَ يستغنونا

طارت في الناس، وحركت من الفقهاء، فلعنه زعيميهم يحيى بن يحيى الليثي في بعض المجالس، فقال له: أعيا عليك من أين؟ من رزق الله، الذي لست تؤمن به يا زنديق!

ويلي بيته ذلك في ذكر الفقهاء قوله: [الخفيف]

---

(1) ص: بزعميهم.

نقطعُ البرَّ والبحارَ طِلابَ الرِّ (م) زْقِ والقومُ ها هنا قاعدونا
لا يريمونَ مَوطِنًا لا ولا تُبْـ صِرُهُمْ عَيْنُ ناظرٍ يَعْجَزُونا
إنَّ للقومِ مَضْرِبًا غابَ عنَّا لم يُصِبْ قصدَ وجهِهِ الراكبونا(١)

وحدثني قاسم بن محمد [226] قال: حدثني غير واحد من الشيوخ، أنه حمل عن يحيى الغزال أيام نصب الفقهاء له، أنه عكف أربعين يومًا على أن يعارض سورة الإخلاص "قل هو الله أحد" بسورة مثلها، فلم يقدر على ذلك، ولحقته خشعة أقرَّ معها بالعجز، واعترف من يومئذ بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق.

وحدثني بعض رواة أحمد بن خالد، عمن حدثه قال: حَمَى الله يحيى الغزال، أيام استهدف إلى فقهاء قرطبة، ورماهم بالقوافي المصمية؛ بأن تخطى إلى عرض نصر الخصي، حظيَّ الأمير عبدالرحمن بن الحكم، الغالب على رأيه، لأمرٍ تأخر فيه نصر عن رغبة الغزال، فهجاه وأقذع فيه، وقال في سبه وسب عباس الطبلي [227] صاحبه: [البسيط]

قد قلتُ بيتين في نصرٍ وعبَّاسِ فأنصتوا لهما يا معشر الناسِ
أيْرُ الحمارِ إذا اشتدَّتْ مشانته وصار غُرْمُولُهُ كالجندلِ القاسي
في است أمِّ نصرٍ ونصرٍ واسْتِ والدهِ أبي السَّمَوْأَلِ والطبليِّ عباسِ

قال:

فقطع نصر من لسانه، وفزع به إلى الطبيب الحراني[228]، وكان صديقًا له مشاحنًا لنصر الخصي، فأمره الحراني بأن يقتصر على التغذي بألبان الأُتُنِ أربَعِينَ يومًا، وفعل، فجُبِرَ لسانُه.

(١) ص: الركبونا.

قال عيسى بن أحمد بن محمد:

وظهرت ليحيى الغزال في ذكر النفس قصيدة، اتُّهم فيها بالتعريض، فقام عليه قوم فيها من أهل قرطبة عند بعض القضاة وأنحى عليها الفقهاء، فكاد يعلق،[1] لولا أن انتشلته الشفاعة، وهي: [الطويل]

تمنيتُ أمراً قد طوى اللَّه عِلْمَهُ | وما عِنْدَ غيرِ الله فيه يقينُ
تمنيتُ أن أدري وهلْ تنفعُ المُنَى | إذا زال هذا الرُّوحُ أَيْنَ يكونُ
أفي نَسْخَةٍ أم [هو][2] مقيمٌ بموضعٍ | - إلى أن يُنادَى بالحساب - رهينُ
وهلْ فيه عقلٌ مثلما كان أو به اشـ | تياقٌ إلى ما خَلْقَهُ وحَنينُ
وصارَ إلى آذيٍّ بحرٍ غُطامطٍ | له أَظْهُرٌ تحمينَهُ وبُطونُ[3]
جَسَسْتُ بوهمي جَسَّ أعْمَى فردَّهُ | من الغَيْبِ شيءٌ لا يراه مُحِينُ[4]
ويا ليت شعري أيَّ شيءٍ مُحَصَّلٍ | يَرَى شخصُ من قد مات وهو دفينُ
/ أهُو هُوَ أم خَلْقٌ شبيهٌ بما رأى | فهلْ للقلوب الناعسات عُيونُ
وكيف يرى والعَيْنُ قد ماتَ نُورُها | وواقعُهُ شِبْهُ الوقارِ سُكونُ
تعالى الذي لا يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ | ولا عندَ مخلوقٍ بذاكَ يقينُ
لئِنْ كانتِ الأرواحُ من بَعْدِ بَيْنِها | بِهِنَّ إلى ما خَلْقُهُنَّ حَنينُ
وتملِكُ أن يَغْشَى الصَّفِيُّ صفيَّهُ | وتعلَمُ بعدَ الموتِ أين يكون
فرُوحِيَ لا ينفكُّ في وَصْلِ ربِّهِ | وإن حالَ حِصْنٌ دُونَ ذاكَ حَصينُ

١٣٤/ب

---

(١) ص: يقلق، ولعلها كما أثبتنا، يقصد فكاد يعلق في حبائل هذه التهمة فيصيبه منها مكروه. ويرجح هذا التعبير المجازي قوله بعد ذلك "انتشلته الشفاعة".

(٢) زيادة تقتضيها صحة الوزن.

(٣) الآذي الموج، والغطامط المضطرب الأمواج.

(٤) الكلمات الأخيرة في البيت مختلطة الحروف، ولعل الصواب ما أثبتنا، والمحين هو المهلك.

ويعطفني وُدٌّ علـى الوَصْـلِ ثابتٌ ... وَحَبْلُ هوًى لا فَـصْلَ فيـه مَتِينُ[1]

وإن تكُنِ الأُخْـرَى فـعُـذْرًا فـإنَّني ... إلى أن أُنَادَى بـالحـسـاب رَهِينُ

لفـارقـتُـه إذ بِنْتُ عَنْـهُ وإنَّه ... بقـربيَ لو يُجْـدِي عَلَـيَّ ضَنِينَ

عليك سلامُ الله مـا هَبَّتِ الصَّبـا ... وما ناحَ في أيكِ الغصونِ حَنُونُ[2]

لئن سَخِنَتْ من مَعْشَرٍ بمصيبتي ... عـيونٌ فـقـد قَـرَّتْ بذاك عُـيـونُ

وللغـزال في مدح الأميـر الحكم بن هشـام، من قصيـدة طويلة جـيـدة وهي: [الطويل]

فـواللّه مـا أدري وإنـي لشاعـرٌ ... إلى أيِّ وَجْهٍ مـن مـديحكَ أقـصدُ

كـأنَّ الملوكَ الغُلْبَ عندك خُـضَّعًـا ... خـواضعُ طيرٍ تتَّـقي الصَّـقْرَ لُبَّـدُ

تُقَلِّبُ فـيـهم مُـقْلَةٌ حكَمـيَّـةٌ ... فـتخـفضُ أقـوامًا وقومًا تُـسَـوِّدُ

لأُعطيتَ سلطانًا على السُّخْطِ والرِّضا ... عليها فذلَّتْ حين تَغْوِي وتَحْرَدُ[3]

ونَزَّهْتَ نفـسًـا أن تقـارِبَ رِيبَـةً ... وقـد يَلْزَمُ الإنسـانُ ما يـتعـوَّدُ[4]

وَقُوفًـا عنِ الأمرِ الذي فـيـه شُبْـهَةٌ ... مَلُوكًـا لهـا إن نازَعَتْ تـتـأبَّدُ[5]

وإنك تُعْطِي ما قَدَ اعيَا حِسابُه الـ ... ـعقولَ فـما تهْدَى لـه كيـف يُعْقَدُ

(١) ص: لا وصل فيه. وبعد هذا البيت كرر الناسخ البيت "وتملك أن يغشى..." فرأينا أن نضرب عنه صفحًا.

(٢) ص: هتون، والهتون هو السحاب الكثير القطر، ولا موضع له ها هنا، وقد يعني الشاعر - إذا صحت هذه القراءة - أن يشبه صوت قطرات المطر خلال الغصون بالنواح، ولكنه احتمال بعيد، والأصح ما أثبتناه وهو أن يعني نواح الطير الذي يشبه حنين الإبل.

(٣) ص: حين تهوي، محرفة عما أثبتنا، وتغوي تضل، وتحرد أي تنحرف، وربما كان الفعل محرفًا عن "وتمرَّدُ" أي تطغى وتجاوز الحد. وهي قراءة أوفق للسياق.

(٤) هذا البيت في الأصل موضوع قبل السابق، وقد رأينا أن السياق يقتضي تغيير الترتيب وتأخير هذا البيت.

(٥) ص: ملوك، وتتأبد تتوحش والمقصود: تتعصى وتابى الانقياد.

سوى أن آلافًا تؤلَّف هكذا ... بلا فَهَمٍ من حاسِبِيها يُرَدَّدُ(1)

وتُعطي وتُعطي ثم تُعطي كأنما ... تُريدُ نَفادَ المال لو كان يَنْفَدُ(2)

مضى ما مضَى من ذكرِ كعبٍ وحاتمٍ ... فقيلَ هُما من سائرِ الناسِ أجْوَدُ(3)

وبعضُ الذي تُعْطِي كأثمانِ طَيِّئٍ ... وعَشْرَةَ كعبٍ حيث غاروا وأنجدوا

وما ذاك إن أعْطَيْتَهُ اليومَ مانِعًا ... غدًا منك أن يأتي بأمثالِه الغَدُ

فَهَبْني كبعضِ المادحينَ أجَزْتَهُمْ ... ببعضِ عطاياكَ التي لا تُصَرَّدُ(4)

وَجَدْتُ التقى والبأسَ والعدلَ والندى ... إليك إذا ما استُقْصِيَ الوَصْفُ تُسْنَدُ

فَمَنْ تؤمنوهُ فَهْوَ للدهرِ آمِنٌ ... وَمَنْ لا يَعِشْ ما عاشَ وَهْوَ مُطَرَّدُ(5)

ويَحْسَبُ أرْضَ اللهِ في كل وِجْهَةٍ ... حَبَائلَ ألقاها له المُتَصَيِّدُ

/ وهي طويلة، في آخرها: 1/135

وفي بَيْعَةِ الصِّدِّيقِ قد قيلَ فَلْتَةٌ ... وقَدْ أكثَرُوا فيها المقالَ وفَنَّدوا(6)

ولا عمر الفاروق ما جمع الهوى ... وما مِثْلُهُ في ذلك الدهرِ يُوجَدُ(7)

---

(1) ص: يؤلف.

(2) ص: كأنها.

(3) كعب هو ابن مامة الإيادي، وحاتم هو الطائي المضروب بهما المثل في الكرم.

(4) تُصرَّد: تُقَلَّل.

(5) ومن لا أي ومن لم تؤمنوه، حذف الفعل لأن ما سبق يدل عليه.

(6) يشير الشاعر في البيت إلى خلافة أبي بكر الصديق، التي أعقبت اجتماع سقيفة بن ساعدة، وما دار فيه من جدال. أما إشارته إلى قوله "إن خلافة أبي بكر الصديق كانت فلتة" فقد وردت في كلام لعمر بن الخطاب، في خبر طويل رواه الزهري، عن عبدالله بن عتبة عن عبدالله بن عباس. وفي آخره يقول "فلا يغترن امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، فإنها قد كانت كذلك، إلا أن الله وقى شرها" (انظر تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (الجدية) لصلاح الدين الصفدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1969م؛ ص 178-181).

(7) ص: يوجدوا. وربما لحق الشطر الأول تحريف جعل فهمه مستغلقًا.

ولا لابْنِ عَفَّانَ الذي سَمَّحَتْ لَهُ ... يَدًا من رسولِ اللَّهِ بالبيعةِ الْيَدُ[1]

فكيف أنا يا بْنَ الكرامِ ومَنْ أنا ... إذا النَّاسُ من أهلِ الفَضَائلِ عُدِّدُوا

وللغزال أيضًا: [المتقارب]

رأيتُ الرجالَ بِهِمَّاتِهِمْ ... وأحسابِهِم في حِرامَاتِهِمْ

أكبَّ رجالٌ على تَجْرِهِمْ ... وأعمالِهِم وصناعاتِهِمْ

فهم بيْننَا في النعيمِ المُقيمِ ... وأصحابنا في حماقاتِهِمْ

إذا عَدَّدَ القومُ أربابَهُمْ ... وأفْضَالَهُمْ في تجاراتِهِم[2]

وَجَدْتَهُمُ عِنْدَ حُكَّامِهِمْ ... يَخُوضونَ في ذكْرِ أمواتِهِمْ

وهل حَرْبُ غبراءَ أو داحسٍ ... وما حَفِظُوا من وقيعاتهم

تُفيدُهُمُ دِرْهمًا واحدًا ... إذا الْتَمَسُوهُ لحاجاتِهِمْ

وله في الهجاء[3] : [السريع]

سَأَلْتُ في النومِ أبي آدَمَا ... فقلتُ - والقلبُ بِهِ واثِق[4] -:

إِبْنُكَ باللَّه أبو حازمٍ؟ ... صلَّى عليكَ المالكُ الخالقُ

فقال لي إن كان مني ومن ... نَسْلِي فَحَوَّاءُ إذَنْ طالقُ

---

(١) يشير إلى ما حدث في بيعة الرضوان، حينما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن عثمان بن عفان - وكان رسوله إلى قريش - قد قتل. فدعا الرسول إلى البيعة، وبايع هو لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى (انظر السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، القاهرة ١٩٥٥م، القسم الثاني ص ٣١٦، والإصابة لابن حجر العسقلاني، ترجمة عثمان بن عفان - ٤/٤٥٧).

(٢) أربابهم كذا وردت في الأصل، ولها وجه صالح، فقد تكون مصدرًا للفعل "رَبَّ المال" أي نمَّاهُ وكثره، وقد تكون محرفة عن "أرباحهم".

(٣) وردت هذه الأبيات فيما اختاره المقري للغزال في النفح ٢/٢٥٦.

(٤) في النفح "به وامق" وقد يكون الأصح "له وامق".

وقوله أيضاً في التعريض: [السريع]

أبصرتُ شيخاً قُربهُ ناهدٌ ... يلثمُها كالقمرِ السّاري

أسنانُها فيما يُرى لؤلؤٌ ... صُفّفَ في فيها بأسطار

إلى لثاتٍ شبْهِ ماذينجٍ ... دكُّوا به صنعةَ منشار[1]

أنّى توصّلتَ إلى هذه ... فقال لي: لُطفي ودِيناري

خوّفتُه اللّهَ وروّعتُه ... [منه] بتَرْدادٍ وتكرارِ[2]

فقال ـ والشيخ خبيث إذا ... كُلم من مَشْيَخةِ النار ـ:

باللَّهِ دَعْني عنك أقضي من الدُّـ (م) ـنيا لُبَاناتي وأوْطاري

ألم تقُلْ لي أنتَ أن كُلُّ ما ... يَعْلَمُهُ الناسُ بمقدار؟

وكنتُ قد كَلَّمْتُهُ مرةً ... فَلَمْ أجِدْ بُدّاً من اقْراري

فقالَ: والوعظ محالٌ إذَنْ ... ـ وأنت ذو علم وأفكارِ ـ[3]

إنْ كانَتِ الأعمالُ مَحْتُومةً ... من قبلِ أنْ يَبْرأنا الباري[4]

فلستُ أسْطِيعُ سوى ما ترَى ... إذْ كُلُّ ما كانَ بأقدارِ

والخيرُ والشرُّ إذَنْ طاعةٌ ... ونحنُ في منهاجِ أبْرارِ

إذا تُوفِّيتُ فإنّي لِما ... قُدِّرَ من جَنّةٍ او نارِ

وقال في التنويه بجنائز[5] أهل قصر السلطان والبناء على قبورهم :[229] [الوافر]

---

(١) المنشار اسم آلة، مشتق من أشر الأسنان، أي حززها ورقق أطرافها.

(٢) "منه" زيادة تقتضيها صحة الوزن.

(٣) ص: والواعظ.

(٤) ص: إذا كانت الأعمال مختومة.

(٥) ص: التنزيه لجنائز، وما أثبتناه أوفق للسياق. والتنويه هنا بمعنى التشهير والتنديد.

أرى أَهْلَ البلاطِ إذا تُوفُّوا ... بَنَوا تلكَ المقابِرَ بالصخورِ(١)

أَبَوْا إلاَّ مباهاةً وفخراً ... على الفقراءِ حتى في القبورِ

/ فإنْ يكُنِ التفاضُلُ في ذُراها ... فإنَّ العدلَ منها في القعورِ

١٣٥/ب

رضيتُ بِمَنْ تأنَّق في بناء ... فبالغ فيه تصريف الدهور

ألما يُبْصروا ما خرَّبَتْهُ الدُّ (م) هورُ من المدائنِ والقصورِ

لَعَمْرُ أبيهمُ لو أبْصَروهُمْ ... لما عَرَفُوا الغَنيَّ من الفقيرِ(٢)

ولا عرفوا العبيدَ من الموالي ... ولا عَرَفوا الإناثَ من الذكورِ

ولا من كان يَلْبَسُ ثوبَ صوف ... من البدن المباشرِ للحريرِ

إذا أكلَ الثرى هذا وهذا ... فما فَضْلُ الكبيرِ على الحَقيرِ(٣)

وقال أيضا في ذكر سِنِّه: [السريع]

مَهْلاً فَلَيْسَ العذلُ من شاني ... لستُ عَنِ اللذّاتِ بالواني

مَضَتْ ثلاثونَ إلى مِثْلِها ... لي وثلاثونَ وثِنْتانِ

والثُّلْثُ منها في سبيلِ الصِّبا ... وفي المعاصِي ثُلْثُها الثاني

والثُّلْثُ الثالثُ في غَمْرَةٍ ... قَلَّ بها بِرِّي وإيماني

فانْقَرَضَ العُمْرُ وما في يَدي ... من كلِّ هذا غَيْرُ خُسْرانِ

وكلُّ شيءٍ غَيْرَ ما كانَ لِلّـ (م) ـه مِنَ الدُّنْيا لِبُطْلانِ

لي جَسَدٌ بالٍ ولكنَّما ... رُكِّبَ فيه رُوحُ شَيْطانِ(٤)

ذُو أَمَلٍ غَضٍّ جديدٍ كما ... أعْرِفُهُ أوَّلَ أزْماني

كأنَّ إيقانِيَ فيما مضى ... باللّه ربِّي غَيْرُ إيقانِ

---

(١) ص: ارى أهل البلاط إذا تربوا. والكلمة الأخيرة محرفة.

(٢) ص: لما عُرِف.

(٣) ص: فما فضل الغني على الفقير، والتصويب عن النفح.

(٤) ص: راح.

يا مُعْجَبًا بالمال أضْحَى به ... في النـاسِ ذا زَهْوٍ وطُغْيان

هيهاتَ إنَّ المالَ يَفْنَى ومَنْ ... يَجْمَعُه عَنْ قَدَرٍ فاني

قُلْ أيُّها الباني: أما تَرْعَوِي ... وأنْتَ في سِجْنِ الرَّدَى عاني؟

هل لَكَ في خُبْرٍ بما أفْنَتِ الْـ ... ـأيّام من مُلْكِ سُلَيْمان(١)

لو عَلِمَ البانونَ ما أتْعَبُوا ... أنْفُسَهُمْ يَوْمًا بِبُنْيانِ

وقد رأَوْا ما فَعَلَ الدهْرُ بالـ ... ـبُنيان والمَسْكَنِ والبَاني

كلُّ امرِئٍ يسعى إلى شأنه ... وما أرَى البنيانَ من شاني

عَجِبْتُ من صِحَّةِ أبْصارِنا ... والخَبْطُ مِنّا خَبْطُ عُمْيانِ

وقال أيضًا: [مجزوء الرمل]

أيُّها الشّاكي إلى مَنْ ... ليس في كَفَّيْهِ جَدْوَى

إن شَكْواكَ إليه ... ليس تُغْني عنك شيًّا

فاسْألِ اللّهَ فلا أقْـ ... ـرَبُ منه حين يُدْعَى

وارْضَ بالقُوتِ فإنَّ الـ ... ـقُوتَ فيه كل مكْفَى

/ لستَ تحتاجُ مع الما ... ءِ إلى شُرْبِ المُضَرَّى(٢) ١/١٣٦

لا ولا مع جُبَّةِ الصُّو ... فِ إلى الخَزِّ الموشَّى

والعَصَا في الكفِّ تُغْنيـ ... ـكَ عن السيفِ المُحَلَّى

كم يريدُ المرءُ قد أرْ ... بى على السبعين يَبْقَى

هَبْكَ عشتَ الدهر حتى ... يَنْفَدَ الدهرُ ويَفْنَى(٣)

---

(١) ص: أيقنت مكان أفنت.

(٢) الشراب المُضَرَّى: المعتق المسكر، يريد به الخمر.

(٣) ص: هيهات عشت... وتفنى.

أوْ مـا قَصْرُك من ذا ... لكَ إلى أن تُتَوقَّى؟[1]

أرْدَت الأيامُ شِرْوَيْـ ... ـه وسابورَ وكِسْرَى

وسليمانَ وداو ... دَ وذُو الخِضْرِ قَدَ اوْدَى

كلُّ من ماتَ وإن كا ... نَ عظيمَ الشأن يُنْسَى

لم أجِدْ حين تَفكُّرْ ... تُ وراءَ الله مَرْمَى

لا ولا عَنْهُ إلى شَيْ ... ءٍ من الأشياءِ مَعْدَى[2]

كلُّ ما يُعْنَى به النا ... سُ من البُنْيَانِ يَبْلَى

رُبَّ قَصْرٍ قد رأينا ... هُ عزيزَ الأهلِ يُغْشَى[3]

ثم أبْصَرْنَاه من بَعْـ ... ـدُ خراباً لَيْسَ يَحْيا

أيُّها القَصْرُ الذي أصْـ ... ـبَحَ للغِرْبان مأوَى

وانقضى العزُّ الذي كُنْـ ... ـتَ به إذ كنت تخشى

مثلَ ما ارْفَضَّ له دَمْـ ... ـعي من شأنكَ أيضا

أيُّ شيءٍ ما خلا اللّـ ... ـهَ وما يرضيه يبقى؟

لا أرى وَجْهًا كَوَجْهٍ ... فيه ماءُ البِرِّ أوْضَا

لا ولا من قَنْعِ راضٍ ... بالذي يكْفِيه أغنى

لا ولا من خُبْزِكَ الخُشْـ ... ـكارِ إذ تَقْنَعُ أهنا[4]

لا تَسَلْ من كان سَوّاً ... لا وإنْ أثْرَى وأثرى

إنَّ للإعْدامِ فيما ... تَحْتَ شُرْسُوفَيْهِ مَأوَى[5]

---

(١) قصرك أي قصارى أمرك.

(٢) ص: معْدى. يقال ما له عنه معدى ما له عنه تجاوز إلى غيره.

(٣) ص: رب نصر...

(٤) الخبز الخشكار هو الأسمر غير النقي. وهو لفظ فارسي الأصل.

(٥) الشرسوف هو الطرف اللين من الضِّلَع مما يلي البطن.

ولَعَمْرِي إنَّ للفقـ ـر مذاقًا لَيْسَ يُنْسَى
رُبَّ ملعونٍ منَ النَّا س من السل أعْتى[1]
ومن الذيب على ابن الـ (م) شّاة عند الجوع أعْدَى
وإذا هَبَّتْ له الريـ ـحُ فمنْ إبليسَ أطغى
ومن الكلب إذا جا عَ لما يَمْلِكُ أحْمى
ومن الشيطانِ عند الـرَّ (م) أي للصاحبِ أغْوَى
وإذا كان له حقٌّ (م) فبِرْسامٌ وحُمَّى[2]
انقضت بعض ليالي الـ نَّاس في سَوْفَ وحَتَّى[3]
وَجْهُ ذي التقوى من الـ إبْرِيز في العَيْنَيْنِ أنْقَى[4]
غَيْرَ أنَّ الأمر لِلَّـ ـهِ عَزِيزٌ لَيْسَ يَفْنَى

وله أيضًا [230]: [الخفيف]

لا ومَنْ أَعْمَلَ المطايا إلَيْه كُلُّ من يَرْتجي لَدَيْه نَصيبا[5]
ما أرَى ها هُنا من الناسِ إلا ثعلبًا يطلبُ الدجاجَ وذيبا
أو شبيهًا بالقِطِّ ألقى بعينَيْـ ـهِ إلى فأرةٍ يُريد الوثوبا

وله أيضاً: [السريع]

---

(١) في الأصل " من السل أعتى" بغير إعجام، وبكلمة "السل" يختل وزن الشعر، وربما كانت "السِّجِّيل" وهو لفظ قرآني اختلف في تفسيره. ومن معانيه وادٍ في جهنم. وقد تكون "التِّنِّين"، أو لعلها "السِّعلاة".

(٢) البرسام التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.

(٣) ص: انقضت بعض أيام الناس. . . . وبها يختل الوزن. وقد يكون: انقضت أيام بعض الناس.

(٤) ص: في العين، وبها يختل الوزن.

(٥) ص: لديه إليه، فحذفنا اللفظ الثاني.

يا خاضِبَ الشَّيْبِ مَدَى عُمْرِهِ ... كم ذا الذي تَسْطِيعُ أن تَصْبِرا
هل أبْصَرَتْ عيناكَ قَطُّ امْرءًا ... أعادَ عودًا يابسًا أخضرا
مَنْ شابَ قد ماتَ ولكنَّهُ ... لا يَسْتَحِلُّ الناسُ أن يُقْبَرَا
/ كَذَلِكَ الرُّوحُ الشَّقِيُّ الذي ... أخَّرَهُ اللَّهُ لِما أخَّرا
إنِّيَ أرْجُو للفتاةِ التي ... تكونُ عندَ الشيخِ أنْ تُؤْجَرَا
حَقٌّ لها لَوْ خَنَقَتْ نَفْسَها ... عِنْدَ جميعِ الناسِ أن تُعْذَرا
القِطُّ في الكانونِ مستوبر ... والكلبُ في حَبْلَيْنِ قد كَشَّرا[1]
والمَقْتُ كُلُّ المَقْتِ في عَيْنِها ... أحْسَنُ منه عِنْدَها مَنْظَرا

١٣٦/ب

ذكر إبراهيم بن سليمان الشامي

قال أحمد بن محمد الرازي:

دخل[2] الأندلس في أخريات أيام الأمير الحكم من الشعراء، إبراهيم بن سليمان الشامي [231] شاديًا للشعر، غَيْرَ مُقْدَرٍ لَجيِّده، فتحرَّك طبعه فيها، وأرهقته شعراؤها، فجاد شعره، واعتلَت طبقته، وتصرف في فنون من القول. مال به الطبع منها إلى فن الزهد والمواعظ، فغلب على جميع شعره. وأثبت له منه في الناس ما اكتتبوه مجمعين على استجادته، وظهر ذلك منه بعد حين من قدومه في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم ومحمد ولده، ولم يكن لإبراهيم هذا إلى خصلة شعره هذا، فضيلة من مثبوت التعاليم تدل على براعته.

---

(١) كذا ورد الشطر الأول في الأصل، وقد تكون صحة قراءته "القط في الكانون مستوقدًا" أو "مُسْتَوْثِرًا" وهو يعني القط في حال كونه مستدفئًا لدى الكانون (الموقد) أو مختارًا للمكان الوثير أي المجلس الوطيء. ومعنى البيت أن القط في مثل هذه الحال والكلب وهو مكشر في حبليه أحسن منظرًا في عين الفتاة من الشيخ الكبير الذي ابتليت بالزواج منه.

(٢) بعدها "أيم" ولا معنى لها، فحذفناها.

وقرأت في كتاب عبادة الشاعر قال:

إبراهيم بن سليمان الشامي مولى بني أمية، يكنى أبا إسحاق، قصد الأندلس من الشام بلده، آخرَ دولة الأمير الحكم بن هشام، فدخلها، وامتدح الحكم، فلم يَنْفُقْ عنده، فانقبض وعوَّل[1] على ما في يده. وتحرك في أيام الأمير عبدالرحمن ولده، فمدحه فبقي عنده ووصله، ثم أجرى عليه الرزق السلطاني، فنعشه، واتصل ذلك حياته وفي أيام ولده الأمير محمد من بعده.

فذكر الرازي قال:

ألفيت رزق إبراهيم في الديوان، سنة اثنين وخمسين ومائتين، عشرة دنانير مرسومةً هلالية. قال: وكان إبراهيم هذا شاعراً محسنًا، إلا أنه كان كثير اللحن لتقصيره بعلم العربية. ولم يكن بالحسن الشعر[2] عند دخوله إلى الأندلس، بل فيها جاد طبعه وغزر قوله مع إلمامه بالسرق كثيراً وتقصيره في إخفائه، وهو يغير على غربيب، ويكثر الأخذ منه.

وعُمِّر حتى قارب الثمانين، وقد كان أدرك بالمشرق كبار المحدثين من الشعراء: كأبي نواس وأبي العتاهية وطبقتهما، فكان يحدث عنهم، وكان يسكن بداخل مدينة قرطبة، بقرب دار أبي طالب القاضي، ومن ولده سعيد بن وليد بن إبراهيم ابن سليمان المعروف[3] بالخازن. وله إلى اليوم عقب غير طائل.

قال:

سمعت في جنازة محمد بن شُخَيْص الشاعر [232] قائلاً يعلن بهذه الأبيات: [الكامل]

---

(١) ص: وعزل، وما أثبتناه أوفق للسياق.

(٢) ص: السعد.

(٣) بياض بقدر كلمة.

هيهـاتَ من دَفْعِ القـضا [هَيْهَـاتَا] هَيْهَـاتَ من تَطْلاَبِ ما قـد فـاتا[1]
أيْنَ الملوكُ وأيْنَ مـا قـد جَـمَّعـوا أفـنـاهُمُ من قَـــدَّرَ الأقـــواتا
2/137 / أيْنَ المطبِّبُ والمطبَّـبُ أصـبحـوا بَعْـدَ النضـارة والنعـيم رُفـاتا[2]
سكنوا عـطاشـاً بـالقبـورِ وربما عـافُـوا زُلالاً في الحيـاة فُـراتا

فأعطع لها جميع الناس متعظين، وتساءلوا عن قائلهـا، فقيل هي لإبراهيم بن سليمان الشامي، إلى الأمير عبدالرحمن يستجديه[3] في إضافة لحقته.

[وقال أيضاً يمدحه:][4] [الكامل]

يا من تَبَجَّـحَ من أمـيـة في الذُّرَا قِـدْمًا فـأصـبحَ عاليَ الأركـان[5]
إنَّ الغـمـــامَ غـيـاثه في وقــتـه والغَـيْثُ من كـفَّـيْكَ كُلَّ أوان[6]
فـالغـيـثُ قـد عَمَّ البلادَ وأهْلَهـا وظَمِـئْتُ بينهم فـبُلَّ لِســاني

فقال الأمير: نعمى عين وكرامة، وأمر له بخمسين ديناراً صلة.

ومن مختار قول إبراهيم في الزهد: [الخفيف]

عَـــجَبًـــا للـذي ينوحُ عـلى النا سِ سَـــفَـاهًا ولا ينـوحُ لِنَفْـمـــهْ
كـيـفَ يبكي على ســـواهُ ويَنْـسَى مـا إليـه مَـصـــيـرُهُ حين رَمْـسِـه
مُـدَّ عـينيْكَ هل ترى غـيــر ثكلى ومـصـابٍ يبـكي على فَقْـدِ أُنْـسِـه
كلُّ شيءٍ فـــالموتُ يأتي عـليــهِ عِنْدَ وجـهِ الصَّباحِ إنْ لم يُـمَسِّـه
كم صحيحٍ قد مـاتَ من غيرِ سُقْمٍ وسقـيمٍ قد عـاشَ من بَعْدِ نَكْـسِه
هكذا الدهرُ مـنذُ كـان ومـا اليـو مُ إذا مـــا نظرتَ إلا كـأمْـــسِهْ

(1) أضفنا كلمة "هيهاتا" في آخر الشطر الأول إذ بها يتم المعنى ويستقيم الوزن.
(2) ص: أين الطبيب... فأصلحناها بما يستقيم به الوزن.
(3) ص: يستدجيه.
(4) إضافة يتطلبها السياق. وقد وردت هذه الأبيات الثلاثة في نفح الطيب 3/121.
(5) في النفح "تعالى" مكان "تبجح".
(6) ص: عيانة، والتصويب عن النفح.

وله أيضاً: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا بَلاغٌ ... ليس في الدنيا ثبوتُ

إنما الدنيا كبَيْتٍ ... نَسَجَتْه العنكبوتُ

كلُّ من أمْسَى على الدنـ ... ـيا من الخلق يموتُ[1]

ليس مَعْهُمْ حيث كانوا ... أحَدٌ مِمَّنْ يقوتُ

فارْفُضِ الدنيا وخُذْ منـ ... ـها بقدرٍ ما يفوتُ

وليكُنْ نطقك بالذكـ ... ـرِ وإلا فالسكوت

وله من قصيدة مطولة: [الكامل]

إعمَلْ على مَهَلٍ لنفسكَ زادا ... من بعد كَبْكَ واحْذَرِ الأولادا

فكأنْ بهم قد يَسَّروا لك حُفْرةً ... ومَضَوْا بِشِلْوكَ نَحْوهَا مُقْتادا

حتى إذا وَضَعُوا عليكَ صَفائحًا ... مرصوفةً ومن التراب وِسادا[2]

رَجَعُوا إلى ما كُنْتَ قد ثَمَّرتَهُ ... فتوزَّعوهُ طارِفًا وتلادا

قد كُنْتَ تُصْلِحُهُ حياتَك جاهدًا ... فاعتاضَ منهُمْ إذْ حَوَوْهُ فَسادا

هذا فِعالُهُمُ بما لكَ فانْتَبِهْ ... فلقَدْ أطلْتَ تَضَجُّعًا ورُقادا

/إن كان قلبُكَ قد عَمِي عن رُشْدِه ... فاجْعَلْ لنفسِكَ إنْ قَدَرْتَ فؤادا

١٣٧/ب

يا صاحِبَ الغَيِّ الذي لا يَرْعَوِي ... حتَّى متى لا تستفيدُ رَشادا

أتُراكَ من تحتِ التراب تريدُ أن ... تَقْضِي صلاةً أو تريدُ جِهادا

هيهاتَ، يأبَى ذاك، من أمْسَى له ... مِنْ فَوْقُ أطباقُ التراب، مِهادَا[3]

---

(١) ص: يفوت.

(٢) ص: موصوفة.

(٣) ص: عادا مكان مهادا.

وقال أيضاً: [البسيط]

يا رُبَّ موعظة ليست بنافعة ... تمرُّ صفحًا على مَنْ قلبُهُ حَجَرُ
إنْ كنت توقنُ أنَّ الله يا عُمَرُ ... يَرَى ويسمعُ ما تأتي وما تَذَرُ
فانظر لنفسكَ يا مسكينُ في مَهَلٍ ... ما دامَ ينفعُكَ التفكيرُ والنظرُ
وأنت في ذاك تعصيه وتركَبُ ما ... ينهاكَ عَنْهُ فأَيْنَ الخوفُ والحذر[1]
أو كنت تزعُمُ أنَّ الله لَيْسَ يرى ... ما أَنْتَ فيه فهذا الكُفْرُ والأشَرُ
قفْ بالمقابرِ فانظُرْ إن وَقَفْتَ بها ... للَّه دَرُّكَ ماذا تَسْتُرُ الحُفَرُ
إنَّا لَفِي غفلةٍ عَمَّا يُرادُ بنا ... على شفا خَطَرٍ ما مثله خَطَرُ
الليلُ يعمَلُ دَأْبًا والنهارُ معًا ... في نَقْضِ آجالنا والشمسُ والقمر
هذا القضاءُ ولا شَيءٌ يغالِبُهُ ... وكيفَ يُغْلَبُ ما يأتي به القدر

أخذ أول أبياته هذه من قول غريب الشاعر حيث يقول: [البسيط]

تَمُرُّ بالذِّكْرِ صَفْحًا لا تَدَبَّرُهُ ... ما أَبْعَدَ الفِكْرَ مِمَّنْ قلبُهُ حَجَرُ
فانظر لنفسِكَ قبل الموتِ في دَعَةٍ ... ومُهْلَةٍ قَبلَ ألاَّ يَنْفَعَ النظرُ

وقال أيضًا: [الطويل]

سَتَتْرُكُ ما جمَّعْتَ في سالفِ الدهرِ ... ويُسْلِمُكَ الأحبابُ في ظُلْمةِ القَبْرِ[2]
فَأَحْبِبْ إذا أَحْبَبْتَ في اللَّهِ وَحْدَهُ ... وأَعْطِ إذَا أَعْطَيْتَ في طَلَبِ الأَجْرِ[3]
ولا تَأْمَنِ الدنيا فإنكَ راحِلٌ ... إلى غيرِها عنها فأنْتَ على ظَهْرِ

---

(١) ص: رأيت مكان وأنت.

(٢) ص: ويسلبك.

(٣) ص: وأعطى.

فَلَيْسَ يهابُ المَوْتُ من كان ذا غنىً ... فلَيْسَ يهابُ الموتُ من كـانَ ذا فَقْرِ
وأنْتَ الذي جاوزْتَ ستّين حجّةً ... فما لَكَ في تَرْكِ الغوايَةِ من عُذْرِ[1]
فشُحَّ على إحراز دِينِكَ هاربًا ... به من جميع الناسِ في البرِّ والبحرِ
فلستَ بِناجٍ من مقالَةِ طاعِنٍ ... ولو كُنْتَ في غارٍ على جَبَلٍ وَعْرِ
فَمَنْ ذَا الذي يُمْسِي من الناسِ سالمًا ... ولو غابَ عنهُمْ بَيْنَ خافِيَتَي نَسْرِ[2]

وقال أيضًا: [الطويل]

حَرَصْتُ على الدنيا فما نِلْتُ طائلاً ... وتَخْدَعُني الآمالُ والعُمْرُ قد فَنِي[3]
/ ولَيْسَ الغِنَى من كَثْرَةِ المالِ يا أخي ... ولكِنَّ مَنْ يَقْنَعْ فذاكَ هو الغَنِي 6/138
رأيتُ جميعَ النّاسِ لما وعظتهم ... رَمَوْنِي بأبصارٍ حِدادٍ وألْسُنِ[4]
وقالوا عنِ الدنيا نَهَى وَهْيَ هَمُّهُ ... فيا عَجَبًا للواعظِ المُتَلَوِّنِ
فأيْنَ مكانُ العُجْبِ مِنِّي وإنَّما ... عظامي ولَحْمِي فَوْقَ حَشْوٍ مُكَفَّنِ[5]
وأنتَ يا ربي لدى كُلِّ نِعْمَةٍ ... وأدْعُوكَ مكْرُوبًا إذا الضُّرُّ مَسَّني
فيا رَبِّ لا تسخَطْ عَلَيَّ بما جَنَتْ ... يَدَاي ومن هَوْلِ القيامَةِ نَجِّنِي
وَهَبْ لي من الفِرْدَوْسِ دارًا أحُلُّها ... ورِزْقًا هنيئًا من جَنَى الجَنَّةِ الهَنِي

وقال أيضًا: [الكامل]

قَدِّمْ لنفسكَ حَظَّها من مالكا ... واجْعَلْ ـ هُدِيتَ ـ فَكَاكَها مِنْ مالِكا
إنْ كُنْتَ تَجْمَعُ للعيالِ فإنَّهُمْ ... لَيْسُوا إذا فارَقْتَهُمْ بِعِيالكا

---

(1) ص: غدر.

(2) ص: طير، وصححها الناسخ في الحاشية إلى «نسر».

(3) ص: فما نلت طويلاً.

(4) ص: لما وسطتهم.

(5) ص: فوق حشر.

لا تَجْـــمَـعَنَّ لــمن إذا واراكَ لا ... يبكـي عليكَ ولا يَـرِقُّ لحــالكا[1]

فَـتَـمَـتَّـعـوا منه ونالُوا صَــفْـوَهُ ... وبقــيتَ رَهْـنًا يا شــقِيُّ بذالـكا

لو جـئـتَ تسألُهُمْ قُــراضَـةَ دِرْهَمٍ ... مَنَعُــوكَ وانْتَـهَـرُوكَ عِنْدَ سُــؤالكا

أو قـيلَ هـا هُوَ قـد أتاكم راجــعًـا ... من قَـبْـرِهِ لم يَفْـرَحُـوا بخَـيَـالكا

لَنَسُــوكَ واشْــتَـغَـلُوا بما ورِثْــتَـهُمْ ... وبَقِــيتَ إن لــم يَعْفُ وُدُّكَ هالـكا

فـانْظُرْ لنَفْـسِـكَ قبلَ حينِ وفـاتِهـا ... نَظَرَ الشـفـيـقِ وكُفَّ عن آمـالكا[2]

فـالْمَـوتُ يَقْطَعُ كلَّ لذَّةِ مَـعْـشَـرٍ ... وأراهُ أقْــرَبَ من بنـانِ شِــمـــالكا

واقطَعْ مِـنَ الدنيـــا رَجَـاكَ فـطالما ... أوْثَقْتَ عَـقْـدَ حـبـالِـهـا بحِبـالِكا

أتُراكَ تأمُلُ أنْ تَعــيشَ وقـد مـضى ... أهلُ الرِّيَاســةِ من خِـيـارِ رجــالكا

وشعره في هذا المعنى كثير، مختار أكثره.

ولهذا الشامي، قصيدة طويلة، حَضَّ بها الأمير عبدالرحمن بن الحكم، على غزو بني هاشم، المخرجين لهم عن الشرق، وأغراه بطلب الثأر منهم، وذكره بقتلى بني أمية أولها: [الكامل]

عَـجَـبًـا لنومِــك عـن طِلابِ الثـارِ ... أمْ هـلْ نَـسِـيــتَ مَـصـارِعَ الأبرارِ

أغلظ فيها للهاشميين، فاطَّرحها الناس، وفيها يقول:

وَاعْـلَمْ بـأنَّـكَ لـو بَدَتْ لَـكَ رايـةٌ ... دَلَفَتْ إلـيكَ قـبـائلُ الأمْـصـــارِ

وله قصيدة، امتدح بها الأمير عبدالرحمن بن الحكم، حيث يقول فيها: [233] [الطويل]

ومن عَبْـدِ شمـسٍ بالمغارِبِ عُصْـبَةٌ ... قَدَ اسـعـدها الرحمنُ حيث أحلَّها[3]

---

(١) ص: إذا أوداك.

(٢) آخر البيت مطموس ذهبت منه حروف في قطع أصاب الورقة، ولسنا على ثقة من صحة قراءته.

(٣) في النفح: فاسعدها.

دَحَا تحتَـها مهدًا من العز آمنًا ومـدَّ جناحًا فـوقـهـا فـأظلَّهـا

فكَمْ من لهـاةٍ أَيْبَسَ الدهر ريقـهـا تداركَـهـا عـبـدالرَّحـيـمِ فَبَلَّهـا

إذا استكثر الزُّوَّارُ يومًا حَبَـاهُمُ بأضعـافِ أضعاف لهـا واستقلَّها

ومن جيد قوله، في الأمير عبدالرحمن بن الحكم أيضاً من قصيدة: [من الطويل]

فكفَّـاك كَفٌّ يُورِقُ الزهرَ بَطْنُـهـا بجُـودِكَ والأخرى مُـخَـضَّـبَـةٌ بِدَمْ

بَنَى لكمُ مـروانُ بيتًـا مُـمنَّعًـا دعـائِمـه مـجـدٌ وأركـانه كَـرَمْ

قـال:

وتوفي إبراهيم الشـامي هذا أيام الأمير مـحمـد بن عبدالرحـمن بُعَيْـد الخمس والخمسين[1] من التاريخ بسنوات، لم يصحَّ لي تاريخها فأذكره.

/ ذكر من دخل الأندلس من بني مروان في أيام الأمير الحكم

١٣٨/ب

ذكر معاوية بن هشام القرشي قال:

العبادليون من قومنا بني مـروان: دخلوا إلى الأندلس في وقتين مختلفين.[234] دخل سابقهم إليها عمرو بن يزيد بن أمية بن عبدالله بن عبدالملك بن مروان، أيام الأمير الحكم، فسُرَّ بقدومه، ووصل رحمه، وأدنـى منزلته، وتوسع له، وأقطعه قطائع واسـعة بربض الرَّقَّـاقين [235] بحومـة شنت أجلج[2] بغربي [236] مدينة

(١) ص: الخمس والثمانين، وهو بغير شك خطأ من الناسخ، فالأمير محمد توفي سنة ٢٧٣هـ، وعلى هذا، فلا يمكن لوفاة إبراهيم بن سليمان إلا أن تكون بعيد الخمس والخمسين أو الخمس والستين، والأرجح أن يكون التاريخ الاول.

(٢) ص: شنت بلج تحريفاً عما أثبتنا انظر التعليق رقم ٢٣٦.

قرطبة[235]، فقطن واطمأن بحال جميلة في نعمة سابغة، وفشا نسله بالأندلس، فتميزوا بهذه النسبة المعروفة بهم: العبادلة. واستأنى دخول الفريق الآخر منهم المتميز عنهم بالنسبة المُعَرِّفة لهم التي هي "القدريون"[237]، فدخلوها بأخرة أيام الخليفة الناصر لدين الله، فكان القاصد له منهم أولاً عبدالعزيز بن محمد بن عبدالسلام بن إسماعيل بن عبدالسلام بن عبدالواحد بن سليمان (بن عبدالله)(١) ابن عبدالملك بن مروان. ثم تلاه في الدخول ابن عمه محمد بن عبدالسلام بن عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان. وكان دخوله في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة هجرية. فرحب بهما، ووصل رحمهما، وأعطاهما وأقطعهما وخَوَّلهما(٢)، ومهّد لهما، فاطمأنا في كنفه، وحسنت(٣) حالهما. وردفهما في الدخول [إلى](٤) الناصر لدين الله ابن عمهما محمد بن عبدالله(٥) بن عبدالملك ابن مروان، ورد عليه سنة إحدى وأربعين(٦) وثلاثمائة هجرية. فقبله الناصر لدين الله أيضًا، ووصله وأوسع نزله، وصيّره أسوة بني عمه(٧) فحلوا بدار مقامه، متفيئين ظلال النعمة، وفشا نسلهم بالأندلس. قد ميزتهم نسبتهم تلك بالقدريين عن فصيلتهم المتميزين بالعبادلة الأولين، فتلاحق من أنسالهم بالأندلس رجال روقة ذوو نباهة[238].

---

(١) يبدو لنا أن الناسخ أقحم لفظي "بن عبدالله" في نسب هذا المرواني القادم على عبدالرحمن الناصر، إذ الحديث هنا عن رجلين أبناء عمومة من ولد الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك. غير أننا لا نستطيع القطع بذلك.

(٢) ص: وحولهما، محرفة عما أثبتنا، ويقال خوّل الرجل فلانا: ملّكه.

(٣) ص: وحسنة.

(٤) زيادة يتطلبها السياق.

(٥) كرر الناسخ لفظي "ابن عبدالله" إلا أنه ضرب عليهما بخط علامة على الشطب.

(٦) ص: إحدى سنة أربعين.

(٧) ذكر ابن حزم في الجمهرة اثنين من ولد عبدالواحد بن الخليفة سليمان بن عبدالملك هما عبدالملك وعبدالسلام (الجمهرة ص٩١)، غير أنه لم يشر إلى من يذكرهم المؤرخ في هذا النص.

قال معاوية:

ودخل إلى الأمير الحكم أيضاً من مُصَاص[1] بيتنا [عبدالملك][2] [239] بن بشر ابن عبدالملك بن بشر بن مروان بن الحكم، فقبله الأمير الحكم وآواه، وبرّه وأعطاه، وتوسع له وبوأه، فاستقر بقرطبة أسوة أهل بيته، ونكح وفشا نسله.

* * *

(١) يقال فلان من مُصاص قومه إذا كان من أخلصهم نسبًا.

(٢) إضافة تتطلبها صحة النص. انظر التعليق رقم ٢٣٩.

القسم الثاني

إمارة عبد الرحمن بن الحكم

(٢٠٦ - ٢٣٢هـ)

ذكر خلافة الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام
ابن الأمير عبدالرحمن بن معاوية
الرابع من خلائف المروانيين بالأندلس

أصفى دولاتهم به شربًا، وأعزها نصرًا، وأطولها مكوثًا، وأملاها أمدًا، وذكر جُمَلٍ من سيره، ونبذ من مشهور الأحداث / في أيامه، وأسماء أكابر من خدمه 1/139 وصحبه من وزرائه وكتابه وقواده، وما جرى خَلَلَ [ذلك](1) من الأخبار، وقُيِّد(2) من مُتَخَيَّرِ الأشعار، وخُلِّد به من الآثار، مما رويناه أو بلغنا، ولله العزة ـ عزَّ وجهه ـ والإحاطة، ومنه التأييد والقدرة بِمنّه.

قال أحمد بن محمد الرازي:

استُخْلِفَ الأمير عبدالرحمن بن الحكم بقصر قرطبة، يومَ الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ست ومائتين{1}، وقعد يومه ذلك على السرير، والبيعة قائمة يأخذها له الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، مولى الوليد بن عبدالملك. وقد أحضر إخوته وأهل بيته وجماعة قريش بالحضرة، والوزراء والفقهاء(3) والكتاب وأهل الخدمة، لم يتخلف(4) منهم أحد. فابتدر القوم البيعة مستبقين إليها، ومضى بعدهم عليها طوائف العامة. فلم يبطئ أحد بإتيانها من قريب وبعيد.

ونظر خلال ذلك في تجهيز(5) أبيه الحكم الهالك، فاحتفل فيه، وأدناه إلى

(1) زيادة يتطلبها السياق.

(2) ص: وقيده.

(3) ص: والفقراء.

(4) ص: يختلف.

(5) ص: تجمير.

رمسه بالتربة داخل القصر، فصلى به في جميع الخاصة، ودفنه إلى جنب جده هشام، ومثل قائمًا على قبره يستغفر له إلى أن واراه[1] التراب. فقعد عبدالرحمن بالأرض متطأطئًا متخشعًا ليس تحته وطاء، فتكلم بكلام حسن في تأبين[2] أبيه والتعزي عنه بالأسوة[3] والتبشير للناس بما عنده من قصد السيرة وضمان الإحسان، والحض لهم على التمسك بالطاعة وشكر الله على واهب النعمة أبلغ فيه، فحفظ عنه[4].

وأنشد معاوية بن هشام للحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث في رثاء الأمير الحكم وتهنئة ولده الأمير عبدالرحمن بالولاية[5] بعده من شعر له: [الكامل]

كان الزمان مُرَزَّءًا بخليفةٍ ... أوْدَى فكاد نهارُها أن يُظْلِما

حتى إذا قعد الإمام لبيعةٍ ... كالغيث سَحَّ بِوَبْلِهِ ثم انهمى

لله أيَّةُ بَيْعَةٍ ما أعظما ... وأجَلَّ فخرًا في الأنام وأفخما

---

(١) ص: والاه.

(٢) ص: فيما بين.

(٣) ص: بالأسره.

(٤) وردت بعد هذه العبارة في الأصل أبيات ليحيى بن الحكم الغزال هي:

لها حروف نوات في جوانبها ... كقمة الأرض حُزَّت بالتخومات

وكاهل كسنام العَيْس حَرَّدَهُ ... طول الشفار وإلحاح الثنوءات

يابن المحلِّين من شيث إلى حكم ... بالملك طورًا وطورًا بالنبوَّات

[في البيت الثاني العيس محرفة عما أثبتنا، والعنس الناقة القوية، وحرَّده عوَّجه، ويحتمل أن يكون اللفظ محرفًا عن جرَّده أو حدَّده، والمُحلَّوْنَ جمع مُحَلًّى اسم مفعول من حَلَّى أي زيَّن].

ومن الواضح أن هذه الأبيات منقطعة الصلة بما قبلها، وأن الناسخ أقحمها سهوًا أو غلطًا في النقل، وسترد الأبيات في جملة قصيدة للغزال سوف يأتي ابن حيان بأجزاء كبيرة منها في الورقة ١٥٨ب. ولهذا فقد رأينا حذفها من هذا الموضع.

(٥) ص: بأولاية.

أعطَتْ قـريشٌ بـيعـةً مَـرْضِـيَّـةً ... لإمامِهـا[1] الملكِ الكـريمِ المنتـمى

وبدا كمثل البرقِ ينصدِعُ[2] الدُّجَى ... عنه ويـكشِفُ نورُهُ مـا أبهـمـا

طابـت نفـوسُ المسلمين بـدولة ... يسري بـها البدرُ المنيرُ إلى السّما

فـاستبشـرَتْ أيامُنا واستشـرقَتْ ... وغدا وراح الملكُ في أحْمَى الحِمى

للـه أنت أبـا المطرف في الـوغى ... وللخـائفِ ولِمُعْتَـفٍ قـد أعْـدَ مـا

ولعبدالله بن الشمر من قصيدة منها: [الكامل]

قـرعَتْ صَـفَـاتَكَ نكبَـةُ الأيامِ ... فدمـوعُ عينِك[3] جَمَّـةُ التَّسْجامِ

أودى أبو العاصي الإمـامُ المرتَضَى ... للمسلمين وكـان خَـيْـرَ إمـام

/ كادت تميـدُ الأرضُ أو كادَتْ له ... أسَـفًـا تخـرُّ شـوامِخُ الأعـلام ١٣٩/ب

مَنْ للعُـفـاةِ الـراغـبينَ رَمَتْ بهم ... بَعْـدَ الـونَى غـبـراءُ ذاتُ قـتـام

أم مَنْ لنا في النـائبـاتِ إذا عَـرَتْ ... أم من لنـا في[4] النقـضِ والإبرام

كـانت حيـاتُكَ نعـمـةً كُنَّا بهـا ... حـتى رمـاهـا بالإزالـةِ رام

صَلَّى الإلـهُ عليـكَ من مُسْتَـوْدَعٍ ... جَـدَثًا[5] بـه غُيِّبْـتَ يابْـنَ هِشام

فلقـد ملكْتَ برأفـةٍ وبرحـمـةٍ ... وحَـبَوْتَـنا بمبـاركٍ قَـمْـقـام

ذاكَ الأغَـرُّ أبو المُطَـرِّفِ ذو النَّدَى ... والجـودِ عند مـصائِبِ الإغْـرام[6]

لـولا تَـداركَـنَـا الإلَـهُ بـه وهَـتْ ... لاشكَّ مـنه دعـائِمُ الإسـلام

وهي طويلة.

---

(١) ص: لأنامها.

(٢) ص: ينصدع مكررة.

(٣) ص: عينيك، وبها يختلُّ وزن الشعر.

(٤) ص: أمن لنا من، والتصحيح في الحاشية.

(٥) ص: مستوع، حدثا.

(٦) ص: "عند مصائب الإغرام" مكررة.

وقال الحسن بن مفرج:

قال محمد[١] بن حفص بن فرج: الأمير عبدالرحمن بن الحكم، يكنى أبا المطرف. أمه أمة، تسمى حلاوة. وكان بكر والده الحكم، ولد له بطليطلة، أيام كان الحكم واليًا عليها لأبيه، وذلك سنة ست وسبعين ومائة، وكان أثيرًا عند والده الحكم، وكان يقدمه على جميع ولده ويتبرك به، وأسكنه في صباه وعلو منّته مع نفسه بالقصر، وعني بتعليمه، فضم إليه [مقرئي][٢] القرآن ثم مؤدبي العربية والآداب، ودرّجه في التعاليم المحظية حتى ارتقى إلى النظر في الحكمة، وطالع كتب الأوائل.

ووجه عباس بن ناصح الجزيري {2} إلى العراق في التماس الكتب القديمة وانتساخها، وجهزه بالأموال[٣]، فأتاه بكتاب **الزيج والقانون والسند هند والأرْكَنْد**[٤] و**الموسيقا**[٥] وسائر كتب الفلسفة والحكمة وكتب الطب وغيرها من كتب الأوائل، فكان عبدالرحمن؛ أول من أدخلها إلى الأندلس، وعرّف أهلها بها، ونظر هو فيها وفي غيرها من الكتب الإسلامية.

فاتسعت معرفته، وذكت قريحته، وتضاعف سرور والده الحكم به. وتبينت فراسته فيه، فقدمه على جميع أولاده على كثرتهم، وولاه عهده من بينهم، لما اشتدت علته وأيس من نفسه، فأحضره إليه، وأمره بلزوم القصر، وبرئ إليه بخاتمه، ونظر في أمر الخلافة، واستوطن القصر قبل وفاة والده الحكم بستة عشر يومًا، فاجتمع الناس عليه لما هلك أبوه، وصحت له الخلافة. وكانت[٦] بيعته بها

(١) ص: محمد بن مفرج بن حفص، ثم ضرب الناسخ على "بن مفرج" بخط علامة على الشطب.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) ص: بالأمول.

(٤) ص: الأزكند. والصواب ما أثبتناه. انظر التعليق رقم ٢.

(٥) ص: والموسقا.

(٦) بعد هذا اللفظ: "الحجة سنة ست وما" وعليها علامة شطب.

في يوم الخميس لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست ومائتين، قبل وفاة والده بستة عشر يومًا.

وكان قد قعد على باب السدة بأمر والده الحكم، فقتل ربيعًا القومس{3}، وكان من أعظم البلايا على أهل قرطبة، وأجلبهم للمكروه على الرعية، وهدم الفندق الذي كان للنبيذ بشقندة، فتحبب بذلك إلى الناس جداً، واجتمعوا لشكره، فعلا لهم ضجيج، سمعه والده الحكم وهو يجود بنفسه، فسأل عنه، فعرف بما قضى ولده في ربيع، فقال: هو أعلم بما فعل!

/ قال أحمد بن محمد الرازي: ١/١٤٠

كان الأمير عبدالرحمن بن الحكم حسن الوجه، بهي المنظر، جميل الرواء[١]، بهيج الزي.

أقول:

ومن بديع التعارض في كمال خلق هذا الرجل، نقص ولادته، فإني قرأت بخط القاضي أبي الوليد ابن الفرضي قال: قرأت بخط الخليفة المستنصر[٢] بالله الحكم بن عبدالرحمن قال: ولد جدنا الأمير عبدالرحمن بن الحكم لسبعة أشهر{4}. وكان من أهل التلاوة للقرآن والاستظهار للحديث، وذكر أنه كان يحفظ ثلاثة آلاف حديث من حديث النبي ﷺ، وكان يشارك مع ذلك في أكثر العلوم الإسلامية والجاهلية، ويشارك في دقائق علوم الفلسفة والبصر بالتعديل والعلم بالأفلاك والوقوف على الآثار العلوية، ويروي على ذلك الشعر، ويحفظ الغريب، ويتفنن في كل فن، ولا يزال يداخل كل ذي علم [في] علمه، فيوهمه أنه يبزه فيه ويغلبه.

(١) ص: الرواء.

(٢) ص: المستصر.

ذكر خصال الأمير عبدالرحمن بن الحكم وضخامة مملكته، وسرور أحواله واعتدال زمانه

قال أحمد بن محمد الرازي:

الأمير عبدالرحمن بن الحكم هو أول من فخَّم الملك بالأندلس من خلفاء بني مروان، وكساه أبهة الجلالة، وأشعره شعار الهيبة، وانتقى الرجال للأعمال، واستوزر الأكفاء من أهل الاكتفاء، وقوَّد الأبطال ذوي الغناء[1]، وظهر في أيامه جلة الوزراء، وكبار الفقهاء[2]، وكثرت عليه الغاشية والوراد، وكاتبته ملوك البلاد.

وهو الذي شيد القصور، واتخذ المصانع، وأقام الجسور، وجلب عذاب المياه إلى قصره من قُنَنِ الجبال، وخرق لها صُمَّ الصخور، واقتادها إلى قصره بإحكام التدبير، فأغدق شربه، وأنهر روضه، وأنهى فَضْلَهُ إلى السقاية التي اتخذها قدام قصره القبلي الأوسط المدعو بباب الجنان، يصب هناك في جوهر رخام، يرده كل من انتاب قصره، واجتاز به من الناس، فتعظم به المنفعة.

وهو الذي وضع السطح المنيف على أكثر أبواب قصر الخلافة الأول القبلي، المدعو بباب السدة، صيره فوقه كالتاج، فاستكمل به غاية الفخامة. وهو الذي بنى الرصيف بشط النهر الأعظم، الراكب عليه سور القصر والمدينة، حيطة عليه من صدمات السيول. فعقد هذا الرصيف في وجه مدودها أحكم عقد، بِصُمِّ[3] الحجارة الموضوعة بالكلس والرمل، وسوّى فوقها / متن الطريق، فسهَّل على السابلة[4]، واغتدى لجرية النهر واقية. وتولى له النظر في ذلك، ثقته أحمد العتبي سنة ثنتي عشرة ومائتين.

١٤٠/ب

(١) ص: الغنى.

(٢) ص: الفقهى.

(٣) ص: فصم.

(٤) ص: السايلة.

وفي كتاب ابن معاوية رواه عن أبيه عن جده قال:

كان الأمير عبدالرحمن، أول من أقام أبهة الخلافة بالأندلس، ورتب رسوم المملكة، واعتلى عن التبذل للعامة. وكان يتشبه بالوليد بن عبدالملك من سلفه الخلفاء بالمشرق في شرف نفسه، وعلاء همته، وفخامة سلطانه، ودعة أيامه، وسعة جباياته، وجلالة ما شاد واخترع من قصوره ومصانعه، ومُناهُ ومُتنَزَّهاته.

وكان أول من اجتلب[1] المياه العذبة المعينة من ذُرا الجبال إلى قصره بقرطبة، فأغدق شربه، وأخضل روضه، وبنى بفضلة المياه منه السقاية التي على باب القصر للسبيل. وهو الذي بنى الرصيف على شط النهر، بقبلي القصر الغربي، ومده ما بين ركن المدينة الشرقي وآخر[2] ركن القصر الغربي، ووصله من ذلك الركن الغربي، فمده متصلاً مع حاشية سوق قرطبة العظمى، وبقيت الكدية المنسوبة إلى أبي عبدة بباب الصناعة الجوفي من أبواب القصر. واخترع بداخل القصر مباني جليلة، ومصانع عجيبة هي إليه منسوبة.

وذكر الرازي، أن السقاية المتخذة على الرصيف إزاء باب القصر القبلي من أبواب القصر أجريت سنة ست وثلاثين ومائتين{5}.

الزيادة في الجامع صانه الله{6}

قال الرازي:

وزاد الأمير عبدالرحمن بن الحكم في المسجد الجامع بقرطبة، أول الزائدين فيه من خلفاء بني مروان الزيادة الأولى الظاهرة من قبلته للداخل إليه، ما بين البنية الأولى التي ابتناها أبو جده عبدالرحمن بن معاوية، الأمير الأول الداخل إلى الأندلس على أساس مختطي هذا المسجد المبارك من العرب الفاتحين للجزيرة. فمد عبدالرحمن زيادته تلك طولاً مع القبلة في الفضاء البراح هنالك مع آخر هذا

(١) أجلب.

(٢) ص: بآخره.

المسجد بباب المدينة الأكبر القبلي المعزو إلى باب القنطرة. وقد كانت أبهاء المسجد الأقدم تسعة أبهاء، زاد عليها عبدالرحمن بهوين من كلا جانبيه، فكملها أحد عشر بهواً استوسع بها المسجد ورفه[1] عن حاضريه، واعتلى شأنه. وكان الشروع في هذه الزيادة سنة أربع وثلاثين ومائتين. وقد ذكر هذا عثمان بن المثنى[2] في شعر له مدح فيه الأمير عبدالرحمن بن الحكم، فقال: [مخلع البسيط]

بَنَيْتَ لله خيرَ بيتٍ ... يَخْرَسُ عن وصفه الأنامُ

/ حُجَّ إليه من كُلِّ أوبٍ ... كأنَّه المسجدُ الحرامُ

1/141

كأن محرابَهُ إذا ما ... حُفَّ به الركنُ والمقام

كأنما الناس إذ تَزَاكَوْا ... عليه واسْتَرْصَفَ الزحام[3]

سِرْبٌ[4] حَمامٍ وَرَدْنَ جيشاً ... فاضطربت حوله الحمام

كأنما ما به بَنَتْهُ ... بُناتُه عسجدٌ وسام[5]

ما بالعراقين والعراق منه عدلٌ ... ولا بنت مثله الشآم

لم يَبْنِ شَرْوَاه[6] منذ كانَتْ ... جِنُّ سليمانَ والسِّلام

وهي طويلة قليلة النادر.

وقال الحسن بن مفرج:

أمر الأمير عبدالرحمن بن الحكم بالزيادة في الجامع بقرطبة، فزيدت طولاً ما بين الأرجل الضخام الصخرية الماثلة في صدره، الظاهرة لمن دخل إليه، فيما بينها

(1) ص: وربه.

(2) ص: عمر بن المثنى، والصواب ما أثبتناه.

(3) تزاكوا: كثروا، واسترصف الزحام: تراصف الناس فيه، أي قام بعضهم ملتصقين ببعض.

(4) ص: شرب.

(5) السام عروق الفضة في الحجر والمعدن.

(6) شرواه: مثله. والسِّلام بكسر السين جمع سَلِمة وهي الحجر.

إلى آخر المسجد بمنتهى المحراب. وجمع فاخر الآلات لبنائه، واستكثر من عدد حذاق الفعلة لإحكامه، ووكل ببنيانه أكبر فتيانه الخصيان الخاصة نصراً وصاحبه مسروراً، رغبة في إيشاك التمام مع إحكام الصنعة، فأيده الله بعونته تم[١] بها عزمته، فجاءت كما أراده ورسمه. وأشرف له على ذلك أيضاً محمد بن زياد، قاضي قرطبة وصاحب الصلاة بها. وكانت هذه الزيادة[٢] من آثاره الجميلة.

وقال أبو بكر بن القوطية:

مات الأمير عبدالرحمن، وقد بقي عليه في هذه الزيادة بقايا يسيرة، من[٣] تنجيد وزخرفة، أتمها الأمير ابنه محمد الوالي مكانه، فاستوفيت الكمال في أيامه.

قال:

وبنى الأمير عبدالرحمن المسجد الجامع بحاضرة إشبيلية. وبنى أيضاً سور مدينة إشبيلية، من أجل طروق المجوس بها، من ناحية البحر الرومي[٤]، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين{7}.

وفي كتاب معاوية بن هشام القرشي الشبينسي قال:

كتب الفقيه عبدالملك بن حبيب إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم، إثر محنة أهل إشبيلية بتحصينها[٥]، ووافق ذلك أيام شروع الأمير عبدالرحمن في بنيان زيادته بالجامع بقرطبة المشهور بها. وذكر له في كتابه أن بنيان سور مدينة إشبيلية [أولى من زيادة المسجد الجامع][٦] ولم يثن ذلك عزمه عن بنيان الزيادة، فأعطى

(١) ص: ثم، ولعل صواب العبارة: بمعونة أتم بها عزمته.

(٢) ص: الزياد.

(٣) ص: ومن.

(٤) ص: الرمي.

(٥) ص: وتحصنها.

(٦) إضافة يقتضيها السياق.

كلا منهما قسطه،[1] من إرهاف العزيمة، والسخو بالنفقة، إلى أن كملا معًا كما أراده. وتوصل[2] له للنظر في هذه الزيادة فتياه الخصيان الأثيران لديه: نصر ومسرور. وكانت أول جمعة جُمِّعَتْ في محراب هذه الزيادة لعشر بقين من ربيع الأول، سنة أربع وثلاثين ومائتين، [وصلى] بالناس[3] قاضيهم المتقلد للصلاة بهم، محمد بن زياد رحمه الله.

قال ابن وضاح:

١٤١/ب فكثر يومئذ محمد بن زياد من الدعاء / للأمير عبدالرحمن والثناء عليه في الخطبة الثانية.

وذكر الرازي أن بنيان هذه الزيادة كمل في [ربيع] الأول[4] سنة أربع وثلاثين ومائتين.

وأنشد معاوية بن هشام لعثمان[5] بن المثنى، في ذكر هذه الزيادة، ومديح نصر القائم ببنائها في شعر له مدحه به: [السريع]

على يَدَيْ نصرٍ قريعِ الورى   تمَّ بناءُ المسجدِ الجامعِ
حياطةُ الإسلامِ يُعْنَى بِهِ   نصرٌ أمينُ الملكِ الرابعِ

وفي كتاب أبي بكر عبدالله بن الحكم بن النظام، الكاتب الأخباري {8} قال:

كثر الناس بقرطبة، أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم المطمئنة، وانتابوها من كل أوب وجهة، حتى تضايق عنهم مسجد جامعها، وأخل كثير منهم بشهود الجمعة

(١) ص: بقسطه.

(٢) ص: وتوصلى. وربما كانت "وتوسل" أي "كان فتياه الخصيان هما وسيلته للنظر...".

(٣) ص: فالناس.

(٤) ص: في ذي الأول.

(٥) ص: لعمر بن المثنى.

وقَصَرَهم سلطانهم الأمير عبدالرحمن عليه، لأخذه برأي مالك في ألا تفرق بمصر واحد، صلاة الجمعة وجمعهم على مسجدهم هذا وحده، فكانوا يلقون من اقتحامه بَرْحًا[1].

فأمر عند ذلك بتوسيعه، والزيادة فيه، ورسم أن يكون ذلك من قِبَلِ قِبْلَته في الفضاء، ما بينها وبين باب المدينة القبلي الراكب للقنطرة. فعمل بما[2] رسمه، حين الزيادة الثانية من بناء هذا المسجد الفاضل المنسوبة إلى عبدالرحمن بن الحكم، المحدودة من عند الأرجل الحجرية الضخام الماثلة اليوم، في وسط أبهاء المسجد إلى المحراب الأقدم، الذي اتخذت فيه اليوم القبلة الكبرى المُخَرَّمة. مَدَّ عبدالرحمن زيادته هذه[3] طولاً من موقف حد المسجد الأول إلى ناحية القبلة الأبهاء[4] التسعة. وأنشأ حفافيها من ابتدائها شرقًا وغربًا بهوين زائدين عليه، ممتدين معهما، فكمل[5] عدد أبهاء المسجد أحد[6] عشر بهوًا، صَيَّرَ سعة كل بهو من هذين المزيدين تسعة أذرع ونصف. ووصل هذين البهوين المزيدين بسقيفتين، ووصلهما من أبوابهما بالسقائف، التي كانت قبل بجوف المسجد الأقدم، المتخذة لصلاة النساء، عقد كل سقيفة منها على تسع عشرة سارية. وفتح هذين البهوين المزيدين من كلتا[7] جنبتي البنية القديمة بأواخرهما، مما يقرب من القبلة ما بين الشرق[8] والغرب، كملت أبواب الجامع بها سبعة أبواب، عرض كل باب منها

(١) ص: فرحا. والبَرْح هو المشقة.

(٢) ص: بها.

(٣) ص: هذا.

(٤) ص: أبهاء.

(٥) ص: فكملا.

(٦) ص: إحدى.

(٧) ص: كلتى.

(٨) ص: ما بين بشرق الشرق. وواضح أن لفظ "بشرق" مقحم لا حاجة للسياق به.

خمس أذرع ونصف، وارتفاعه طولاً سبعة أذرع. وصار طول هذه الزيادة من حد الأرجل النادرة[1] لها إلى منتهى حدها في القبلة تسعًا وأربعين ذراعًا. وعرض هذه الأرجل الراسية في المسجد الماثلة[2] لمكانها منه، كل رجل منها خمس أذرع في عرض ذراعين.

وابتنى الأمير عبدالرحمن بن الحكم أيضًا في مؤخر صحن هذا المسجد، سقيفتين جَوْفِيَّة، نظمهما بالسقيفتين اللتين ابتناهما حِفافَيْ صحنه بشرقيه وغربيه، وصلهما بهما، واستوسع بهن ثلاثين، مكان / مصلى النساء، إذا حضرن المسجد الجامع. عدد سواري هذه السقيفة الجوفية، ثلاث وعشرون سارية. ١٤٢/أ

قال:

وهلك الأمير عبدالرحمن قبل أن تتم زخرفة هذه الزيادة وتتميمها، فأتم ذلك ولده[3] الأمير محمد، وبلغه الغاية{9}.

ولعبدالله بن الشمر، الشاعر المنجم، جليس الأمير عبدالرحمن، وأثيره في ذكر بنائه هذه الزيادة في المسجد الجامع، صانه الله، في شعر له طويل مدحه به، فقال: [الطويل]

بَنَى مسجدًا لم يُبْنَ لله مثلُهُ ... وهَلْ مِثْلُهُ في قبضة الله مَسْجِدُ
سوى مُبْتَنَى الرحمنِ والمسجدِ الذي ... بناه نبيُّ المسلمينَ محمَّدُ
له عُمُدٌ خُضْرٌ وحمرٌ كأنما ... تلوحُ يواقيتٌ بها وزبرجدُ

وفيها من جيد المديح قوله:

(١) يقصد بالنادرة البارزة.

(٢) ص: الماثلة.

(٣) ولده مكررة.

ألا يا أمينَ الله لا زلتَ سالمًا ... ولا زلتَ في كلِّ الأمورِ تُسَوَّدُ
فيا ليتنا نفديكَ من كلِّ حادثٍ ... وأنك للإسلام والدين تَخْلُدُ
فخيرُكَ مَرْجُوٌّ وضُرُّكَ مُتَّقَى ... وأنتَ لدينِ الله في الأرضِ مُسْنَدُ
بعبدالرحيم ازدانَتِ الأرضُ واكْتَسَتْ ... جمالاً ودنيانا به تَتَجَدَّدُ
بأبيضَ ميمونِ النقيبةِ كَفُّهُ ... تكادُ إذا صالَتْ على المالِ يَنْفَدُ
فيفعَلُ يَدَيْهِ أَلبسَ الأمْنَ أرْضَه[1] ... وأمواله من ذلك الفعل تُرْعَدُ
إذا طربَ اربَدَّتْ وجوهُ بُدُورِه[2] ... وإنْ غَضِبَ اسْتَنَّ[3] الحسامُ المُهَنَّدُ
فأُقْسِمُ لو أن السحابَ تكلَّمَتْ ... لقالَتْ له: اقْصِرْ أنتَ للمالِ مُفْسِدُ
صَغَتْ حَسَدًا مِمَّا رأَتْ من نَوالِه[4] ... فلا زالَ في العلياءِ والمجدِ يُحْمَدُ

ولم يَسْتَحْيِ[5] أن ذكر فيها نصرًا الخصيَّ فتاه، الغالبَ عليه فقال:

ونَصْرٌ فلا انفكَّتْ من اللهِ نعمةٌ ... عليه تَوالَى منهُ ما لاحَ فَرْقَدُ
فما حدثته نفسُهُ بخيانةٍ ... ولم يُبْلَ منه العَجْزُ فيما يُقَلَّدُ

قال الرازي:

وفي أيام الأمير عبدالرحمن، ابْتُنِيَتْ المساجد الجامعة بكور الأندلس. واستوسعت فيها إقامة الجمع ورفع الأدعية، وتاغي كبار حظاياه، وتنافس جواريه، ومقصورات نسائه في ابتناء المساجد الرفيعة بقرطبة. وكان فيهن يومئذ خير كثير، تبارين به في الأعمال الصالحة، [و] توسعن بالإنفاق في أبواب الزلفة،

(١) ص: عرضه.

(٢) ص: بروده. والبدور جمع بَدْرَة، وهي كيس المال.

(٣) استنَّ: اضطرب وتحرك. ويحتمل رسم الكلمة أن تقرأ: اهتزَّ.

(٤) ص: دوله. وصَغَتْ: مالت.

(٥) ص: يستمر.

واكتملت بأرض قرطبة وقصبتها من رفعهن مساجد مشيدة البناء، واجبة الأوقات[1] آهلة القطين، طالت عمارتها بذكر الله تعالى حقبة، منوبة إليهن، متعرفة[2] بأسمائهن، كمسجد طروب ومسجد فخر ومسجد الشفا ومسجد متعة وأشباههن، مما يكثر عدده ولا يجهل مكانه، فكانت آثار هؤلاء الحرم في هذا الباب، وما اتصل به،[3] حلل الدولة.{10}

وقال الحسن بن مفرج:

١٤٢/ب احتمل الأمير عبدالرحمن بن الحكم، في خلافته على غير / الزّيِّ الذي كان سلفه عليه، من الاقتصاد والتواضع والتبذل للعيون والأخذ بالعفو[4] في كل الأمور. فاعتلى فوق ذلك كله، وفَخَّم السلطان، وغلَّظ الحجاب، وغرس الهيبة في قلوب الرعية، وتخيَّر للنظر في أمورهم أهل الاستقلال والكفاية، والعفة والأمانة، من القضاة والولاة، وأصناف أهل الخدمة، فوزع الحكومات على طبقاتهم، وعززهم وشدَّ على أيديهم، ورفع منازلهم، وفصَّل[5] مراتب الخطط التي يتقلدونها على ما تقررت[6] عليه بعده{11}.

ولاية السوق:

وهو الذي خزل[7] أحكام السوق عن أحكام الشرطات، المسماة عندنا بولاية المدينة. فأفردها بوالٍ بذاته، وصيرها خطة، صيَّر رزق متقلدها للشهر ثلاثين

---

(١) ص: الارقاب.

(٢) ص: منحرفة.

(٣) ص: بها.

(٤) ص: في العفو.

(٥) ص: وفضل.

(٦) ص: تقربت.

(٧) ص: حوّل، والصواب ما أثبتنا، والمقصود: فصل.

ديناراً. وقد رزق والي المدينة للشهر مائة دينار وازنة[1]: للعشور خمسون، وللطبل خمسون.

وصيَّر لأهل خدمته من كتابه ووزرائه[2] وقهارمته وأمنائه ربوة من العز والأثرة على من بعدهم، وفخم مملكته جهده، وشد سلطانه وأيده، وخلا بعد ذلك لنعيمه غير منخلع إليه ولا قاصر عن الإشراف على عظم مملكته. فأسعدته دنياه، ودرت[3] عليه أخلافَها، فارتضعها أفاويق[4] حتى أملَّته، وغَوِيَ من تَفَوُّقِها[5]، واقترن عليه إصحابُ الجدِّ وإصحاب الحَظ[6] وعُلُوُّ العمر، ودُحور العدو، ومطاولة السلامة، وصلاح الأهل، وفُشُوُّ النسل، فلولا مغافصة الأجل له أَوْثَقَ ما كان بِجَدِّه[7] لتُوُهِّمُ أن النساء قُصْرُه[8]، وتقسيم الأعادلة[9] على ما تهيأ له من ذلك كله قريب لمن تأمله، والديمومة لمن تفرد بها، عز وجهه.

---

(١) ص: ديناراً وازنة.

(٢) ص: ووزراؤه.

(٣) ص: وردت. والأخلاف جمع خلف (بكسر الخاء) وهو حلمة ضرع الناقة، ودرَّت الأخلاف أي سالت بلبن غزير، وهو هنا تعبير مجازي يعني أن الدنيا أغدقت عليه خيراتها.

(٤) ص: أباويق، والأفاويق جمع أفواق وهو بدوره جمع فيقة أي ما اجتمع من اللبن في الضرع بين الحلبتين، والمقصود أنه بلغ أقصى حد من المتعة بخيرات دنياه إلى درجة الملل.

(٥) غوي من تفوقها أي بشم من رضاعها، وهو تعبير مجازي يؤكد ما سبق أن أوردناه في الحاشية السابقة.

(٦) الإصحاب هو الموافقة والاجتماع، وهو يعني، أن دنياه قد اكتملت له فيها السعادة، سواء في الجد من أموره، أو في متعها ولذاتها.

(٧) ص: نجدة، ولا يلتئم بها السياق، ونظن الصواب ما أثبتناه، والمقصود: أكثر ما يكون ثقة بحسن طالعه وسعادته.

(٨) المغافصة، هي المفاجأة والقُصر هو ما يجعله المرء غاية جهده، والمراد أنه لولا مفاجأة الموت له، لظن الناس لكثرة من أنجبه من الولد أنه جعل كل همه في معاشرة النساء.

(٩) كذا وردت هذه العبارة، ولم يتضح لنا وجه في "تقسيم الاعادلة"، وربما كان المراد تقسيم المعادل أي الطرق والمذاهب. على أننا نظن أن تحريفاً قد أصاب العبارة، أو سقطت منها ألفاظ.

قال محمد بن نصر[1] {12}:

كان يقال لأيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم: أيام العروس؛ لقرارها، ودعتها، وسكونها، وطيبها؛ وذلك، لفخامة ملكه وطاعته، ورعية مؤدبة، وهيبة مغلظة، فترك الناس يتملَّوْنَ العافية، مغتمين لها، واشتغل هو وراءهم بلذته، فنال منها أوطاره.

ذكر الفقيه أبو محمد بن حزم في كتاب "النقط" قال {13}:

أكثر خلفائنا بالأندلس ذرية عبدالرحمن بن الحكم. قال: كان له مائة ولد: خمسون ذكوراً، وخمسون إناثاً.

السكة والطراز

قال الرازي:

وفي أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، أُحْدِثَتْ بقرطبة، وغيرها من بلاد الأندلس الطرز لأنواع الكسوة والوطاء. واستنبطت فيها الأعمال، وتُدُرِّج فيها إلى/ التجويد. فكان الأمير عبدالرحمن، أولَ مَن أقام بالأندلس الطرز، واستنبط فيها أعمال الكسوة الرائقة، وتولى له النظر فيها حارث بن بزيع.

١٤٣/أ

وقال عيسى الرازي:

في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، استحكم أمر السكة والطراز بقرطبة. على أن أصلهما قد كان تَبَعَّثَ[2] في مدة أبي جده عبدالرحمن بن معاوية، الأمير الداخل ومن بعده. غير أنهما لم يقويا، ولا كثرت الأعمال بهما، إلى أن جاءت دولة هذا الأمير عبدالرحمن. فإنهما قويا، واتسع العمل بهما، والاستفادة منهما،

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب "بن حفص"، فيكون حينئذ المؤرخ الذي نقل عنه ابن حيان فيما سبق.

(٢) تبعث أي نشأ، ولعل الأصح: انبعث.

فنوَّه بشأنهما، وأجرى الرزق السلطاني على من يتولاهما. وكان أول ولاة السكة للأمير عبدالرحمن، سميه وظهيره[١]، عبدالرحمن بن أبي سهل{14}.

قال عيسى بن أحمد الرازي:

وفيها[٢] أيضاً اتخذت بقرطبة السكة، وقام فيها ضرب الدراهم منقوشةً باسمه، مُقَدَّرةً على عِياره. ولم يكن بها دار ضرب منذ فتحها العرب. وكان أهلها يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل الشرق، ودنانيرهم؛ فالمال قل لديهم، وعدم عندهم. وكان معولهم على أثمان غلة أرضهم من الحنطة، والزيت والحرير والكتان، إلى غلات معادنها، وما أشبهها من فوائدها، تحمله أهل العدوة عنهم في الماء أيام المصيف، فيأخذون به من عينهم ما يتجاوزونه في متاجرهم وبياعاتهم. إلى أن سبق هذا الأمير عبدالرحمن، باتخاذ السكة. والمشير لذكرها عنده، والبادئ إلى منفعتها، حارث بن عبدالرحمن، المعروف بأبي الشبل. فأخذ برأيه فيها، وقلده إياها، وكان ظهيراً له أثيراً عنده. وكان عبدالرحمن، أول من ضرب المال بالأندلس، واتخذ فيها سكة.

قال أحمد بن محمد الرازي:

ومنذ أيامه تفخم ملك الأندلس. واعتلى قدر أميرها، وسامَى الملوك، وطاول النظراء.

وفي أيامه أُدْخِلَ إلى الأندلس نفيسُ الجهاز من فاخر المتاع، ونفيس الجوهر، وشريف الكساء، وغالي الوطاء. وقصدتها تجار البحر بكل عِلْقٍ كريم، ومتاع نفيس، فنفّقَ الأمير عبدالرحمن أسواقهم، وثامَنَهُمْ[٣] في بضائعهم، فاغتبطوا ببياعاتهم، ووالوا انتجاعاتهم، ووافق ذلك أوان تنازع ابني الرشيد الملك بالمشرق،

(١) رسم الكلمة يحتمل أن تقرأ "وظيره" أي ظِئْره، وظِئْرُ الرجل هو زوج مرضعته أو مرضعة ولده.

(٢) ص: وفيهما.

(٣) أي ساومهم، والمقصود أغلى سومهم.

وغلبة أصحاب عبدالله المأمون على بغداد، وقتلهم لمحمد أخيه، وانتهابهم لخزائنه. فلاذ التجار العاثرون عليها من مطلبهم بها، بإخراجهم لها إلى قاصية الأرض حضرة الأندلس حيث أمُّوا بها. فمن أجل ذلك حصل سلطانها من رفيع ذلك، ما لا كِفاءَ له تجلَّة. وكان مما شهر منه العقد السلطاني المعروف، المسمى بالثعبان{15}، فعرف بعد لدينا بعقد الشفاء حظية الأمير عبدالرحمن الموهوب لها، وقد كان ـ زعموا ـ لأم جعفر زُبَيْدَة أم المخلوع محمد، إلى سواه من الأعلاق[1] والذخائر التي يطول القول فيها.

قال:

١٤٣/ب وفي أيامه / قويت الجبايات بالأندلس، وزاد مال الخراج، واتُّخذت أزمَّةُ الدواوين، التي عقدت بها الوظائفُ الصحاح، المُسَنَّةُ على أهل البلاد. وصُيِّرَتْ عُدولاً بين[2] العملِ والرعية.

الخزانة

قال عيسى بن أحمد الرازي:

الأمير عبدالرحمن هو الذي بنى ديوان الخزانة على باب قصره من خارجه، ورتب الخُزَّان فيه أربعة في دُوَلِه، ورَزَقَ كل واحد منهم عشرين دينارًا، بالوازنة في كل شهر. وقد كان منهم في أيامه موسى بن حدير{16}.

وقال معاوية بن هشام الشبينسي:

في أيام الأمير عبدالرحمن، اعتدل الملك بالأندلس. واستوسع مال الجباية، فانتهى إلى ألف ألف دينار دراهم[3] في السنة، وكان مقتناه[4] لا يزيد على ستمائة ألف دينار كل سنة.

---

(١) ص: الإعلان.

(٢) ص: بن.

(٣) ص: دينارًا درهم.

(٤) ص: مقتنا.

قال:

وهو أول من فَخَّم[١] المباني، وسَوَّى القصور، وتأنق في الآلات، واستثار العمد بحثًا في[٢] البلاد، ونقَّر عن جميع الآلات بالأندلس، فحملها إلى دار الخلافة بقرطبة، فكل مصنع رفيع الذكر فيها، فهو من بنيانه واختراعه.

الخاتم

قال:

والأمير عبدالرحمن أول من قرر نقش خاتم الخلفاء الأكبر الأشهر على كتابته المشهورة اليوم "فلان بقضاء [الله][٣] راض". وقد كان من قبله،[٤] من خلفاء بني مروان، لا يقتصرون في نقوشهم على شيءٍ واحد. ويستنقش كل واحد منهم ما يختاره، إلى أن اختار هو لنفسه هذا النقش الذي تمسك به، فاتبعه فيه من جاء بعده من ولده، وارتضوا به واختصوا به. فاستمروا بعده عليه إلى أن ذهبت دولتهم{17}.

وكان السبب فيه، أنه سقط للأمير عبدالرحمن خاتم كان يلبسه، ويصرف الطابع به في أمور أقطار[٥] مملكته، فساءه ضياعه[٦]، فتطلب بكل جهة، وأنفذت الكتب في البحث عنه، فلم يعثر عليه، وخفي أثره، فأمر عند ذلك بانتقاش خاتم من خواتيمه محدث النقش. وأمر نصرًا الخصي أثيره، بسؤال من في الدار من

---

(١) ص: فخر.

(٢) ص: "واستثار العمد بحث عن البلاد". وواضح ما أصاب العبارة من تحريف. والمقصود باستثارة العمد الاستقصاء في البحث عن الأعمدة اللازمة للبناء في جميع البلاد لكثرة ما قام به من أعمال البناء والعمران. ولهذا أصلحنا العبارة بما يرى.

(٣) إضافة يتطلبها السياق.

(٤) الكلمتان ساقطتان من النص ملحقتان في الحاشية.

(٥) ص: أقطار أمور.

(٦) ص: ضياعًا.

الأدباء والعلماء عن لفظ وجيز، يليق به، ينقش[1] في فص الخاتم. فأحضر نصر منهم عبدالله بن الشمر، وكان ملازمًا للدار أكثر أوقاته، وكان أثيرًا عند[2] الأمير عبدالرحمن، فعرفه بما أراده الأمير، وكلفه الاختيار له ليحصل على ثوابه. فلم يتلعثم لسرعة بديهته، أن نظم ذلك شعرًا فقال: [مجزوء الرمل]

خاتَمٌ[3] للملك أضحى ... حكمه في الناس ماضي

عابد الرحمن فيه ... بقضاء الله راضي

فدخل نصر بالخاتم والرقعة بالبيتين إلى الأمير، وعرفه بخبر ابن الشمر، وكان ملازمًا للدار، فاستحسن اللفظ جدًا، وأمر أن ينقش على الخاتم "عبدالرحمن بقضاء الله راض". فنفذ[4] ذلك، وجرى النقش به لكل / من وَلِيَ بعده، فلم يتبدل به أحد منهم. 1/144

قال الحسن بن مفرج:

قال عثمان بن سعيد حرقوص {18}: كانت للأمير عبدالرحمن بن الحكم، الآثار العجيبة، والأنباء البديعة، والأمور الرفيعة؛ من بنيان القصور المشهرة، واستنباط العيون المتفجرة، وإجراء الأنهار[5] العذبة، وإنشاء الجنات المعروشة، وهبات العطايا الجزلة.

الوزارة

وهو، أول من رتب اختلاف الوزراء إلى قصر الخلافة كل يوم، والتكلم معهم

(1) ص: فنقش.

(2) ص: عبد.

(3) ص: ختم.

(4) ص: فبعد.

(5) ص: الانها.

فيما يحبه من أمور المملكة، والتماس آرائهم فيها، وخُزَّانًا جماعة[1]، وهو الذي اتخذ لهم بقصره بيتًا حسنًا موسومًا باجتماعهم وجلوسهم[2] جرى عليه العمل إلى اليوم، اسمه[3] بيت الوزارة. يستدعيهم منه إلى مجلسه، أو من يخص منهم إذا شاء[4]، فيفيض معهم فيما يبدو له من الأمر والنهي، والولاية والعزل. أو يخرج رقّاصه {19} ورسائله بأمره ونهيه إليهم، أو إلى من شاء منهم، إذا[5] لم ينشط لإيصالهم إليه، فيعملون في ذلك بما يرسمه، على مثل ما يجري عليه أمرهم من الخلفاء من ولده إلى اليوم.

وكان قد اجتمع إليه من سراة الوزراء وأولي[6] الأحلام والنهى وذوي المعرفة والحجا رهط لم يجتمع شرواهم[7] لمن قبله ولا بعده من الخلفاء؛ منهم عبدالكريم ابن عبدالواحد بن مغيث، الحاجب الكاتب القائد، وعيسى بن شهيد، ويوسف ابن بخت، وعبدالله بن أمية بن يزيد، وعبدالرحمن بن غانم، وعبدالرحمن بن رستم، وعيسى بن عبد الغافر بن أبي عبدة، وعبدالعزيز بن هاشم بن خالد، وغيرهم ممن لا يتخلف عن هواهم[8]. فكانت أموره تجري بهم على سواء، وتدبيره يصدر عن صواب، فكانت دولته أنيقة، وخلافته رائقة{20}.

وقال عيسى بن أحمد الرازي:

---

(١) ص: وخزانا وجماعة، ويبدو أن سقطاً وقع في العبارة، ولعل تمامها "واتخذ خُزَّانًا جماعة"، يشير إلى أن خطة الخزانة ـ وهي إدارة بيت المال ـ لم يعهد بها إلى واحد، بل إلى عدة رجال.

(٢) ص: وجلوهم.

(٣) ص: اسم.

(٤) ص: إذشا.

(٥) ص: إذ.

(٦) ص: وأولوا.

(٧) "لم يجتمع شرواهم" سقطت من المتن وألحقت بالحاشية، وشرواهم أمثالهم.

(٨) كذا في الأصل، ولعل الصواب "هؤلاء".

كان أعاظم وزراء الأمير عبدالرحمن بن الحكم الذين تصرفوا له مع خطة الوزارة في القيادة وولاية المدينة وغيرهما من كبار الخطط والولايات، وانتهت أرزاقهم لها في الشهر إلى ثلاثمائة دينار وخمسين ديناراً بالوازنة، جماعة منهم: محمد بن السليم، ومحمد عبدالسلام بن بسيل، وعبدالعزيز بن هاشم، وعبدالرحمن بن عبدالحميد بن غانم، وحارث بن بزيع، وعبدالواحد بن عبدالواحد[١] بن يزيد الإسكندراني. وكانوا نمطاً في الخاصة به، لا يساويهم أحد من الناس عنده.

وكان عبدالواحد بن يزيد الإسكندراني، قد دخل الأندلس في أخريات الأمير الحكم والده. وعلق حبل عبدالرحمن أيام والده، فحظي عنده، ورفع منزلته لما صار الأمر إليه، فصرفه في أنواع من خدمته، وأزلفه بخاصته، إلى أن استوزره وألطف محله، حتى صار بابًا إلى التوصل إليه، وسبباً للتوصل[٢] لديه {21}. وإليه كتب / عبيد الله[٣] بن قرلمان بن بدر الشاعر في التنجز: "صارت حوائجي ـ أكرمك الله ـ لها صدور تفرح، وأعجاز تُبْرح، وُعِدْتُ لولاية فزُوِيتُ عنها، وأُمِرَ لي بقرية فحُبِسَتْ[٤] منها رغبتي. مقدم[٥] في الشكوى: كلما صعَّدتُ[٦] صَوَّب، وإذا صَوَّبْتُ صَعَّد، خلافًا لمسرتي، ولزومًا لمساءتي[٧]. وبك بعد الله أرجو انقياد الصنع[٨] لي، ونَفْيَ الخوفِ عني. فَاصنعْ في ذلك، ما ظننته بك، ١٤٤/ب

(١) كذا في الأصل، ونظن أن "بن عبدالواحد" زائدة.

(٢) كذا، ولعلها "للتوسل"، أي اتخاذه وسيلة.

(٣) ص: عبدالله، وصواب الاسم ما أثبتنا وبه سيرد مراراً بعد ذلك.

(٤) ص: فحسبت.

(٥) يبدو أن كلمات سقطت من النص قبل هذا اللفظ.

(٦) ص: صعرت.

(٧) ص: لبساءتي.

(٨) ص: الضيع.

ورجوته منك، وأملته على يديك. وأقول من بعد ذلك: [الطويل]

تَسَمَّعْ أبا سهلٍ جُعِلْتُ لكَ الفدا مقالَ امرئٍ من بَخْتِهِ يتظلَّمُ

أوائلُ حاجاتي سعودٌ نَسِيتُها وأعجازُها بالنَّحْسِ لي تَتَبَسَّمُ

فليتَ صدورَ المطمعات تأخَّرَتْ فكانت لنا أعجازُها تتقدَّم

فكن مَلْجأً منه تذودُ نُحُوسَهُ فإنك بابٌ للنجاةِ وسُلَّم

وأنت الذي إن شاءَ أشْكَى شكيَّتي وباعَدَ عمَّا قَرَّبهُ لِيَ مُرْغِمُ

وفي كتاب معاوية بن هشام الشبيني قال:

وممَّنْ تقدَّم إلى الأندلس في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم عبدالواحد بن يزيد الإسكندراني، وإبراهيم الشامي، فخدماه، وحصل الإسكندراني منهما على أعلى المنازل لديه.

قال الرازي:

كان أول ما نظر فيه الأمير عبدالرحمن بن الحكم لَمَّا مَلَكَ أن ابتاع أنصباء إخوته من المماليك العجم، الذين تخلفهم الأمير الحكم أبوه رقيقًا، وكانوا خمسة آلاف مملوك: ثلاثة آلاف فارس منهم على الخيول، هم الذين كان الحكم ارتبطهم بخيولهم في الحُجَرِ إزاء باب القصر فوق الرصيف على الشط ملازمين لبابه، ثم أعتقهم فَسُمُّوا الخُرْس[1] لعجومة كلامهم، وألفا راجل، ألزمهم المقام على أبواب القصر وأنقابه من كل جهاته، لم يكن بعد أعتقهم، فَسُمُّوا المُسَرَّين، سِمَةً جرت عليهم. فقوَّم الأمير أثمانهم بالقسط، ودفع إلى إخوته حصصهم من جملة أثمانهم[2]، فاستخلصهم، وأمضى العتق بعد وقت لجميعهم.

وقال الحسن بن محمد بن مفرج:

---

(١) ص: الخرص.

(٢) ص: أزمانهم.

كانت أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم على طولها أيام سكون وأمن، وعافية وهدوء وخفض وطمأنينة، واستقامة من الرعايا على الطريق، واستقلال[1] من الطاعة. ما علمنا أنه خرج عليه خارج، أو باينه مخالف، خلا ما كان من موسى ابن موسى بن قسي بناحية [الثغر] الأعلى، وما كان من أهل ماردة من أهل الجوف، مما آل إلى قمعهم وإعادتهم إلى ما فارقوه من الطاعة بقوة. وكانت كلمة أهل الأندلس طول / أيامه مجتمعة، وقلوبهم متألفة، وأيديهم متواصلة، وأعاديهم بحال خشوع وذلة.

١/١٤٥

وما إن ترك[2] الأمير عبدالرحمن على تَبَنُّكِه[3] النعيم، وحظه في اللذة، الغزو إلى دار الحرب بنفسه، وإغزاءها الجيوش مع بنيه وإخوته ووجوه قواده وأعلام رجاله، غير مُخِلٍّ بالصوائف لأوقاتها، والبعوث لفُرَصِها، حتى انقمع عدو الإسلام في أيامه، فلم تكن لهم حركة مذكورة، ولا انتهز من المسلمين غرة قامعة.

العلماء

والتزم الأمير عبدالرحمن، مع شموخ[4] عزته، من إكرام طبقات أهل العلم: الفقهاء والأدباء والشعراء، وموالاة مبرَّتهم، وإدناء منازلهم، وإيجاب حقوقهم، وإسعافهم بمطالبهم، أعظم ما التزمه أمير قبله سمع عنه. وصيَّر للفقهاء والمفتين[5] درجة عليهم، فظل يلتزم من إعظام زعيمهم يحيى بن يحيى ومبرته، مثل ما يلتزمه الابن البر للأب الحاني عليه. فكان يخلو به كثيراً، ويوصله إلى جوف

---

(١) ص: واستقلاك (بغير إعجام). والاستقلال هنا الارتفاع والتمكن.

(٢) ص: أترك.

(٣) تبنَّك النعمة: تمكن منها وتمتع بها.

(٤) ص: شيوخ.

(٥) ص: والمفتيين.

قصره، ويشاوره في أكثر أموره ونوازله، ولا يمضي في الديانة قضاءً إلا بعد مشورته، ولاسيما في أمر القضاء، فلم يكن يوليه أحدًا إلا عن رأي يحيى وبعد مشورته، ولا يشير عليه بعزل أحد من قضاته فيتمسك به؛ فمن أجل ذلك، كثر القضاة في أيامه{22}، فكان بقصد سيرته هذه، وإطفائه لائمة العامة، عاش في ملكه قرير العين خير عيشة، ولم تزل رعيته معه بأفضل حال وأمهد طمأنينة.

النساء

قال الحسن بن محمد بن مفرج:

كان الأمير عبدالرحمن مُسْتَهْتَرًا بالنساء، شديد الميل إليهن، والإعجاب بهن، والبذل لهن، والاستكثار منهن، والهوى فيهن. وكان له عدة أثائر من حظاياه في عُرْضِهن[١]، غلبن على قلبه، ومال به عشقهن، وآل به هواه فيهن، إلى المسماة بطروب أم ولده عبدالله، المظاهر لأثيره من أكابر فتيانه الخصيان نصر الشهم مدبر أمره آخر دولته. ولهما حديث في العمل، لتصيير أمر الأمير عبدالرحمن إلى ابن طروب المُضَعَّف من بين سائر ولده، حال القدر بينهما، وطاح الخصي نصر بأسبابه{23}، ما هو مشهور عند الناس شهرة غلبة طروب على قلب الأمير عبدالرحمن، وتَتْييمها له. وفيها يقول{24}: [المتقارب]

إذا ما بَدَتْ لِيَ شمسُ النها ... رِ طالعةً ذكَّرتني طَروبَا

أنا ابْنُ الهشامَيْنِ من غالبٍ ... أشبُّ حروبًا وأُطْفِي حُروبا

كانت للأمير عبدالرحمن بن الحكم غزوة إلى جليقية طالت مدة مغيبه فيها، وتعبُه في مقاساتها، فأَرِقَ في بعض لياليه فيها أرقًا تململ له على فراشه، وهاجه الشوق إلى بعض من حن إليه من حظاياه بقرطبة، فصاغ في ذلك أبياتًا أحضر لها عبدالله بن الشمر جليسه وأنشده إياها[٢] يستجيزه عنها، فأقسم له على أنها من

(١) ص: لم (أو تم) عرضهن، وفي عرضهن أي من بينهن، والاثائر جمع أثيرة وهي المفضَّلة.

(٢) ص: إياه.

أبدع ما قالته الخلفاء، واستأذنه في روايتها، فأذن له في ذلك ووفّر صلته. والأبيات: [المتقارب]

١٤٥/ب

/ عـدا بِيَ عنكِ مـزارُ العـدا	وقَـوْدي إليـهم لُهـامًا مَـهيـبا
فكم قـد تخطّيْتُ من سَـبْـسَبٍ	ولاقَـيْتُ بـعـد دُروبٍ دُروبا
ألاقي بوجـهي سَـمومَ الهجيـرِ	إذا كـادَ مـنه الحَصـى أن يذوبا
أنا ابْنُ الهـشـامَـيْنِ من غـالبٍ	أشبُّ حـروبًا وأطفي حـروبَا
بنـا أدركَ اللّـه دينَ الـهُـدى	فـأحـييتُـهُ واصطلمْتُ الصليـبا
سَمَوْتُ إلى الشـرْكِ في جحـفلٍ	مـلأتُ الحُـزون به والسُّـهوبا[١]

فذُكِر أن طَروبًا[٢] هذه تجنَّتْ عليه وقتًا لأمرٍ أغضبها، فهجرته وصدت عنه أيامًا، وأبت أن تأتيه، فاشتد قلقه لهجرانها، وضاق ذرعًا به، وجهد أن يترضاها بكل وجه أمكنه، فأعيا ذلك عليه، وأرسل من خاصة خصيانه من يكرهها على المجيء إليه، فأغلقت باب مجلسها في وجوههم، وآلت ألا تخرج إليهم طائعة ولو انتهوا بها إلى القتل، فانصرفوا إليه يتأذنونه في دق الباب دونها، فنهاهم، وأمر بسد الباب من خارجه ببِدَرِ المال ومكنهم منه، فنظموا بالبدر ما بين أسكفتي الباب من خارجه حتى طمموه، وأقبل هو حتى وقف بالباب يكلمها مسترضيًا داعيًا إلى المراجعة، على أن لها ما رَصَّه قدام بابها من البدر، فاستجابت عند ذلك لما أراده، وفتحت الباب، فانهالت البدر وتساقطت في بيتها، وانحطت هي إلى رجليه تقبلهما، فدخل إليها ونال مراده برضاها وحازت المال لنفسها. فذكروا أن مبلغه كان مائة بدرة: خمسين ألف دينار، وقيل بل ضعف ذلك{25}.

قال:

(١) ص: والشهوبا، والصواب ما أثبتنا.

(٢) ص: طروب.

وذكر أن الأمير عبدالرحمن، وهب لجارية من حظاياه أولئك المشتهرات بأثرته عقد جوهر من أعلاق الخلافة، كان شراؤه عليه عشرة آلاف دينار، وأن بعض من يختص به من وزرائه عظم ذلك عليه، وقال إن هذا من الأعلاق المضنون[1] بها المدَّخَرِ للنائبة. فقال له الأمير: ويحك! إن لابسه أنفس منه قدرًا، وأرفع خطرًا، وأكرم جوهرًا. ولئن راق من هذه الحصباء منظرها، ولَطُفَ في العين فِرِنْدُها، لقد برأ الله من خلقه البشريَّ جوهرًا يُغْشي الأبصار ويسبي الألباب. وهل على الأرض من شريف جوهرها وسني زخرفها ومستلذ نعيمها وفائق بهجتها أقرُّ لعين، وأجمع لزين، من وجه أكمل الله حسنه وألقى عليه الجمال بهجته؟

ثم دعا بعبدالله بن الشمر جليسه، فذكر له ما دار بينه وبين وزيره في شأن العقد وقال له: هل يحضرك في تأييد ما قلناه شيء؟ قال: نعم. وأطرق بديهة ثم أنشأ يقول: [الطويل]

أتقرنُ حصباءَ اليواقيت والشَّذْرِ ... إلى من تعالى عن سنا الشمسِ والبدرِ

إلى من براه الله للخلق فتنة ... ولم يكُ شيئًا غيره أحدٌ يَبْرِي

فأكرم به من صنعة [الله][2] جوهرًا ... تضاءلَ عنه جوهرُ البرِّ والبحرِ

له خلقَ الرحمنُ ما في سمائِهِ ... وما فوق أرضيهِ ومكَّنَ في الأمرِ

/ قال: ٤/١٤٦

فأعجب الأمير ببديهته، وتحرك طبعه للقول، فأنشأ يقول مناغيًا لابن الشمر وعلى رَوِيِّه[3]: [الطويل]

---

(١) ص: المظنون.

(٢) إضافة يقتضيها تمام المعنى والوزن.

(٣) ص: رويته.

قريضُكَ يابْنَ الشَّمْرِ عَفَّى[١] على الشعرِ ... وجلَّ عن الأوهام والذهن والفكرِ
إذا شافَهَتْهُ الأذنُ أدّى بسمعه ... إلى القلب إبداعًا يجلُّ عن الشعر
وهل برأ الرحمن في كل ما برا ... أقر لعين من مُنَعَّمَة بِكْرِ
ترى الوردَ فوق الياسمين بخَدِّها ... كما فُوِّقَ الوردُ المُنَوَّرُ بالزهر
فلو أنني مُلِّكْتُ قلبي وناظري ... نظمتهما[٢] منها على الجيد والنحر

فقال ابن الشمر: يابن الخلائف، شعرك والله أجود من شعري، وثناؤك عليه أفضل من صلتي. وما مِنْحَتُك لي إلا تطوُّلاً منك بغير استحقاق مني! فاضعف جائزته وأكثر الثناء عليه{26}.

وذُكِرَ أن الأمير عبدالرحمن أجنب[٣] في بعض أسفاره في غزواته إلى جليقية، وقد دنا من مدينة وادي الحجارة من الثغر الأوسط، فقام إلى الغُسْل، وفكره موقوفٌ على الخيال الذي طرقه، فسنح له القول فيه عند فراغه من طهره، وإن الوصيف ليجفف شعره، وهزته الأريحية، فقال: عليَّ بابن الشمر. فلما دخل ناداه: يابن الشمر، خذ إليك: [السريع]

شاقَكَ من قرطبةَ الساري ... بالليل لم يَدْرِ به الداري

أجِزْ وعَجِّلْ. فبدر ابن الشمر فقال بديهة:

زار فحَيَّا في ظلامِ الدُّجَى ... أهلاً بذاكَ الزائرِ الساري

قال:

فأطربه جداً، وهاج اشتياقه إلى صاحبة الخيال الطارق، فاستخلف على الجيش ابنه الحكم لينفذ به لوجهه، ورجع هو لقرطبة{27}.

---

(١) ص: عمى.

(٢) ص: نظمتها، والسياق الشعري يقتضي التصويب.

(٣) أجنب: أصبح جنُبًا.

وفي كتاب معاوية بن هشام الشبينسي قال:

كان الأمير عبدالرحمن بن الحكم من أشد الخلفاء ابتغاءً للنساء، واستطابة للفروج، واغتنامًا لنفائس الجواري، وتنقيرًا عمن تخيَّره منهن في أصولهن وأجناسهن وتربيتهن ومذاهبهن، فكان لا يتخذ منهن ثيّبًا البتة، ولو فاقت نساء زمانها حسنًا وبراعة، فلا يُدْني إلى فراشه غير عذراء. وأكثر ذلك مما ربِّي في قصره وأهداه إليه نساؤه أو ابتاعه من مكانٍ تُحْمَدُ تربيته ويُرْتَضَى نصاب مالكيه، بعد أن يتعرف أصول جواريه وخبر أمهاتهن ومهن آبائهن ونبأ أمهاتهن ومذاهبهن في أنفسهن، وحظوظهن في عقولهن وأخلاقهن، يكشف عن ذلك كله بحضرته، ويكتب فيها إلى غيرها، فيمعن تَقَصِّيهُ جُهْدَهَ. وإذا حُمِلت الجارية إليه أمر ثقاته بالكشف عن أصلها، وصحة ملكها، ومنزع عرقها، إن كانت من بيت صيانة أو بيت ضعة، أو كان يعرف في أهلها من كلا طرفيها من به عاهة من العاهات، فإذا برئت عنده من ذلك كله، أو من أشده، استبرأ المبتاعة منهن شهورًا على عُذْرَتها، فإذا ارتفع عنها اللَّبْس في كل ما يحذر من عيوب الفروج الباطنة إلى ما قبله من علم أحوالها الظاهرة ضمها عند ذلك / إلى فراشه، طيبةٌ نفسُهُ باتخاذها. وإن اعترضه في ذلك شيء يكرهه نبذها ولم يُسْعِدْ[1] نفسه عليها البتة وإن كان له ميل إليها.

١٤٦/ب

وكان من حظاياه طروب، أم عبدالله ولده، التي ينسب إليها المسجد الذي في صدر الربض الغربي بقرطبة، ولها فيها آثار سواه، وهي التي غلبت على قلب عبدالرحمن آخر دولته، وظاهرت نصرًا الخصي أثيره الغالب يومئذ على أمره والمصرف لدولته، فكان لا يخالفهما[2] في أمر يبرمانه. فلها معه أحاديث.

---

(١) أصاب اللفظ قطع وتآكل، ولعله كما أثبتنا.

(٢) ص: يخالفها.

ومنهن مُؤمَّرة {28} كانت من حظاياه أعتقها وتزوجها، وله منها ابنه المنذر بن عبدالرحمن المكنى أبا الحكم، وكان من جلة ولده ونبهائهم وممن ولي الأعمال الرفيعة، وقاد الجيوش الكثيفة. وإلى أمه تنسب المقبرة التي بطرف الربض الغربي من قرطبة، وغيرها من آثارها الصالحة.

ومنهن الشفاء، وكانت موصوفة بالعقل، والجزالة إلى الحسن والبراعة. غلبت على عقله زمانًا، فأعتقها وتزوجها، وكانت من أكمل النساء حسنًا وعقلاً ودينًا وفضلاً، وأجملهن مذاهب، وأكثرهن أوقافًا على المساجد والمرضى والضعفاء. وهي التي[1] ابتنت مسجد الشفاء المشهور بها المعزاة[2] حومته إليها بوسط الربض الغربي من قرطبة، إلى أوقاف لها في سبيل البر كثيرة مشهورة.

وكان الأمير عبدالرحمن، قد ظأرها على بكر ولده محمد، الأثير منهم لديه، الوالي بعده لما تيتّم[3] من أمه وهو صغير. فتبته وكفلته وآثرته على ولدها المُطَرِّف، فأرضت بذلك الأمير عبدالرحمن. وذلك أن أم محمد كانت من أقادم سراريّ الأمير عبدالرحمن وحظاياه واسمها تهتر، ملكها عبدالرحمن قبل الإمارة، وكانت معه بطليطلة، فأرسل بها إلى قرطبة مع ثقاته من الخصيان الصقالبة، ولحقتها المنية بفج البشر[4] من حوز طليطلة، فدفنت هنالك، وصار قبرها ثَمَّ معروفًا، فحرر ابنها الأمير محمد في دولته أهل تلك القرية من المغارم، لاحترامهم إياه وتجديدهم لرسمه{29}.

وصار ابنها محمد يتيمًا منها، وكان بكر ولد أبيه عبدالرحمن وأحبهم إليه، فصيّره إلى حظيته الشفاء، فأرضته في تربيته وترفيهه والترفيع به والتقديم[5] له

---

(١) ص: الذي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب المعزُوَّة.

(٣) ص: تتم. ظأرها على ولده: عطفها عليه وأسند إليها كفالته وتربيته.

(٤) ص: أنبر.

(٥) ص: والتقدم.

على ابن نفسها المُطَرِّف والتفضيل له عليه. فذكر ثقات أهل القصر أن ابنها المطرف نازع أخاه محمدًا مكفولها في بعض ما يتنازع فيه الصبيان في بيت الشفاء وهي غائبة، فزاد مطرف على محمد حتى أغضبه، فكلمه محمد وقال له: لا أماتني الله حتى أصير سلطانًا فأوقع بك وأكبلك! فتوجع مطرف من قوله، وبكى بكاءً شديدًا وجاءت الشفاء أمه، فأصابته على تلك الحال، وسألته عما دهاه، فذكر لها ما ناله به محمد أخوه وتوعده به[١]، فلم تتغير لذلك ولا غضبت منه، وقالت له: لا عليك يا حبيبي، فإنما ضربك أخوك كبيرك وسيد ولد أبيك، ونعم ومرحبًا بما تمناه، ألاَّ أماته الله حتى يبلغ ما يؤمله وتؤمله له ويقدره الله على فعل[٢] ما قاله؛ فإنه لم يكن ليفعله ولا يأتي إليك بما تكرهه. فسكت ما بنفس ولدها. ولم توبخ محمدًا ولا كلمته بكلمة غليظة، ومشت على تكريمها له ومبرتها، / وقد عقل محمد سوء ما قاله لولدها ـ وكان بعدُ يافعًا ـ فتضاعف وُدُّه لها، واعترافًا بإحسانها، واعتقادًا لمكافأتها. وفعل لما صار الأمر إليه بعد والده عبدالرحمن، فأحَلَّ ظئره الشفاء محل والدته في التوقير لها، والإعظام لقدرها، والإسعاف لطلباتها، ومكافأتها في المطرف ولدها أخيه بأفضل ما قدر عليه من إدناء مكانه وإجزال عطيته، والتحريك من حاله، وإسماء ولايته، وإيثاره على كثير من إخوته. جرت له في ذلك أخبار حسنة. وكانت وفاة المطرف ابن الأمير عبدالرحمن هذا سنة ست وستين ومائتين. ١/١٤٧

ومنهن فخر{30}، ولها مسجد رفيع القدر من أمهات المساجد بقرطبة مشهور النسبة إليها، وكانت من كبار حظاياه، وولدت منه ابنًا يسمى بشر بن عبدالرحمن، يكنى أبا الوليد، وكان من العلماء البلغاء الشعراء الفصحاء[٣]،

(١) ص: منه.

(٢) ص: فصل.

(٣) ص: المنحا.

وكان من أصاغر الأولاد، ومات عن غير عقيب.

ومنهن فضل المعروفة بالمدنيَّة {31} صاحبة علم المدنية، وكانت فضل هذه فائقة الجمال، حاذقة بالغناء، كاملة الخصال. زعموا أنها كانت لإحدى بنات هارون الرشيد، منشؤها وتعلمها ببغداد، ودرجت من هناك إلى المدينة، فازدادت ثَمَّ طبقتها في الغناء، واشتريت هناك للأمير عبدالرحمن بن الحكم، مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها، كُنَّ الكَلّ[١] لها. وإليهن تنسب دار المدنيات في القصر، وكانت لهن من الأمير عبدالرحمن منزلة لطيفة، لجودة غنائهن، ونصاعة ظرفهن، ورقة أدبهن. ولفضل زعيمتهن في ذلك درجة نالت بها لدى الأمير حظوة. وكان إذا خرج بهؤلاء الجواري المدنيات إلى بعض مُتنزَّهاته لم يخلط بهن غيرهن من عياله توفراً عليهن.

ولم تزل فضل هذه أحظى من لديه منهن، وولد له منها ابنه عمر بن عبدالرحمن المكنى أبا القاسم، وكان من أصاغر ولده أيضاً، واستأخر موته إلى سنة اثنتين وثلاثمائة صدر خلافة الناصر لدين الله، عبدالرحمن بن محمد. فكان آخر من مات من ولد أبيه الذكور على كثرتهم.

ومن هؤلاء المدنيات، قلم {32} ثالثة فضل وعلم عند الأمير عبدالرحمن في الحظوة. كانت فيما قيل أندلسية الأصل من سبي البشكنس بنتاً لكبير من قوامهم، حملت صبية إلى المشرق، فوقعت إلى المدينة، وتعلمت هناك الغناء فحذقته، واشتريت للأمير عبدالرحمن، فتسراها، ونظم بها سلك مدنياته اللاتي ...[٢] ولدت له ابنه أباناً المكنى أبا الوليد وكان أديبًا، ولا عقب له.

---

(١) أي عيالاً عليها وتابعات لها، والمألوف في استخدام هذا اللفظ أن يتبعه حرف الجر "على" لا "اللام".

(٢) واضح أنه سقط من الأصل لفظان أو أكثر في معنى "حظين لديه" أو ما أشبه ذلك.

وفي كتاب معاوية بن هشام الشبينسي قال:

كانت قلم المدنية أم أبان بن الأمير عبدالرحمن بن الحكم أحذق قيانه بالغناء، وأرفعهن طبقة في المعرفة بصوغ[1] الألحان، وتصرف في طرائق الغناء أعظم تصرف. وكانت مع ذلك أديبة ذاكرة حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الآداب. وكان أولها من سبي الأندلس من أمة البشكنس، وقعت بالمشرق، فتعلمت الغناء بالمدينة، ثم جُلِبَتْ إلى الأندلس.

ذكر الغناء

/ خبر زرياب سابق المغنين[2] ببلد الأندلس

١٤٧/ب

قال عيسى بن أحمد الرازي:

كان الأمير عبدالرحمن بن الحكم، معجبًا بالغناء، صبًا بالسماع، مقدمًا له على جميع لذاته، مصطنعًا للمغنين[3] المتبارين فيه، مؤثرًا للمجودين منهم، منقرًا عن حذاقهم، سائلاً عن الأعلين من طبقاتهم، قاصرًا إحسانه عليهم في إجزال صلاتهم، وتوسعة أنزالهم، وموالاة إرفاقهم، متخطيًا إليهم جميع من حواه قصره وضمته ستارته من محسنات قيانه، ومبرزات جواريه، نازعًا عنهن إلى من اصطنعه من الرجال أئمتهن في الصناعة، متنقلاً بين صنعتهم طلبًا لإلذاذ السمع، وانقيادًا لحكم الفضيلة. تجرى له في ذلك أخبار ظريفة(33).

وقد كان اجتمع عنده قبل إمارته وبعدها من ذكور المغنين الطياب عدة، بوأهم كنفه تحت النفقات الراتبة، والرواتب الدائرة، كان يجري على كل رجل منهم في

(١) ص: بسوغ.

(٢) ص: المغنيين.

(٣) ص: للمغنيين.

الشهر الهلالي عشرة دنانير بالوازنة، ويتعهدهم بالصلات والكسوة. منهم أبو يعقوب المغني، والحسنان: حسن الحلي، وحسن القروي، ومنصور اليهودي وغيرهم.

قال:

ووجدت في كتاب الأدباء للقاضي أبي الوليد بن الفرضي قال:

أبو نصر منصور بن أبي البهلول المغني، وكان رسول الأستاذ زرياب المغني إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وهو موصل كتابه من الجزيرة الخضراء مكان محطه من ساحل الأندلس. وهو الذي هجاه مؤمن بن سعيد الشاعر بأبيات مفلقة منها: [البسيط]

لو كان في دهرِنا ذا مالكٌ وأبو حنيفةَ اجتمعا في مَقْتِ منصورِ

هؤلاء كانوا المقدمين في مغنيه، إلى أن طرأ عليه من المشرق الأعلى زرياب العراقي صاحب الغناء[1] العجيب بالأندلس، فختم على اختياره[2]، وغلب على قلبه، فرقاه فوق جميع من كان عنده من ذكر وأنثى ممن يشاركه في صناعته، وأمال عليه من إحسانه، وخوّله من اختصاصه ما تجاوز به حال الضيوف المحبوبين المجتهدين إلى منزلة الأهلين المؤثرين المشاركين، والوزراء المختصين المقربين، فالأحاديث عنه بذلك في الناس فاشية، وآثاره بَعْدُ بينهم شاهدة لائحة.

قال:

وزرياب هذا لقب وقع عليه ببلده، من أجل سُحْمَةِ لونه مع فصاحة لسانه، وحلاوة شمائله، شُبِّه بطائر أسودَ غردٍ عندهم للتمثيل به. واسمه علي بن نافع مولى المهدي العباسي محمد بن أبي جعفر المنصور، ويكنى أبا الحسن.

(١) ص: البناء.

(٢) ص: اختياء.

وقال عبادة الشاعر:

بل زرياب اسم للذهب، لُقِّب به هذا المغني، لما كان لونه لون الذهب.

وذكروا أنه جرت له ببلده قصة، جَرَّتْها عليه الحسادة، فأزعجته إلى قاصية المغرب، فاضطرب ببلد إفريقية مديدة، ووُصِف له عظمُ شأن الأمير الحكم بن هشام صاحب الأندلس وبعد همته وقوة سلطانه، فأمَّه، وانحدر يريد الأندلس، فلما فارقها بلغته وفاته، فتوقف وكتب إلى الأمير عبدالرحمن، الوالي بعده يعزيه عنه / ويصف له خبره في قصده إياه وتأميله له من بعد أبيه. فأجابه عبدالرحمن يعتني به ويستبشر بلقائه ويستعجله في القدوم عليه، ويعده بالجميل في خدمته. فسارع زرياب نحوه بأيمن أطياره، فَسُرَّ به عبدالرحمن غاية السرور، وأكرم منزله، وأوسع نزله، وقدمه وآثره، فاختصه فوق كل ذي خاصة عنده، فكان لا يكاد يصبر عنه. 148/أ

فارتضى زرياب مكانه عنده، وألقى عصاه بعقوته[1]، فتوسع له في الإقطاع، ووفر عليه الأرزاق، فكان يجري عليه من الرزق في كل شهر هلالي مائتي دينار بالوازنة، ويأتي اسمه في دفتر العطاء إثر الوزراء. وعَمَّ بنيه كلما تلاحقوا[2] بالأعطية الرغيبة، وأجرى عليهم الأرزاق الراتبة، وأقطعهم القطائع الفخمة لئلا يرزؤوا أباهم مما يرتزقه قلامة. فكان الجاري عليهم ثلاثتهم وهم عبيد الله وجعفر ويحيى عشرين ديناراً بالوازنة لكل واحد منهم في شهور الأهلة إلى النفقات المرتبة.

وقرأت في كتاب **أخبار زرياب** {34} قال:

كان زرياب واسمه علي بن نافع مولى محمد المهدي، الخليفة العباسي، تلميذاً

---

(1) ص: بعفوته، والعقوة الموضع المتسع أمام الدار.

(2) لم تبق من الكلمة إلا حروف متآكلة بفعل الأرضة.

لإسحاق بن إبراهيم الموصلي كبير المغنين[1] في وقته. تلقف منه أغانيه استراقًا، وهُدِيَ من فهم الصناعة وحذق العمل مع طيب الصوت وجودة الطبع إلى ما فاق به إسحاق، وإسحاق لا يشعر به لكتمانه إياه، فَفُتِحَ عليه في حذقه لما يخترع من صناعاته، إلى أن جرى للخليفة الرشيد مع إسحاق خبره المشهور في اقتراحه عليه بمغنٍّ غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه يستريح من أسمعة مغنيه[2] إليه، فذكر له تلميذه علي بن نافع هذا، وقال له: إنه مولى لكم. لا وكيف الوصول إلى شرف مجلسك! وإني سمعت له نزعاتٍ حسنةً، ونغمات رائقة بالنفس مُلْتاطة، إذا أنا أوقفته على ما استغرب منها، ونصصته عمن قلده إياه قال لي: هو من اختراعي واستنباطي ونتيجة فكري، فيطول منه عجبي، وأحدس على أن سوف يكون له شأنه. فقال له الرشيد: هذا طَلِبتي، فأحضرنيه لعل حاجتي عنده.

فأحضره إياه، فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه بأحسن منطق وأوجز خطاب. وسأله عن معرفته بالغناء، فقال: نعم، أحسن ما يحسنه الناس، وأكثر ما أحسنه لا يحسنونه مما لا يحسن إلا عندك، ولا يُدَّخَر إلا لك. فإن أذنْتَ غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك! فأمر فأحضر عود أستاذه إسحاق. فلما أُدْنِي إليه توقف عن تناوله وقال: لي عود نَحَتُّهُ بيدي وأرهفته بإحكامي لا أرتضي غيره وهو بالباب، فليأذن لي أمير المؤمنين في استدعائه. فأمر بإدخاله إليه.

فلما تأمله الرشيد ورآه شبيهًا[3] بالعود الذي دفعه له فقال له: ما منعك أن تستعمل عود أستاذِك الذي أُتِيَ به إليك، وأنت مُقِرٌّ بأخذك عنه واقتفائك لأثره؟ فقال له زرياب: إن كان مولاي يرغب في غناء أستاذي، غنيته بعوده. وإن كان يرغب في غنائي فلابد لي من عودي، الذي تناهيت في إحكامه. فقال: ما

(١) ص: المغنيين.

(٢) ص: مغنييه.

(٣) ص: شبيه.

أراهما إلا واحداً. فقال: صدقت يا مولاي، ولا يؤدي النظر غير ذلك، لكن عودي وإن كان في قدر عوده ومن جنس خشبه، فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه، وأوتاري من حرير لم يغتسل[1] بماء سخن يكسبها إماتة / ورخاوة، وبمُّها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل الأسد، فلها في الصفاء والترنم والجهارة والحدة، أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان. ولها من قوة الصبر على أثر وقع المضراب المتعاور لها، ما ليس لغيرها. ١٤٨/ب

فاستبدع الرشيد وصفه، وأمره بالغناء، فَجَسَّ ثم اندفع فغناه: [البسيط]

يا أيها الملكُ الميمونُ طائرُهُ إليك راح جميعُ الناسِ وابتكروا

فأتم النوبة، وطار بالرشيد طرب لم يعهد قط مثله. وقال لإسحق: والله لولا أني أعلم من صدقك لي عن كتمانه[2] إياك لما عنده وتصديقي[3] لك في أنك لم تسمعه قبل لأنزلت بك العقوبة لتركك إعلامي بشأنه، فخذه إليك واعتن به، حتى أفرغ له، فإن لي فيه نظراً.

فسُقِطَ في يد إسحاق، وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره، فخلا بزرياب في منزله وقال له: يا علي، إن الحسدَ أقدمُ الأدواءِ وأدواها، والدنيا فتانة، والشركة في الصناعة عداوة، ولا حيلة في حسمها. وقد مكَرْتَ بي فيما انطويت عني به، من إجادتك وعلاء طبقتك، وقصدت أنا منفعتك، فإذا بي قد أتيت على نفسي من مأمنها؛ بإدنائك إلى من قللْتُ أنا[4] عنده إليك. وعن قليلٍ تسقُط منزلتي وترتقي أنت فوقي. وهذا ما لا أُقِرُّك[5] عليه ولو أنك ولدي. ولولا رعيي

(١) ص: يغتزل، والسياق يقتضي التصويب.

(٢) لم تبق من الكلمة إلا حروف متآكلة.

(٣) ص: وتصديقه.

(٤) ص: انما.

(٥) ص: أقارك.

لذمة تربيتك، لما قدمتُ شيئاً على إفاتتك نفسك، ويكون في ذلك ما كان. فتخيَّرْ في ثنتين لابد لك منهما: إما أن تذهب عني في الأرض العريضة، ولا أسمع بخبرك، بعد أن تعطيني على ذلك الأيمان الموثقة، وأنهضك لذلك بما أردت من مال ونفقة، وإما أن تقيم على كربي ورغمي مستهدفًا إليَّ، فخذ من الآن حذرك مني، فلست والله أبقي عليك، ولا أدع اغتيالك ساخيًا في ذلك بدمي ومالي، فاقض قضاءك!

فجزع زرياب لوعيده، وعلم قدرته على ذلك، واختار الفرار قدامه، فأجابه على ذلك إسحاق سريعًا، وراش جناحيه، فرحل عنه ومضى لطيته، يبغي مغرب الشمس، واستراح قلب إسحاق منه.

وتذكر الرشيد زريابًا بعد فراغه من شغل كان منغمسًا فيه. فأمر إسحاق بإحضاره، فقال: ومن لي بإحضاره يا أمير المؤمنين؟ ذلك غلامٌ مخبول مطروق يزعم أن الجن تكلمه ويطار به[1] ما يغرب به من غنائه، فما إن يرى أن في الدنيا من يعدله. وما هو إلا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته فقدَّر منه التقصير به والتهوين بصناعته، فرحل مُغَاضِبًا ذاهبًا على وجهه مستخفيًا عني بذلك. فلا أدري أية [طريق] سلك، ولا أي أرض الله لاقته، وقد صنع الله لأمير المؤمنين في ذلك خيرًا، فقد كان به لَمَمٌ يَتَغَشَّاه، ويفرط خبطه، فيُفْزِعُ من يَرَاه. فسكن الرشيد إلى قول إسحاق وقال: إلى ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير.

ومضى زرياب إلى أرض المغرب، فنسي بالعراق خبره، إذ لم يكن اسمه شُهِرَ هناك بَعْدُ شهرته[2] بالصقع الذي قطنه وبرعت فيه صنعته إلى ضد السلطان الذي أقصاه ليأمن عنده. فأمر أمير الأندلس، الحكم بن هشام، المباين لمواليه، وخاطبه

(١) كذا في الأصل، ولها وجه مقبول، وقد تكون محرفة عن "وتطارحه".

(٢) اللفظان مكرران في الأصل.

يذكر لـه نزاعـه إليه، واختـياره إياه، ويعلمـه بمكانه من الصناعة التي يتـحلها، ويسأله الإذن لـه في الدخول إليه. فسُرَّ الحكم بكتابه / وَهَيَّتَ[1] بدعائه، وأظهر له من الرغبة فيه، والتطلع إليه، والإجمال لموعده فوق ما تمناه. ١/١٤٩

فبكر زرياب نحوه بكليته، من المغرب بمن مـعه من عياله وولده. وركب البحر نحو[2] الزقاق، فلاقى فيـه هَوْلاً على سهولة مرامه، ورُزِق الـسـلامة منه، فخرج بالجزيرة الخضراء، مـرفأ السفن بذلك الساحل. فلما نزل بها تـوالت عليه الأخبار بوفاة الأمـير الحكم، فـساءه ذلك، وعَظُم عليه، وتطيَّـر منه، وهَمَّ بالارتداد إلى العدوة، وكان مـعه منصور المغني الـيهودي، رسول الأمير الحكم إليـه، فثناه عن ذلك، ورَغَّبه في صلة قـصد الهالك بقصد الحي القائم مكانه عـبدالرحمن ولده، وعرفه في زيادته في كرم الخـلال على أبيه، وشـبهه به في ثقوب معرفـته ونصاعة ظرفه، وقـوة أدبه، فاطمأنت نفـسه إليه، وبادر بالكتـاب إلى الأمير عـبدالرحمن يعزيه عن أبيـه الحكم. ووصل به وجه قصـده، وسبب تأميـله، ويسأله إيواءه إلى ظله. فجـاءه بكتابه اليهودي منصـور، ووجده من التطلع إليه والـسـرور به والفرح بقصده على أضعاف ما مـضى عليه والده. وأجاب زريابًا بجواب لطيف، يُهَيِّتُ به ويبشره بمَا لَهُ عنده، ويستعجله في القدوم عليـه. وكتب إلى عامله بالجزيرة لتوسـعة قراه ومعونته على احتماله إليه والركوب معه إلى أن يبلغه إلى من يتلوه من عماله، فيتحمل الثاني على مثل ما فعل الأول من التَّحَفِّي به والقيام بجميع شؤونه.

فجاء على ذلك إلى قرطبة، وقد أمر الأمير عـبدالرحمن خصيّاً من أكابر فتيانه الخاصة أن يلقاه ببـغال وبغلات مـسرجة، وغفـائر سَرِيَّة، وآلات حـسنة يدخل بها هو وأهله البلد، ويدخلهم ليـلاً صيانة للحرم، وينزله في الدار التي تعـرف اليوم

(١) هَيَّتَ به أي دعاه قائلاً له هَيْت: هَلُمّ.

(٢) كذا، ولها وجه مقبول، وقد تكون محرفة عن "بحر".

بدار الصدقة،{35} التي بظهرها حمَّامه الذي اخترعه، فهو إلى اليوم باقٍ في النسبة إليه، بعد أن كان تقدم في تهيئتها وفرشها وتنضيدها بكل ما يشاكلها من وطاء وستور وآلة وماعون، ويشحن خزائنها بصنوف الأقوات والإدام والأصباغ[١]، ورتب له من أصاغر خدمه الخصيان من يخدمه ويتصرف في أموره ويقوم بجميع شؤونه. وصير الدار وكل ما فيها عند استقراره بها، هبة قِبَلَهُ له، فاحتلها زرياب محل صدق بأيمن طائر، وذلك في المحرم سنة سبع ومائتين.

فلما كان بعد ثالثة من استراحته، أرسل الأمير إليه خلعةً فاخرة جامعة لكسوته، ومطية فارهة بحلية حسنة وصلة جزلة من العين، واستدعاه للحضور، فأوصله إلى نفسه وخلا به فأدنى منزلته وأحفى سؤاله، ومكن أنسه، وبسط أمله، وجعل يومه ذلك لاختبار خلقه، ومذاكرته ناصع أدبه، ومفاتحته لأخبار الملوك، وسير الخلفاء، ونوادر العلماء، فحرك منه بحراً زاخراً عَلَى مَدِّهِ زُخوراً، اشتد به إعجاب الأمير عبدالرحمن، وراقه ما أورده وتصرف فيه. وحضر وقت طعامه، فشرفه بالأكل معه، هو وأكابر ولده، ثم طُيِّبوا بعد وضوئهم بخاص طيب الأمير، وأمر فخلع عليه وعلى ولده / من خاصٍ كسوته، ووصله ببدرتين من ألف دينار، ووصل كلا من بنيه بصلات جزلة. فانصرف زرياب عنه يومه ذلك إلى منزله مسروراً مكرماً محبوراً.

١٤٩/ب

وأمر الأمير عبدالرحمن كاتب[٢] الخاصة في هذا اليوم، أن يعقد[٣] لزرياب صكاً بإجراء مائتي دينار راتبًا عليه لكل شهر من شهور الأهلة، وأن يجري على بنيه الذين قدموا معه ـ وكانوا يومئذ أربعة: عبدالرحمن، وجعفراً، وعبيدالله، ويحيى ـ عشرين[٤] ديناراً في كل شهر، لكل واحدٍ منهم. وأن يجرى عليه هو

(١) ص: والأصناع، والأصباغ جمع صبغ (بكسر الصاد) وهو كل ما يؤتدم به من طعام.

(٢) ص: كاتبه.

(٣) ص: يعقدوا.

(٤) ص: عشرون.

من المعروف العام، ثلاثة آلاف دينار، منها لكل عيد ألف دينار، ولكل مهرجان ونيروز خمسمائة دينار، وأن يقطع له من الطعام في المدى بقرطبة للعام الهلالي ثلاثمائة مُدْي: ثلثاها شعير وثلثها قمح، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع حولها ما قُوِّم بأربعين ألف دينار.

فلما قضى له سؤله، وأنجز موعوده، وعلم أنه قد أرضاه، وملك نفسه استدعاه. فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه. وما هو إلا أن سمعه فسحره واستهواه، واطرح كل غناء سواه، وغلب على قلبه بتزيد طيبه، وبراعة صناعته، وحكمة ثِقافِه، إلى حسن مأخذه في خدمته ودقيق معانيه في محاورته. فأحبه حبّاً شديداً، وقدمه على جميع من عنده من المغنين والمغنيات واقتصر[1] عليه. فلم يك يصبر عنه في جميع أوقاته، ولا يسأم من سماعه، حتى فتح له باباً خاصاً، جوفيَّ قصره، إلى جانب منزل زرياب، كان يوصله منه إلى نفسه في غير ليالي الشراب إذا أرق أو خَبُثَتْ نفسه لشيء ينزل بها، فيأنس بحديثه، ويتمتع بغنائه. وإن الباب لمعروفُ المكان، واقعٌ عليه اسمه، مع طَمْسِه إلى اليوم{36}.

وقد صرَّح الفقيه عبدالملك بن حبيب بِغَبْطِ زرياب بجزيل حباء الأمير عبدالرحمن له عند إطرائه إياه، وتمناه لنفسه ثواباً على فضل جِدِّه هو في صناعته، فقال أبياته المشهورة{37}: [السريع]

صَلاحُ أمري والَّذي أبتغي	هَيْنٌ على الرحمن في قُدْرَتِهْ
ألفٌ من الصفر وأقلل بها	لعالِمٍ أزْرَى[2] على بُغْيَتِهْ
زريابُ قد يأخذها قَفْلَةً[3]	وصَنْعَتِي أشرفُ من صنعته

(١) ص: واقصر، واقتصر عليه أي اكتفى به.

(٢) كذا في الأصل، وهي أيضاً رواية الزبيدي، وفي رواية المقري في النفح "أربى"، وهي أصوب.

(٣) القفلة (بفتح القاف) إعطاء الشيء الكثير مرة واحدة.

قال:

وكان زرياب على تصريفه من الحذق بصنعة الغناء، والفهم لدقائق[١] الموسيقى، والاقتدار على تصريفه، والكشف لما غُمَّ[٢] على المتقدمين من دقائقه،[٣] بمنزلة لا يفوقه فيها أحد من أهل صنعته: يخبطون عشواء فيما كُشفَ له هو حجابُه. وقد جمع استنباطه لذلك إلى ما أخذه كابرًا عن كابر. فجاءَ نسيجَ وحده، قد جمع الله فيه ما فرقه في أهل صناعته، حتى ذكر عنه أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة إلى صوت واحد، فكان يهب من نومه سريعًا فيدعو بجاريتيه المحسنتين؛ غِزْلان وهُنَيْدَة تأخذان[٤] عوديهما ويأخذ هو عوده، فيطارحهما ما لُقّن في ليلته، ويكتب لهما الشعر، ثم يعود عَجِلاً إلى مضجعه. فإذا استوى قيامه بالغداة / لم يذكر الشعر ولا لحنه ولا يعرف[٥] من أنساه ذلك لسكره، إذ لم يكن يتلقف ذلك إلا في غمرته، فتخبره قيِّناه تانك، بما يطارحهما منه، فيأمرهما [أن][٦] تغنياه إياه، فإذا فعلتا ادَّكر الخبر، فأخذ عوده، فثقف صنعة الصوت، وكَمَّل لهما ما قَصَّرتا فيه من عمله، فكانتا تسميان ماسِكَتَيْ زرياب. وقد دخلتا بعده إلى القصر لتعليم الجواري. فأشاعتا ثَمَّ بهذا الحديث عن مولاهما بما كان يعتريه من تلك المناجيات[٧]، وصححتاه عنه.

١/١٥٠

وهذا شبيه بما يحمل عن إبراهيم الموصلي، {38} في لحنه البديع المعروف[٨]

(١) ص: لرقائق.

(٢) ص: عم، بغير إعجام. وغم (بالبناء للمجهول): أغمض وخفي.

(٣) ص: ودقائقه.

(٤) ص: يأخذن.

(٥) كلمات مطموسة لتآكل أصابها بفعل الأرضة.

(٦) إضافة يتطلبها السياق.

(٧) ص: المناجاة، وما أثبتناه أوفق للسياق.

(٨) لفظ المعروف مكرر في الأصل.

بالماخوري، من أن الجن طارحته إياه، فطار في الناس يومئذ مطاره، حتى قال فيه الشاعر: {39} [الخفيف]

لا جَــزَى الله الموصليَّ أبا إسـ ـحاقَ خيرًا عَنًّا ولا إحسانا

جاءنا مُرْسَلاً بوحيٍ من الشيـ ـطانِ أغْلَى به علينا القيانا

ووجدت بخط أبي بكر عبادة الشاعر قال:

كان علي بن نافع زرياب المغني شاعرًا مطبوعًا.

قال حيان:

ما إن وجدت هذا لغيره.

وذكر أن زريابًا زاد في أوتار عوده بالأندلس الوتر الخامس الأحمر المتوسط{40}، فاكتسب على الأربعة[١] الأصلية، اختراعًا من لدنه؛ إذ لم يزل العود أربعة أوتار، على الصنعة القديمة، التي قوبلت بها الطبائع الأربع. فزاد زرياب عليها هذا الوتر الخامس الأحمر المتوسط، فاكتسب عوده به ألطف معنى وأكمل فائدة.

وذلك أن الزير صُنع أصفر اللون، وجعل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد، وصنع الوتر الثاني بعد أحمر، وجعل من العود مكان الدم في الجسد، وهو في الغلظ ضعف الزير، ولذلك سمي مثنى، وصنع الوتر الثالث[٢] أسود، وجعل من العود مكان السوداء من الجسد، وسمي البم وهو أعلى وتر العود، وهو ضعف المثلث، الذي تحته الذي عطل من الصبغ، فخُلِّيَ على حسبه، أبيض اللون، وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد. وجُعِل ضعف المثنى في الغلظ؛ فلذلك سُمي المثلث. فهذه الأربعة الأوتار، من العود، بمنزلة المشبه بها من الجسد، أعني الطبائع الأربع[٣]،

(١) كلمة تآكلت حروفها بفعل الأرضة.

(٢) ص: الخامس، والسياق يتطلب ما أثبتنا.

(٣) ص: الأربعة، وما أثبتناه أصح.

وتقابلها فيه باعتدال، أي[1] أن يكون البم وهو بارد يابس يقابل المثنى وهو حار رطب، وعليه تسويته، ويكون الزير وهو حار يابس، يقابل المثلث وهو بارد رطب، قوبل كل طبع بضده، فاعتدل واستوى كاستواء الجسم بأخلاطه، إلا أنه عُطِّل من النفس، والنفس مقرونة بالدم، وقد قيل إنه هي، فأضاف زرياب لذلك إلى الوتر الأوسط الدموي، هذا الوتر الخامس الأحمر، الذي اخترعه بالأندلس، ووضعه تحت المثلث، وفوق المثنى، فقرطس ما شاء، واكتملت في عوده قوى الطبائع الاربع[2]، وقام الخامس الأحمر المزيد إلى الأوسط مقام النفس في الجسد، فاكتمل عمله، وبان فضله.

ومما اخترعه زرياب بالأندلس، من بديع آلاته، أنه اتخذ مضراب عوده من قوادم النسر، معتاضًا به من مرهف الخشب، فأبدع في ذلك جداً، للطف قشر ١٥٠/ب الريشة ونقائه وخفته على الأصابع، وطول سلامة الوتر على طول / مواقعته إياه، وليإذه من خشونة الخشب ومتانته ويبسه. وإذ الريش مقتلع من عضو حيواني معتدل، مع سلامة متنه وخفة حجمه وبصيص لونه.

قال:

وكان زرياب بذاته إحدى عجائب الزمان الذي أوجده، وبخل أن يجيء بشكله، علمًا وأدبًا، وظرفًا، وفهمًا، ومشاركةً في أكثر العلوم، وتفردًا بالغناء العزيز شأنه، الذي لم يك أحد يبلغ مداه فيه، ولا يتعاطاه في الحذق به. فأول ذلك نظره في الهيئة وعلمه بالأفلاك وحركاتها وبالنجوم ومجاريها وتعديل طوالعها، وما تؤذن به من تأثيراتها وأقضيتها واختلاف طبائعها وأهويتها وانشعاب بحارها وأنهارها وتصنيف أممها وسكانها. ثم ما سنح له من فَكٍّ كتب الموسيقى

(١) ص: إلى.

(٢) ص: الاربعة.

على مراتبها ومبادئها ومقاطعها وألحانها ونغمها، مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها وأنقارها، مع التجويد فيها والبراعة بها. وهذا العدد[1] من الألحان، غاية ما ذكره بطليموس، واضع اللحون ومؤلفها مع أن غناء زرياب للمتعلمين كالهندسة للفلسفة، وكالنحو للبلاغة؛ فإنه من أحسن النحو[2] أعانه على تحسين الكلام. ومَنْ أحسن غناء زرياب، ضرب على كل مُغَنٍّ، واتبعه في لحنه بنقره. وكان لأهل الغناء، كالرجز الذي يتمرن الطالب به، ويتشدق به المتفصح.

قال:

وكان زرياب قد جمع إلى كبرى خصاله هذه، الشَّرَكَ في كثير من ضروب الظروف، وفنون الآداب، ولطف المعاشرة، لطبقات الناس. وبراعة التمييز بينهم فيها، والتنزيل في مخاطبتهم لديها. وجرى من آداب المجالسة، وطيب المحادثة، ومهارة الخدمة الملوكية، ومعرفة الأفانين الرياسية، على ما لم يَحُزْه أحد من أهل صناعته، حتى اتخذه أملاك الأندلس، وخواصُّ رجالهم، قدوةً فيما سنه لهم من آدابه، واستحسنه من طيوبه ودُخَنِه[3] وأطعماته، فصار إلى اليوم، معمولاً به منسوبًا إليه.

فمن ذلك أنه دخل إلى الأندلس، وجميع من كان فيها يرسل[4] شعر جُمَّته، من رجل وامرأة، وكانوا يرسلونه مفروقًا وسط الجبين، عامًّا للصدغين والحاجبين. فلما عاين ذوو التحصيل منهم تحذيفه هو وولده ونساؤه لشعورهم، وتقصيرها دون جباههم، وتسويتها مع حواجبهم، وتدويرها إلى آذانهم، وانسدالها إلى

(١) ص: العود.

(٢) الكلمة مطموسة لتآكل حروفها.

(٣) الدُّخَن جمع دُخْنَة، وهي ما تُطَهَّر به الثياب من أنواع البخور.

(٤) ص: يرسل فيها.

أصداغهم، حسبما عليه اليوم الخَدَمة الخِصيَة، والجواري الرُّوقة[١] ـ هوت إليه لعبيدهم[٢]، واستحسنوه لفتيانهم وإمائهم، فنقلوهم إليه وأخذوهم به، واستمر تحذيفهم إلى اليوم عليه.

ومنه [مِمَّا][٣] سنَّه لهم، استعمال المرتك {4I} المتخذ من المُرْداسَنْج لطرد ريح الصُّنانِ من مَغَابِنِهمْ[٤]، ولا شيء يقوم مقامه في ذلك، وقد دخل الأندلس وما بها أحد يستعمله، إنما كان يعتمد ملوكها وذوو المروات من خواصها في نفي ذلك عنهم على ذَرورِ الورد وزهر الريحان، وما شاكل ذلك من ذوات القَبْضِ والبرد، فيقل غناؤه عنهم، ولا يسلمون معه من وَصْمِ أثواب شِعارِهم لصبغه ما يلي منها آباطهم مع بقاء النسيم[٥] عليهم ومُحادثّته لِما يستعملونه من عطرهم. فهداهم إلى هذا المرداسنج،[٦] ودلَّهم على تصعيده بالملح وتبييض لونه، فلما جربوه أحمدوه جداً، وحسم الصنان جداً، ولم يَصِمْ لهم ثوبًا ولا كدر عليهم طيبًا. فسلكوا سبيله في استعماله / واستحسنوا فيه اختياره، مع خفة مئونته عليهم وتمكن وِجْدانِه لهم، فَبَدَّوهُ في تطييبهم لأغراضهم وتركوا ما سواه إلى وقتهم.

١/١٥١

(١) الروقة: الفائقة الجمال من الغلمان والجواري.

(٢) ص: لعبدتهم.

(٣) إضافة يتطلبها السياق.

(٤) الصنان: النتن والريح الكريهة. والمغابن جمع مَغْبِن، وهو الإبط وباطن الفخذ.

(٥) النسيم هنا العَرَق.

(٦) المرتك المتخذ من المُرْداسنج فارسي معرب لم يعرف الجواليقي أصله في الكلام القديم، وهو يعمل من الرصاص والفضة، ومنه الذهبي وهو اجود أصنافه. وهو دواء يجفف كما تجفف الأدوية المعدنية والحجرية والأرضية. وقد وصفه داود بن عمر الأنطاكي في تذكرته بإسهاب وشرح كيف يصنع، وتحدث عنه البيروني في كتاب الجماهر في معرفة الجواهر (ط حيدر آباد ١٣٥٥هـ) ص ٢٥٩. (انظر المعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي، بتحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩م ص٣٦٥ والحاشية رقم٢).

قـال:

زرياب أول من اجـتنى بقلة الهِلْيُونِ، المـسماة بلسـانهم الإسْفَرَّاج{42}، وهي كثيـرة بصحاريهم، ما إن منها بستـانية مزدرعة، كحـالها ببلد المشرق، ووقع هو عليهـا عن معرفة، فـأكلها وأطعمهـا، ولم يكن أهل الأندلس قبله يعرفـونها ولا يجتنونها. فـذكر أنه دعا بعض أشرافهم من رجال السـلطان يومًا، فطعم عنده ما عرف بين أطعمـة بلده، إلى أن قدم إليه آخر طعـامه هليونًا سليقًا مـحكم الصنعة مُوَفَّى الأصباغ المستفادة، فأنكره الرجل وقبض يده عنه، وزرياب يدعوه إليه ويمعن الأكل منه، ويلزمه إسعاده عليه.

فلما أن ذاقـه الرجل استطابه، فضـايق زريابًا فيه، وسـأله عن بقلته، ومن أين هي؟ وقـال لـه: مـا أكلت قط بقلة ألذَّ منهـا!! فـقال لـه زرياب: فكيف بك لو أكلتهـا مُصَـرَّفةً مع اللحم ومُدَبَّرةً بوجـوه الصنعة؟ لازددت كلفًـا بها، فـإنها مع لذاذتـهـا جمـة المنافع تدر البول وتنقي الإحليل، وتـفتت الحصـاة، وتنقي المثانة، وتعدل الأخلاط، وتزيد في البـاه. فقال له الرجل: فأرشـدنا إلى مكانها - أعزك الله - كيما نشـخص فيها ونُثَامِنَ في شرائها. فـقال له زرياب: قد أغناك الله عن تجشـم[١] ذلك، إذ أكـثرها وأطـابها، وأوسع على الـناس فيـهـا، فهـا هي لك ولجميعهم معرضة نابتة[٢] في الفحوص تكتفي[٣] باجتنائها فأرسل من يأتيك بها.

قـال:

فشهرت هذه البقلة يومئذ عند الناس، واتفقوا على تفضيلها، وطلبوها لأوانها، واشتركت خاصتهم وعامتهم في اجتنائها إلى اليوم.

---

(١) ص: تجـيم.

(٢) ص: بائتة، وهي تحتمل وجها من القراءة لا بأس به إذ تعني ظاهرة، غير أن ما أثبتناه أوفق للسـياق.

(٣) ص: لا تكتفي، وأداة النفي تبدو هنا زائدة.

وكان مما اخترعه زرياب بالأندلس من ألوان الطبيخ الذي اقتدى الناس به فيها إلى اليوم اللون المسمى عندهم بالتفايا، المقدم لديهم على جميع الألوان المُبْدَى[١] به قبل سائر الطعام{43}، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة، ولا لون أعدل منه في الصنعة، ولا أوفق لجميع الأمزجة بفتوى الأطباء، عقله أهل الأندلس، فلا تخلو لهم منه مائدة، ولا تقدم لديه قبله قصعة، وله عندهم خبر معروف، وعهد مألوف، لا يحيدون عنه بحال البتة.

ويليه عندهم لون البقلية، المنسوبة إلى زرياب{44}، إلا أنهم لم يلتزموه التزامهم للتفايا، إلى ما ينسب إلى صنعة زرياب من ألوان الطبيخ المقدمة في مطبخ السلطان على موائد الخاصة من الثرائد الملينة الملونة البديعة، والبوارد المطيبة الرفيعة، والمدققات المدسوسة في الأشربة، من خفائف اللحم، ومطايب الأطيار، وأصناف الحلو السكرية والعسلية من الجوزين واللوزين والقطائف المحشوة والفوانيذ[٢] الرطاب والصلبة، ومعقدات السكر المصعدات للتصوير المتخذات للأنقال والمحشوات[٣] بالفستق والبندق وغيرها من رقائق الحلو الملتذة{45}، إلى أنواع الجوارشات والمربيات المدبرة بالأفاوية المفتوقة بالطيوب المصلحة للمعد الهامعة للأبخرة، كان زرياب المثير لذكرها بأرض الأندلس والهادي إليها والواصف لها، وبه اقتدى أهلها فيها، ومن عنده اقتنوها: يرتقون / ارتقاءه في عَلِيِّها، وينحطون انحطاطه في دَنِيِّها، حتى لاتبعوه في صنعة باقلائه[٤] المنسوب حتى الساعة إليه، واستحسنوا صنعته في قلوه، إذ كان يتقدم في تلطيفه بين يدي قلوه ببله وعمله،

١٥١/ب

(١) المقصود هنا المبدوء.

(٢) ص: الفواليذ، وهي تحمل وجهًا مقبولاً حين تكون جمعًا للفظ فسالوذ أو فالوذج، على أنني أرى الأصح أن تكون «الفوانيذ» جمع فانيذ.

(٣) ص: والمجسدات.

(٤) ص: ما قلايه. يشير كورنيتي إلى نص ابن هشام اللخمي في كتابه «المدخل إلى تقويم اللسان» (تحقيق خوسيه بيريث لاثارو، مدريد ١٩٩٠)، إذ ورد في هذا الكتاب (ص ٣٢١): «ويقولون للفول المقلوّ المملوح الزرياب، والصواب الزُّرْيابيّ، منسوب إلى زرياب غلام إسحاق الموصلي؛ وهو أول من=

ثم يقلوه في مقلى فخار بأضعف نار، فيسلم من قوة اليبس، ويحتوي على سطة اللحم مع طيبة الطعم، استحسنه الناس وفضلوه على صنعتهم القديمة فيه، الحاملة في القلو على وجهه الزائدة في فعل قشره وقوة يبسه، فنبذوا فيما بعد صنعتهم تلك، وآثروا صنعته.

وصار من اختراعه بالأندلس أيضاً واختياره في الآلات، تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة، وإيثاره افتراش أنطاع الأديم اللينة الناعمة، على ملاحف الكتان المجانس المستشعرة في الأسِرَّة، واختراعه أيضاً صُفَر[1] الأديم لتقديم الطعام فيها على الخُوَن الخشبية على ما تتفاضل فيه الخون من جمال الحلية: يرى أن انتصاب ذلك في سطوحها أعقل للوضوء فيها وأطلق للدرن بها، وأن جميع ذلك ينزل على الأديم بأقل مسحة[2]، فلا تدرن له صفحة. ذلك، إلى ما له في باب الطيوب، والعطور، من فضل الاختيار ولطف الصناعة، وبراعة التأليف، وحسن الخلقة، في الغوالي والندود ومُطَرَّى العود واللقائف والذرائر وغير ذلك، مما لم يكن كثير من الخاصة يعرفونه، ومن عرفه من الملوك لا يحذقونه، نهج هو سبيله، وتمم نقصه، فاتبعه فيه من بعده.

إلى ما له في أبواب اللباس، من التفصيل والتحديد،[3] الذي جعل به لبس كل جنس منه في فصله الذي يشاكله، وقّت له زمانه، الذي لا يليق إلا به. فإنه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم الملون من يوم مهرجان أهل

= اتخذه فنسب إليه». وقد نبه كورنتي إلى ذلك في كتابه «**الشعر المكتوب باللهجة العامية العربية والعجمية في الأندلس**»:

Poesia dealectal arabe gramance en Alandalus, Gredos, 1998, p. 229.

(1) الصُفَر جمع صفرة (بضم الصاد وسكون الفاء) وهي في لغة عامة أهل الأندلس السُّفْرة (كما نص على ذلك ابن هشام اللخمي في **المدخل إلى تقويم اللسان** ص ٢٨٢) والسفرة هي المائدة وما يجعل عليها من طعام.

(2) ص: منحة.

(3) ص: والتحدير.

البلد المسمى عندهم العنصرة الكائن في ست من آخر يونيه الشمسي من شهورهم الرومية{46}، فيلبسونه إلى أول شهر أكتوبر الشمسي منها ثلاثة أشهر متوالية، ويلبسون سائر السنة الثياب الملونة. ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الخريف[١] من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع[٢] التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر، التي ينتقلون منها إليها لخفتها وشبهها بالمحاشى ثياب العامة المبطنة المحشوة في التلوين خاصة، كيما تختلف بالناس حال لبوسهم عندما يعرض في آخر الزمان من اضطراب الهواء بهم واختلافه بالبرد والحر والمطر والصحو عليهم إلى أن يصفو[٣] لبسه ويصقل، فيجمع على لبس البياض جماعتهم.

وكذلك، رأى أن يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف، المحاشي المَرْوِيَّة {47} والثياب المضمنة[٤] وما شاكلها، من خفائف الثياب الملونة، وذات الحشو والبطائن اللطيفة؛ وذلك عند قرص البرد في الغدوات، إلى أن يقوى البرد، فينتقلوا إلى أثخن منها من الملونات الوثيرات، ويستظهروا من تحتها متى احتاجوا بصنوف الفراء والأوبار المدفئات. فاستحسن الناس كل ذلك من تحديد زرياب، ورأوه صوابًا استمروا عليه إلى اليوم، كما استمر كل مُغَنٍّ افتتح الغناء بطريقة نفسه، على الابتداء بالنشيد أول شدوه / بأي نقر كان، ويأتي بالبسيط إثره، ويختتم بالمحركات والأهزاج، بما رسم زرياب لهم، لم يتعهدها[٥] أحد منهم إلى اليوم.

١٥٢/أ

(١) ص: الربيع والسياق يقتضي التصحيح.

(٢) الدراريع جمع دراعة (بضم الدال وتشديد الراء): جبة مشقوقة المقدم.

(٣) ص: يصفر.

(٤) كذا في الأصل، وقد تكون «المُصْمَتَة» أي غير المحشوة. انظر التعليق رقم ٤٧.

(٥) كذا في الأصل، والعبارة تبدو مناقضة لما قبلها، ويظهر لي أنه سقط منها شيء ولعل تمامها «لم [يُخِلَّ] بتعهدها أحد...».

وكان زرياب، إذا تناول الإلقاء على تلميذه، أمره بالقعود على الوسائد المدورة، المعروفة عندنا بالمَسْوَرَة[1] لابد منها، وأن يشد حبوتها جداً، إذا كان قوي الصوت. فإذا كان لينه، أمره أن يشد على بطنه عمامة؛ فإن ذلك، مما يقوي الأسر، ويعصر الصوت، ولا يجد متسعًا في الجوف عند الخروج على الفم. فإن كان ألَصَّ[2] الأضراس لا يقدر أن يفتح فاه أو كانت عادته زَمَّ أسنانه عند المنطق، راضه بأن يدخل في فمه قطعة خشب عرضها ثلاثة أصابع يبيتها في فيه ليالي حتى ينفرج[3] فكاه، فيحسن مخرج الصيحة من فيه. وكان إذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت، المراد تعليمه من غير المطبوع، أمره أن يصيح بأشد صوته "يا حجَّام" أو يصيح "آه" ويمدَّ بها صوته، فإن سمع صوته بها صافيًا نديًا قويًا مؤديًا مطبوعًا لا تعترضه غُنَّةٌ، ولا حُبْسة، ولا ضيق نفس، عرف أنه سوف ينجب، وأشار بتعليمه والصبر عليه. وإن وجده على خلاف ذلك أبعده ولم يشر بالتعب معه. وأخباره في معاني صناعته وحكمة تدبيرها أوسع مما اجتلبناه، فاكتفينا بهذه اللمعة منها.

قال:

وكان لزرياب من ذكورة الولد ثمانية، وهم: عبدالرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد الملقب بالقنلية[4] وقاسم وأحمد وحسن[5]، وثنتان من البنات:

---

(١) المَسْوَرة (بفتح الميم) في لغة عامة أهل الأندلس مُتَّكأ من أدم (جلد) يبدو أنهم كانوا يتخذونه مدوّرًا، وهي لغة سجلها ابن هشام اللخمي في المدخل إلى تقويم اللسان (ص٣١٤) وصواب ضبط اللفظ "المِسْوَرة" بكسر الميم، واشتقاقها من سار يسُور أي ارتفع، وإنما سميت كذلك لعلوها وارتفاعها.

(٢) الألصُّ هو من به لَصَص (بفتحتين) وهو تقارب ما بين الأضراس حتى لا يرى بينها خلل.

(٣) ص: ليال حتى تفرج.

(٤) ص: بالقلنيه، فصححناه بما أثبتنا، فهو نبز باسم هذا الحيوان الذي عرفه المقري في نفح الطيب (١٩٨/١) بأنه "حيوان أدق من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبرًا" وكان يطلق عليه بعجمية الأندلس Conelio، وبإسبانية اليوم Conejo ويقصد به الأرنب الأهلي.

(٥) ص: وحسين، وما سيرد بعدُ يقتضي تصحيح الاسم.

حمدونة وعلية. كلهم غنوا ومارسوا الصناعة، فاختلفت بهم الطبقة، فكان أعلاهم فيها وأحذقهم بها عبيد الله، وكانت له صناعات في الألحان، واختراعات في الإتقان، أعجبت أباه جداً، فأثنى عليه بها، وكان كثيراً ما يعارض أباه وإخوته في بعض ما يصوغونه من لحن أو يخترعونه من نقر، فيأخذ بهم في غير طريقهم، فإذا أنكر عليه ذلك أبوه، حاكمه إلى إنصافه، ولجأ من الإفساد إلى إصلاحه، وغناه الصوت الذي أحاله عليه، فيقول له عند ذلك: إن كنت أبدلته فقد أحسنت فيه.

وكان يتلوه في الطبقة من إخوته عبدالرحمن، فكان مغنيًا مجودًا، لكنه أُبتلي من فرط التيه وشدة الزهو، وكثرة العُجْب[1] بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه، ولا يُتمكن معه من التلذذ بسماعه. وقل ما يسلم مجلس حضره من كدر يحدثه. وكان يأخذ نفسه بمآخذ أعاظم الملوك في مركبه وملبسه، ولا يزال يجترئ على الملوك ويستخف بالعظماء، فيبدع بما يجيء به.

ولقد حمله سخفه[2] أن حضر يومًا مجلس بعض الأعاظم، في أنس قد طما به سروره، وكان صاحب قنص، تغلب عليه لذته، فاستدعى بازيًا عتيقًا له كان كلفًا به، مشفقًا عليه كثير التعهد له، فأُدني إليه، وجعل يمسح أعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لنشاطه، فسأله عبدالرحمن أن يهبه له إثر إطرافه إياه، فاستحيا من رده، وأعطاه إياه مع ضنّه[3] به، فدفعه عبدالرحمن إلى غلامه ليعجل به إلى منزله، وأسرَّ إليه بسر لم يطلع عليه من حضره، فمضى لشأنه ولم يلبث / أن جاءه بطيفورية مغطاة، مكرمة بطابع مختوم عليها، ففضه، فإذا به لون مَصُوص[4] قد

١٥٢/ب

(١) ص: التعجب، والعجب هو الزهو.

(٢) لفظ مطموس بسبب ما أصابه من تآكل الحروف.

(٣) ص: ظنه.

(٤) المصوص (بفتح الميم) اللحم ينقع في الخل ثم يطبخ.

اتخذ لـه من البازي بعد ذبحه على ما حده لأهله، وذهـب إلى الانتقال عليه، وقال له: شاركني يا سـيدي في نقلي هذا، فـإنه شريف المركَّب بديع الصنعـة. فلما رآه الرجل أنكر صفته[1] وعاف لحمه وسأله عنه، فقال لـه: هو البازي الذي كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه قد صيَّرته إلى ما ترى. فغضب صاحب المنزل حتى ربا في أثوابه وفارقه حلمه، فقال له: قد كان والله أيهـا الكلب الـسفيه عندي على ما قَدَّرتُه، وما اقتديتُ فيـه إلا بكبارِ الناس المؤثرين لمثله، وما أسعفتُكَ به إلا مـعظمًا من قدرك ما صَغَّـرْتَ من قدري، وأظهـرت من هواني وهوان السنة عليك، باستـحلالك لسـباع الطير المنهيٌ عـنها. ولا أدع والله تأديبك إذ أهملك أبوك مـعلم الناس المروءة! ودعا لـه بالسوط، فأمر بنزع قلنـساته، وساط هامته مائةً وافية. استحسن جميع الناس فعله به، وأبدوا الشماتة به. وما إن كسر ذلك من غلوائه {48}. وكان إذا حضر عند ذي سلطان أو مقـدم في شرف المنازل لم يتعـاط أحد أن يأخذ عليـه شرف المجلس، إذ يجلس في صـدره مدة حضوره له. وله في ذلك أخبار طويلة.

وكان محمد منهم مؤنثًا مغـموزاً، ومن طبقتهم غناءً على نزارةِ صناعته. وكان قاسم أكثرهم غناءً مع تجويده لصنعته، وأكثرهم تعليمًا لما عنده وأفشاهم، وكذلك جعفر ويحيى.

فأما أحمد وحـسـن فكانا مقلين جداً، فما سمعت أحـداً نقل عنهما إلا قليلاً، لكن أحمد منهما كان شاعراً، غلب عليه قول الشعر، فكان فيه محسناً.

وقرأت بخط أبي [بكر][2] عبادة:

أحمد بن زرياب كـان من بين ولد أبيه زرياب، أديبًا شاعراً مطبـوعًا، قد غنى إخوته بكثير من شعره.

---

(١) ص: صفقته.

(٢) ص: أبي عبادة، فأتممنا كنيته.

[و] كانت أختهم حمدونة بنت زرياب، مغنية متقدمة في أهل بيتها، محسنة لصناعتها مقدمة على أختها عُلَيَّة. وكانت أختها علية، تتلوها في صناعتها، وطال عمر علية حتى لم يبق من أهل بيتها غيرها، فافتقر الناس إليها وحملوا عنها.{49}

وقرأت بخط عبادة الشاعر قال:

تزوج الوزير هاشم[١] بن عبدالعزيز، الأثير عند الأمير محمد بحمدونة بنت زرياب{50}، وكانت نهاية في الحذق بالغناء، وسبَّع[٢] بها، فكتب إليه أحمد بن فرج الكاتب: {51}: [الطويل]

أبا خالد لازِلْتَ من سَبْعِك[٣] التي ... حَجَبْتَكَ في نعماءَ مُونقةِ الزَّهْرِ[٤]

هَنَتْكَ ولازالت تُواتِرُ حفظَها ... ولازلت فيها مُلْهَمًا[٥] أبلغ الشكر

فقد حَجَبْتَ عنا المكارمَ والندى ... وزحزحت الإشراقَ عن ساحةِ القصر

ويهني التي في الخِدْرِ أن ضَجيعَها ... لها خَلَفٌ في الخدرِ من شَبَهِ البدر

أبا خالدٍ دُمْ في محلٍّ كرامةٍ ... مُنَعَّمة[٦] لا تنقضي آخرَ الدهر

فما صحب الأيامَ مثلُكَ صاحبًا ... أبرَّ بمعروفٍ على اليسرِ والعسر

١٥٣/أ / قال:

وكأن مما شهر في النقل عن زرياب، والحذق بصناعته، جواريه الثلاث[٧]: غزلان، وهُنَيْدة، وهما ماسكتاه المتقدمتا الذكر، وصاحبتهما عُتْبَة، اللواتي[٨]

(١) ص: هشام.

(٢) سبَّع أي قضى معها سبعة أيام محتجبًا عن الناس.

(٣) ص: شمعك.

(٤) ص: زهر.

(٥) ص: ملهي.

(٦) ص: منمنمة.

(٧) ص: الثلاثة، وما أثبتناه أصوب.

(٨) ص: واللواتي.

غنين في طريقته في هَزَج المدني، وكن يعرفن بالمدنيات، ولا أدري أله كُنَّ فاختصهن بهذه الطريقة، فعرفن بها أم جُلِبْنَ إلى السلطان من المدينة فنسبن إليها. لكنهن كن جُمِعْنَ[1] في قصر زرياب. وهن: نور، وعطر، وسبا، وخجل، ومخارق، ورهبان، ومعللة، ومختالة، وخلاته، ومتيم، وغليب، وبذل، وفضل، وشرف، وأهيف، وظلل، وفوز، وراحة، وريا، وملك، وصبح، وشان، ورضوان، وهمام، وحلحل، وأمل، وذيل، ونشر، وبدعة، وبزيع، وعاج جارية هاشم بن عبدالعزيز التي أهداها إليه زرياب، وهي من المقدمات في النقل عنه والحذق بصناعته، وطروب، وورد الكبرى، والطالبية ولا أعرف اسمها.

وكانت شنيف جارية لزرياب عُمِّرت بعده طويلاً. فلما اضطرب المغنون في غنائه، واختلفوا في كثير منه، احتاجوا إليها، واقتبسوا منها، وسمعوها فوجدوها أقدم[2] طريقة فيه وأصح نقلاً له، فسموها الإمام، وانثالوا على الأخذ منها، ورجعوا فيما أشكل عليهم إليها. وكانت لها بعد نظيرة تلقب بالكرش وكان اسمها ورد، وكانت جارية لبعض أكابر قريش، كانت لها صناعة حسنة، حمل عليها[3] كثير من غناء زرياب وقُوِّم بِثقافها، إلا أن معظمه كان في الأهزاج.

وكان قد برع في طرائق زرياب، بعد مضي ولده، ثلاث جوارٍ كن لابن قلقل[4] العامل الوجيه، هن مصابيح{51}، وغلام، ووصيف، أخذ كثير من مجودات القيان عنهن.

قال:

(١) ص: جمع.

(٢) ص: كذا، وليس بهذه القراءة بأس، غير أني أرى "أقوم" أوفق للسياق.

(٣) كذا، وربما كانت "عنها" أصوب.

(٤) كذا ورد الاسم، وسماه المقري في النفح (٣/ ١٣١) أبا حفص عمر بن قلهيل، ولسنا نعرف أي الاسمين أرجح.

وقد كان في زمان زرياب بالأندلس، جماعة من المغنين في غير طريقه، منهم الحسنان القَرَوي والحِلّي، ومنصور اليهودي. وكان السلطان يجري عليهم من الرزق لكل شهر عشرة دنانير لكل واحد، فلما أتى زرياب وسمعوا من غنائه هان[١] عليهم ما عندهم، وسألوا زريابًا أن يعلمهم، ليرجعوا إلى طريقته، فعذَّر في تعليمهم[٢] ضناً بصناعته، فلم ينقل عن[٣] أحد منهم صوت مثقف من غناء زرياب، إلا ما كان من منصور اليهودي وحده، فإنه كانت له به خاصة أزلفه بها، فاجتهد في تعليمه، وكان فهمًا لبيبًا مجود الأخذ عن زرياب، وحمل عنه كثيراً من غنائه في كل طريقة.

قال:

وتعداد المغنين الحاملين لطريقة زرياب من الرجال والنساء، ما بين عصره والعصر الذي ألف فيه هذا الكتاب، يشق ويبعد عن الاستقصاء. والإحاطة لله وحده.

وقرأت في كتاب أبي بكر عبادة الشاعر قال:

ذَكَرَ لي جماعة مشيختنا أن أول من دخل بالأندلس من المغنين عَلُّون وزِرْقون. يقال إنهما دخلا في أيام الأمير الحكم بن هشام، فنفقا عليه، وكانا محسنين، لكن غناءهما ذهب اليوم ولم يستعمل، لغلبة غناء أبي الحسن زرياب البغدادي الداخل بعدهما على[٤] الصنعة بالجملة، وزهد / من جاء بعد هذين المغنين في تقلد صنعتهما في هذا الزمان إلا يسيرًا، مما[٥] شاركهما فيه زرياب الداخل بعدهما، فعزي إليه دونهما وباد غناؤهما البتة{52}.

١٥٣/ب

---

(١) ص: هان.

(٢) ص: فعذر في تقليدهم، فصوبنا العبارة بما ترى، وعذَّر (مضعّفًا) يعني تكلّف العذر ولا عذر له، والمقصود أنه امتنع من تعليمهم متكلفًا من الأعذار ما لا يصح.

(٣) ص: على.

(٤) ص: عن.

(٥) ص: ممن

قالوا:

ودخل الأندلس أيضًا في ذلك الصدر من المغنيات، ثلاث قينات محسنات: مختالة، ومخارق، ومعللة، وكن سمرًا مدنيات قيمات بالصنعة، أدخلن إلى القصر، فعلمن النساء. وأجرى الأمير عبدالرحمن ذكرهن لأبي الحسن زرياب عندما غلب عليه استحسانه. فسأله زرياب، أن يسمعه إياهن باديات له، ففعل ذلك في مجلس[1] أنس عقده بالمبارك، فغنين تسعة أصوات أجدن فيها، وارتاع لها الأمير، وزرياب مطرق لا يبدو منه استحسان. فلما أن فرغن أخذ زرياب العود، فغنى تلك الأصوات في نوبة واحدة على غير تلك اللحون والصناعات، فأعجب بها الأمير جداً، وأحدثت[2] له هزة أسقطت عنه الطرب، وأثنى على زرياب، وقال له: فإن هذا نوع ما سمعناه منك إلا وقتنا هذا. فقال له زرياب: ومتى ترى أُنْفِدُ كل ما عندي؟ وإنما أتنخَّل وأتوسم، وأطلب مشاكلة الأوقات بطباقها من الأصوات. فقد أدخلت إليك تسعة آلاف صوت محصلة مثقفة لم أُبثَّ منها[3] إلى الآن إلا مقدار ثلاثة آلاف. وقد ذهب عني الكثير مما بقي، إلا ما يبعث عليه الذكر. وعلى ذلك فقد والله أحسن هؤلاء الإماء فيما تقلدنه، فلا تخيبهن من إحسانك. فأعجبه إنصاف زرياب وتزيد عنده حظوة، ووصله بصلة جزلة، فشمل بها قيانه المدنيات، وكملت له في يومه المسرة.

قال:

وذكر أبو الحسن زرياب قال: أمر الخليفة الرشيد إبراهيم بن ميمون الموصلي، أن يعد له أصوات الغناء، ففعل واجتهد، فبلغ أربعة آلاف صوت. فأمر أن يتخير له منها مائة صوت، ففعل وانتقى. ثم أمر أن يتخير منها خمسين، ثم عشرة، ثم خمسة، ثم ثلاثة اقتصر عليها{53}، غناها زرياب في أكمل صناعة، وكان يسميها

(١) ص: مجلسه.

(٢) ص: وأخذت.

(٣) ص: بها.

النوبة اليتيمة، وهي: [البسيط]

القصرُ والنخلُ والجَمَّاءُ بينَهما أشهى إلى القلبِ من أكناف جَيْرونِ {54}

آخر: [الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لما جَهِدتُهُ وبيَّن لو يَسْطيعُ[1] أن يتكلَّما {55}

آخر: [الكامل]

يا دارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تكلَّمي وعِمي صَبَاحًا دارَ عَبْلَةَ واسْلَمي {56}

قال:

وقدم زرياب إلى الأندلس في ريعان شبابه، فأبلاه فيها، وتوفي بها سنة ثلاث وأربعين ومائتين في خلافة الأمير محمد بن عبدالرحمن. فدفن بمقبرة الربض، فقبره بها مشهور، في حافتها بأولها، مما يلي الغرب على يسار المار بطريق القنبانية، خلف السبيل المعترض لذلك الطريق. وكانت سِنُّهُ سبعين سنة وشهورًا زائدة{57}.

وقرأت في كتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي المؤلف في طبقات الأدباء بقرطبة قال:

كان عبدالله بن الشمر بن نمير، الشاعر المنجم نديم الأمير عبدالرحمن بن الحكم الأثير لديه ـ كان مليح المسامرة، حار النادرة، إذا عنَّت[2] لم يصرفها على حال، وكان كثير التولُّع بأبي الحسن زرياب كبير المغنين / عند الأمير عبدالرحمن، وألطف الناس لديه منزلة، وكان يكثر التعريض به، والتطييب فيه، حتى آسفه إكثاره عليه، وشكاه إلى الأمير عبدالرحمن، فأمر بسجنه استرضاءً لزرياب. وأقسم بالله لا يطلقه حتى يكون زرياب الذي يطلقه. فمكث في السجن مدة، حتى ركب بعضُ من أهمَّهُ خبره من أكابر الوزراء إلى زرياب شافعًا له، وقال له: والله يا أبا الحسين

١/١٥٤

---

(١) ص: يستطيع.

(٢) ص: غنت، وعنَّت: عرضت.

إنك لتعلم أن الأمير سيدنا مُنَغَّصُ السرور بمغيب ابن الشمر عن مجلسه، لا يتم له التذاذٌ إلا بقربه. وأمر تكوبه منوطٌ بك، فلو رأيت حله من ذلك لرشدت وسررت جميعنا، ففيما ناله من عقاب الأمير فيك تأديب له ولا يعود معه إلى مساءتك. فتقبل زرياب شفاعة الرجل، وركب إلى الأمير عبدالرحمن، فشفع لابن الشمر عنده، وأطلقه إلى منزله، وأعاده إلى منزلته من مجالسته وحسن رأيه.

فلم يطل الأمد حتى ركب الأمير عبدالرحمن في خاصته إلى الرُّصافة، فأصعد من هناك إلى سفح الجبل يطلب صيد العقاعق، فحمل باشقًا له على كفه ماهراً بصيدها، فأعيا عليه وِجْدانها، وحرص على الظفر بشيء منها فلم يُتَحْ له. حتى قال لأصحابه: من جاءني بطيرٍ منه فله حكمه. فتقدم إليه ابن الشمر يركض، فقال له: أيها الأمير، لا تَتْعَبَنَّ بطلب عقعق، فهو ذلك بقربك! قال: وأين تراه؟ قال: زرياب يطلي استه وإبطيه[1] بقليل شرار، فيجيء عقعقًا لا تنكره! فاستفرغ الأمير ضحكًا من قوله، وقال لزرياب: هذا يدلك على أن المزاح والترقيع خُلُقٌ قد غلب على ابن الشمر، لا يثنيه عنه رَغَب ولا رَهَب. فما الذي تراه؟ فقال له زرياب: هو ما قاله سيدنا. وأنا أشهد الله ومن حضرنا ألا أُعَدِّدَ عليه شيئاً، فليقل ما بدا له. وسلما فيما بعد على[2] الاستصحاب وحسن المعاشرة.

---

(١) ص: وإبطاه. وطائر العقعق من الفصيلة الغرابية على قدر الحمامة، وهو ذو لونين أبيض وأسود (انظر **حياة الحيوان الكبرى** لكمال الدين محمد بن موسى الدميري، القاهرة ١٩٧٨، ٢/ ٦٧). ومن هنا جاء تشبيه ابن الشمر الساخر لزرياب الذي كان قاتم السواد بالعقعق إذا طلى مؤخرته وإبطيه بمادة بيضاء. ولفظ «شرار» الوارد في النص هو الذي يعني هذه المادة التي تحيل السواد إلى بياض. ولم يتوجه لنا رأي في تفسير هذا اللفظ، فتركناه على حاله. ويرى كورنيتي أنه قد يكون محرفاً عن «شيراز»، وهو ـ كما في القاموس المحيط ـ اللبن الرائب المستخرج ماؤه، وجمعه شواريز وشراريز، واللفظ فارسي الأصل يعني الذي يتطلب كثيراً من اللبن. (انظر **معجم كورنيتي للغة العربية في كلام الأندلسيين**، ليدن ١٩٩٧، ص ٢٩٧، النهر الثاني)، وفيه شواهد على هذا اللفظ من المعاجم الأندلسية وكتب أمثالهم القديمة.

(٢) ص: عن.

وأنشدنا القاضي أبو الوليد بن الفرضي لعبدالله بن الشمر في زرياب، ولزرياب فيه غناء: [الخفيف]

يا عليَّ بْنَ نافعٍ يا عليُّ ... أنت أنت المهذب الهِبْرِزيُّ
أنت في الأصل حين تسأل عنه ... هاشميٌّ وفي الهوى أُمَوِيّ {58}

وله في ذكر زرياب، في شعر له، مدح به الأمير عبدالرحمن، بيت هو: [الخفيف]

منه بحرُ السماحِ والشعرُ مِنّي ... وبديعُ الغناءِ من زريابِ

وأنشد القاضي أبو الوليد، لمؤمن بن سعيد الشاعر العِرِّيض، يهجو زرياباً من أبيات، وقلما سلم أحد من هجائه: [الطويل]

شكوتُ إليها الشوق لما تحمَّلوا ... شِكايةَ محزونٍ من البينِ جازعِ
فقالت وحَرُّ البينِ يُجْرِي دُموعَها ... ونارُ الهوى تهتاجُ [بينَ][1] الأضالعِ
ستصبرُ أو تبكي من البينِ مثلَما ... بكى الخزُّ من إبْطَيْ عليٍّ بنِ نافعِ

وقد ناقض عيسى بن [أحمد] الرازي القاضي أبا الوليد بن الفرضي رحمه الله فيما تحامل [فيه][2] عبدالله بن الشمر على زرياب المغني، وتعرضه لمساءته، فنقله إلى ضد ذلك من مخالطته / لزرياب وموافقته، فقال عند ذكره لابن الشمر، ومكانه من منادمته الأمير عبدالرحمن بن الحكم، ومجالسته ومفاكهته والخفوف على قلبه، فقال: ١٥٤/ب

وكان خِلاً لأبي الحسن زرياب المغني، مختصاً به وبصداقته لا يكاد يفارقه، يحوط بعضهما بعضًا في مجلس الأمير، ويرعى غيبه في صاحبه. وكان

(١) ص: يهتاج، و"بين" إضافة تتطلبها صحة الوزن والمعنى.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

ابن الشمر طيب المحادثة، ظريف المجالسة، كثير الفكاهة، مليح الترقيع[1]، حار النادرة، لا يصبر عن إرسالها متى سنحت فيمن قابله من الخليقة، وكان يباريه في بابها ويُماضُّه[2] في نوازعها علي بن نافع زرياب المغني، وعبدالواحد بن يزيد الإسكندراني. ولم يك عبيد الله بن قرلمان بالمقصر عما يتعاطيانه[3] من طبعهما، فربما كثرت منهم السقطات التي ينكرها الأمير عبدالرحمن منهم ويسخطها، فنال مسرفهم ابن الشمر بضرب من الآداب خلالها حتى لحبسه وقتًا لبعض جرائره فيها، فكتب إليه من الحبس: [مجزوء الرمل]

قُلْ لمن أمسى بأرضِ الـ ... ـغربِ للخلقِ ربيعا:

أقِلِ العثرةَ يا مَوْ ... لايَ مولاكَ المَرُوعا

سامَنِي سخطُك ذُلًا ... ونفى عني الهجوعا

ثم غالَ الجَزَعُ الصَّبْـ ... ـرَ وما كُنْتُ جَزوعا

لا يضِقْ[4] لي منك ما قد ... وسِع الناسَ جميعا

---

(١) ص: الترقيع، والمقصود بالترقيع التندر والمزاح.

(٢) يقال "تماضَّ القوم" أي تلاحوا وعضَّ بعضهم بعضًا بألسنتهم.

(٣) ص: يتعاطاه.

(٤) ص: يضيق.

ذكر جلساء الأمير عبدالرحمن بن الحكم وسُمّاره الدانين إليه من شعراء أهل زمانه وأدبائهم ونبذ من نوادرهم وأشعارهم مما خالطه من أخبارهم

عبدالله بن الشمر

منهم، عبدالله بن الشمر بن نمير{59}، وقد تقدم ذكر ولايته، ودخول والده الشمر بن نمير الأندلس، واكتناف السلطان يومئذ له، وإيوائه إلى كنفه. ونَجَلَ ابنه هذا، عبدالله أحوذياً نسيج وحده مجموعًا له من خصال النبل ما فرق في غيره: يضرب في جميع التعاليم قديمها وحديثها بِقدْح ابن مقبل[1] تمكنًا وسعة، إذ كان أديبًا شاعرًا، وكاتبًا ماهرًا، وثبتًا منطيقًا[2] ومنجمًا حاذقًا، وفيلسوفًا قطنًا، وظريفًا مندرًا، ولطيفًا حلوًا. يغلب على قلب من شاهده، فلا يجد عنه متحولاً، له في ذلك أخبار مأثورة.

وقد كان صحب الأمير عبدالرحمن قبل الخلافة، أيام والده الحكم، فاجتباه لخاصته، وأهّله لجلالته. ولما أن صار الأمر إليه من بعد أبيه، وفي بذمته وأدنى مكانه، وألطف خاصته، وأوسع عليه من دنياه، وأنِس به ونادمه وسامره، فكان لا يفارق مجلسه، ولا يبعد عنه، ويتصرف في خدمته في وجوه يتقدم في جميعها، لم يشركه فيها من المنفردين بالضرب الواحد منها، متى استدعى الأمير عبدالرحمن بن الحكم بأقوال الشعراء فيما يتصرف فيه أيامه من فرح وترح جاء سابقًا لهم، أو نزع إلى مطالعة قضايا النجوم فخلا[3] بالحذاق من منتحليها،

(١) ص: ابن نفيل، وقدح ابن مقبل يضرب مثلاً في الإجادة وحسن الأثر. انظر ثمار القلوب الثعالبي ص٢١٨ وديوان ابن مقبل ص٢٨-٢٩.

(٢) ص: منطيقيا، ويحتمل أن تكون "منطقيا" أي عالمًا بالمنطق.

(٣) ص: غيلا.

وجده إمامًا لجماعتهم، أو مال إلى أنس / المنادمة ومطاعمة الفكاهة، ومساقاة خبر الدعابة، أوسعه من كل ذلك غدقًا، وجاش إليه من كل نادرة شاردة، يقصر عنه[1] فيها من كان أرهف لها آلة، له في ذلك أخبار فاشية، ونوادر سائرة. ١٥٥/أ

قرأت بخط عبادة[2] الشاعر قال:

كان عبدالله بن الشمر، قد اتصل بالأمير عبدالرحمن، أيام والده الأمير الحكم، وخص به، وخف على قلبه. وكان قد نظر في مولده ورتب نجومه، وكان أحذق من انتحل علم النجوم، وبشر عبدالرحمن بمصير الأمر إليه من بعد والده. فقوِي طمعه فيه، وضمن لابن الشمر ما تمنى عليه إن صحت بشارته. فلما توكل المقدار بذلك، وصار الأمر إلى عبدالرحمن، أنجز لابن الشمر موعده، وأدنى منزلته، فاختصه واستندمه وتوسع له، فأجرى عليه رزقين: رزقًا للشعر، ورزقًا للتنجيم. وكان مع تفرده بعلم النجوم، وإيغاله في القضاء [بها][3] غزير الأدب، حسن الشعر، حلو المقاطع، سبط البلاغة، جيد الصناعة، لطيف المسالك، كثير التصرف في الشعر، واسع المجال في معانيه، أكثر مديح الأمير عبدالرحمن بالنثر والنظم، وأبدع في أوصاف ما شاهده في مجالسه من الزبرج[4] والحسن.

ولزرياب مغني الأمير عبدالرحمن، في كثير من مقطوعات ابن الشمر في الأغزال والأماديح والأوصاف أغانٍ حسنة رائقة، وذكر ابن الشمر قال: سُرَّ الأمير عبدالرحمن ببعض ما أندر به، فوصله ببدرة دراهم، خرج بها بين يديه وصيف، من خصيان الأمير، ذو لبابة[5]، وهو قد تأبطها، فلما أهوى إليها ابن الشمر

(١) ص: عنها.

(٢) ص: أبي عبادة، وقد يكون تمام الاسم "أبي [بكر] عبادة".

(٣) إضافة يتم بها السياق.

(٤) الزِّبرج الحلية والزينة من وشي وغيره.

(٥) ص: لبانة.

ليقبضها منه، قال له الوصيف سائلاً عن صناعته قال له: أخبرني أين القمر الآن. قال له: تحت إبطك يا سيدي. وتناول منه البدرة، فأضحك من سمعه.

وذكر أنه سره مرة ببعض أماديحه، فقال له: سلني حاجة إن كانت لك، فإني مسعفك بها وإن اشتططت، فغدا عليه بشعر مطول يقول فيه: [الهزج]

إذا ما كان لي غَلَّـ (م) ـةُ دينارين في الشهرِ
أمَرْتُ اليُسْرَ أن يضر بَ ألفًا في قفا العمر
فيا أكرم من يمشي من الناس على العَفْرِ
ويا أمضى إذا ما همّ (م) من ليث أبي أَجْري[1]
أجبني بنعم منك تُبَلِّغْني إلى الوفْر
فما ضرك تحويلـ ـي من عُسْرٍ إلى يسر
فإني أهلُهُ منك لما تعلم من شكري

فأسعفه بمسألته، وإنما سأله حانوتين للسلطان كانا قرب داره بربض شَبُلار خرجهما ديناران في الشهر.

قال:

وكان عبدالله بن الشمر أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، يجتنب زيارة الأمير الولد محمد بن عبدالرحمن كبير ولده المرشح لموضعه، ومواصلته على تشيُّع مشهور كان له قديمًا فيه حذارًا[2] من نصر الخصي، الذي كان غالبًا على الأمير عبدالرحمن آخر دولته ومحتويًا على سلطانه، لنصب نصرٍ لمحمد - كان - وانحرافه عنه وتشيعه لعبدالله بن طروب أخيه، ومظاهرته لوالدته طروب الغالبة - كانت - عليه / من حظاياه[3]. ولها في ذلك حديث مشهور - حتى إذا هلك ١٥٥/ب

(١) أجْرٍ جمع جرو (مثلثة الجيم) وهو الصغير من أولاد السباع.

(٢) ص: حذار.

(٣) بعد هذه الكلمة "غلبته هو من جميع الرجال" وعليها علامة شطب.

الخصي نصر، بالكيد الذي أراد به كِياد الأمير عبدالرحمن مولاه، فأراح الله محمدًا منه فانكشف[1] وجهه من غمته[2]، وكتب عبدالله بن الشمر إليه أبياتًا يعتذر فيها مما كان منه في ذلك، ويمتدحه، منها: [الطويل](60)

لئن غاب وجهي عنك[3] إن مودّتي ... لشاهدةٌ في كل يوم تُسَلِّمُ

وما عاقني إلا عدوٌّ مسلَّطٌ ... يُذِلُّ ويُقْصي من يشاءُ ويُرْغِمُ

ولم يستطِلْ إلا بكُمْ وبعزِّكم ... وما ينبغي أن يُمْنَحَ العزَّ مجرمُ

وملَّكتموه فاستطالَ بعزكم ... وكادت بنا نيرانُه تتَضَرَّمُ

فجمَّع خُرَّابًا لصوصًا أراذلاً ... ومنَّاهُمُ أن يقتلونا ويغنموا[4]

رأى بأمين الله سُقْمًا فغرَّهُ ... ولم يكُ يدري أنه يتَنَدَّمُ

فنحمد ربًّا سرَّنا بهلاكه ... فما زال بالإحسانِ والطَّوْلِ ينعمُ

أراد يكيدُ اللهَ نَصْرٌ فكاده ... ولله كيد يغلب الكيد مُبْرِمُ

بكى الكفر والشيطان نصرًا فأعولا ... كما ضحكت شوقًا إليه جَهَنَّمُ

وكانت له في كلِّ شهرٍ خيانَةٌ ... خيانَةُ آلافٍ تُعَدُّ وتُخْتَمُ

فيابن أمينِ الله لازلتَ سالمًا ... معافًى فإنا ما سَلِمْتَ مُسَلَّمُ

ألستَ المُرَجَّى من أميَّة والذي ... له المجدُ منها الأتْلَدُ المُتَقَدِّمُ

فأنت لأهلِ الخير رَوْحٌ ورحمةٌ ... وأنتَ لأهلِ الشرِّ صابٌ وعلقمُ

وكتب إلى الأمير عبدالرحمن، يتوسل إليه بحظيته فخر، المغنية التي كانت غالبة عليه قبل طروب، التي إليها إيثاره: [مجزوء الرمل]

---

(١) بعدها لفظ "محمد" مشطوبًا عليه.

(٢) ص: عمته.

(٣) ص: وجهك عني، واقتضت التصحيح سلامة الوزن.

(٤) ص: ويغنم. والخراب جمع خارب، وهو اللص أو قاطع الطريق.

يـا أمـيـنَ الـلـه فـي الأر	ضِ وزَيْـنَ الخـلـفـاء
قـد تـوسَّلْـتُ بـفـاءٍ	وبـخـاءٍ وبـراءِ
فلـهـا شـعـري وإطرا	ئـي ومـكـنـونُ ثـنـائـي
فـأراكَ الله مـنـهـا	ولَـدًا قـبـلَ بِـنـاء
ملـكًا تُـجْـبـى لـه الـشـا	مُ إلى قَـرقِـيـسـيـاء
فـخـراسـانَ فـجُـرْجـا	نَ إلـى قـالـي قَـلاء
ثم يَـجْـزِي ولَـدَ العـبَّـا	سِ مـن شَـرٍّ الجـزاء
ضِـعْـفَ مـا قـد[1] أقـرضـونا	لا سـواءً بـسـواء
إنما فـخـرٌ كـمـا يـز	عـمُ بـعـضُ العـلـمـاء
شـادِنٌ فـرَّ مِنَ الـفِـرْ	دَوْسِ وهنًا[2] في خَـفـاء
سـاحـرُ الالفـاظِ سـاجِي (م)	الطَّرْفِ مـعـسـولُ اللَّمـاء
فـرآه قـانـصٌ كـا	ن صَـيُـودًا لـلظـبـاء
أغْـفَلُوا الـبـابَ فـوافَى	غَـفَـلاتِ الرقـبـاء
فـمَـضَى حـيـرانَ لا يد	ري أمـامًـا مـن وراء
فـرمـاهُ فـإذا الظـبـ	ـيُ خـضـيـبٌ بالدمـاء

فاستملح الأمير عبدالرحمن أبياته هذه، وأراها فخرًا هذه الممدوحة فيها، فلما سمعتها تعلقت بثوبه وقالت له: والله لا فارقتك حتى تحسن جائزة عبدالله بن الشمر وتقضي حاجته. فأمر له / بمائتي دينار، وأمرت له فخرٌ بنصفها. ١/١٥٦

قال:

---

(١) ص: منه.

(٢) الكلمة ساقطة من الأصل وملحقة في الحاشية.

وذكر عبدالله بن الناصر لدين الله، {61} في كتابه المعروف **بالعليل والقتيل في** أخبار الخلفاء قال {62}:

كان عبدالله بن الشمر صنيعة الأمير عبدالرحمن بن الحكم أيام والده الحكم، يؤمله ويتكرر عليه. فلما صارت الخلافة إليه أدناه واختصه ونادمه ونوه به. فكلمه ذات يوم على الشراب، يذكره فضله عليه، إلى أن قال له: يا عبدالله، ما فعلت غُفَيِّرتك التي كانت جرداء مُنْهَجَةٌ قد برزت أخياطُها كالعروق الذابلة، تخفيها فتأبى إلا انتشاراً؟ فقال: عملت منها لفائفَ لبغلكَ الأشهب، أيامَ تناشَرَ[١] ولم تجد بديلاً منه. فغضب عبدالرحمن وقال: أخرجوا ابن الفاعلة! فجعل يخرج ويقول: أي والله، لما قال ابن الشمر الحق يُصْفَع! فضحك عبدالرحمن وقال: ردوه. فردوه.

وعزا أبو بكر بن القوطية هذه الحكاية بعينها إلى عبيد الله[٢] بن قرلمان جليس الأمير عبدالرحمن بن الحكم، التالي لعبدالله بن الشمر لديه في لطف المنزلة وقدم الصحبة وفرط الدالَّة. فزعم أنه دخل عليه يومًا فخم البزة ظاهر الرواء. فقال له الأمير عبدالرحمن: ويحك يابن قرلمان، أتظاهر المصريُ على العراقيٍّ مباهاةً لنا؟ وأنت تدري ما خلعت عنك إذ[٣] اتصلت بنا. فما فعلت غفيرتك الحرشاء[٤]، التي كنت تدخل إلينا فيها أيام الأمير رحمه الله، وخشخشتها تنذر بها؟ قال: إني قطعتها جُلاً وبرقعًا لبغلك الأشهب، إذ عَرِيَ منهما! فضحك عبدالرحمن منه ووصله. وذلك أنه لم يكن يومئذ لعبدالرحمن بغلٌ غير هذا الذي عرض له به إذ لم يكن تنبسط يده{63}.

---

(١) لعل الفعل تناشر مأخوذ من انتشار عصب الدابة أي زواله عن موضعه.

(٢) ص: عبدالله، وصواب الاسم ما أثبتنا.

(٣) ص: إذا.

(٤) الحرشاء: الخشنة.

قال عيسى بن أحمد الرازي:

خرج الأمير عبدالرحمن بن الحكم لصيد الغرانيق[1]، وكان مولعًا بها إثر قفوله من غزو بعيد كان له، فأطال الذهاب في تصيده، على عادة كانت له في ذلك، فربما كان انتهى فيها إلى كورة شذونة وإلى قادس وغيرها، فزاد على ذلك في هذه الكرَّة، وكانت صِيادةَ الشتاء وأوان الغرانيق، حتى قلق أصحابه وأَمَلَّهُمْ. فقال له ابن الشمر في ذلك‹64›: [الخفيف]

ليت شعري أمِنْ حديد خُلقْنا	أم خُلِقْنا من صَخْرَةٍ صَمَّاءِ
كلَّ عامٍ في الصيف نحن غُزاةٌ[2]	والغرانيقُ غَزْوُنا في الشتاء
إذ نرى الأرضَ والجليدُ عليها	واقعٌ مثلَ شُقَّةٍ بيضاء
لا ترانا إلا بشاطئِ نهر	أو بمرجٍ مُوَلِّدٍ كلَّ داء
فكأنَّ الأنوفَ تُجْدَعُ مِنَّا	بالمواسي لِصَبَّةِ الأصْباء[3]
وكأن الأطراف تؤخذ منا	بالأشافي[4] الحداد أو بالأباء
نطلب الموتَ والفناءَ بإلحا	حٍ كأنا نخافُ فَوْتَ الفناء
ذاك خير أو مجلسٌ عند بيضٍ	آنساتٍ نواعمٍ كالظباء
يتبارين في الغناءِ بإحكا	مٍ وحذقٍ وفطنةٍ في الغناء
/ بلغ الشرب غاية الطيب منهـ	نَّ فودَّعْنَ ثَمَّ كل حياء
بين هذا وذاك بونٌ بعيدٌ	ما هما عند عاقلٍ بسواء

١٥٦/ب

---

(١) والغرانيق جمع غُرنَيْق وغُرْنُوق، وهو طائر أبيض طويل العنق من طيور الماء، وقيل هو الكركيّ (انظر حياة الحيوان للدميري ٢/١١٣). ويقول كورنيتي إنه بلغ من شهرة ولع الأمير عبدالرحمن بصيد الغرانيق أن هذا الطائر الذي يدعى في اللغة الإسبانية باسم grulla أصبح يسمى أيضاً «عبد الرَّحْمِيَّة» (مختصراً عن عبد الرحمانية) وهو بالإسبانية Abdarramia. (انظر معجم كورنيتي).

(٢) ص: عراة.

(٣) صبة اسم مرة من الفعل صب أي انقض، وقد تكون الكلمة محرفة عن "هبة" من الهبوب، والأصباء جمع صبا وهي ريح مهبها من الشرق إذا استوى الليل والنهار، وتوصف عادة بالبرودة. وفي المغرب "لزعزع ورخاء".

(٤) الأشافي جمع إشفي وهو مخرز الإسكاف. والأباء أجمة القصب الخشنة.

قـال:

وتوفي عبدالله بن الشمر، في عقب دولة الأمـير عبدالرحمن، بعد سنة خمس وثلاثين ومائتين. وهذا دليل على أنه لحق مهلك نصر الخصي، زعيم الدولة المشنأ إلى الجماعة. وقال فيه شعراً يهنئ الأمير بمهلكه، إلا أنه لم يطل أمره بعده، وكان مهلك نصر في شعبان سنة ست وثلاثين ومائتين.

وروى محمد بن حفص بن فرج أن عبدالله بن الشمر، لقوة نظره في النجوم، وصحته ومعرفته بطالع ولادته، أنذر بموت نفسه ونعاها، واستحفظ الأمير عبدالرحمن شأن ورثه، وقال له فيما يقوله: إني لميتٌ في أيامك لا محالة، ولي ولدٌ من أهل الأدب، سيناله السجن بعدي بذنب يجنيه، وسيصلك خبره فيسوؤك، وإنما أسألك بكرم عهدك، وذمة صحبتك، أن تطلقه وتحسن خلافتي فيه وفيمن أتخلفه. فكأن الأمير أغفل ذلك، واتفق أن مضى ابن الشمر هالكًا كما ذكره، وأنه حبس بعض الحكام ولده في حق لزمه عجز عنه، فطال حبسه. وتذكره الأمير عبدالرحمن بعد حين، فأمر بالكشف عنه، فألفاه محبوسًا، فأمر بإطلاقه، وأجرى عليه وعلى أهله جراية واسعة بقية أيامه.

وأخبار ابن الشمر كثيرة واسعة، قد أرجأنا ما سقط إلينا من غرائبها في باب قضاء النجوم الجائي إثر هذا الباب. وبالله القوة.

عبيد الله بن قرلمان

قـال:

ومن جلساء الأمير عبدالرحمن وندمائه وذوي الخاصة به، والقدمة في صحبته، أيامَ أبيه الحكم، وقبل خلافته، عبيد الله بن قرلمان بن بدر الكلبي، يكنى أبا عثمان.

قال عيسى بن أحمد الرازي:

بل بدر مولى الأمير الداخل عبدالرحمن بن معاوية، ومثل عبدالله بن الشمر

عند الأمير عبدالرحمن بن الحكم، في الدنو والخاصة، وثانيه في اللزوم والخدمة. وكان عبيد الله غاية في الظرف والنصاعة وحسن الأدب، وسعة المعرفة. وله أخبار كثيرة.

قرأت بخط أبي [بكر] عبادة الخزرجي[١] الشاعر قال:

قال لي محمد بن شخيص الشاعر {65}: أخبرني سكن بن إبراهيم الكاتب الأخباري عن شيوخه، أن عبيد الله بن قرلمان بن بدر، مولى الأمير عبدالرحمن ابن معاوية الداخل، كان نديمًا لولد ابن ابنه، الأمير عبدالرحمن بن الحكم، مع عبدالله بن الشمر. وكانا مقدمين على جماعة ندمائه. وكلاهما شاعر محسن، وعالم مفتن. إلا أن ابن الشمر برز عليه[٢] بعلم النجوم، فإنه لم يكن له في زمانه فيه مثل{66}.

وقال غيره:

وأبوه قرلمان بن بدر مولى عبدالرحمن بن معاوية، كان صاحب طيوره، وممن دخل معه من المشرق، فاختط بكورة دمشق ضياعًا ومنازل مع بني عمه الكلبيين من جند دمشق، وورثها ابنه عبيد الله بن [قرلمان][٣] الشاعر. وقد خدم قرلمان بن بدر الأمير عبدالرحمن بن معاوية، وتصرف معه في مغازيه. وكان مسكن عبيد الله هذا بجوفي قرطبة مجاورًا لمحمد بن الكوثر العبدي.{67}

٤/١٥٧ / وقال أبو بكر ابن القوطية {68}:

---

(١) ص: أبي عبادة المخزومي. والمقصود بغير شك أبو بكر عبادة بن ماء السماء الذي ينقل عنه ابن حيان كثيرًا من الأخبار. أما المخزومي فهو تحريف عن الخزرجي، إذ إن نسبه ينتهي إلى سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري.

(٢) ص: "إلا برز ابن الشمر له"، ووضع الناسخ عليها لفظ "كذا" إشارة إلى اضطراب العبارة. ولعل الصواب هو ما أثبتنا.

(٣) إضافة يتطلبها السياق.

كان أخص الناس بالأمير عبدالرحمن بن الحكم، ومن أهل الأدب عبيد الله بن قرلمان بن بدر الداخل، مولى عبدالرحمن بن معاوية[١] بن هشام بن عبدالملك بن مروان، ومن ألزمهم لـه وأخفهم[٢] على قلبه، وكـان خِلاً لأبي الحسن زرياب المغني، أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وأغلب رجال الباطل على قلبه. وَوَجَدَ عليه ـ يعني عبيد الله ـ الأمير عبدالرحمن يومًا، لأمر أنكره عليه، وأقصاه به عن قربه، فشفع لـه عنده أبو الحسن زرياب. فقال عبيد الله يمدح زريابًا ويشكر صنعه: [الطويل]

إذا الله جازَى محسنًا بجزائِهِ ... فجازي به عني الكريمَ أبا الحَسَنْ

تولى أموري باعتناءٍ وقُوَّةٍ ... فأصلح منها كلَّ ما أفسد[٤] الزمن

كساني جلابيبًا من الفضلِ والنَّدى ... عززتُ بها من بعد ما كنتُ مُمْتَهَن

إذا أنا لم أشكرْ عليَّ بْنَ نافعٍ ... فلا عُوفِيَتْ نفسي ولا صَحَّ لي بدن

قال: {69}

وغنى زرياب الأمير عبدالرحمن يومًا، وابن قرلمان حاضرٌ، صوتًا من شعر عباس بن الأحنف جَوَّده: [الكامل الأحذ][٤]

قالت ظلومُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ ... ما لي رأيتُكَ ناحلَ الجِسْمِ

يا من رَمَى قلبي فأقْصَدَهُ ... أنت العليمُ بموقعِ السهمِ

---

(١) ص: "مولى معاوية بن عبدالرحمن" وهو خطأ واضح.

(٢) ص: وأجمعهم.

(٣) لفظ ساقط من الأصل مثبت في الحاشية.

(٤) البيتان للعباس بن الأحنف، وفيهما صوت ماخوري، من غناء أبي العبيس أو ابنه إبراهيم. انظر **الأغاني** لأبي الفرج الأصبهاني ٨/ ٣٦٩.

فقال الأمير عبدالرحمن، بجودة حسه: إن البيت الثاني لكالمنقطع من الأول، به حاجة إلى واسطة تردم بينهما. فبدر عبيد الله بن قرلمان، فقال بديهة وأحسن:

فأَجَبْتُها والدمعُ منحدِرٌ مثلَ الجمانِ وَهَى مِنَ النظْمِ

فسُرَّ به الأميرُ، وأجزلَ صلته.

وقرأت بخط أبي بكر عبادة قال:

كانت وفاةُ عبيد الله بن قرلمان، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين؛ أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم مختصه. قال: وقد أدركت من عَقِب ابن قرلمان بن بدر، رجلاً نخَّاسًا في سوق الرقيق، كبيرَ السنِّ يدعى أحمد بن قرلمان. وبلغني أن له ابنة بعد باقية مؤدبة للقرآن.

وقرأت في كتاب أبي الوليد ابن الفرضي المؤلف في الأدباء والشعراء من أهل الأندلس قال:

ومنهم أبو الجن، محمد بن عبيد الله بن قرلمان بن بدر، يكنى أبا عبدالله، ولقب بأبي الجن [لقبح][1] منظره، وشناعة طلعته.

حكى أحمد بن عبد ربه الشاعر قال:

كنت إذا رأيت محمد بن قرلمان، هذا ومباينة صورته لصور الإنس، حكمت على خلقته بأنه من الجن حقيقة؛ لهول منظره، ووحشة طلعته، إذ كان شيخًا قصير القامة، كبير الهامة، ذا لمة شيباء شعثاء ضخمة، لا تحمل عليها قلنسوة ولا كبة، وكان على ذلك أديبًا شاعرًا هجاءً خبيث اللسان. وكان يتعرض لمؤمن ابن سعيد بطل الجماعة، فيحيد[2] مؤمن عنه. فمن قوله يداعب مؤمنًا في مهاجاته للملقب بتيس الجن أحمد بن محمد الكناني الجياني {70}: [البسيط]

(١) إضافة يتطلبها السياق.

(٢) ص: فتحيد.

رَفَعْتَ ناظِرَ تَيْسٍ حين صُلْتُ بِهِ   وتاهَ حتى علا في ذِروةِ التِّيهِ

/ فَعَدِّ عن تيسِ أولادى فإن له   عندي ليومًا يُجَزًّا لحمُه فيه

لا تحسبَنَّ له جيَّانَ مُنْجِيَةً   فليس جيانُه مني تُنَجِّيه

١٥٧/ب

قال:

وكانت وفاة أبي الجن، هذا في أيام الأمير عبدالله بن محمد.

عباس بن فرناس {71}

قال عيسى بن أحمد الرازي:

وممن نادم الأمير عبدالرحمن بن الحكم وجالسه، عباس بن فرناس بن مرداس[١]، وكان مثلاً في براعته واحتوائه على كل فن من فنون التعاليم قديمها وحديثها. وكانت وسيلته إلى الأمير عبدالرحمن العروض وفك دوائره، وعلى ذلك ما بطؤت به زُلْفاه، وتأخر لدينا[٢] لحاقه، وأجرى عليه الرزق، حتى قال في مديح الأمير عبدالرحمن واستبطائه شعره المختار له، فقال فيها يطلب الجاري: [المنسرح]

ما بالُ مولاكَ ليس يُوجَدُ في   ديوانِ أهلِ العطاءِ ملحوقا

فأعجب الأمير عبدالرحمن بشعره هذا، وغناه به مغنيه زرياب صوتاً أطربه، فأنجز لعباس بهذا الشعر موعده، وأنفذ إلحاقه، وجرى عليه الرزق برسم الندماء، وصار من أهل مؤانسته. فقال في ذلك مؤمن بن سعيد الشاعر العِرِّيض، وذلك قبل أن تنفرج الحال بينهما: [السريع]

يَهْنِي أبا القاسمِ ما نالا   وزاده المُفْضِلُ إفضالا

صار نديمًا لإمامِ الهدى   فأصبحَتْ حالي به حالا

سُرِرْتُ بالقدرِ الذي ناله   كأنني نلتُ الذي نالا

---

(١) كذا في الأصل وفي غيره من المصادر "ورداس" (انظر طبقات الزبيدي ص٢٦٨)، وهو أصوب.

(٢) كذا، وربما كان الأصح "لديه".

قال:

ثم تغير مؤمن على عباس حسب تغيره على الناس، فتهاجيا، وتماضًا وجرت بينهما خطوب طويلة.

وقال في مكان آخر:

إن الأمير عبدالرحمن، أجرى على عباس رزقين: رزقًا للشعر، وآخر للتنجيم، وأزلفه بالمنادمة. ومن جيد قول عباس في قصيدته هذه، القافية التي أزلفته بالأمير عبدالرحمن: [المنسرح]

أصبحَ خَلْقُ الرحمن حيثُ ثوى ... من جود عبدالرحيم[1] مرزوقا

هو الذي عَزَّ أن يُرَى أبدًا ... في غاية المأثُرات مسبوقا

تهمي سماواته[2] اللجينَ إذا ... أصبح فَتْقُ السماءِ مرتوقا

يا وارثَ العدلِ بعد أربعة ... كانوا لدينِ الهُدَى مَصَاديقا

المصطفى خاتَمَ النبوةِ والثَّا (م) ـنيَ لاثنين[3] كان صِدِّيقا

والعُمَرَيْنِ اللذينِ فازا معًا ... فسُمِّيا طيِّبا وفاروقا

وذكر محمد بن عبدالملك بن أيمن قال:

ما رأيتُ في الناس قط أصدقَ شَبَهًا بعباس بن فرناس من أبي عبادة البحتري[4] الشاعر. ولقد مشيت يومًا ببغداد، فرأيت رجلاً ذا شارة جميلة، قاعدًا في دهليزه، فتخيَّلَ إليَّ أنه عباس بن فرناس، وأنا قد خلفته بقرطبة، فذهب بي / 158أ

(1) ص: "عدا لديهم" بغير إعجام، وما أثبتناه أقرب ما يكون لرسم الكلمتين، وبه يتم المعنى ويصح الوزن، ولو قال الشاعر "عبدالرحمن" لصح الوزن أيضاً، على أن تعديل اسم عبدالرحمن إلى عبدالرحيم أمر يرد أحيانًا في الشعر.

(2) ص: ساوته، وبما أثبتناه يتم المعنى ويصح الوزن.

(3) ص: اثنين.

(4) ص: البختري.

الشك مذهبه حتى سألت بعض جيران ذلك الرجل، فقلت له: يا سيدي، أيكون هذا الرجل عباس بن فرناس الأندلسي؟ فقال لي: والله يابن أخي، ما سمعت بهذا الاسم قط فضلاً عن[1] أن أعرف حامِلَه، وإنما هذا الذي تشير إليه، أبو عبادة البحتري الشاعر. قال: فعجبت من فرط تشابههما! {72}

وقرأت بخط عبادة بن ماء السماء قال:

كان عباس بن فرناس صديقًا لمؤمن بن سعيد الشاعر دهرًا، ثم مازال بمؤمن تبذُّؤ[2] لسانه وخبث طويته، فتحكك بعباس حتى استفسده، فتكاشفا وتصارما وساء ما بينهما جداً، فتهاجيا وتماضًا، وجرت بينهما نقائض مفحشة.

وكان سبب ذلك فيما ذكره محمد بن عتبة الشَّقَّاق صديق مؤمن ـ وكان شيخًا قد نيف على التسعين ـ قال: كنت قاعدًا عند مؤمن يومًا، حتى جاءه عباس زائرًا على عادة له، وهو على بغلة له هزيلة جداً لا تتلاحق هزالاً، فتساءلا عن الحال، وتحدثا مليّاً، فلما قضيا وطرهما، سلَّم عباس على مؤمن، ولوى عنان بغلته، فلم يكد يتجاوز الباب حتى عثرت بغلة عباس به عثرة كادت تكبه لوجهه. فقام مؤمن من ورائه متهافتًا يصفق بيديه ويضحك، ثم قال له: أتدري لِمَ عثرت بغلتك يا أبا القاسم؟ فقال: لا. فتناول مؤمن تبنة من الأرض أو ليطة[3] وقال له: في هذه والله عثرت، وقد بلغ بها الجهد، فأشْبِعْ وإلا فبِعْ. فاستشاط عباس واشتد غضبه لمؤمن، فقال له: يا مأبون، وإلى هاهنا انتهيت بي؟ تنزلني منزلة من يُتَهكَّم به؟ لتعلمن غبَّها. وولى عنه مغاضبًا، فأخذ من يومه في هجوه، وفشا الشر بينهما فلم يصطلحا إلى آخر مدتهما. ومن أفحش ما لعباس في هجائه: [الطويل]

(١) ص: فضلاً على أن أعرف.

(٢) ص: تبذا، والتبذؤ البذاءة.

(٣) الليطة قشرة القصبة.

ترى أثر[١] الاعـراد في جنسِ مـؤمنٍ كـآثار بَـيْضٍ في رمـادٍ مُـفَـرْبَلِ

وذكر إسحاق بن سلمة عن أحمد بن عبدالله الحبيبي[٢] {73} قال: إني لماشٍ يومًا في أيام الأمير محمد على ضفة النهر بقرطبة، لأنظر إلى السفن المنحدرة إلى إشبيلية، إذ بصرت بعباس بن فرناس وهو يصيح على مؤمن بن سعيد وهو أمامه: أبا مروان! فأجابه مؤمن وصرف وجهه إليه فقال له: ومن أين عرفتني يا أبا القاسم وأنت لم تر وجهي؟ فقال له عباس: ولم لا، وأنا أَعْرَفُ بقفائكَ مني بوجهك؟ فأفحمه.

أخبار الشعراء، مع الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وبعض ما سقط إلينا من أماديحهم له من ذلك خبر يحيى بن حكم الغزال في إرساله إلى ملك الروم

١٥٨/ب / قال عيسى بن أحمد الرازي:

لما تخيَّر الأمير عبدالرحمن بن الحكم يحيى بن الحكم المعروف بالغزال الشاعر الحكيم، وصاحبه يحيى المعروف بالمنيقلة،[٣] للخروج إلى القسطنطينية[٤] مع رسول ملك الروم توفيل، الوارد عليه لتأكيد الوصلة به - عظم ذلك على الغزال، واستعفاه من[٥] الخروج، واعتذر بكبر السن وبعد الشقة والخوف من ضياع الخزانة، فلم يُعْفِه الأمير، وأخذه بالخروج، ووصله[٦] بمال واسع، وأمر أن يجري

(١) ص: آثار، وبها يختل وزن الشعر.

(٢) ص: الحسن، وهو خطأ صوابه ما أثبتنا.

(٣) ص: بالمقيعلة.

(٤) ص: القسطنطنة.

(٥) ص: عن.

(٦) ص: وواصله.

على ولده وأهله القطائع مدة مغيبه، ويتوسع لهم في الإجراء، وأن يدؤوا بذلك في حضوره، كيما يعاين ما يكون من بعده. والغزال في كل ذلك يلح في الاستعفاء، ويضج من إلزامه السفر الطويل، والبحر الهائل على ضعفه وكبر سنه، ويتناول الأمير بالأشعار، راغبًا إليه ومستلطفًا له فيكثر من ذلك، ولا يغني عنه، وهو يُصِرُّ في إزعاجه. فمن قوله في ذلك، في قصيدة طويلة سلك فيها طريق الفكاهة، وعرض بالرسول الذي كان أرسل إلى ملك الروم قبله: [البسيط][1]

ما تشتفي أم جُرْجٍ من ملاحاةٍ	أو تسمعَ الديكَ يزقو عشر زَقْوات[2]
جَرْداءُ[3] صلعاءُ لم يبقِ الزمانُ لها	إلا لساناً مُلِحّاً بالملامات
رقَّتْ حواشيهِ واستول منظره	عند التكلمِ تحت الحتة الحاتي[4]
حتى تخالَ لها نفساً تُصَوِّرُها	أخرى سوى نفسِها عند الخذالات[5]
قنواءُ[6] مقرونةٌ منها حواجِبُها	والعينُ غائرةٌ تحت البُثُورات
يحلفُ من عاينَ الغيلانَ[7] مجتهداً	بأنها غيرَ شكٍّ بنتُ سِعْلاة
كأنما حَمَلَتْ منها إذا انبعثَتْ[8]	على متونِ عظامي حَدَّ مِبْراة

(١) وردت خمسة أبيات من هذه القصيدة في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لمحمد بن الكتاني الطبيب (تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٦م، القطعة رقم ٥٥٦، ص ٢٥٧).

(٢) ص: زقات، والسياق يقتضي ما أثبتنا، وزقا الديك يزقو: صاح.

(٣) ص: دركا، والتصحيح عن نص التشبيهات، وجرداء قصيرة الشعر رقيقته.

(٤) كذا ورد البيت، والشطر الأول لا يستقيم معنىً ولا وزنًا، والثاني غامض المعنى، ولعل تحريفًا لحقه. وقد يستقيم الشطر الأول بقراءة "رقت حواشيه واستوحشت منظره"، و"استوحشت" بمعنى استفظعت، وقد تكون "واستهولت" فالحديث وهو في معرض الذم وصف لسان هذه المرأة.

(٥) كذا ورد اللفظ، ولم نجد له توجيهًا مقبولاً، وقد يكون صوابه "الجدالات" جمع جدال.

(٦) القنواء هي ذات الأنف الذي ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه.

(٧) ص: الغيلات.

(٨) ص: ابتعثت.

تقـول مـا لك لا تأوى إلى فُـرُش ... أعـددتهنَّ نـقـيـات وثيـرات
وزقٌ زيتٍ لمن يبـغي مـلامَـسَـةً ... أشـهـى عناقًـا وأدنـى لِلَّذاذات
لطمتُـها لطمـةً طارت وِقايتُـها(١) ... عن صَلْعَةٍ ليـس فيهـا خمسُ شَعْرات
كـأنهـا بَيْـضَـةُ الشـاري إذا بَرَقَتْ ... بالمأزقِ الضنكِ تحت المشرفيَّات(٢)
لهـا حـروفٌ نَوَاتٍ في جوانـبهـا ... كقسمةِ الأرضِ حِيزَتْ بالتُّخومات(٣)
وكـاهلٌ كـسـنامِ العَنْسِ حـدَّدَهُ ... طولُ الـفـارِ وإلحاحُ القُـتودات(٤)

وفيها:

يابْنَ المُحَلَّيْـنَ من شِيثٍ إلى حكَمٍ ... بالملكِ طـورًا وطورًا بالنبـوات(٥)
وبالرَّوِيِّ التي في شـأنهـا عَـجَبٌ ... عند البَـديهـاتِ منـهم والرَّوِيَّات
ابن لي طلبـة لم يُرْسِلْ لِلـحَيْـتِـه ... لكـنه كـانَ من أهـل المُرُوَّات(٦)

---

(١) ورد هذا البيت في نص "التشبيهات"، وفيه "عمامتها" مكان "وقايتها"، والمعنيان متقاربان، فالشاعر يقصد ما سترت به المرأة رأسها الأصلع.

(٢) ورد هذا البيت أيضاً في "التشبيهات" مطابقًا لنصنا، والشاري واحد الشُّراة وهم الخوارج، والبَيْضَة الخوذة، والمشرفيات السيوف.

(٣) سبق أن ذكرنا في الحاشية رقم ٤ على ص ٢٧٦ أن الناسخ أقحم ثلاثة أبيات تبدأ بهذا البيت في أثناء الحديث عن وفاة الأمير الحكم بن هشام وإيداعه قبره. وفي البيت هناك "حُزَّت" مكان "حيزت"، وورد أيضاً في نص "التشبيهات" وفيه "حيزت" في مكان "حزت"، والقراءتان جائزتان، واللفظان بمعنى خُطِّطت والتخومات الحدود. و"نوات" نواتئ أي بارزة.

(٤) البيت في نص ابن حيان السابق وفيه "كسنام العيس"، أما في النص الوارد هنا فقد جاء "كحسام اللبس"، وفي "التشبيهات": كسنام العيس"، وفي القراءات الثلاث ضروب من التحريف، والأصح ما أثبتناه. والعنس الناقة القوية. و "القتودات" جمع جمع قتد (بفتحتين) وهو خشب الرحل.

(٥) ورد البيت في نص ابن حيان السابق، وقد علقنا عليه في موضعه.

(٦) كذا ورد الشطر الاول من هذا البيت، وواضح أنه لحقه تحريف شديد لم يتسجه لنا في تبين معناه رأي. وقد يكون "إن ابْنَ طِلْبَةَ لم يرسل للحيته"، ويكون "ابن طلبة" هذا هو الرسول الذي أرسل قبله إلى ملك الروم والذي يعرض به الغزال.

وكان بالدهر ذا علمٍ ومَعْرِفَةٍ ... وصحبةٍ لعَلِّيَّاتِ الرِّجالاتِ
وكان للرومِ جارًا في حداثته ... يغشاهُمُ في السَّرايا والتِّجاراتِ
وكان يلعب بالشِّطْرَنْجِ في مُلَحٍ ... يأتي بها وصُنُوفٍ من فُكاهاتِ
وكان رُبَّتَما غنَّى على طَرَبٍ ... فيها لدى ملعبٍ يومًا بأصواتِ[1]
/ وكلُّ قومٍ لهم حالٌ تشاكِلُهُمْ ... فيما هُمُ فيهِ[2] من أهلِ الصناعاتِ
وإنما نحنُ في أحوالِنا سُوَقٌ ... وشكلُنا ليس من تلك الشُّكولاتِ
وإنما هو هذا الشعر أقرِضُهُ ... كما أحاولُ من دهري لحاجاتي
والروم ليسوا ذوي شعرٍ فأُنْشِدَهُمْ ... إذا وردتُ عليهم من مقالاتي
ولا يريدون[3] إملالي لكتبِهِمُ ... ولا حسابي ولا في الدينِ إخْباتي
وإن يكونوا عَرَتْهُمْ لحيةٌ عَظُمَتْ ... بغير عقلٍ لدى حالِ المباهاةِ
ففي التيوس البُشارِيَّاتِ مُتَّسَعٌ ... على القياسِ وفيها كُلُّ مكْفَاةِ[4]
وها هنا واحدٌ في طُولِ لحيته ... وعَرْضِها بضمانِ عَشْرُ لِحْياتِ
فَسَيِّرُوهُ فَفِيهِ فوقَ حاجَتِكُمْ ... مَنْ تبتغونَ سواهُ للوفاداتِ[5]
وأطلِقوني وخافوا[6] الله في وَلَدِي ... لا توهِمُوهُمْ فإني ذو بُنَيَّاتِ

١/١٥٩

(١) ص: ربمتما... لذي ملعب.

(٢) ص: وفيه.

(٣) ص: يريد.

(٤) ص: الشموس.... مكافات، والتيوس البشاريات هي المنسوبة للجبال المعروفة بالبُشَرَّات (بالإسبانية Alpujarras) وهي سلسلة الجبال الممتدة بين غرناطة في الغرب والمرية في الشرق في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة، موازية تقريبًا لسلسلة جبال شلير (بضم الشين وفتح اللام) وهي التي تدعى اليوم Sierra Nevada. وجبال البشرات هي التي شهدت آخر ثورة مسلحة قام بها الموريسكيون (بقية الشعب المسلم في إسبانيا بعد سقوط غرناطة) بين سنتي ١٥٦٨ و ١٥٧٠م.

(٥) ص: للوافادات.

(٦) ص: وخاف.

قال:

وشكا الغزال إلى بعض من كان يتهم غيبته من رجال السلطان، لحقد كان احتقبه لديه، كرهه للخروج في الوجه الذي ندب له، وخَوَّفَه من ضياع عياله بعده، وذلك أنه اعتمد بذلك لسعاية لحقته عنده، [فقال له:][1] بل الأمير تخيرك[2] لذلك، لنبلك وذكائك، ولم يجد من يسدُّ مسدَّك، وأين تراه يذهب عنك، فانطلق[3] الغزال وقال: [الخفيف]

قال قومٌ إن الغزالَ نبيهٌ ... وأشاروا ـ وما[4] استشيروا ـ إليه

لم يكُنْ ذا لذاك[5] بل وجدوني ... أيسر العالمين فقداً عليه

ابْنَ سبعينَ قد نَضَتْ[6] حِقَبُ الأيـ ... ـام ثوب الشباب عن منكبيه

أغفلوني عند الرَّخاءِ فلما ... نزل الكره قدموني إليه

سوف أمضي ومن تعمد ضري ... فصروف الزمان بين يديه

ولئن[7] أن يكون في قدر اللَّـ ... ـه إيابي فالأمر[8] ليس إليه

قال:

وأمر الأمير عبدالرحمن بن الحكم، بإدخال الغزال إليه، لأن يكلمه فيما رامه[9]

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) ص: يخيرك.

(٣) ص: فاطلق.

(٤) ص: وإنما.

(٥) ص: لذلك.

(٦) ص: سرت، ولا معنى لها في هذا السياق، ولابد أنها محرفة عما أثبتنا.

(٧) ص: وليس.

(٨) ص: والأمر.

(٩) ص: ازمه.

من المسير في ذلك، وشافهه بما عزم[1] عليه من إمضائه، وعرفه[2] بما بذل من حبائه. فلما دخل عليه ودنا من مجلسه، أقبل يدرم[3] فقال الأمير مداعبًا له: "جاء الغزال بحسنه وجماله"، فاستوى من قوله قسيم[4] بيت فتح على الغزال القول بديهة، فاستأذن الأمير فيه، فأذن له، واستدعى الدواة والقرطاس، فأدنيا منه، فصاغ لوقته شعرًا حسنًا على البديهة[5] كتبه بحضرة الأمير، فلم يرفع يده إلا مستمداً، وقال: [الكامل] {74}

قالَ الإمامُ مُداعبًا بمقالِه	جاءَ الغزالُ بحسنِهِ وجمالِه
/ دَعْوَى الذي أَوْدَى به مِنْهُ البِلَى	لم يَقْصُرِ الممدودَ من آمالِه
أين الجمالُ ـ له الجمالُ ـ من امرئٍ	ألقاهُ ريبُ الدهرِ في أغلالِه
أم أينه من خاضعٍ متخشِّعٍ	ألقى الزمانُ ثُغامَه بِقَذالِه[6]
وأذلَّ غارِبَه وأنكبَ جَنْبَه	وأكلَّه بخِفافِه وثِقالِه
وأعاره من بعد جِدَّته[7] البلى	وأحال رونقَ وجهِهِ عن حالِه
وابتزَّ ما كان ارتداهُ مع الصِّبا	من بَزِّه وكساهُ من أسمالِه
وحَنَى قوامَ قناتِه فأجابه	طوعًا وقصَّر خَطْوَهُ بِشِكالِه[8]
حاني المطا واهي القُوى داني الخُطا	يمشي فيعثُرُ في صدورِ نِعالِه

١٥٩/ب

(١) ص: اعزم.

(٢) ص: ويعرفه.

(٣) دَرَمَ يدرُم: قارب الخطو في عجلة.

(٤) ص: قسم.

(٥) ص: بديهة.

(٦) الثغام (بضم الثاء) زهر أبيض شبه به الشاعر شيبه، والقذال جماع مؤخر الرأس فوق القفا.

(٧) ص: حديثه.

(٨) الشكال: القيد.

فـإذا نظرتَ إليـه نحـوكَ مـقـبـلاً أبصـرت صرف الدهـرِ في إقبـاله
والمرءُ تحـدُثُ أُخْـرَيات(١) زمـانه أشـــيـــاءُ لم يخطـرْنَ قَطُّ ببـــاله
للـه دَرُّ جــديدِ أيـامِ الصِّـبــــا ولذيذِ صُـحْـبَـتِـه وطيبِ خـلاله
ونسـيمِ أرواحٍ نعـمتُ ببـردِها كـــانت تـهبُّ عَلَيَّ مـن آصـــاله

فاستبـدع الأمير ما جاء به على بديهته، وفي مـثل حاله، وأثنى على إحسانه، وشافهـه بما ألزمه من المسير إلى الـطاغية(٢) برسـالتـه، ولم يجعل لـه فـسحة في التوقف(٣)، وطيَّب نفسـه بما رتبه من البذل لعـياله من بعده، فخرج عنه ونظر في جهـازه، وأبطأ عنه على ذلك إطلاقُ مـا وُعِدَ به من الحِبـاء والإجراءِ بحـضوره، فكتب محركًا بذلك: [البسيط]

أبقى الأميـر علينا(٤) همَّ ما وَعَدا فمـا اعتـددنا بشيءٍ عندما انـفردا
يقـول لي ابنُ شُهَـيْـدٍ والوزيرُ أبو عبد الإلـهِ وعبـدالله قد شهدا{75}
لا تأســفـنَّ على شيءٍ تخـلَّفُـــه ســيومِـعُ الملكُ الإجـراءَ والصَّفَـدا
فـقلت: لا شكَّ لـكني أُشَـبِّـهُـهُ بقُـبلةِ العاشـقِ المعشـوقَ قد رقـدا
فـينثني عنه لم يَشْـعُـرْ بقـبلتـه ولم يـصب لذةً مـنه ولا رَشَـــدا
ما كـان أحلاهُ في نفــي وأطيَـبَه لو كان ذلك في اليـومِ الذي وَعَدا

فأنجز الأميـر عبدالرحمن الغزال مـا وعده إياه، ووقع لـه بإثبات راتب دائر لـه في الأزمنة، وزاده إلطافًا، وأزعـجه للخروج، فـاستجـل لـه ونفسه رضـية(٥)،

(١) ص: في الخراب، ويمكن أن تكون "في خراب" ولو أن ما أثبتناه أوفق للسياق.

(٢) ص: الصاغية.

(٣) ص: التوقت وقد تكون صحة اللفظ «الوقت».

(٤) ص: علنها.

(٥) ص: رظية.

فرحل وقال بين يَدَيْ رحلته قصيدته الرائية التي على عروض قصيدة أبي نواس "أجارة بيتينا[1] أبوك غيور"[2] وهي: [الطويل]

قال:

أعاذلَتي إن الظلام بشيرُ ... وعندي رحلٌ حاضرٌ وبعيرُ

وعندي من الزادِ الكفافُ ومؤنسٌ ... إلى جانبي عَضْبُ[3] الغرارِ ذكيرُ

وقلبٌ ذكيٌّ ما يكادُ يخونُني[4] ... إذا خِيْنَ[5] مجموعُ الحصاةِ وقورُ

/ وإنَّ مُقَامي شَطْرَ يومٍ ببلدةٍ ... أخافُ على نفسي بها لكثيرُ

وموسى بْنُ عِمْرانَ أقامَ بمَدْيَنٍ ... سنينَ حِذارَ الموتِ وهو أجيرُ[6]

وأحْمَدُ لما أنكر الدارَ أرْقَلَتْ ... به عَيْسَجُورٌ للفلاةِ عَبورُ[7]

ويحيى وعيسى موقِنَيْنِ تواريَا ... بأن ليس يُنْجِي الهاربين فُرورُ[8]

فصاروا إلى ما قدَّر الله فيهمُ ... وللخَلْقِ في حكمِ الإلهِ مصيرُ

وقد يهرب الإنسانُ من خيفة الردى ... فيلحقه ما خاف حيثُ يسيرُ

لِيبْلغَ نفساً عُذْرَها[9] ولعله ... تكون أمورٌ بعده وأمورُ

(١) ص: كلتيهما.

(٢) بقية البيت: "وميسور ما يرجى لديك عسير" وهي قصيدة أبي نواس في مدح الخصيب والي مصر. انظر ديوانه، نشر دار صادر، بيروت ص ٣٢٧.

(٣) ص: عذب. والعضب القاطع، والغرار الحد.

(٤) ص: يحرقني.

(٥) ص: حيل. والحصاة العقل والرزانة.

(٦) إشارة إلى خبر موسى (عليه السلام) الوارد في القرآن الكريم، سورة القصص (رقم ٢٨) الآيات ٢٠-٢٨.

(٧) إشارة إلى هجرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) من مكة إلى المدينة، وأرقلت: أسرعت، والعيسجور الناقة القوية.

(٨) إشارة إلى خبر عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا (عليهما السلام) مع قومهما من بني إسرائيل. والفرور: الفرار.

(٩) ص: عزرها.

فكم ظاعنٍ قد ظنَّ أن ليس آيبًا ... فآبَ[1] وأردى حاضرون كثير

وإن الذي أُعْطِيتُهُ من تَغَرُّبي ... عليَّ ـ وإن أَعْظَمْتَهُ ـ لحقير

رأيت المنايا تسلب العُصْمَ عُمْرَها[2] ... فتدركها والطَّيْرَ وهو يطير

لعلِّي سأمضي ثم أرجعُ سالمًا ... ويهلكُ بعدي آمنين حُضور

جعلتُ أُرَجِّيها إيابي ومَنْ غدا ... على مثلِ حالي لا يكاد يَحُور[3]

وكيف إيابي والزمان قد انقضى ... وعظمي[4] مَهِيضٌ والمكانُ شطير

وإني وإن أظهرتُ مني تَجَلُّدًا[5] ... لذو كبد حَرَّى عليكِ حَسيرُ

وإن رجائي في الإيابِ إليكمُ ... وإن أنا أظهرت العزاءَ قصير

فإن كنتِ تبغينَ الوداعَ فبالغي ... فدونَكِ أحوالٌ أرى وشهور

وكُوني كحالِ القارِظَيْنِ[6] فإنني ... أراني مُقيمًا ما أقامَ ثَبير

فحَنَّتْ حَنِينَ النَّابِ مات حُوارُها ... تُجاوبُهَا نِيبٌ فواقدُ خُور[7]

كأن الذي يُذْرِي المدامعَ منهما ... تساقُطُ ماءِ الشَّنِّ وهو غَزير[8]

---

(١) ص: فأبى.

(٢) ص: العصر عدرها. والعصم جمع أعصم وهو الظبي الممتنع في أعالي الجبال.

(٣) يحور: يرجع.

(٤) ص: وعضمي. والشطير البعيد.

(٥) ص: تخلدا.

(٦) ص: القارضين. والقارظان رجلان خرجا يطلبان القرظ ـ وهو ورق تدبغ به الجلود ـ فهلكا، ويضرب بهما المثل فيمن يرحل فيفقد ولا يعود. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كليب لوائل

(ديوان الهذليين ١/ ١٤٧، وخزانة الأدب للبغدادي ٥/ ٤٩٢ وكتب الأمثال). وأما ثبير فهو جبل مشرف على مكة.

(٧) ص: فواخذ مكان فواقد والفواقد الثواكل أي اللواتي فقدن أولادهن. والناب الناقة المسنة وجمعها نيب، والحوار ولدها، والخور الضعيفة.

(٨) تذري الدمع تسيله، والشن القربة البالية.

لكِ اللهُ فاستذري إليه وأعظِمي (م) الرَّجاءَ له إن الإلهَ قدير[(١)]

فما زلت حتى لاح للصبحِ ساطعٌ من الشرق وضَّاحُ السَّراةِ شَهير

فأصبحتُ مسرورًا بنائي مَحِلَّتي وهل لامرئٍ نائي المحلِّ سرور

ونزل الغزال وصاحبه المنيقلة، في طريقهما هذا إلى كورة تدمير، ورسول ملك الروم معهما، ليجوزا من ساحلها لسبيلهما. فقصرَّ[(٢)] العامل في قراهما ومبرتهما، فقال الغزال يذمه: [الخفيف]

قد أردنا حُسْنَ الثناءِ عليكُمْ مذ حَلَلْنا فلم نَجِدْ ما نقولُ

غَيْرَ تجميرِنا[(٣)] بهائل رَمْلٍ حيث شئنا من جانبيه نَبُول

وطعامٍ من الضَّريعِ[(٤)] أصبنا هُ على أنه يسيرٌ قليل

ليت شعري ماذا[(٥)] عليكَ من الإجـ ـمالِ لو كان منكَ فعلٌ جميل

/ ولعَمْرِي لأنتَ أوْسَعُ في العُذْ (م) رِ ولكنْ لقولِنا تأويل ١٦٠/ب

قال:

وهال عليهم البحر أولَ ما ركبوه، فجزع المنيقلة صاحب الغزال جزعًا شديدًا، واسترجع، وقال: ألقينا والله بأيدينا إلى التهلُكة، فقال الغزال في ذلك على البديهة {76}: [مجزوء الرمل]

قال [لي][(٦)] يحيى وصرنا بين موجٍ كالجبالِ

(١) استذري إلى الله: تضرعي واطلبي الوقاية منه.

(٢) ص: فقص.

(٣) ص: تحميدنا. ويقال جمّر الأمير الجيش حبس جنده عن العودة إلى أوطانهم، وهو يقصد هنا مجرد الحبس.

(٤) ص: الظريع، والضريع الشوك الرطب.

(٥) ص: ما، ولا يستقيم بها الوزن.

(٦) إضافة تقتضيها سلامة الوزن.

وتَولَّتْنَا عُصوفٌ[1] مِن دَبورٍ وشِمال
شقَّتِ القلعين ممَّا في عُرَى تلك الحبال[2]
وتَمَطَّى[3] مَلَكُ المو ت إلينا عن حِيال

قال:

وكتب الغزال إلى الأمير عبدالرحمن عندما ركب البحرَ ملْحًا إلى القسطنطينية كتابًا، وصاه فيه بأهله عنه، وعن يحيى صاحبه، فقال في آخر فصل منه:

"وتحرَّيْنا[4] ـ أكرم الله الأميرَ وإن تجلَّدْنا فيما تكَرَّهناه[5] ـ التماسَ رضاه، وحالنا حال معتنقِ[6] الأسد، إن يَحْيَ فلم يَطْمَعْ، وإن هلك فهو أيقن؛ إلا أنا نتعزى تعزية ماجنٍ كان بطليطلة في الزمن الأول، جعلت له ألف دينار على أن يثب من قنطرتها الشاهقة، فقال له حين أحضرها له: ويحك، لمن ترجو[7] نفعها وأنت تهلك الساعة دونها؟ فقال لهم: ثمن نفسي أورثه ولدي، فهم أحبُّ إليَّ منها فكنا ـ أصلح الله [الأمير][8] ـ نعد ذلك خطئًا من قوله، وأفَنًا من فعله، إلى أن تورطنا ورطته، فحاق بنا من الحنان والإشفاق على من تخلفناه من أهلنا ما حاق بضارب كلمته مثلاً في الحكمة، فيخلفنا الأمير ـ أسعده الله ـ فيهم بما هو أهله ومنَّى بإنجازه، إن شاء الله عز وجل".

(١) ص: عصوب. والعصوف الرياح الشديدة العاصفة.
(٢) ص: الجبال.
(٣) ص: وتبطي.
(٤) ص: وتحر.
(٥) ص: تكرمناه.
(٦) ص: معتنقي.
(٧) ص: يرجو.
(٨) إضافة يتم بها السياق.

قال:

ولما[١] وصل الغزال إلى قسطنطينية، فلقي الطاغية توفيل وكلمه سَرَّه وأخذ بقلبه وأنس به، فبسطه وكَبُرَ عنده، وحاول أن ينادمه[٢]، فامتنع عليه الغزال، فأمسك عنه، وجعل يرسل إليه بالشراب فيأمرُ الغزالُ بإهراقه. وجرت للغزال مع ملك الروم أخبار طويلة.

فذكر أن ملك الروم أحضر الغزال يومًا إلى مجلس له خاص، قد أجلس فيه الملكة زوجته إلى جانبه في حَلْيِها وزينتها، وهي كشمس طالعة. فجعل الملك يحدث الغزال ويسأله، وترجمانُه يُفَسِّرُ ما يقول، والغزال لاهٍ عنه غيرُ مقبلٍ عليه، وهو قد اشتغل [بالنظر][٣] إلى زوجته الملكة لا يرد طرفه عنها[٤]. فلما استبان للملك ذلك منه أنكره وأمر الترجمان يسأله عنه، فقال: إنه بهرني من حسن هذه الملكة وبديع خلقها، ما اقتطعني عمّا دُعِيتُ له، وحق ذلك، فإني لم أر قط صورة أحسن منها، ولا منظراً آنق[٥]! وكيف لا أذهل عما يقول الملك لي وأنا أنظر[٦] منه / إلى وجه يبهر الشمس بضيائه[٧]، ويكسفها ببهائه، ويُذَكِّر الغافلَ بقدرة الله على إبداع الخلقِ، ويُشَوِّقُهم إلى الحور العين[٨]؟ ١٦١/أ

فلما فسر الترجمان للملك قوله أعجبه جداً، وعرف به الملكة، فبجّح إليها نفسها، وتزيدت حظوته[٩] عند الملك، وتشكرت للغزال ما كان منه، فاعتنت

(١) ص: وما.

(٢) ص: تنادمه.

(٣) إضافة لازمة للسياق.

(٤) ص: عنه، وما أثبتناه أوفق.

(٥) ص: منصر آين، والآنق أفعل تفضيل من أنيق.

(٦) ص: انصر.

(٧) ص: بضبابه.

(٨) ص: ويشرقهم إلى جور العين.

(٩) ص: حضرته.

بشأنه، وتنجزت من الملك ما التوى من حاجاته {77}. فلما حضر انصرافه عنه إلى الأندلس قالت له: سلني ما أحببت، فما تبسط فيه يدي، أصير فيه إلى رغبتك، جزاءً لجميل[١] فعلك. فقال لها: إن لي بُنَيَّاتٍ أصاغرَ أُفْرِغْنَ في قالَبِ قُبْحي، وكُسين جلابيب فَقْري، فإن عُنِّسْنَ[٢] لم يفارقن بيتي. فلو نثرت سيدتي عليهن[٣] من بعض قلائدها لَنَفَّقْتُهُنَّ عند الرجال، وقضت فيهن ذمامي. فأهوت الملكة إلى جيدها، فانتزعت منه قلادة در رفيع القيمة لم ير الراؤون أعجب منه، ودفعته إليه، فكان سبب[٤] غناه فيما زعموا{78}.

قالوا:

وقالت له الملكة يومًا في بعض ما تحدثه به: ما[٥] الذي يدعوكم معشر العرب إلى الختان؟ ولم تتجشمون مكروهه، وتغيرون خلق الله بارتكابه؟ وما الذي تفيدون منه؟ فقال لها: أصلح الله الملكة، إن الدالية المغترسة إذا زبرت[٦] قويت وصَلُبت وغَلُظت واشتدت. وما دامت لا يفعل بها ذلك لا تزال رقيقة ضعيفة. فاستضحكت الملكة من قوله، وفطنت لتعريضه. فأعجبت به وجددت صلته{79}.

وزعموا أن هذه الملكة بلغت من إلطاف الغزال أن جاءته بابنها، وهو غلام جميل يقايضها في الحسن، أزارته إياه بدار ضيافته ماءً في يوم شديد البرد غزير المطر، وهو كدمية من مرمر. فقالت له: قد كرَّمتك بمجيئي بابني قرة عيني إليك

(١) ص: للجميل.

(٢) ص: عشن، ولها معنى لا يبعد عن الصحة، ولكن سياق الخطاب أكثر ملاءمة لما أثبتناه، وهو يعني إن بقين عوانس بغير رواج.

(٣) ص: عليهم.

(٤) ص: سباب.

(٥) ص: بين. ولو قرئت "بيِّنْ" فعل أمر لكان لها وجه مقبول، غير أن سياق الخطاب يقتضي الاستفهام.

(٦) الدالية شجرة الكرم، وزبرت شذبت.

يبيت الليلة عندك، ويشرب معك، ويستفيد من آدابك. فشكر مبرتها، وعظم قدر شرفه[١] بابنها، وقال لها: لست ممن يقارب الشراب، لا تسوغه لي دياتني، ولا تطيب عليه نفسي. وفي مقام هذا الفتى الجليل قدره[٢] عند مثلي ضرر[٣] عليه، لمفارقته رفاهية ملكه ولين مهاده. فلتُعْفني سيدتي من إقحامه فيما لا يليق به. فانصرفت الملكة بابنها متعجبةً من يقظة الغزال وحكمته إلى تدينه وتصاونه، وأخبرت الملك شأنه، فاسترجحه وازداد عَجَباً به(80).

واهتاج الغزال إلى القول في شأنه مع امرأة الملك وابنها / فقال في ذلك: [الوافر] ١٦١/ب

وأغيدَ ليِّنِ الأطرافِ رَخْصٍ ... كحيلِ الطرف ذي عُنُقٍ طويلِ

ترى ماءَ الشبابِ بوجنتيه ... يلوح كرونقِ السيفِ الصقيل[٤]

من ابناءِ الغطارفِ قيصريٌّ الـ ... ـعمومة حين ينسب والخُئول

كأن أديمه نُصِّفْنَ بنصفٍ ... من الذهب الدُّلامصِ والوَذيل[٥]

وربَّما أُكَرِّرُ فيه طَرْفي ... فأحسبُ أنه من عَظْمٍ فيلِ

على قَدٍّ سواءٍ لا قصيرٍ ... فتحقِرَهُ ولا هو بالطويل

ولكن بين ذينك[٦] في اعتدالٍ ... كغصن البان في قُرْبِ المُيلِ

يَحِنُّ[٧] إليَّ مُطَّرِفاً لشكلي ... ويُكثِرُ لي الزيارةَ بالأصيل

---

(١) ص: شرفي ابنها.

(٢) ص: قدده.

(٣) ص: ضرراً.

(٤) ص: السقيل.

(٥) ص: من الذهب الدلاص، ولا يستقيم بها الوزن. والدلامص (مثل الدلاص) هو البراق الأملس. أما الوذيل فهو جمع وذيلة وهي السبكة من الفضة.

(٦) ص: ذاك.

(٧) يمكن أن تقرأ أيضاً: يجيء.

أتى يومًا[1] إليَّ بزقِّ خمرٍ ... شمولِ الريح كالمسك الفتيل
ليشربها معي ويبيتَ عندي ... فَيَثْبُتَ بيننا ودُّ الخليل
وجاءت أمه معه فكانا ... كأمِّ الخِشْف والرشأ الكحيل
تُوَصِّيني به وتقولُ أخشَى ... عليه البَرْدَ في الليلِ الطويل
فقلت حماقةٌ مني ونوكًا ... فديتُكِ لستُ من أهلِ الشَّمول
فأيَّةُ غِرَّةٍ سبحانَ ربِّي ... لو انِّي كنت من أهلِ العقول

وذكر أن الغزال لما دخل إلى ملك الروم أول دخوله، وانتهى إلى آخر أبوابه للمضي[2] إلى مجلس قعوده، فإذا به قصير لا يدخل الداخل إليه إلا جاثيًا، قد احتال الملك به عليه كما يدخل الذي من دخل إليه من وفود الأمم كالمنكر له[3]. وقد كان بعض أصحاب الملك ألقى إلى الغزال قبل دخوله إليه بأيام أن من رَسْمِ الملك أن يخشع[4] له كل داخل عليه من الوفود. فقال له الغزال: هذا لا يسوغ في شريعتنا، إذ لا يكون الخشوع إلا لله وحده. فأُعْلِمَ الملكُ[5] بما قال له الغزال. فاحتال له بتقصير ذلك الباب. فلما أفضى الغزال إليه علم أن الملك قد كاده به ليخشع[6] له قسرًا. فاستدبر الباب وولى الملك ظهره، واقتحم الباب منحنيًا إلى أن تجاوزه، فاستوى قائمًا منتصب القامة، واستقبل الملك بوجهه. فابتسم الملك من حسن تخلصه من الحيلة عليه وذكاء حسِّه وأَنَفَةِ نفسِه، وقال

(١) ص: يوم.

(٢) ص: المضي.

(٣) يبدو أن كلمات قد سقطت قبل هذين اللفظين حتى يستقيم السياق، ولعلها "[فتوقف الغزال] كالمنكر له" أو شيء في هذا المعنى.

(٤) ص: يجمع، وبقية العبارة تقتضي ما أثبتناه.

(٥) ص: الرجل، والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٦) ص: ليجمع. راجع الحاشية رقم ٤.

لأهل مملكته: بحق قالت الحكماء "الرسولُ من المُرْسِلِ"، وهذا الأندلسي من حكماء الناس ودهاتهم{81}.

قال:

واستسقى الغزالُ يومًا بحضرة الملك في مجلسه ماءً، فجيء به في كأس من ذهب من أكؤسه[١] مكلل بالجوهر، / فلما شرب صبَّ فضله، وأدخل الكأس في كمه بارزة، وأنكر ذلك الملك من فعله، فأمر الترجمانَ فسأله عنه، فقال: إن من سيرة خلفائنا هؤلاء الذين تواصلونهم،[٢] أن من استسقى بحضرتهم [من][٣] رسولِ نبيهِ فخصوه[٤] بإناء كريم أن يأخذه بعد شربه ولا يعيده، فجريت على عادتهم، فإن لم تحسن عندكم رددت كأسكم. وأشار إلى إخراجه من كمه. فاستحياه الملك ووهبه له{82}.

١٦٢/أ

قال:

وأخبار الغزال في سفرته هذه كثيرة ممتعة. قال: وانصرف الغزال وصاحبه[٥] المنيقلة من سفرتهما هذه إلى ملك الروم محبورين مسرورين. فألفيا أهلهما بحال سلامة وعافية، وأكثر من شَمَتَ بهما، وقطع على هلاكهما بحالِ هلاكٍ ومساءة. وكان انصرافهما من هنالك في سنة خمس وعشرين ومائتين[٦]. وما إن نجا يحيى المنيقلة صاحب الغزال ورفيقه من بذائه وهجائه وكيد[٧] زمامه، فقال: [الوافر]

---

(١) ص: أكواصه.

(٢) ص: تواصلوهم.

(٣) إضافة يتطلبها السياق.

(٤) ص: يخصوه.

(٥) ص: وصاحب.

(٦) ص: ومائة، وهو خطأ واضح.

(٧) ص: كذا، ولعل ألفاظا سقطت قبل هذه الكلمة مؤداها "[مع] وكيد ذمامه" أو ما أشبه هذا المعنى.

يسائلُني المُنْيقِلُ[١] عن أبيه ... وكان الصمتُ أدنى للصواب
فقلت له ولم أظلمْهُ شيئًا ... أبوكَ معلَّمٌ حسنُ الحساب
فقال ـ وللفتى أدبٌ وظَرْفٌ ـ ... خلطتَ لنا مديحَكَ بالسِّباب
فقلت له المديح أدقُّ فيه ... إذا فكرت من حذو الصواب

فقال قاسم بن حمداد[٢]{83}:

لما انصرف الغزال من بلد الروم بتلك الرغائب التي استفادها هنالك حُسد عليها، فطالبه الوزير عبدالعزيز بن هاشم[٣] بحلية[٤] من هنالك، رفيعة القدر مرصعة بالجوهر، فمنعه منها، وقال له: إنها انكسرت وقسم جوهرها على بناته، فلم يصدقه وغضب عليه وتجرد في طلبه عند الأمير عبدالرحمن، وأتاه من باب الربع الذي أحرزه الغزال في تقلده أهراء[٥] طعام السلطان قبل خروجه إلى القسطنطينية لما استهداه منه على جملة غليظة إن شاء إنفاقها فلاقى في سوقها نفاقًا، فباع أكثرها بمال جسيم. ثم ردفت سنة خصب زاد[٦] فيها عدد الطعام الذي باعه، فاستخلفه بالرخص، وأحرز من فضل بيعه مالاً كثيرًا، فيه عند[٧] الأمير، فأخذه بأدائه، وحبسه. وكتب إليه يحيى[٨] بأشعار كثيرة جدية وهزلية، منها قصيدة له طويلة أولها: [السريع] {84}

---

(١) ص: يسألني المنقلة، ولا يستقيم به وزن الشعر.

(٢) كذا في الأصل. انظر التعليق رقم ٨٣.

(٣) ص: هشام، والصواب ما أثبتناه، وعبدالعزيز بن هاشم هذا، هو والد هاشم بن عبدالعزيز، الذي ولي الوزارة والحجابة للأمير محمد بن عبدالرحمن. وهو ابن اخت الغزال (انظر ص ٢٤٥).

(٤) ص: جلبه.

(٥) ص: هداية.

(٦) ص: رد.

(٧) كذا في الأصل، ويبدو أن هنالك سقطاً في العبارة تمامه: "[فوشى به] فيه عند الأمير" أو ما يشبه هذا المعنى.

(٨) ص: الحسن، وهو خطأ واضح.

بَعْضَ تصابيكَ إلى زينب لا خَيْرَ في الصَّبوة للأشْيَبِ
أبعد ستِّينَ {85} تمليتها كاملةً تصبو إلى الربْرَبِ

يقول فيها:

مَنْ مُبْلِغٌ[1] عني إمامَ الهدى والوارثَ المجدِ أبًا عن أب
/ أني إذا أطنبَ مُدَّاحُه[2] أوجزتُ في القول فلم أُطْنِب ١٦٢/ب
لا فكَّ [عني] اللهُ إن لم تكُن[3] أذكَرْتَنا عن عُمَر[4] الطيِّب
وأضحت المشرقُ مشتاقةً إليك قد غارت من المغرب[5]
كالكاعب الفارِكِ قد أُنْكِحَتْ من لم تلائمْه ولم يُنْجِب
إلى جميلِ الوجه في هيئة كهيئة الضِّرْغامة المُغْضَب[6]
لا يمكنُ الناظرُ تأميلَه[7] إلا التماحَ الخائف المذنب
يخضرُّ ما يلمس[8] من يابسٍ وما يطأ من مُجْدِبٍ[9] يُعْشِب

أطال فيها المديح، ثم عرج إلى المجون فقال:

---

(١) ص: بلغ.

(٢) ص: "أذا ما أطنب القائلون"، وواضح ما في هذه الرواية من اختلال الوزن وركاكة العبارة، فأخذنا برواية المطرب لابن دحية الكلبي، بتحقيق إبراهيم الإبياري، ص ١٣٤.

(٣) ص: "لابك الله إن لم تكن"، فصوبنا الرواية اعتماداً على المطرب.

(٤) ص: عبر، والمراد بعمر الطيب أحد العمرين: عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أو الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز.

(٥) رواية المطرب:

وأصبح المشرق من شوقه إليك قد حن إلى المغرب

(٦) رواية المطرب:

إلى جميل الوجه ذي هيبة ليث لحامي الغابة المغضب

(٧) رواية المطرب: من رؤية.

(٨) ص: يامر.

(٩) ص: جانب، ثم صححها الناسخ إلى جدب.

كان امرؤٌ أهدى إلى بعضنا كوزًا مُصَرَّاةً[1] على طيب
كأنه إذ نزعوا طينَهُ[2] قَرَنْفُلٌ نُظِّم في مُحْلَبِ
فاهتزَّتِ النفسُ سرورًا به وانشرح الصدرُ ولم أشْرَبِ
وكان مني هكذا دَفْتَرٌ أعددتُه للفِقْهِ[3] لم يُكْتَبِ
ثُرْتُ[4] إليه وتناولتُه وكنتُ في دهري من الُمطْرِبِ
نَقَرْتُ فيه نقرةً ساعةً أُشِيرُ بالرأسِ وبالمنكبِ
فالرِّجْلُ في موضِعِها لم تَرِمْ مخافةَ الكَبْلِ على أكعُبي
حتى إذا ما طَرَبي جَدَّ بي واللهو إن تركَبْهُ يستركِبِ
قُمْتُ برجليَّ على وثْبَةٍ فأوجَعَتْني حَلَقُ العَقْرَبِ[5]
واستضحك القومُ فأنبأتُهم أن الذي يحسبني غَرَّ بي
إن تُرِدِ[6] المالَ فإنّي امرؤٌ لم أجمع المالَ ولم أكْسِبِ
وإن يرد زفنا يجد بي إذا كلفته أحد الظرب[7]

ودس[8] الغزال إلى بعض المغنين، فغنى الأمير بأبيات منها: [السريع]

---

(١) الكوز المصراة المحبوسة على ما بها من شراب.

(٢) ص: طيبة، والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٣) ص: دفترًا...... للفقيه.

(٤) ص: شرت.

(٥) ورد البيت محرفًا تحريفًا شديدًا إذ جاء في النص على هذا النحو:

قنيت برجلي على وجنة فأوجهني خلق العقرب

فصححنا قراءة الشطر الأول اعتمادًا على ما سيرد بعد سطور (وإن كان قد جاء فيه "قست" مكان "قمت"). وأما الشطر الثاني فسياق الخبر يقتضي ما أثبتنا، وحلق العقرب يعني به الشاعر حلق القيد الذي أحكم على قدميه.

(٦) ص: يرد.

(٧) كذا ورد هذا البيت في الأصل، وقد لحقه من بالغ التحريف ما جعل قراءته مستغلقة.

(٨) ص: ودمس.

قد أحسن[1] الله بنا عندما ... كان الذي استَوْدَعْتَ لم يذهبِ

إذا أخذت الحقَّ مني فلا ... تلتمسِ الرِّبْحَ ولا ترغب

استملحها وقال فيها: لمن[2] هذه؟ فقيل له: للغزال، وهو مسجون في سجن وزيرك [عبدالعزيز] بن هاشم[3] في رسم ربح الطعام الذي تُعُقِّب عليه. فأمر إطلاقه وإدخاله عليه.

فلما اخترق دار الخصا في مدخله إلى الأمير، فاجتاز[4] ببيت الوزراء هنالك - نظر عبدالعزيز بن هاشم حابسه[5] إليه، فأنكر شأنه، وعرف بخروج أمر الأمير بإطلاقه، فوجم[6] وغَلُظ عليه، وكان الغزال قد قال للوصيف الذي قدمه للأمير/ : إذا ما دنوت إليه فأشْعِرْ بي. ففعل، فجعل[7] الغزال يحكي رَسَفَاته في القيد الذي كان عَنَّتَه لم يفارقه يذكِّر الأمير قوله: ١/١٦٣

"قمت[8] برجليٍّ على وثبةٍ"

فضحك الأمير من فعله، واعتذر إليه وأسقط عنه ما كان يُطْلَب منه، وزاده جائزة من عنده.

ومن جيد[9] مديح الغزال للأمير عبدالرحمن قوله في قصيدة[10] طويلة فيها: [البسيط]

---

(١) ص: ما أحسن.

(٢) ص: لم.

(٣) ص: وزيرك بن هشام، وصحة الاسم ما أثبتنا.

(٤) ص: فاشتار.

(٥) ص: نصر عبدالعزيز بن هشام حاسبه.

(٦) ص: فرحم.

(٧) ص: فجل.

(٨) ص: قست.

(٩) ص: حين.

(١٠) ص: قصيدته.

إن القصائدَ لم يجزئك[1] مُجْريها ... إلا وقد عُقِدَتْ منها نَواصيها
وسَرَّحوهنَّ عمدوذا أعتَّتَها ... تبارزُ الريحَ كلُّ القومِ يرجوها
بكريَّةَ النَّجْرِ لا ممَّا يلفِّقُه الـ ... ـملفقون طريفات معانيها[2]
فيها نتائجُ لم آخذْ برائعها ... من شعْرِ آخرَ قبلي قد كفانيها
لم أُجْرِ فيها من الأعرابِ وصفَهمُ ... تلك المهامهَ مُغْبَراً فيافيها
ولا بكيتُ[3] على أطلالِ منزلة ... قفرٍ تُواردُ فيها العينُ صَبِّيها[4]
ولا رميتُ بطَرْفي إثرَها جَزَعاً ... قد شفَّ نفسيَ في زعمي تصابيها
أبو المطرف بادي كُلِّ مكرمة ... نعدها لكريمٍ أو نسمِّيها
لكن قصدتُ إلى مدحِ امرئٍ قصُرَتْ ... عنه الصفاتُ فلم تبلُغْهُ تشبيها
قَرْمٌ إذا رُفِعَتْ عنه الستورُ لنا ... لاحتْ له سُنَّةٌ[5] يُغشى تلاليها
كالشمسِ ترجعُ عنها[6] العينُ حاسرةً ... يكاد[7] ما جشمت من ذاك يغشيها
وما تكلفَ منه الفكرُ منزلةً ... إلا تحيَّر في أدنى الذي فيها
هو الهمامُ الذي ما مثلُه بشرٌ ... من نسل آدم ماضيها وباقيها
يا خير من حمله الأرض مذْ سُطحَتْ ... حاشى الذين أحاشي من نَبِيِّها
هذي منابرُ أرضِ الشرقِ قد جنَحَتْ ... شوقاً إليك وهزتها خوافيها[8]
شُزْرُ العيونِ إلى رُكابها أُنُفٌ ... لحظ الفوارك[9] ما تخفي تقاليها

(١) الكلمة مطموسة في الأصل طمساً شديداً، ولعلها كما أثبتنا، ويُجزئك: يقنعك ويكفيك.

(٢) النجر الأصل، وقوله: بكرية إشارة من الشاعر إلى منتماه في قبيلة بكر بن وائل.

(٣) ص: يكتب.

(٤) ص: أطيها، ولعل الصواب ما أثبتنا، ويكون المقصود "تواصل عيني فيها صبي دموعها".

(٥) السنة هنا الوجه والصورة.

(٦) ص: عند.

(٧) ص: تكاد.

(٨) كذا في الأصل، ولعل المراد "هزتها مشاعرها الخافية". وقد تكون "حوافيها" أي حافاتها.

(٩) ص: الفرار، ولا يستقيم بها المعنى ولا الوزن، والفوارك جمع فارك وهي الزوجة الكارهة لزوجها، ويرجح ذلك قوله "تقاليها" أي كراهيتها.

وقال معاوية بن هشام الشبينسي:

كان الغزال من المعمرين، استكمل عمره أربعًا وتسعين سنة هلالية، وأدرك خمسة من خلفاء المروانيين بالأندلس، أولهم عبدالرحمن بن معاوية، وآخرهم محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن. وفي ذلك يقول: [الرجز]

أدركت في العصر ملوكًا أربعه

وخامسًا هذا الذي نحن معه

/ وذلك، أنه ولد في أيام عبدالرحمن بن معاوية، وتوفي في صدر أيام ابن ابن ابن ابنه ثلاثة محمد بن عبدالرحمن، والبقاء السرمد للواحد الصمد، عز وجهه. ١٦٣/ب

سعيد الرشاش

قرأت في كتاب القاضي أبي[١] الوليد ابن الفرضي قال(86):

هو سعيد بن الفرج الأزدي، يكنى أبا عثمان، وأخوه محمد بن الفرج الماسح[٢] الماهر،[٣] الذي إليه تنسب ذراع المساحة المشهورة بالأندلس، المنقوشة في بعض أساطين المسجد الجامع بقرطبة، بها يرتضى [القياس][٤] إلى اليوم. وكان سعيد هذا، من آدب[٥] الناس في زمانه، وأقومهم على لسان العرب، وأحفظهم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأكلفهم بأفانينه، وأحبهم للرجز منها[٦].

ذكر عبادة[٧] أيضا، أنه كان يحفظ[٨] أربعة آلاف أرجوزة، وكان شديد التقعير

(١) ص: بو.

(٢) ص: الناسخ، والماسح هو العالم بالمساحة.

(٣) ص: الباهر.

(٤) إضافة يتطلبها السياق.

(٥) ص: آداب.

(٦) ص: بالرجز منهم.

(٧) ص: عبدة، والمقصود أبو بكر عبادة.

(٨) ص: يحفص.

في كلامه، والتكلف للغريب في منطقه. قد ضرب به المثل في الفصاحة بالأندلس، كما ضرب ببكر الكناني رسيله في ذلك، فقائلون يقولون "أفصح من الكناني"، وآخرون يقولون "أفصح من الرشاش". ولم يكن سعيدٌ يدع التقعير على حال، في رخاء ولا شدة.

فيحكى أنه علي[1] عند نصر الخصي الجبار[2] خليفة الأمير عبدالرحمن بن الحكم الأثير لديه، بذنب اقترفه في ذاته، أو سعاية لحقته لديه، من قبل بعض عداة سعيد، اشتد لها غضبه عليه، فأرسل من غلمانه من جاء به معنتًا إلى قصر الخلافة، وقد قعد له نصر في دار الحصا منه، يطير شعاعًا. فتقرعه بذنبه، وأفحش في سبه، ودعا له بالسوط، وأمر بتجريده ليجلده، فجعل سعيد يستغيث إليه ويترحمه، وينفي ما قرف[3] به عنده، ويقسم على براءته، ولا يدع في ذلك كله تقعيره.

يقول في بعض ذلك: / تحنَّنْ عليَّ يا أبا الفتح سيدي، شيخ كبير يَفَنٌ يُضْرَبُ[4]؟! أبْقِ عليَّ ولا تسلقني، ولا تشمت بي عداتي! والخصي يتزيد غيظاً عليه ويصيح به، حتى شفع له بعض أكابر الوزراء يومئذ. وقام من البيت إلى نصر، فأكب[5] على أطرافه يقبلها، ويسأله الصفح عن سعيد، فبعد لأي ما أسعفه بترك جلد سعيد، وأطال حبسه.

١٦٤/أ

(١) كذا في الأصل، ويصح أن تقرأ "عُلِيَ" (بالبناء للمجهول) أي رُفع عليه في ذنب بمعنى وشي به. هذا وقد تكون الكلمة محرفة عن "علق"، يقال علق بالشيء، إذا تشبث فيه، ويكون المقصود أنه تورط في خطأ ارتكبه.

(٢) ص: الخبار.

(٣) ص: عنا قرب. وقد تكون العبارة "ينفي مما"، وقرف به: اتهم به.

(٤) ص: ضرب. واليفن (بفتحتين) الشيخ الكبير الفاني.

(٥) ص: فاكت.

وحكي عنه أيضاً أنه كان يقول لعبد له عجمي طِمْطِم[1]: زَقت الغتاريف[2] يا غلام؟ يسأله عن بروق الفجر، والآخر لا يجيبه، لجهله بما يقوله. فيتضاجر من صمته عنه ويغضب عليه.

وفي كتاب معاوية[3] بن هشام الشبينسي قال:

كان سعيد بن الفرج الرشاش، منقطعاً إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم في حياة والده الحكم مؤملاً لدولته، كثير المديح له. وكان عبدالرحمن يؤثره ويبره ويأنس به ويصله[4]. ثم إن سعيداً رحل إلى المشرق في أيام الحكم، فأدى الفريضة، وأبعد الرحل بعد حجه لاقتباس العلم في مظانه، فدخل بغداد حضرة السلطان، ودخل المصرين الكوفة والبصرة، وتجول في الأمصار، فلقي هنالك من أكابر الرجال، وروى كثيراً من الحديث والفقه، وأنحى[5] من ذلك كله على علم اللسان، فحذقه جداً، وفصح منطقه، وحسن شعره. فصدر عن العراق[6]، وأقام بمصر مديدة، فنفض ما طمّ[7] له من جناه وفوائده[8]، وصدر عنها نحو المغرب.

فاحتل بالقيروان أم المغرب وسكنها مدة، سالكاً سبيله في الاقتباس والاستزادة، إلى أن بلغته وفاة الأمير بالأندلس الحكم، وولاية ابنه عبدالرحمن مؤمَّله بعده، فرحل إلى الأندلس مبادراً، وقدم إلى وطنه منها قرطبة. فسُرَّ به الأمير عبدالرحمن مصطنِعُه، / وأدنى مكانه، وجدد خاصته، وأخذ الرشاش في ١٦٤/ب

(١) الطمطم (مكسورة الطاءين) هو الأعجم الذي لا يفصح.

(٢) ص: وقت "وزقت الديكة": صاحت. الغتاريف جمع غُتْرُف (بضمتين على الغين والراء) وهو الديك.

(٣) ص: معوة.

(٤) ص: يوصله.

(٥) أنحى على الشيء: أقبل.

(٦) ص: الغزال.

(٧) طمَّ: كثر وغمر.

(٨) ص: جنات وفائده.

مديحه، فأكثر وأجاد. وكان أول شعر مدحه به قصيدة[1] أولها: [المنسرح]

لستُ لما قد عفا بِسَآلِ ... من ربع دارٍ ورسمِ أطلالِ

وفيها:

مَنْ شَغَلَتْ شعرهُ صبابتُهُ ... بكل خَوْدٍ[2] بيضاءَ مكسالِ

فشُغْلُ شعري عنهن في مدَحٍ ... لمت طوات الحياة بالسَّالي[3]

أُجيدُ تحصيلَها وصنعَتَها ... لعبشميٍّ أغَرَّ مفضالِ

كأنه البدرُ في تبسُّمه[4] ... بين رداءٍ منه وسربال

جاء بسلطانه ودولته ... خير شهور وخير أحوال

كم قائلٍ لي بدا يُبَشِّرُني ... رافعَ صوتٍ حليفَ أزمالِ[5]

عاشت بعبدالرحمن آمالي ... إذ عنه أُنبِئتُ أنه والي

واخضرَّ غصنُ الرجاء منّي من ... بعد ذُوِيٍّ وبين أوجالِ[6]

وارتدع الدهرُ عن مساورَتي ... وطاعَ لي في جميع أحوالي

وهي طويلة، أجزل الأمير عليها صلته.

---

(١) ص: قصيدته.

(٢) ص: جود. والخود الشابة الناعمة الحسنة.

(٣) البيت في الأصل مضطرب اضطرابًا شديدًا، وهكذا نصه:

فشغلي شعري من مادح لست ... عنهن طوال الحياة بالسائل

وهو مختل الوزن والمعنى. ولعل صوابه ما ذكرنا.

(٤) ص: تبشمه.

(٥) أزمال جمع زمل (بفتحتين) وهو الخفة والسرعة، وقد يكون اللفظ أيضا "إرقال" ومعناه السرعة أيضا.

(٦) ص: جاء الشطر الثاني هكذا "بين ذوي وأسر بين أوجال" وهو مختل الوزن والمعنى. فأصلحناه بما أثبتنا. والأوجال جمع وجل (بفتحتين) وهو الخوف.

ومن جيد قوله في عبدالرحمن من قصيدة: [البسيط]

كم جحفل لك تشكو الأرضُ وقْعتَهُ ... يضاحكُ النصرُ في حافاتها الصَّرَرا[1]

ما جئتَ أرضًا ولا وافيت في بلدٍ ... إلا أفاض[2] دمًا أو أنبتَ الزهَرا

وله في الأمير عبدالرحمن: [السريع]

يا سيد الساداتِ من غالبٍ ... ومن له من مجدها أكْرَمُهْ

من تجفُهُ فالدهر جافٍ به ... ويُكرمُ الرحمنُ من تكرمه

أصبحتُ لا أحسدُ إلا امرءًا ... ينال من قربك ما أُحْرَمُهْ

وله في ذكر بناء الأمير عبدالرحمن، لدار السرور من قصر الخلافة، على يدي فتاه [نصر] من قصيدة: [المنسرح]

إن الإمامَ الذي نَداه[3] لنا ... سَحٌّ علينا دأبًا وتهتانُ

شادَ بناءً جازَتْ[4] سماواته (م) ... اللُّوح فمن دونه الخَرَاتانِ

/ قصرٌ تسَمَّى السرورَ بنيانُه ... ما مثله حينَ تَمَّ بنيانُ 1/165

لا قَصْرُ مروانَ بالعراقِ ولا الـ ... ـقصرُ الذي شاده سليمانُ

من تحته جنةٌ مزخرفةٌ ... فيها من الفاكهاتِ ألوانُ

بناه[5] نصرٌ له وليس كنصـ ... ـرٍ في الورى أجمعينَ إنسانُ

---

(١) ص: الطرفا.

(٢) ص: فاض.

(٣) ص: ناداه.

(٤) ص: حارت، واللوح هو الهواء بين السماء والأرض، والخراتان نجمان من كواكب برج الأسد. ويلاحظ أن هذا البيت قد لحقه الإقواء، وهو اختلاف حركة الروي. ولعل الشاعر تعمد ذلك لتقعره وتقليده للشعر القديم.

(٥) ص: فناه.

وقرأت بخط عبادة الشاعر قال:

أبو عثمان سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش، مولًى بني أمية، كان من كبار الأدباء ومشيخة اللغويين، مقدما فيهم في زمانه، معدودًا في الشعراء، إلا أنه كان غير مطبوع في التصرف، ولا سلس الطريقة[١] في الشعر، فكانت طريقته فيه مختلفة مِرْبَدِيَّة[٢]، ينبو عن الرقيق السهل، ولا يلحق بالفصيح الجزل، وربما وقع له المتخلص منه كَرَمْيَةٍ من غير رامٍ. ورحل إلى المشرق في أيام الأمير عبدالرحمن ابن الحكم، رحلة لقي فيها كبار الشعراء ووجوه الأدباء، فاقتبس ما شاء، وكان فصيحًا مُقَعِّرًا[٣] يضرب المثل بفصاحته، وكان بذيء اللسان فَحَّاشًا مَشَّاءً[٤] إلى الناس، يُتَوَقَّى شره.

وقال إسحاق بن سلمة:

قال: كان سعيد الرشاش، شديد التقعير في كلامه، ومخاطبته نظمًا ونثرًا، متولعًا باستعمال الغريب في منطقه، شديد التحصيل على الناس والنيل منهم والتتبع لسقطاتهم، كثير التطييب والإزراء[٥] عليهم، له في ذلك نوادر محفوظة.

ومن قوله يهجو[٦] عبدالله بن حسين بن عاصم جاره {87} :[السريع]

قد قيل مجنونُ بني عامرٍ ... وأنت مجنونُ بني عاصمِ

---

(١) ص: الطريق.

(٢) ص: مديديه، ومربدية نسبة إلى المربد، ومربد البصرة اشتهر بكونه مسرحًا للنقائض المعروفة بين جرير والفرزدق وغيرهما من شعراء العصر الأموي ولا سيما البدويين منهم، فالطريقة المنسوبة للمربد هي البدوية الجافية الخشنة.

(٣) ص: مقفرًا.

(٤) ص: مشاء. والمشاء هو النمام الذي يمشي بين الناس بالوقيعة والنيل من الأعراض.

(٥) ص: والاندواء.

(٦) ص: يهجر.

فقال ابن عاصم فيه: [مجزوء الرمل]

قيل لي إن سعيداً[1] يشتكي جسارة أيره
فهو لا يحسد شيئاً غير أير في است غيره

/ وللرشاش في عبيد الله بن قرلمان الشاعر يهجو: [الوافر] ١٦٥/ب

تمنّى يا عبيدَ اللهِ موتي وموتي لا تُزيحُ به رَداكا[2]
فإني إن أمُتْ وتعِشْ خِلافي أُبَقّ قصائداً وَسَمَتْ قفاكا

وله في عبيد الله صاحبه مثله: [السريع]

خسيسةُ صِقْلابِ أبي هاشم أشْبَهُ شيءٍ بشكيرِ[3] استه
ووجهه يحكي لنا القِرْدَ في صورتِه قُبْحًا وفي نَبْتِه[4]

وله فيه أيضاً: [الخفيف]

إنني أكرهُ الهجاءَ ولكنْ لي إلى الله في هجائك قُربهْ
يَبِسَتْ راحتاكَ لؤمًا ولكنْ للغراميلِ ظلَّتِ استُكَ رطْبه

وذكر فتح بن خزرج قال:

كان أبو عثمان الرشاش يقول: إني لأعرف العاقل من مُرَّار الطريق عليَّ من الناس، من أجمعهم في مرورهم، وأنا قاعدٌ في دهليزي في أيام القيظ، فلا تخطئُ فراستي. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا رأيت الرجل منهم في غشيانه[5]

(١) ص: سعدا.

(٢) كان حق أول البيت أن يكون "تمنَّ" بحذف حرف العلة، ولكن الشاعر أجرى الفعل على الأصل. وقد يكون المقصود "تتمنى" بضمير الخطاب، فحذف التاء الأولى. وفي أصل النص "تريح به دراكا" فأصلحناه بما أثبتنا، والردى هو الهلاك.

(٣) الشكير هو الشَّعر الخفيف.

(٤) ورد البيتان في كتاب "التشبيهات" لابن الكتاني، القطعة ٥٧٥ ص ٢٦٣. وفي البيت "نعته" مكان "نبته".

(٥) ص: أنا رأيت ..... في عسيانه.

القيظ يمشي مع سور[1] المدينة قدامي[2] مكابِدًا للظى الشمس، غير منحازٍ إلى الظل[3] فذاك أحمق. وإذا رأيته في غدوات الشتاء يمشي من هناك تاركًا للشمس فذلك أعظم[4] حمقًا. ومن خالف هذين الوجهين في الوقتين فذلك عاقل لا محالة.

قال:

فحدثني الثقة أن الأمير محمد بن عبدالرحمن احتاج إلى الوقوف بذلك السور[5] الجوفي من المدينة، ليشارف بنيانًا حدث هنالك في بعض الأرجل من القنطرة، وذلك في الشتاء، فدنا إلى السور لتلك العلة. فلما قضى حاجته، وأراد الانصراف فقال: ليت شعري في أي الطبقتين يجعلنا اليوم هذا الرجل؟! وأشار إلى منزل الرشاش بحذائه إلى ذلك التقسيم الذي بلغه / عنه، فأضحك أصحابه. ١/١٦٦

وذكر عمر بن حفص قال:

كتب سعيد الرشاش أول أمره لحوثرة بن العباس القرشي مدة من عمره. واختص به إلى أن زال عنه[6] بتعشقه لغلام حوثرة، وكان جميلاً أثيرًا عنده، عثر حوثرة على أنه يراوده عن نفسه، فغضب عليه وبطش به وضربه فأوجعه، ففارقه سعيد عند ذلك وباينه وأكثر من هجائه.

وأنشد لسعيد: [الكامل]

إني لأشْنَأُ من يملُّ صديقَهُ	ويميلُ عنه إلى صديقٍ مُحْدَثِ
وأنا لذلك منك أهلٌ حين لم	أكْفُفْ هواي عن المحلِّ الأخبثِ

---

(١) ص: صور.

(٢) ص: قدارمي.

(٣) ص: الضل.

(٤) ص: أعضم.

(٥) ص: الصور.

(٦) ص: عنده.

وقال محمد بن يوسف:

سألت أبا عثمان الرشاش، عن مِشْيَةِ الخَيْزَلَى[1]، فقال: هي من التخزل والتكسير في المشي، وأنشد: [الرمل]

إنَّ أشبالك تمشي الخيزلى ... وتُلَهِّيكَ بربَّاتِ الرَّعَثْ[2]

وذكر أحمد بن محمد بن الفرج،[3] أن سعيدًا الرشاش مر بقوم من يَحْصُبَ، في طريقه إلى الجزيرة وقد عطش، فاستسقاهم ماءً، فذكروا أن بئرهم أيبسها القيظ، فسألهم أن يردوا نفسه بجُرْعَةٍ[4] لبن، فتفرقوا عنه وخلوه، فتجاوزهم إلى منهل ورده، فشرب وقال بديهة: [الطويل]

لعمرُكَ ما ألفيتُ[5] يحصبَ سادةً ... ولكنني ألفيتُهُمْ أعْبُدًا قُفْدا[6]

يضنون بالماءِ القراحِ وبالقِرَى ... وفي قَسَماتِ القومِ [لا][7] تعرفُ الجَهْدا

سألناهُمُ ماءً لبَلِّ شفاهنا ... فقالوا لنا الجوزاءُ أيبسَت الجَرْدا[8]

فقلتُ لهم هاتوا المخيضَ مكانَهُ ... فصارتْ وجوهُ القومِ من لؤمهمْ رُبْدا[9]

وللرشاش في مديح نصر الخصي: [الطويل]

(١) ص: الجيزلى.

(٢) الرعث جمع رعثة (بفتحتين) وهي القرط. وربات الرعث النساء.

(٣) لعله أحمد بن محمد بن فرج، الذي سوف ينقل عنه ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس ص٣٧، ٣٨، ٢٧٩.

(٤) ص: جزعة.

(٥) ص: لفيت.

(٦) القفد جمع أقفد، وهو الذي استرخى عنقه ومفاصله.

(٧) إضافة يقتضيها تمام المعنى والوزن.

(٨) الجردا والأصل الجرداء حذفت همزتها: الأرض.

(٩) المخيض اللبن الذي نزع زبده، والربد جمع أربد وهو الذي اختلط سواد لونه بكدرة، وهو أيضا العابس الوجه.

دَعِي القوم لا يغْنِيكِ لومي ولا نُصْحي ... وهاتي اصْحِيى حانَ مُنْسَلَخُ الصُّبح
خُزَامِيَّةٌ كالرازقِيِّ تَضَوَّعَتْ[1] ... بمثلِ رياحِ المسكِ طيِّبةَ النفح
أأحذَرُ[2] من صرفِ الحوادثِ نبوةً ... وقد عَلِقَتْ كفي حبالَ أبي الفتح
وما كنتُ في تركيهِ إلا كبائعٍ ... من الحَيْنِ[3] أفياءَ الظهيرةِ بالضَّح[4]
أمينُ أميرِ المسلمين وعينُهُ ... على الناسِ محمودُ الأمانةِ والنصح
/ فما استُنْكِرَتْ يومًا[5] له من خليقةٍ ... ولا عيبَ منه فَرْطُ[6] جهلٍ ولا شُحٌّ
ولكنه سَمْحُ السجياتِ ماجدٌ ... وما الفضل إلا للفتى الماجد السمح
وما زالَ موصوفًا بكل فضيلةٍ ... على البر والإحسان مُنْطَوِيَ الكَشْح
إذا جئتَ يومًا باب نصر لحاجةٍ ... تعرفتَ آياتِ السهولة والنُّجْح
فكُنْ لي مجيرًا يا أبا الفتح واغتنمْ ... ثنائي فإني ذو ثناء وذو مدح
أجِرْنِيَ من أحداثِ دهرٍ مُكايدٍ[7] ... فؤاديَ بالرَّوْعاتِ[8] داميةُ القَرْح
بُلِيتُ[9] بأقوامٍ بُغاةٍ تألَّبوا ... عليَّ كتأليبِ المُعَوَّدةِ النَّبْحِ[10]
على غيرِ ذنبٍ غيرَ أنْ كنتُ مشفقًا ... نصيحًا فما نلت السلامةَ بالنصح

١٦٦/ب

---

(١) ص: خزامية كالدارقي تضرعت، والخزامية نسبة لزهرة الخزامى، والرازقي يعني به الخمر المتخذة من عنب أبيض طويل الحب.

(٢) ص: أحذر.

(٣) كذا في الأصل، ولها وجه مقبول إذ تعني الهلاك والخسران وإن كنت أظنها محرفة عن "الحمق".

(٤) الأفياء جمع فيء وهو الظل، والضح هو ما تعرض للشمس من الأرض.

(٥) ص: يوم.

(٦) ص: فرض.

(٧) ص: مكان من.

(٨) ص: بالزرعات.

(٩) ص: ميلت.

(١٠) يريد بالمعودة النبح الكلاب.

فإن تصطنعني تصطنع بيَ شاكرًا ... وحسبُ ثناء الشاكرين من الربح
نزلت بحسن الرأيِ والحلمِ والنُّهى ... بمنزلةٍ أوفَتْ على أنْجُمِ النَّطْح[1]
وكم نعمةٍ أنعمتَها وصنيعةٍ ... صنعتَ وكم عَقَّبْتَ فَرْحًا من التَّرْح
وذي كربة[2] فرجت عنه[3] وقد رأى ... عيونَ المنايا حولَهُ جمَّةَ اللمْح
وكم شاكر قد زدت خيرًا ومذنب ... عطفتَ عليه بالتجاوزِ والصفح
وكم طامح في غيِّه قد كشفته ... فعاد كليلِ الناظِرَيْنَ عن الطَّمْحِ
مُنِحْتَ محبات القلوب ولم تزل ... حقيقًا بما آتيتَ من صالحِ المَنْحِ

قال:

وتوفي سعيد الرشاش، في صدر أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن، من غير تحديد تاريخ.

عثمان بن المثنى القيسي، النحوي الشاعر
يكنى أبا عبدالملك

قرأت بخط أبي بكر عبادة الشاعر {88} قال:

كان عثمانُ بن المثَنَّى نحوياً حاذقًا، عالمًا باللغة، راوية متوسعًا في علم اللسان، شاعرًا مجودًا رقيقَ الغزل، جزلَ المديح، مقدمًا في الصناعة. رحل فأبعد الرِّحَل، ولقي أبا تمام حبيب بن أوس[4]، فأخذ عنه شعره، وأدخله إلى الأندلس أول المدخلين له. ولقي / أيضًا محمد بن زياد الأعرابي، وغيره من العلماء، فأخذ عنهم واستكثر. ١٦٧/أ
وكان له في نفسه إلى ذلك فضل مشهور وشجاعة تامة. وكرر بالغزو والرباط في الفروج، وكان معدودًا في جملة رؤساء المؤدبين للسراة[5] والأمراء، أدب أولاد

(١) النطح نجوم من منازل القمر.
(٢) ص: ودكربة.
(٣) ص: عني، والسياق يقتضي التصحيح.
(٤) ص: أويس.
(٥) ص: السراة.

الأمير عبدالرحمن بن الحكم، ولابنه الأمير محمد من بعده. وكان قديم المولد، ولد في صدر خلافة الأمير هشام بن عبدالرحمن بن معاوية، فأدرك سنه أربع دول، لأربعة من أمراء المروانية، آخرها دولة الأمير محمد بن عبدالرحمن، وفيها يقول في شعره: [الكامل]

لو لم أكُنْ أدركتُ ملكَ محمدٍ ... وزمانَهُ لظننتني لم أُخْلَقِ

ومن جيد قوله في الأمير عبدالرحمن بن الحكم: [الطويل]

رأيتُ خطوبَ الدهرِ تخرسُ كلُّها ... إذا سمعَتْهُ في المُلِمَّاتِ ينطقُ

لقد عشقَتْهُ المكرُماتُ ولم أكُنْ ... أرى قبلَهُ أن المكارمَ تَعْشَقُ

إمامَ الهُدى في الأرضِ سبعةُ أبحرٍ ... ولكنها في بَحْرِ جُودِكَ تغرَقُ[1]

ومن جيد شعر عثمان بن المثنى في مدح الأمير عبدالرحمن بن الحكم قوله في قصيدة طويلة: [الطويل]

أيا عابدَ الرحمنِ كفُّكَ[2] مزنَةٌ ... برزق بني الدنيا لها أبدًا سَكْبُ

كأن الندى والبأس والمجد والعلا ... جوارحُ جثمانٍ وأنت لها قلب

وما [من][3] رحى للدهر دارت بصرفه ... وأحداثِه إلا وأنتَ لها قُطْب

فما صاب إلا من أنا ملك الندى ... ولا عُرِفَتْ[4] إلا بأسبابكَ الحرب

فقد يرتجى غيث السماء وقطرها ... إذا حَجَبَتْها عن تغيُّمها الحُجْب

حِجابُكَ عنَّا لا يضرُّ عُفَاتَنا[5] ... فذاك الذي عن وبْله يمْرَعُ الجَدْبُ[6]

---

(١) ص: تعلق.

(٢) ص: لبك.

(٣) زيادة تقتضيها صحة الوزن.

(٤) ص: عذبت.

(٥) ص: بغاتنا. والعفاة هم السائلون.

(٦) ص: مزع الجرب. ويمرع: يخصب. هذا والأوفق في ترتيب الابيات أن يكون هذا البيت سابقاً لما قبله.

ولعثمان هذا[1] في التشوق إلى وطنه في غيبة أطالها: [الطويل]

شربتُ بكأسِ الليلِ خَمْرَ صبابةٍ ... يولِّدُ حُزْنًا في الفؤادِ دَبيبُها

وتعرِفُ من نفسي التَّرنْدُقَ في الهوى ... فيقتلُها شوقي ولا يَسْتَتِيبُها

ألا بأبي تلك الوجوه التي قضَى ... عليَّ بطولِ الحزن عني مَغيبُها

لتهنكمُ ساحاتُ[2] قرطبةَ التي ... بها روضةٌ يُدْني النعيمَ رطيبُها[3]

فجناتُها للمُجْتَنِي[4] من ثمارِها ... وَطاءةُ[5] شِقَّي نَهْرِها فكثيبُها

فما استعذبَتْ نفسي الحياةَ لفقدكم ... ولا سكنت رَوْعاتُها ولهيبُها

إذا الريحُ هبت من تُجاهِ بلادكم ... يَنُبُّهُ وسنانَ اشتياقي هُبوبُها

وما الصِّدقُ إلا قولُ غيلانَ "إنما ... هوى كلِّ نفسٍ حيث كان حبيبها"[6]

وذكر عيسى بن أحمد الرازي قال:

كان الأمير عبدالرحمن بن الحكم قد اتخذ لتأديب أولاده ومن يليهم من أصاغر[7] خدمه وعبيده عدة من وجوه المؤدبين يختلفون إليهم إلى القصر تحت الأرزاق الراتبة والمعاريف السنية، مع النفقات الهلالية. وكان رزق المؤدب منهم الشهير[8] عشرين دينارًا بالوازنة.

---

(١) ص: هذه.

(٢) ص: لتهنيكم ساحة.

(٣) ورد الشطر الثاني في الأصل: "بها روضة مزن النعيم وطيبها".

(٤) ص: فالمجتني.

(٥) ص: وطات.

(٦) غيلان المذكور هو ابن عقبة المشهور بذي الرمة. وقد ضمن الشاعر شطر بيت لذي الرمة:

هوى تذرف العينان منه وإنما ... هوى كل نفس حيث حل حبيبها

(ديوانه. بتحقيق الدكتور عبدالقدوس أبي صالح، بيروت ١٩٩٣-٢/٦٩٥).

(٧) ص: أصاغير.

(٨) كذا في الأصل. ولعلها "الشهري" أو "[في] الشهر".

١٦٧/ب كان منهم عثمان بن المثنى / الأديب الشاعر، ومحمد بن أيمن ونعمان المؤدب وغيرهم. وكان اتخذ أيضاً لخدمة ضياعه، عدة من حذاق القسّامين المهرة بمساحة[١] الأرض على مثل تلك الأرزاق والمعاريف[٢] الراتبة، يتصرفون في الخدمة بكل جهة. منهم محمد بن فرج المعروف بالرشاش صاحب الذراع المعمول بها في المساحة إلى اليوم{89}، وإسماعيل بن ناجية[٣] وغيرهم.

وذكر أبو عمر أحمد بن عبد ربه الشاعر قال {90}:

زار بعض إخوة عثمان بن المثنى عثمان يومًا في موضع مكتبه بقصر الخلافة يعلم ولداً[٤] للأمير محمد بن عبدالرحمن، وكان جميل الصورة جداً. فلما انبسطا في الحديث قال له: أبا[٥] عبدالملك، كيف حالك مع هذا الرشأ الذي تؤدبه؟ فقال: لا أزال أشرب خمر عينيه، فلا أروى وهو يسقينيها! وأنشأ يقول بديهة: [الطويل]

صِناعَةُ عينَيَّ السُّهادُ وإنما صِناعةُ عينيهِ الخِلابَةُ[٦] والسِّحْرُ
ولو بِفَناءِ[٧] الدهر أرجو نوالَهُ إذَنْ لوددْنَا أنه فَنِيَ الدهرُ

قال:

وكان مولد عثمان بن المثنى سنة أربع وسبعين ومائة، ووفاته على ما ذكره عفير ابن مسعود {91} سنة ثلاث وسبعين بعد موت الأمير محمد بشهور وهو ابن تسع وتسعين سنة.

---

(١) ص: بمساح.
(٢) ص: والمعارفة، والمعاريف جمع معروف.
(٣) كذا وأظن الاسم محرفا عن "ناجيت".
(٤) ص: يعلم يومًا ولدًا. وقد حذفنا لفظ "يوما" لأنها سبقت في النص.
(٥) ص: ابو.
(٦) ص: الخلافة.
(٧) ص: بفنا.

أبو بكر، المنبز بالنذل

قرأت في كتاب القاضي أبي[1] الوليد ابن الفرضي قال {92}:

عبدالله بن بكر بن سابق الكلاعي وقيل البكري[2]، يكنى أبا محمد، ويلقب بالنذل. لقّبه بذلك - زعموا - مؤمن بن سعيد، فحل[3] الجماعة الشاعر، لقوله في صفة الشراب: [الكامل الأحذ]

نَحْلِيَّةٌ[4] كَرُمَتْ مآثِرُها   لم تلتبسْ بنذالةِ الخَمْرِ

وكان مؤدبًا بالنحو، عالمًا باللسان، شاعرًا مبرزًا، وثبًا مفلقًا وبليغًا. وكان حلو الرسائل متصرفًا، وكان قد شهر شعره عند الأمير عبدالرحمن بن الحكم، فتقدم في وجوه شعرائه. وكان يُزَنُّ بحب الغلمان، وله على ذلك اتصالٌ بكبيرِ[5] الفقهاء، الشيخ يحيى بن يحيى وروايةٌ[6] عنه. وكثيرًا ما كان يذكره معاوية بن هشام الشبيني، في كتابه[7] المؤلف في أنساب خلفاء المروانيين، ينسبه في كتابه ولا يخليه منه[8] ويصفه بالتجويد في صناعته والتصرف في أساليبها، ويكثر من إدخال شعره فيما يعنُّ[9] له، ويثني على جودته[10].

وبما أنشد له في مدح الأمير عبدالرحمن بن الحكم، ووصف بروزه إلى بعض

(١) ص: أبو.

(٢) ص: الكبرى.

(٣) ص: فكل.

(٤) يعني بالنحلية الشراب المتخذ من عسل النحل.

(٥) ص: كبير.

(٦) ص: وروايته.

(٧) ص: كتاب.

(٨) ص: عنه.

(٩) ص: يعز.

(١٠) ص: حردته.

غزواته من كلمة له طويلة أولها: [الوافر]

أيرجو المشركون[1] لهم بقاءً ... وقد عزمَ الأميرُ على الجهاد

وقد حمل البريدُ بكل أفقٍ ... صحائفَ للتأهُّبِ والعتاد

فلو فصلَ الخليفةُ لاستُطِيروا ... وأجْلَوْا[2] هاربين عن البلاد

وولّوْا يطلبونَ من المنايا ... لهم وَزَرًا بمنقطع البعاد

وأين يفرُّ مطلوبُ المنايا ... وفي آثارِهِ للموتِ حادي

وكيف بهم إذا طَلَعَتْ عليهم ... كتائبُ يرتمينَ إلى الطِّراد

وهي طويلة. ولابن بكر في الأمير عبدالرحمن يستمنحه ويشكو الإعدام: [الكامل الأحذ]

صَرَعَ الفؤادَ طوارقُ الذِّكْرِ ... فالعينُ ماءُ شُئونها يَجْري

وذكرتَ من سلماكَ منزلةً ... بَعَثَتْ عليكَ بلابلَ الصدر

ما زلتُ يُلْهِفُني تذكُّرُها ... حتى بكيتُ وخانني صبري

يقول فيها، في وصف الخمر، وشراب العسل:

وحَسيبةٍ كانَتْ منابتُها ... في جوفِ شاهقةٍ من الصَّخْرِ

حتى إذا المشتارُ عَتَّقَها ... فتوقَّدَتْ كتوقُّدِ الجمر

وتنفَّسَتْ في دَنِّها[3] كشفوا ... / عنها القناعَ ذَكيَّةَ النشر

نَحليَّةٌ كرُمَتْ مآثرها ... لم تلتبسْ بنذالةِ الخمر

١/١٦٨

وفيها:

(١) ص: المشركين.

(٢) ص: وحلو.

(٣) ص: دينها.

أشكو صروفَ الدهرِ إن لها ... ظلمًا يشاكِه[1] ظلمةَ القبْرِ

يابن الخلافةِ إن كلَّ فتًى ... تخفى محاسِنُهُ مع الفقر

عتب الزمان فلم أجد أحدًا ... إلا تنكَّرَ لي مع الدهر

وأكبَّ يطلبني على حَنَقٍ ... فكأنني منه على وِتْر

ويقولُ حُلَّ إذا رأى جَزَعِي[2] ... .[3] من جانبِ النهرِ

مَلِكًا كأن أغرَّ سُنَّتِه ... قمرٌ أضاءَ لليلة البدر

فإذا حللتَ به فإنك في ... ما شئتَ من سَعَةٍ ومن يُسْر

فهَرَبْتُ نحوكَ من خَصَاصَتِه ... والدهرُ يطلُبُني على إثري

ومن جيد شعر ابن بكر، في الأمير عبدالرحمن: [الطويل]

إلى ملكٍ دانت لعزةِ ملكه ... ملوكُ قُصَيٍّ كهلُها وفَطِيمُها

نمته ملوكٌ من قريشٍ[4] أعزةٌ ... قرومٌ وساداتُ الرجالِ قرومُها

أضاءتْ لنا الدنيا به وتبلَّجتْ ... لناظرِها والحِجابَ عنها بَهِيمُها

وأمْرَعَ وجهُ الأرضِ حتى كأنها ... تُراوِحُها[5] في كلِّ يومٍ دُيومُها[6]

كفيتَ قُصَيًّا ما تخافُ ولم تزَلْ ... تدافعُ عن أحسابِها وتُقيمُها

فإنك أولاها بكلِّ فضيلة ... وأكرمُها إن عُدَّ يومًا كريمُها

(١) ص: يشاكيه. ويشاكه: يشبه.

(٢) لحق هذا الشطر في الأصل تحريف شديد، فهو وارد على هذا النحو "ويقول حل ادراعى خرعى (خدعى)".

(٣) أول هذا الشطر أيضاً مشكل القراءة، فما يبدو من حروفه هو "اخبى ان (من)" ولم تتوجه له فيه قراءة مقبولة.

(٤) ص: قروش.

(٥) ص: ترواجها.

(٦) الديوم جمع ديمة وهي المطر يدوم أياماً في سكون وبغير رعد ولا برق.

أناطتُ[١] بك الأمرَ العظيمَ ولم تكُنْ لتَحْملَهُ[٢] إلا وأنتَ عظيمها
لقد حفظ[٣] الله المهيمنُ أمةً من الناس ترعاها وأنت زعيمها

ومن تشبيب ابن بكر: [الطويل]

إذا لم يكن لي من ضميرك شافعٌ إليك فإني ليس لي منك ناصرُ
ألان[٤] لداودَ الحديدَ بقدرة مليكٌ على تليين قلبكَ قادر
صبرت وما لي بالتصبرِ طاقةٌ فيا ليت قلبي مثلُ قلبكَ صابر
وفارقْتَني والدارُ غيرُ بعيدة وأوحَشُ بينٍ أن يفارقَ حاضر
شفيعي إليك الجودُ في كلِّ حاجةٍ فما أنت في حُملانِ غمِّيَ آمر

ومن مقطعات ابن بكرٍ المشهورة[٥]: [الطويل]

وكم مرَّةٍ أغضيتُ منك على قذًى للفظكَ والثاني بما شاءَ لافظُ
وما ضمَّني[٦] يومًا وإياك مجلسٌ من الدهر إلا وَهْوَ منك محافظ
وفي دون ما كاشفته منك واعظ[٧] لنفسيَ لو أجْدَتْ عليَّ المواعظ
وأفضل ما كان الفتى يستفيده لأحوال دنياه خليلٌ محافظ
ومن لا يَذُدْ عن حوضه شِرَعَ الأذى يَهُنْ وتَرِدْ رَنْقًا عليه المغايظ[٨]
سأكرمُ نفسي عن متابعة الهوى وفي الشيبِ عن طي[٩] الصبابةِ واعظ

(١) ص: أناضت.

(٢) ص: تحمله.

(٣) ص: حفض.

(٤) ص: لان.

(٥) ص: المشهور.

(٦) ص: صمتي. ولفظ القافية في آخر البيت "محافظ"، ويتكرر في البيت الرابع من القطعة، وليس بينهما إلا بيت واحد، وأنا أستبعد أن يقع الشاعر في هذا العيب المسمى "الإيطاء" وهو تكرار لفظ القافية، ولهذا فإني أرى أن يكون الصواب "وهو منك ملاحظ".

(٧) ص: واعض.

(٨) الشِّرَع جمع شِرعة وهي الطريق، والرنق هو الكدر. وورد اللفظ في الأصل "ربقا".

(٩) كذا في الأصل ولعل الصحيح "غيّ".

وأنشد لأبي بكر: [الطويل]

فإن كنتَ ترجو لي من الحبِّ راحةً ... فإني بدائي يا طبيبُ عليمُ
وإلا فَدَعْني يا طبيبُ بِعِلَّتي ... أمُتْ كَرَمًا إن المحبَّ كريم

وله في مثل ذلك: [الطويل]

إذا ظَفِرَتْ كَفِّي عففتُ وحضّتي ... على الصبر من نفي نُهاها وخِيمُها
أُديمُ لأهلِ الوُدِّ ودي ولا أُرَى[1] ... أدِبُّ إلى جاراتِ بيتي أرومُها
فإن تصرميني يا عَزِيزَ فإنني ... لعمرُكِ وصّال الحبالِ صَرُومُها

/ أخبار المنجمين مع الأمير عبدالرحمن بن الحكم

١٦٨/ب

أولهم:

عبدالله بن الشمر

قال:

وكان الأمير عبدالرحمن بن الحكم، لتقدم نظره في علم الهيئة، ومطالعته للكتب القديمة، صاغيًا إلى علم التنجيم، واقفًا على سنن التعديل مليًّا، يسأل علماءه عن الأدلة، مولعًا بالوقوف على أقوالهم في أحكامه، مقربًا لحذاق المتجمين في زمانه، آنسًا[2] بهم، محسنًا إليهم، مستريحًا[3] إلى تعديلهم لأوقات حركاتهم، وإنذارهم من طريق أقضيتهم بمَساعِده ومَنَاحِسه.

وكان قد اجتمع منهم في خدمته وتحت عطائه أكابر رجال خُلِّدتْ[4] أسماؤهم

(١) ص: ولا أولي.

(٢) ص: انسيا.

(٣) ص: مسترحا.

(٤) ص: خليدد.

من بعده، كانوا واحدين[1] في علمهم، فائنين بما يتفق من صدق عرضهم. لهم في ذلك أخبار فاشية في الناس، تكثر مناقلاتهم[2]، ويشيع من تعاجيبهم.

وكان من مشهورهم في زمانه ومن قبله عباس بن فرناس، ذو الأنباء الشنيعة، وعبدالواحد بن إسحاق الضبي، ذو النوادر البديعة، ومروان بن غزوان، ومحمد ابن عبدالله، وعبدالله بن الشمر بن نمير نديم الأمير، السابق في حلبتهم[3] الزائد في تمام خصاله الأدبية [على][4] جماعتهم. فقد كان فيما ينتحلونه من علمهم إمامًا لهم، معدودًا[5] في وجوههم، يعول الأمير عبدالرحمن عليه في تمييز[6] غيب ما يطرقه من شؤونه، ويساوره[7] من خطوبه، فلا يزال يبلو من صدق إصابته، وصواب رجمه، ما يطول منه تعجبه، ويكثر من أجله تسآله، فله معه ومع من سميناه[8] من الوزير عبدالرحمن بن يحيى الأصم، والنعمان بن المنذر وغيرهما من رجالهم، وما لدى أصحابه وغيرهم في هذا[9] الباب نوادر مستغربة.

منها ما حكاه الأمير عبدالرحمن بن الحكم يومًا لعبدالله بن الشمر جليسه، وقد جرى بينهما علم النجوم وبعد غوره، وعدم الظفر بحقيقته: يا عبدالله: حاصل علمكم هذا زكن ومخرقة ورجم غيب، خطاؤه أكثر من صوابه. فقال له عبدالله: حاشاك أن تعتقد هذا يا سيدي، فليس هو عندنا كذلك. فليمتحن الأمير

(١) ص: وحدين.

(٢) ص: متافلاتهم.

(٣) ص: حليتهم.

(٤) إضافة يتطلبها السياق.

(٥) ص: معرا.

(٦) ص: لمـر.

(٧) ص: ويشاوره.

(٨) ص: سميا.

(٩) ص: هذه.

من ذلك شيئًا في مهامه. هذا إن أراده. فقال الأمير: إني لأحب ذلك. وكانوا في مجلس مفتح على أربعة أبواب. فقال له: إن أنت أنبأتني على أي باب من أبواب / مجلسي هذا أخرج في قيامي عنه الآن، صدقت بعلمك فإني مزمع على القيام لابد. فقال له ابن الشمر: إن أنا أشرت إلى الأمير علانية إلى باب منها لم آمن أن يخالفني إلى غيره، لكني أخلو فأعدل، وأكتب لك الباب الذي يدلني التعديل والطالع على خروجك منه، وأضعه في رقعة، وأختم عليها، وتدخلها تحت مقعدك دون أن تفضها أو تراها، فإذا أنت خرجت من حيث قدر لك، فضضت رقعتي وقرأت ما كتبت، فوقفت على ما تريده من اختبار معرفتي. فقال له الأمير: أنصفت. ١٦٩/١

وقام عبدالله ناحية، فأقام الطالع، وأدق التعديل، وكتب قصته في بطاقة، وختم عليها، وناولها الأمير، فوضعها[1] تحت مقعده. ثم دعا بالبناة وأمرهم، ففتحوا له بابًا محدثًا في غارب المجلس الذي يلي مقعده. ثم قام فخرج منه، وترك الخروج من جميع أبواب المجلس الأقادم، وتوهم أنه قد كاد ابن الشمر. فقال له: ما الذي يقول تنجيمك في هذا؟ فقال له: اقرأ صحيفتي تنبئك عن مقالتي. ففضها فإذا فيها: يخرج الأمير ـ أصلحه الله ـ من باب يفتحه في الغارب الذي يلي مقعده. فأطرق الأمير متعجبًا من دقة إصابته، وجدد صلته، واستبصر في سؤاله عما يعنُّ له[2].

وذكر إسحاق بن سلمة، عن أحمد بن عبدالله الحبيبي قال:

حدثني محمد بن عبدالله بن العذراء، صاحب عبدالله بن الشمر، وجاره بشبّلار {93} قال: شهدت مجلس الأمير عبدالرحمن بن الحكم يومًا في خاصة له، وعنده رؤساء المنجمين، ثلاثتهم: عبدالله بن الشمر، وعباس بن فرناس،

---

(١) ص: في متعها.

(٢) ص: يعزله.

ومروان بن غزوان. وقد أحضر لهم بقرة حاملاً، فقال لهم: أنظروا في شأنكم، وقولوا بما ترون في بطن هذه البقرة. فقاموا ونظروا وعدلوا وتكلموا. فقال عبدالله بن الشمر أولهم: في بطنها عجل أحمر في جبهته بياض، ثم قال عباس ابن فرناس: بل هو أحمر في خاصرته بياض، فقال مروان: بل هو أحمر في طرف ذنبه بياض[1].

فلما رأى الأمير اختلافهم في شية العجل، أمر بذبح البقرة، فذبحت، واستخرج العجل من مشيمتها. فإذا به عجل ذكر، أحمر اللون، كما أجمعوا عليه، وفي طرف ذنبه بياض، فلحق ابن الشمر خجل لخلافه في مكان البياض، الذي أصابه مروان.

فجلاّه عنه الأمير فقال: كلكم صدق، وتوافقتم في الخلق واللون. وتقاربتم في الشية. والعجل كان في المشيمة منطويًا لا محالة، فلا يبعد أن يكون البياض المخلوق كان في طرف ذنبه قد وافق الوقوع في انطوائه على جبهته تارة، وعلى خصره أخرى. فاستروح ابن الشمر لقوله. ووصلهم جميعًا.

١٦٩/ب / وذكر أبو عمر أحمد بن عبد ربه الشاعر، عن بعض مشيخته أن عبدالله بن الشمر قال للأمير عبدالرحمن، صبيحة ذات يوم عدّ له: إن الطالع ليدلني على أنه لابد أن يهراق من دمك اليوم شيء، فكن على حذر، والله يقيك! فغاظه[2] قوله، وأمر بحبسه في بيت الركوب[3] كيما يمتحن قوله. واشتغل به باله جداً، فانفرد في مجلس بأقصى قصره في خاصة من نسائه، يرتقب مُضِيّ ساعات نهاره، ولا يسلو ولا يطعم.

(١) بعد هذه الكلمة عبارة "لحق ابن الشمر خجل" ولا موضع لها هنا، فهي تكرار لما سيأتي بعد ذلك، وكتبها الناسخ هنا سهواً منه، ولهذا فقد حذفناها.

(٢) ص: فغاضه.

(٣) ص: المركوب.

فلما انتصف النهار، ولم يَبْدُ له شيء مما حذره، أوصى إلى ابن الشمر يبكته بتخرصه عليه، ويتبجح بسلامته. فقال للرسول: قل له يحمد الله على سلامة ما مضى من يومه، ولا يستبطئ ما تخوفته عليه في بقيته، فإن الأمر آتيه، والله غالب على أمره.

فلما جاء وقت العصر، وولى النهار والسلامة راهنة عنده، أعاد الإيصاء إلى ابن الشمر والتقريع له، فأعاد مثل جوابه الأول وقال لرسوله: لا يستبطئ وقاه الله، فوالله لو لم يبق من النهار إلا دقيقة لجاءه ما به أنذرته هوّنه الله عليه.

فقرب المساء، وجنحت الشمس، فجدّ بالأمير نساؤه في الأكل، وأنكرن عليه تغلّبه لسوء الظن، وانقياده لقول أفاك متخرص، يفتري على الله ما لا يعلمه. وجددن به في أخذ الغذاء، وقد كان أجاع نفسه. فعاج عليهن[1]، وأمر بإدناء الطعام إليه، فأدنى الخدم الوضوء منه بانكماش وعجلة، أهوى الأمير خلالها إلى الطست بيده يريد غسلها. فقرع أنبوب الإبريق الطويل جبهته قرعة شجتها[2]، وأقبل الدم على وجهه، فبودر علاج قطعه ورباطه إلى أن رقأ[3]، وهو يتعجب لصدق إصابة ابن الشمر ودقة نظره، ويحمد الله على ما هون من الخطب عليه.

ثم أرسل إلى ابن الشمر رسولاً يغالطه عنه ويقول له: امض لسبيلك أفاكًا أثيمًا، فقد انقضى النهار وجاء الليل ونجّى الله بفضله مما خوفت منه. فقال للرسول: إليك عني، ليدعني الأمير - أصلحه الله - من هذا التوهيم، فالصدق أولى به، وتالله لقد أصابه ما قلت له. فقيل له: فقد كان بعضه، وهذه صلتك، فانطلق راشدًا لسبيلك!

---

(١) عاج عليهن أي مال لرأيهن وأطاعهن.

(٢) ص: سجتها.

(٣) رقأ الدم: انقطع وجف.

وذكر أبو عمر بن عبد ربه أيضاً قال:

نزل الأمير عبدالرحمن بن الحكم بفحص السرادق[١] أعلى قرطبة{94}، وهو قافل من غزاته إلى وادي الحجارة، وهو قد أزمع على المقام هناك ليلته، والتخلف عن الدخول إلى قرطبة، كيما يدخلها صبيحة غده في تعبئة كاملة كان قد أمر بإعدادها وتهيئتها. فقال له عبدالله بن الشمر: تعلم أنك / معوق عن المبيت هاهنا، ولا بد لك الليلة من دخول قصرك مزعجًا. فقال: تالله لا دخلته!. فقال له ابن الشمر: تالله لتدخلنه على كرهك، ولأكونن في هيئتي شبيهك في طريقك إليه. وسوف ترى ما أقوله. فغضب الأمير من قوله، وسبه وكذبه.

١/١٧٠

وكان نهارهم ذلك صيفًا، حره كالزجاج صفاءً، فما هو إلا أن دنا المساء، ونشأت ريح بليل، نسجت في السماء سَماحيق[٢] سحائب حمرًا تكاثفت، فاكفهرت ثم درت، فانهمر الغيث سكبًا، واشتدت الريح عصفًا، وعظم الهول جدًا، فأكفأ الأبنية[٣] وأخمد النيران. وفزع الناس، ونفر الدواب، وأقام أهل العسكر على ساق يتداعون إلى الدخول واللياذ بالبيوت، ويضجون من سوء مقامهم.

فلم يجد الأمير بدًا من إطلاقهم لسبيلهم، فأمر بالإسراج لنفسه، وأذن للناس في الدخول، فابتدروه بكل سبيل. وركب الأمير في نُفَيْرٍ من خاصته، وعبدالله ابن الشمر إلى جانبه يسايره، والسماء تعمل عملها لا تفتر.

فبينما هما يركضان، طلب النجاة من هولها، إذ وطئت دابة عبدالله مسمارًا توجأت منه فلم تنهض، فأمر له الأمير بفرس من جنائبه[٤] بسرجه ولجامه،

(١) ص: الصرادق.

(٢) السماحيق جمع سِمْحاق، وهي القطعة الرقيقة من الغيم.

(٣) كذا في الأصل، وربما كان الأوفق للسياق: الأبنية.

(٤) ص: جنابته، والجنائب جمع جنيبة، وهي الفرس أو الدابة إلى جانب ما يمتطيه الراكب.

فركبه. وشكا نفوذه الماء لغفارته التي[1] كان يتوقاه بها ووصوله إلى جسده. فأمر له الأمير بممطر خز من مماطره وقنزعة[2] من قنازعه صبًّا عليه، فاستوى والأمير عبدالرحمن في لبوسه، ومضى يسايره.

فلما نزل قال له: يا مولاي، كيف رأيت قولي؟ أولست داخل قصرك كما قلته؟ وألست الساعة مساويًا لك في مركبك وملبسك؟ فضحك من قوله، وعجب من حذقه، فقال له: بلى، فانطلق لسبيلك، فما عليك وتحتك، فقد وهبت ذلك لك، والصلة لاحقة بك. ودخل الأمير إلى قصره، وقد ناوله ابن الشمر[3] رقعة عجل كتبها لوقته فيها: [مجزوء الوافر]

تحـــــرَّكْ حين حـــــركـــــه ... لـوقـت إيـابـه الـقَـــــــــدَرُ

أيا مـن حـــولـه الحُـــجَّـــــا ... بُ والأســـتـــــار والحُــــجَـــرُ

لئـن كنـت امـــرءًا يـخـــشى ... بوادر زجـــــره البـــــشـــر

فـــمـــا يـخـــشـــاك بهـــرام ... ولا زُحَـلٌ ولا القـــــمــــر

وذكر القاضي، أبو الوليد ابن الفرضي قال:

كان عبدالله بن الشمر، مع براعة أدبه، من أبصر الناس بعلم النجوم، وأدقهم نظرًا فيه. وله في القضاء عليه أقوال محفوظة، منها: [البسيط]

يا سائلي عـن مدى أملاكِ قـرطبةٍ ... عـندي بـذاك لـهـم عـلمٌ وآثـار

إذا أدير[4] عليـهم سـتَّـةً زحل ... لم يبق منـهم بأرض الغـرب ديَّار

/ وآية القـوم في تغـيـير ملكهمُ ... إذا عتَوْا وطغَوْا في الحكم أو جاروا

قـحطٌ يعم بـلاد الغـربِ قـاطبـةً ... حـتى تودِّعَ منهـا الأرضَ أمطارُ

١٧٠/ب

(١) ص: الذي.

(٢) القنزعة وجمعها قنازع غطاء الرأس.

(٣) ص: الشمار.

(٤) كذا في الأصل. وربما كان الصواب: أدار.

وقوله: [الطويل]

إذا بُنِيَتْ دورُ المُدوَّرِ لم تَزَلْ ... تدور على الأيامِ فيها دوائرُ
هنالك لا تلقى امرءًا غيرَ مُنْشِدٍ ... وقد بَدَرَتْ منه الدموعُ البوادرُ:
"كأن لم يكن بين الحَجونِ إلى الصَّفَا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامر"(١)

مروان بن غزوان

كان من أكابر هذه الطبقة علمًا بالنجوم، وهاجمهم على دعوى القضاء بدلائلها، الجامعين إلى الحذق بها خصلة الأدب، ومرتبة الشعر - مروان بن غزوان، وكان متصلاً بالأمير عبدالرحمن بن الحكم وصنيعة له، ولحق دولة ولده محمد بن عبدالرحمن، فدار عليه فيها خطب خسف به، فأداه إلى الضرب الموجع والحبس الطويل. وُجِدَتْ له في باب التنجيم مع الأمير عبدالرحمن، أخبار كثيرة.

منها ما ذكره أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي طالب الأصبحي(١) {95} جار ابن غزوان قال:

خرج الأمير عبدالرحمن بن الحكم غازيًا إلى الثغر في بعض مغازيه، وقد حضره مروان بن غزوان، وعدل طالع خروجه، فبشره بالسلامة، ووعده بالظفر في وجهته، والافتتاح لثلاثة معاقل من بلد العدو. فلما فصل الأمير سائرًا في

(١) ضمَّن الشاعر هنا بيتًا ينسب لعامر بن الحارث الجرهمي قاله ومعه بيت آخر حينما هلك أكثر قبيلته جرهم وأجلت خزاعة بقيتهم عن مكة وكانت لهم ولاية الكعبة. ويلي البيت المذكور قوله:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

(الطبري: تاريخ الرسل والملوك، القاهرة ١٩٧٧-٢/ ٢٨٥).

(٢) ص: الأصحبي.

طريق محلته الأولى من قرطبة، فكَبَتْ به دابته، فسقط إلى الأرض ومُنح[1] سلامة في جسده [بعد أن] أكبّه لوجهه[2]. فأنفذ من محلته رسولاً يستدعي مروان إليه، فلحق به، فخلا معه وقال له: أعدْ نظرك فيما بشرتني به من بركة هذه الغزاة، فقد بدا إليَّ في افتتاحها تكدُّر بي. ووصف له نكوبه وكدر خاطره، وقال له: اصدقني الآن، أأنت على قولك الأول وواثق به أم لا؟ فقال له: نعم، أصلح الله الأمير، ما يخلجني شك بدليل علمي، وصدق نظري. فقال له: فإني أشهد الله أعدل الشاهدين ومن يحضرني من خواصي هؤلاء، لئن صدقت مقالتك، أني أصلك بألف دينار، ولئن كذبت أني أضربك ألف سوط. فارجع إلى بيتك على اعتقاد شرطي، فإني نافذ لوجهي.

فرجع عنه مروان حائرًا، فسأله جدي عبدالله بن أبي طالب، لأي شيء بعث فيه الأمير، وكان جاره وواثقًا به، فأفشى إليه سره. فقال له: لقد أصبحت على خطر عظيم، / فكيف ثقتك بما خرصت له؟ فقال له: أما العلامات الدالة فمقوية لرجائي، غير أن الله من وراء ذلك، ومشيئته الغالبة. فقال له جدي: فما أنت صانع إن نزل القضاء بخلاف قولك؟ فقال: عملت والله على أن أستتر عندك إن كان ما أحذره حتى تسعى في تأميني. [فقال له جدي:][3] ويصنع الله لك على سوء تقحمك[4] ما حجب عنك من غيبه، ثم يتوب عليك إن شاء الله عز وجل.

ومضت الأيام، وقد صمم الأمير عبدالرحمن في غزوته، فصنع الله له، وأظهره على العدو، وافتتح ثلاثة معاقل، وقفل سالمًا. فأحضر مروان وبَجَّح إليه

---

(١) ص: وقبح.

(٢) ص: أكبنه لوجهه، وواضح ما في العبارة من تحريف أصلحناه بما يرى، غير أنها تبدو منقطعة عما سبقها، مما حملنا على إضافة ما أضفناه قبلها.

(٣) إضافة يقتضيها تمام السياق.

(٤) ص: تقمحك.

نفسه[1]، وأعطاه الألف دينار، التي[2] وعده بها، فجاء بها من فوره[3] إلى مسجد جدي عبدالله بن أبي طالب، فعرفه بشأنها، وبشره بخلاص نفسه، وأخذ من الدراهم جزءًا يسيرًا، وتصدق بسائرها على المساكين والضعفاء بحضرة جدي عبدالله، فاستحسن هو ومن حضر فعله.

وقرأت بخط عبادة الشاعر قال:

مروان بن غزوان، يكنى أبا عبدالملك، كان أصله فيما بلغني من طليطلة، وكان مسكنه بقرطبة داخل مدينتها، بجوار عبدالله بن أبي طالب الأصبحي، على مقربة من بني عامر، وكان شاعرًا خبيثًا[4] وظريفا مستخفًا، وكانت صناعته التنجيم وانتحال القضاء بدلائله، فغلب عليه العلم بها، وأضحى مقدمًا في منتحليه. وكان على ذلك خبيث اللسان، وقاعًا في الأعراض، متحككًا إلى الناس، فجاء عِرِّيضًا كثير الشعر، قليل التجويد فيه. وكان متصلاً بالأمير عبدالرحمن بن الحكم وصنيعة له ومعدودًا[5] في منجميه. جرت له معه في صناعته[6] أخبار كثيرة.

ولحق دولة ابنه محمد بن عبدالرحمن، فنكب فيها وجلد وأطيل سجنه. وجرت له في محنته خطوب كثيرة، والتقى عليه سعاية كبيري وزراء الأمير محمد بن عبدالرحمن: هاشم بن عبدالعزيز[7] ومحمد بن جهور، سعيا به إلى

(١) بَجَّح الرجل فلانًا، وبَجَّح به: أفرحه وسره.

(٢) ص: الذي.

(٣) ص: من فورها.

(٤) ص: خبيث اللسان، وعلى لفظ اللسان علامة شطب.

(٥) ص: ومعدوا.

(٦) ص: بعد هذا اللفظ "معه"، وهي زائدة لا يحتاج إليها السياق.

(٧) ص: محمد بن هاشم بن عبدالعزيز، وهو خطأ، فوزير الأمير محمد هو هاشم بن عبدالعزيز، ولم يكن له ولد يدعى محمدًا، فلزم حذف اسمه وتصحيح الاسم بما أثبتناه.

الأمير محمد، وتظاهرا[1] عليه، إذ كان مستخفًا بهما متخطيًا[2] إلى أعراضهما، تاركًا لامتداحهما، مترفعًا على قصدهما والاستجداء[3] لهما، فكانا معًا حاقدين عليه، طالبين عثرته، يشايعهما في ذلك أكثر أصحاب السلطان، لشدة تغطرسه عليهم، وكثرة استهانته بشأنهم. فتمالأت عليه جماعة منهم أصابوا مقتله، من طريق أبيات غزل عزيت إليه، أنه كان قالها في الأمير محمد أيام صباه. وذلك أنه كان مجاورًا للدار التي كان يسكنها الأمير محمد في حياة والده الأمير عبدالرحمن عند باب عامر. فنظر يومًا إلى محمد [وهو][4] جميل أمرد فُضُلٌ في غلالة شرب، وهو يميس كخوط بان، فوقع بنفسه لفرط فسقه وتغزل به إقدامًا وجرأة مستخفًا بقوله، فحفظت منه هذه الأبيات: [الطويل]

/ أعلّلُ نفسي بالمواعيد والمنى ... وما العيشُ واللذاتُ إلا محمدُ ‎١٧١/ب

فذاك سبى عقلي وهاج ليَ الصبا ... فما شبهه حُورٌ أوانسُ نُهّدُ

ولكن غزالٌ عبشميٌّ سما به ... أبٌ ماجدُ الآباءِ قرم[5] ممجّدُ

وسقطت إلى بعض أعداء مروان، فوجد السبيل إلى تحريك المقدار بها عليه، ودسها إلى هاشم وصاحبه [محمد بن][6] جهور عند إمعانهما في طلب مروان بشنع ما أسلفه، من فرط جرأته على السلطان وتخطيه إلى امتهان عرضه، فعرّض هذان الوزيران للأمير محمد بما كان من مروان في ذلك قديمًا، وما يبدو من شر هذه حديثًا، فشبّا ناره على مروان، وهاجا امتعاضه.

(1) ص: وتظاهرهما.

(2) ص: شخصيا.

(3) ص: والاستمراء، ولا معنى لها في هذا السياق، ولعل الصواب ما أثبتنا، فهو الذي يوافق السياق. ويمكن أن تكون أيضًا: الاستخذاء.

(4) زيادة يقتضيها تمام المعنى.

(5) ص: قوم، والقرم السيد المعظم.

(6) زيادة تتطلبها صحة الاسم.

فأمر بالقبض عليه، وعهد إلى صاحب السوق عبدالله بن حسين بن عاصم {96} بأن يجلده ثلاثمائة سوط عدد أبياته مثين[1]، ويشد حبسه. ففعل به ذلك وأطال[2] محنته[3]. وكان جليداً على ما نزل به، ويظهر التهاون بالحبس، ويكثر العبث فيه بالأشعار، ويكاتب منه أصحابه[4] بالمجون، ويستهدي منهم الشراب، ويبتعث ممن معه الأطراب، ولا يتألم من طول السجن، ولا يستعطف السلطان ولا أصحابه لشدة الكرب به، فيزيد ذلك في حقدهم وقوتهم عليه.

ومما كتب به من الحبس إلى عصابة من إخوانه، عرف باجتماعهم على شراب لهم غبطهم بعسرته: [البسيط]

يا ليتني معكم حتى أفوز بمن ... أضحى لديكم رخيمَ الدَّلِّ فتانا
فعاقروها[5] بها صِرْفًا معتقةً ... يا أهل وُدِّي وكونوا حيثما كانا
لولا رياحٌ أتت[6] من دون زَوْرَتكم ... لزرتكم فنفيتُ اليوم أشجانا[7]

وقال لعلي بن سياح، وكان محبوساً معه، وبقربهم غلام جميل الوجه كانا يتغازلان به، فقال مروان: [الطويل]

إذا بِتَّ محزونًا ضعيفَ التجلُّد ... بليلٍ طويل يا خليليَ سَرْمَدِ
وعِيلَ عزاءُ النفس منك تأسُّفًا ... أبا[8] حسنٍ فانظر إلى وجهِ أحمد
فإن فتى أضحى لديهِ خليلُهُ ... وإن كان محبوسًا لفي اللهْوِ والدَّدِ

(١) هكذا ورد اللفظ، وهو يعني مائة لكل بيت.

(٢) ص: وطال.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ وله وجه مقبول ولو أنني أظنه محرفًا عن "محبسه".

(٤) ص: أصحاب.

(٥) ص: فعاقرها.

(٦) ص: أتى.

(٧) ص: أسجانا.

(٨) ص: أبي.

وقال لابن سياح أيضاً، من أبيات فخر فيها بوطنه طليطلة: [الطويل]

وإنا وإياك اللذانِ رَمَتْهُما ... صروفُ الليالي بالشدائد والضربِ
وصرنا رهينَيْ حبسِ قرطبة التي ... بها ذل[1] عِزُّ الصعبِ للملكِ الغربي[2]
سوى بلدةٍ أضحى بنوها أعزَّةً ... أحنُّ إليها اليوم كالواله الصَّبِّ
بها جُلُّ إخواني الألى فرقتْهُمُ ... حوادثُ أيامٍ تتابعْنَ بالنَّكْبِ
وكل مصيباتِ الزمانِ وجدتُها ... سوى فُرْقَةِ الأحبابِ هيِّنَةَ[3] الخطبِ

وقوله من أبيات يعرض فيها بالأمير محمد: [السريع]

أصبحت في الحبسِ كأعمى سعى ... في ظلمةِ الليل بِمِنْساة[4]
وحسبُ نفسي غُمَّةً أنني ... رهينُ حبسِ الملكِ العاتي

وقوله: [الكامل]

إن الزمانَ نبا بأهل مودَّتي ... وكذا الزمانُ بكل خلٍّ نابي
أخفى رِتاجُ الحبسِ كلَّ مواصلٍ ... عني ونادى مُسْمِعًا بذهاب
والحبس يصرِمُ كل خلة[5] واصلٍ ... ويحول بين مُشَوَّقٍ[6] وكعاب
/ أصبحتُ محبوسًا بقرطبةَ الَّتي ... يأوي بها الحمقى ذوو الإتراب ١٧١/ب
وبقيت فيها عانيًا متضعضعًا ... ما بين قوم نُذَّلٍ وقِحاب
فأنا الذليل ببلدة ممقوتة ... في الحبس ذو كُرَبٍ وذو أوصاب

---

(١) ص: دل.

(٢) ص: الغريب.

(٣) ص: بينة.

(٤) المناة هي المنسأة خففت همزتها، وهي العصا تكون مع الراعي أو الأعمى يستعين بها على المشي.

(٥) ص: خل مواصل. ولا يستقيم بهما المعنى ولا الوزن، والصحيح ما أثبتناه، والخلة (بضم الخاء) الصداقة والمحبة.

(٦) ص: مشرق.

ورتاجُ بابِ الحبسِ نافٍ[1] للكرى ... ومُجَمِّعُ الشتّى بلا أنساب

أبلت غمومُ الحبسِ جِدّةَ ميعتي ... وحنَتْ قناةَ غضارتي وشبابي

فلئن به أصبحت رَهْناً إنني ... فيه كعضب صارم قضّاب

ما هدّ ركني طول حبسي لا ولا[2] ... خُلِقَتْ لذلك رَيْطتي وثيابي

ما الحبسُ والدنيا لديَّ إذا هنا ... ذُعِرِ الورى إلا طنينُ ذباب

وكتب إلى بعض إخوانه من الحبس: [الطويل]

خليلكَ مشتاقٌ إليك طَروبُ ... له عَبَراتٌ ماؤهن سكوبُ[3]

نأى زورةً عني على أن داره ... من الزائرين الملطفين قريب

لأصبحَ مهجورَ الفِناءِ كأنه ... طريدٌ بآفاق البلاد حَريبُ

يتوقُ إلى الدنيا وقد حالَ دونها ... من الحبس بابٌ مُرتَجٌ ورقيب

فهل بك شوقٌ مثلُ شوقي إلى التي ... تحن إليها أنفسٌ وقلوب

فإن بها قلبي رهيناً وإنني ... بأرضٍ جفاني أهلها لغريب

نأينا عن الأحبابِ في دار ذِلَّة ... وأَخْنَتْ[4] علينا للزمان خطوب

فأنفدْ دموعَ العينِ منك وبكِّهِمْ ... فصبرُكَ واهٍ والعزاءُ سليبُ

وأشعار مروان في هذا الحبس كثيرة لا طائل في أكثرها، ولم أجد خبراً عن عاقبة أمر زمنه أقصه، ولا وقعت على تاريخ وفاته فأثبته، على أن عواقب هؤلاء الخرّاصين على الأغلب مع من خدموه من الملوك إلى خُسْر. والله تعالى حافظ لغيبه، متفرد بقضائه عز وجهه.

---

(١) ص: ناب.

(٢) ص: أو لا مكان، لا ولا.

(٣) قدم الناسخ البيت الثاني على مطلع هذه القطعة، فأعدنا الترتيب إلى ما يجب أن يكون عليه.

(٤) ص: وأحنت، وأخنت علينا أهلكتنا وأتت علينا.

خبر الضَّبِّي

وإن من أفظع هؤلاء المنجمين عقابًا، وأشدهم من حرفة الملوك نكالاً، فيما سمعنا به جزاءً بما كسبت أيديهم، وتبيانًا لماثليهم من الناس، أن لو ملكوا زمام الغيب لحرسوا نفوسهم من حمامه ـ لزعيمهم المقدم على جماعتهم، المرتضَى[1] لفتنتهم وقت احتشادهم،[2] وتناغيهم في غيهم، عبدالواحد بن إسحاق الضبي، إمامهم وقدوتهم، الذي ركبوا نهجه، واقتفوا نحوه، فقصروا عن مداه، وأقروا له. فصارت آفته مَذَلُه بِسِرِّه[3]، وبَوْحُه بصواب[4] أقضيته وتطيره لكل ما يقع له فيها من نوادر رفاقه. فكانت الرافعة له الجانية[5] عليه. وقد كان مقربًا عند خلفائنا المروانيين بالأندلس / مناجًى منهم بالمسائل النجومية، فائزًا لديهم، حذق[6] الاستخراج للضمائر، وصدق الوفاق في الأقضية. ولم يكن له إلى ذلك حصاة[7] تحجره عما يجرؤ[8] عليه من الاعتراض على السنة، والاستهداف[9] إلى العامة، فركب من غلطه جموح عنان، أداه إلى وشك المنية. ١٧٢/ب

وهو الذي آذن للأمير هشام بن عبدالرحمن بقصر مدته(97)، لما سأله عنها من طريق أدلته، فجاء من صدق وفاقه في ذلك ما حمل من جاء بعده من ولده على

---

(١) ص: المرتض ويحتمل أيضا أن تكون "المرتاض".

(٢) ص: أحتشادهم.

(٣) ص: مذلة بسيره. والصواب ما أثبتنا والمذل (بفتحتين) هو قلق المرء بسره حتى يفشيه. ونؤكد هذه القراءة العبارة التالية " بوحه بصواب أقضيته"، أي أن مقتله إنما أتى من إفشائه لأسرار تنبؤاته.

(٤) ص: وبوجه بصوب.

(٥) ص: "فكانت الواقعة له الجمانية" فصوبنا العبارة بما يرى، والمقصود أن حذقه الذي رفع مكانته هو الذي جنى عليه.

(٦) ص: عدق.

(٧) الحصاة رجاحة العقل وجودة الرأي.

(٨) ص: يجده، ولا معنى لها في هذا السياق، وما أثبتناه هو الموافق للمراد.

(٩) ص: والاستهراف.

الارتباط بعبدالواحد هذا والإدناء لمنزلته، والاقتباس من علمه. فصار أكلفهم بذلك، وأدومهم عليه[١] عاقبهم الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام. فأزلف هذا الحائن بخاصته، ومال عليه بإحسانه، وأدنى مكانه من داره، وعول عليه في سؤاله. فبيناه يرتقي إلى الذروة من إيثاره واجتبائه، إذ أنكر الأمير عليه أمرًا باح به من مكتمات أسراره، فجمع به من أجل ذلك جمحة لم يستقلها من خُطَى دهره، أدنته إلى سخطه عليه، وسفكه لمهجته.

قرأت في كتاب القاضي أبي الوليد ابن الفرضي المؤلف، في الرجال قال:

الضبي المنجم الشهير ذكره بالأندلس، اسمه عبدالواحد بن إسحاق، كان منجمًا حاذقًا، دقيق النظر، صائب القياس، صاحب قضايا. وله الأرجوزة[٢] المشهورة في علم النجوم، كان يذكر عنه أنه قلما[٣] يخطئ في قضية. وخدم الأمير محمد بن عبدالرحمن، فخص به وقتًا. وكان الأمير محمد من أغير الأمراء على سره. ومنجمه هذا من أمذل[٤] الناس به، لا يزال ينشر قضاياه السرية معه تبجحًا بعلمه، فيذيعها الناس عنه، ويتوعده الأمير محمد على ذلك، فلا ينتهي، إلى أن وقعت للأمير محمد داخل قصره في الليل قصة، استدل عليها الضبي بصحة رصده، فخاطبه بها مع الصباح مكشوفة مفسرة. فاشتد غضب الأمير محمد عليه، وعزم[٥] على إقصائه عنه، والاستراحة منه. فأمر بالتوكيل به، وإخراجه مزعجًا إلى طُرْطوشة قاصية الأندلس الشرقية{98}، فنفذ الأمر عليه.

وذكر أنه مر مع الموكل به بغنم على الطريق سارية[٦]، فأخذ الموكل منها شاة

---

(١) ص: عليهم.

(٢) ص: الأرجزة.

(٣) ص: قال ما.

(٤) ص: أبذل، وأمذل الناس، أكثرهم إفشاء لسره.

(٥) ص: واعزم.

(٦) ص: بغيم... سارية، والصواب ما أثبتنا، وسارية: ذاهبة على وجهها.

ليأكلها. فصرخ الراعي، وتداعى أهل القرية بالسلاح. فأشار[1] الضبي بغلام تعلق بالموكل وأطار رأسه عن جسده. فلما نظر منه أهل القرية ساقطاً بالأرض فزعوا وولوا هاربين. فقال الضبي للموكل: خذ الآن ما شئت واذهب، فلا خوف عليك. فأداه الموكل إلى طرطوشة وحبس بها.

فذكر محمد بن حفص عن أبي عمر بن عبد ربه، عن ابن العذراء صاحب الضبي قال:

لما صار الضبي عند عامل طرطوشة وبلاه[2] خف عليه ونفس [به][3] عن القتل، وحرص على أن يخلصه من الموت، فكان الضبي يبعد ذلك عنه، ويقطع على أنه غير / ناج من الأمير محمد، وأن منيته قد حانت لا مَزْحَل[4] له عنها، وقال له: سوف يأتيك رسول خصيٌّ على فرس، لونه كذا، فيأتيك [كتاب الأمير محمد بقتلي][5]، ثم يأتيك فارس فحل على فرس، لونه كذا، بكتاب في استبقائي[6]، فيجدني قد فات أمري. ١/١٧٣

فقال له العامل: فإنه إذا وردني الكتاب بقتلك أتأنّى بك حتى يردني الكتاب باستبقائك. فقال له الضبي: هيهات! إنك لو تأنيت بي سنة لم يأتك[7]، وساعة تقتلني يأتيك! فقال له: فهذا البحر معرض لك، فاركبه الساعة وانجُ بنفسك، وسِحْ في أرض العدوة، فأعتذر بهربك من يدي، وأُغرِّر في ذلك بمهجتي. فقال

(١) كذا في الأصل، ولا معنى للإشارة هنا، ولعلها فثار.

(٢) ص: وتلاه، وقوله بلاه يعني اختبره.

(٣) إضافة يقتضيها السياق. ونفس به ضنَّ به.

(٤) ص: لا من حل، ولا مزحل: لا معدل ولا مفر.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) ص: استقبالي.

(٧) ص: يأتيك.

لـه الضبي: كل ذلك لا يغني عني، وسوف تقف على قولي.

فقرب لـــه العامل سراً مركبـاً بآلته، فأركبـه إياه، فلما لجَّج في البـحر ركدت الريح، فلم يتحرك المركب شهـراً. ووافى الفارس الخصي، الذي نَبَّأ عنه من عند الأميـر إلى العامل يأمـره بقتل الضبي. فلم يسع الـعامل إلا إنفاذ ذلك. فـأخرج الضبيَّ من ذلك المركب، الذي قـدر أنه ينجيه، فـأنفذ قتله. فلـم تمض إلا سـاعة حتى ردفه الفارس الفحل، باستبقاء الضبي وقد فات، فكثر الأسف عليـه.

وأخبار هؤلاء المنجمين مع الأمـير عبدالرحمن كثيرة. وفـيما آتينا مما انتهى إلـنا من ذلك كفاية، وبالله التوفيق.

الابتداء بنسق التاريخ
على سني دولة الأمير عبدالرحمن بن الحكم
وذكر ما جرى فيها من الأحداث، والكوائن المشهورة

سنة سبع ومائتين:

أول ذلك، خبر انتكاث عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية[1] على الأمير عبدالرحمن، ورده لبيعته، وسعيه للتفريق[2] عنه، وسرعة اختطاف[3] المنون له خلل ذلك، ورفع الله تعالى الفتنة.

قال عيسى بن أحمد الرازي:

لما جاءت بيعة الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى عم والده، عبدالله بن عبدالرحمن، المعروف بالبلنسي، المقيم ببلنسية، أخرها والتوى بها، وكتب إلى عبدالرحمن يعتلي،[4] عليه ويعدد حقوقه عنده وعند أبيه وجده من قبل، ويسأله أن يضم كورة تدمير إليه، ويتجافى [عن][5] خرجها له، ويصف / ثقل ظهره ١٧٣/ب بالأهل والذرية، وقصوره عن فروض المروءة، وحاجته أن ينظر فيما يلحق حاله بالسعة، وتقدم على تفئة[6] ذلك من بلنسية موطنه إلى كورة تدمير مستولته، قبل أن يأتيه جواب عنها، فاحتلها وظهر عليها، وكشف وجهه بالمعصية، واستغرّ[7] [8]

---

(١) ص: عبدالرحمن بن الحكم. وهو خطأ واضح.

(٢) ص: للتفرق.

(٣) ص: اخطاف.

(٤) كذا ورد اللفظ في الأصل، ولها وجه مقبول، وإن كان يحتمل أيضاً أن يقرأ "يعتلّ".

(٥) إضافة يكتمل بها السياق.

(٦) ص: ويقدم على بقية. وعلى تفئة ذلك: على أثر ذلك.

(٧) ص: واستقر.

(٨) إذا صحت قراءة اللفظ على هذا النحو فإنه يكون بمعنى غرّ أو خدع واستمال، ولو أن معناه الحقيقي اغتر، وقد يكون تحريفاً عن "استغوى".

إليها من حواليه من أهل القرابة، فثاب إليه منهم خلق كثير عسكروا معه بباب تدمير. وكان توافيهم إليه في يوم خميس. وسألوه الخروج من يومهم نحو قرطبة، فتأناهم وقال لهم: بل نصلي على بركة الله غداً صلاة الجمعة، ونفصل يوم السبت بعده.

فلما كان يوم الجمعة، وكان وقت الظهر، راح إلى المسجد الجامع بتدمير، فتولى الخطبة بالناس، فأبلغ في تذكيرهم وتحريضهم، وكان خطيبًا مصقعًا. فلما شارف مقطع خطبته قال: معاشر الناس، رحمكم الله، أمِّنوا على ما أدعو الله به، واسألوا ما أنا سائله من الخيرة فيما أؤمله. ورفع يديه نحو السماء فقال: اللهم فإن كنت أحق بهذا الأمر الذي قمت فيه من عبدالرحمن بن الحكم بن هشام[1] حفيد أخي، فانصرني عليه، وافتح لي فيه، وإن كان هو أحق به مني وأنا صنو[2] جده فانصره عليَّ. فأمن الناس جميعًا عالية[3] أصواتهم.

فلم يكد يستوعب كلامه حتى ضربته الريح الباردة، فسقط إلى الأرض مفلوجًا، واحتمل إلى مكان مضطربه، فأكمل الناس صلاتهم بغيره. ومكث عبدالله مسكتًا أيامًا، ثم إن الله أطلق لسانه ومنعه سائر جوارحه، فقال لأتباعه: إن الله تعالى قد أجاب الدعوة، وفصل الخطة، وحماني الإمرة، فلا مردَّ لحكمه. فامضوا لسبيلكم. فتفرق جمعه وأخذ كل منهم جهته، وصرف أهله إلى وطنه بلنسية.

ثم أنفذ الكتاب إلى الأمير عبدالرحمن، يخبر بعلته ويأسه من نفسه. وعهد إليه بالنظر لأهله وولده من بعده. وجعل له وصيته، واستعطفه على ورثته، وسأله نقلهم إلى حضرته وإيواءهم في كنفه. واضطرب عبدالله في علته تلك، وقد

(١) ص: الحكم بن هاشم، وهو خطأ واضح.

(٢) ص: صهر، خطأ آخر.

(٣) ص: عالين.

استحرّت[١] به، فلم يعرض له الأمير طول حياته إلى أن هلك ببلنسية في سنة ثمان ومائتين بعدها. فأنفذ الأمير عبدالرحمن عهده، وآوى إليه ولده وأهله، فبوّأهم كنفه. واستصفى كورة بلنسية، فاستعمل عليها عماله، وحملت أموالها إليه.

وقعة بالش

قال أحمد بن محمد الرازي:

وفيها كانت وقيعة بالش،{99} على عصاة الرعية الممتحنين على الأمير عبدالرحمن، / بفرط الدالة. وكان سببها، أن الأمير عبدالرحمن لما خلف أباه ١/١٧٤ الأمير الحكم في النظر أيام اشتدت علته، ويئس من نفسه، فلزم قصر الخلافة[٢]، وجلس لتنفيذ الأحكام على بابه، نصح أباه الحكم في ربيع القومس المتقلد لأمور العجم بقرطبة، والقيم بقهرمة الأمير الحكم والمُحَسِّن له كل سوءة من أذى الرعية، وأطلعه على ما خفي عليه من قبائحه، وعرفه ما نال أهل الملة والذمة من أذاه، وكان فوق ما وصفه، فتبرأ الحكم منه، وتقرب[٣] إلى الله بقطع عاديته، وأمره بصلبه والتمثيل به، ففعل ذلك، واشتد سرور جميع الناس بالانتقام منه.

وتوفي الأمير الحكم على تفئة[٤] ذلك، فخلص الأمر بعده لعبدالرحمن ولده، وآتاه الناس البيعة، فلم يختلفوا عليه، وتسامع أهل الكور برغبته في الخير وقتله لربيع الشر، فقدموا من كل النواحي إلى قرطبة مؤمّين للبيعة، سائلين المطالب المشتطة، وكان[٥] أسوأهم تناولاً وأشدهم فيه اعتاقًا أهل إلبيرة، فإنهم انجفلوا

---

(١) اللفظ في الاصل يمكن ان يقرأ أيضا "استعرت"، وكلتا القراءتين صالحة، فهي بمعنى التهبت واشتدت.

(٢) ص: الخلفية.

(٣) ص: واقترب.

(٤) ص: على بقية ذلك، وقد صححناها فيما سبق.

(٥) ص: وكان هذا، ولفظ هذا مقحم يفسد السياق، فحذفناه.

إلى قرطبة في خلق كثير، يشكون ثقل مغارمهم، وقطيع اعتلافهم، في الذي استزاده ربيع اللعين عليهم على متأصل وظائفهم. فعرسوا ببالش منزلهم، وأقصروا عن الدخول إلى قرطبة.

وأرسلوا يسومون إسقاط زيادات ربيع القومس بأسرها، ويشترطون إلى ذلك شروطًا، اشتطوا في سؤالها، ودفعوا عنها. فضجوا ودبوا، وساءت آدابهم، وانبسطوا. فأرسل الأمير غلمانه الخرس[1] لتفريقهم، فأبوا عليهم وسبوهم، وتداعوا بشعار خلافهم، وشهروا السلاح على الخرس[2] ودافعوهم. فأرسلوا يستأذنون في البسط عليهم. فكره الأمير ذلك، ورام تسكينهم، فلم يسكنوا بحال.

قال:

فسرح عليهم عند ذلك الحشم، فوطئوهم سريعًا، وفضوهم فأذرعوا القتل فيمن وقف منهم، وفرَّ فَلُّهم متقطعين، فلم يتَّبعوا، وكان ذلك في المحرم سنة سبع ومائتين إلى عشرين يومًا من ولاية عبدالرحمن.

وفيها قدم عبدالغني ودحيون وبهرام بنو عبدالرحمن بن رستم الإباضي، أمير تاهرت في أرض العدوة مولى بني أمية - وولِيهم أو جدهم عبدالوهاب - على الأمير عبدالرحمن. فكرم موردهم وأوسع قراهم، وأجزل صلاتهم، وقلبهم مغبوطين إلى أرضهم، فقضى أن غرق المركب الذي كان فيه دحيون وبهرام منهم، فهلكا ومن كان فيه معهما، وتخلص أخوهما[3] عبدالغني ومن كان معه في مركب آخر.

---

(١) ص: الخرسي.

(٢) ص: الخز.

(٣) ص: أخوهم.

وقيل: إن الذي أنفقه الأمير عبدالرحمن عليهم وما به وصلهم وكساهم وحملهم انتهى إلى ألف الف دينار. واتفق أن هلك أبوهم عبدالوهاب قبل أن يأتيه خبرهم، / وذلك على رأس سبعة شهور من ولاية عبدالرحمن. فولى تاهرت مكانه ابنه أفلح بن عبدالوهاب{100}. ١٧٤/ب

وفيها خرج الأمير عبدالرحمن إلى الجبل لصيد الإيَّل[١]، فبات ليلة وانصرف.

وفيها عزل الأمير عبدالرحمن محمد بن زياد شبطون عن القضاء بقرطبة، وأقره على الصلاة، واستقضى مكانه أبا خالد سعيد بن سليمان البلوطي، ثم جمع له الصلاة مع القضاء في ربيع الآخر منها{101}.

وفيها ثارت فتنة تدمير، بين اليمن ومضر{102}، فاستفحلت[٢] وعظمت، واتصلت سبع سنين. فأغزى[٣] إليهم الأمير عبدالرحمن في هذا العام يحيى بن عبدالله بن خالد{103}، وصيَّرَهُ واليًا عليهم، فلم ينقادوا له، وجعل يرسل عليهم القواد بالجند مرة بعد أخرى، فيتفرقون، حتى إذا قفلوا[٤] عنهم عاودوا التجمع، وشبوا الحرب، فأعيا يحيى أمرهم، وأعضل به شأنهم. وكانت بينهم في هذا العام الوقعة المعروفة بالمصارة{104}، انتهى قتلاهم[٥] فيها إلى ثلاثة آلاف رجل.

وكان سبب ابتعاث هذه الفتنة من ورقة دالية جمعها رجل مضري من جنان رجل يماني بغير أمره، فرماه اليماني فقتله. فثارت الفتنة بين الفريقين، وتمادوا في حروبهم عدة سنين، والدوائر في أكثرها تدور على اليمانيين، والقتلى المعروفون منهم.

وفيها خرج الأمير عبدالرحمن بن الحكم متصيدًا إلى ناحية المدوَّر الأدنى{105}، وذلك في صدر ربيع الأول منها، فأقام في متصيده عشرة أيام، ثم انصرف.

(١) ص: الأيول، وما أثبتنا هو الصواب، والإيل هو الوعل، وجمعه أيائل.

(٢) ص: فاستحلت.

(٣) ص: فاغزى.

(٤) ص: فعلوا.

(٥) قتالهم.

ذكر المجاعة

قال:

وفيها، نالت أهل الأندلس مجاعة شديدة، هلك فيها عدة من الخلق. وبلغ مُدْيُ القمح في بعض الكور ثلاثين دينارًا.

وافقه ابنه عيسى بن أحمد وزاد فقال:

وهي المجاعة الأولى. واستسقى فيها أهل قرطبة مرارًا عدة. وكان قاضي الجماعة يومئذ يحيى بن معمر الألهاني، فتكرر بالبروز إلى مصلَّى الربض بالناس مرارًا، يضرع ويجتهد، والغيث في ذلك يتوقف، والقحط مُلِحّ. فكاد الناس يقنطون.

فلما كان في آخر بروز برزه، جعل القاضي ابن معمر لما توسط الاستسقاء ينادي بأعلى صوته، وكان مناداه رَجُلاً من الصالحين الأوابين، وكان أشعث ذا طِمْرَين[١] {106} يعرف بأيوب البلوطي، يقال إنه كان مجاب الدعوة، وقعت عينه عليه. فوالى دعاءه وهو لا يجيبه حتى كرر النداء مرارًا، وقال له: عزمت عليك يا أيوب، إن كنت تسمع كلامي إلا قمت. فقام الرجل نحوه يجر رجليه وقال له: يا هذا، ما لي ولك؟ شهرتني[٢] في الناس بما لست أهلاً له! وكأني كنت آلو اجتهادًا / بحيث كنت، فأبيت إلا فضيحتي. فقال له القاضي: مهلاً[٣] يا أيوب، فالحال اضطرني إلى ذلك. وقبض على يديه فقال: اللهم إنا نستشفع إليك بوليك أيوب! اللهم لا تهلكنا وفينا الصالحون! {107}

١/١٧٥

(١) ص: ذا ظهرين، وهو كلام لا معنى له، فصوبناه بما نرى، والطمر (بكسر الطاء وسكون الميم) هو الثوب البالي الخلق. وانظر التعليق ٦-١.

(٢) ص: شهدتني.

(٣) ص: سهلاً.

قال:

فما انفض الناس من مصلاهم حتى هبت ريح بليل، ونشأت سحابة ثرة[١] من جانب الغرب، ثم تلتها أخرى، فبرقتا ورعدتا، وانهمر المطر جَوْدًا. فمطر الناس ما فاتهم، ومكثوا زمنًا يتحدثون بشأن[٢] أيوب هذا، ويحرصون على معرفته. فيقال: إنه لم يُرَ بعد بقرطبة.

قال:

ويزعم بنو[٣] زياد شبطون، أن هذه القصة جرت لجدهم محمد بن زياد أيام قضائه، وأن أيوبًا[٤] هذا كان من أصدقائهم، وكان ينزل على جدهم زياد إذا قدم، ثم على ابنه من بعده.

وذكر محمد بن حارث أن قصة أيوب هذه جرت في استسقاء، كان في آخر أيام الحكم، في ولاية حامد بن يحيى آخر قضاته بقرطبة، يرويه عن ابن أبي تمام عن أصبغ بن خليل الفقيه أنه قال{108}:

حضرت الاستسقاء في أيام الأمير الحكم، وكان القحط قد دام وأضرَّ بالزرع، واستسقى بنا الخطيب ووعظ فأخشع، ثم نادى في عرض خطبته: يا أيوب البلوطي، عزمت عليك حيث كنت لتقومَنَّ إليَّ! فلم يقم إليه أحد. ثم قال ذلك ثانية، فلم يجبه أحد. ثم كررها ثالثة وقال: عزمت عليك بالله العظيم إن كنت تسمع كلامي لما قمت إليَّ!

فقام إليه رجل قد التحف في إزاره، فوقف بين يديه، ثم قال له: ما أردت

---

(١) ص: نيره، وقد يكون الصواب ما أثبتنا وإن لم نكن على يقين من ذلك. والسحابة الثرة الكثيرة الماء.

(٢) ص: بسان.

(٣) ص: بني.

(٤) ص: أيوب.

بهذا؟ لقد شهرتني. أما[١] كنت أدعو الله بحسيث أنا؟ فقال له: اعذرني، فقد ترى مقام الناس وما هم عليه، فدعني أدعُ وأمِّنْ أنت. ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنا نستشفع إليك بوليك هذا، فشفِّعنا به! وألح في الدعاء، وجعل الرجل يُؤمِّن ويلحف في المسألة. وكثر من الناس الضجيج والبكاء.

قال أصبغ:

فلم ننصرف من مقامنا ذلك، إلا وأحذيتنا بأيدينا[٢] من كثرة الماء. قال: وطلب الناس ذلك الرجل الذي استشفع به، فلم يوجد بعد في البلد، وقد اقتفوا أثره.

قال أحمد:

وذكرت هذه الحكاية لعمر بن حفص بن أبي تمام، فعرفها وقال: حدثني بها أصبغ، وكان الخطيب يومئذ حامد بن يحيى.

خبر صلب ابن أخت عجب

قال عيسى بن أحمد:

وفي أيام هذا الاستسقاء، الواقع في سنة سبع ومائتين، {109} قام الناس بقرطبة على يحيى بن زكريا الخشاب ابن أخت عجب {110} كريمة الأمير الحكم والد / ١٧٥/ب الأمير عبدالرحمن التي إليها تنسب المنية بعدوة نهر قرطبة والمسجد بالربض الغربي من حاضرتها {111}. وكان ابن أختها ذلك فتى مدمناً يرمى بالزندقة، وتحمل عليه في الاستخفاف بالديانة والزراية بالرسالة أمور شنيعة. فتجالب الناس عليه، فأكثروا القول فيه، ثم هجموا عليه يوماً، فتلُّوه حتى وافوا به باب السُّدَّة[٣].

---

(١) ص: أنا.

(٢) ص: واحد أيدينا.

(٣) ص: باب الشدة.

وكان من أكثر الناس تأليبًا عليه وتنويها[1] بذكره الفقيه المشاور عبدالملك بن حبيب.

وسمع الأمير عبدالرحمن غوغاء الناس الذين استعدوه بباب قصره، فارتاع وسأل عن شأنهم، فذكر له الخبر، فأمر بحبسه وطلب الشهادة عليه، فتكاثرت وصحَّت[2]، وأفتى الفقهاء بقتله، فأمر الأمير بصلبه، فنفذ ذلك، وشفيت صدور الناس عليه.

وذكر أن خالته عجبًا، حظية[3] الأمير [الحكم والد][4] عبدالرحمن دخلت عليه يوم أمر بقتله، مشقوقة الجيب داعية بالويل، فزجرها، وأغلظ لها وقال لها: هذا أمر دين لا يجب الإغضاء عليه لقريب ولا بعيد، للقيام بحقه فيه فضلنا الله على خلقه، وابتلانا ليعلم طاعتنا له. فإليك إليك، مردودة الشفاعة مقطوعة الوسيلة، فبحمايتنا الشريعة نستصرف النقم، ونستديم النعم. فأقصرت راغمة.

وقال عيسى بن أحمد الرازي:

كان صلب يحيى بن زكريا هذا، في سنة سبع وثلاثين ومائتين، آخرَ أيامِ الأمير عبدالرحمن بن الحكم. وصلب معه [محمد بن] عبدالله بن العذراء المنجم{112}. ولم يذكره والده ولا غيره{113}.

وقال ابن حارث في كتاب القضاة:

شهد على ابن أخت عجب، حظية الأمير الحكم بلفظ كفر نطق به عابثاً في

---

(١) ص: وتنويراً، ونوَّه بالرجل شهره ونشر ذكره، وهو يستخدم في الغالب في معرض المدح، ولكنه هنا يعني التشهير في معرض الذم.

(٢) ص: وضجَّت، وهي قلقة في هذا الموضع فالشهادات لا تضج، وإنما الأوفق للسياق أن تثبت صحتها، ولهذا كان التصويب.

(٣) ص: عجب لخطية الأمير عبدالرحمن، وهو خطأ واضح.

(٤) إضافة يتطلبها التصحيح المشار إليه في الحاشية السابقة.

يوم تَنَزُّلِ غيث فاتر{114}، ولم يزل الاستخفاف يعرف منه. وأنهى[1] خبره إلى الأمير عبدالرحمن، فأمر بحبسه، وطلب الشهادة عليه، فشفعت له خالته عجب إلى الأمير عبدالرحمن، وكانت مدلة عليه لمكانها ـ كان ـ من أبيه الحكم وأمومتها له، فرد شفاعتها وقال: لابد أن يكشف أهل العلم عما يجب عليه فيما [فاه][2] به، فيعمل بحسبه.

وتقدم إلى محمد بن السليم والي المدينة {115} أن يحضر القاضي محمد بن زياد وفقهاء البلد، فجمعهم في مجلس الشمة بالقصر{116}، فحضروه، وفيهم عبدالملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل، وعبدالأعلى بن وهب، وأبو زيد بن إبراهيم، وأبان بن عيسى بن دينار وغيرهم. فشاورهم في أمر ابن أخت عجب، وناولهم ثبت ما شهد به عليه.

فتوقف القاضي محمد بن زياد عن الفتوى بسفك دمه، وتبعه في ذلك من الفقهاء أبو زيد وعبدالأعلى وأبان. وأفتى بقتله عبدالملك بن حبيب وأصبغ بن خليل معًا. فأمرهم محمد بن السليم أن ينصوا فتواهم على وجوهها في ذلك الثبت / ليرفعها إلى الأمير، ويرى رأيه فيها، ففعلوا فلما تصفح الأمير أقوالهم، اختار قول ابن حبيب وابن خليل ورأى ما رأياه من قتل الملحدين.

١٧٦/أ

وأمر حسانًا الخصيَّ فخرج إليهم، وقال لابن السليم: يقول لك الأمير: إنه قد فهم ما أفتى به الفقهاء في أمر هذا الفاسق، فأخذ في أمره بالديانة، ويأمرك أن تنفذ قتل الفاسق الساعة، ويقول لك: أيها القاضي اذهب، فقد عزلناك لإدهانك في أمر الله تعالى جده. وأما أنت يا عبدالأعلى فقد كان الشيخ يحيى بن يحيى يشهد عليك بالزندقة{117}، ومن كانت هذه طويته، فحري ألا يؤخذ بفتواه. وأما

---

(١) ص: ونهى.

(٢) إضافة يتطلبها السياق.

أنت يا أبان فقد أردنا أن نوليك قضاء جيان، فزعمت أنك لا تحسن القضاء{118}، فإن كنت صادقًا فما آن لك أن تتعلم الرأي؟ وإن كنت كاذبًا فالكاذب لا يكون أمينًا. وسكت الحاكي عما قال لثالثهم - {119} أراه تقية أو حفظًا لولده -، وقال لابن السليم: يأمرك - أعزه الله - أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين، المؤيدين عبدالملك وأصبغ، فتضم إليهما أربعين من الغلمان، ينفذون لهما ما يريانه في هذا اللعين.

فخرج عبدالملك وأصبغ وهو يقول: إن لم ننتصر لرب نعبده من عبد سوء به، إنا لعبيد سوء! وأُعِدَّ للحائن جذع سُوِّي لصلبه، وجيء به من الحبس، وهما واقفان حتى عُولِيَ على خشبته، وشد رباطه، وإنه لينادي عبدالملك بلسان طليق: اتق الله ربك في دمي، فهذا مقام الصدق، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فاتقهما في إحلال[1] دمي! وعبدالملك يقول: الآن وقد عصيت؟! حتى طعن وأسيلت مهجته، فانصرفا. وجرى هذا، في سنة سبع وثلاثين ومائتين، لاشك فيه.

محنة هارون أخي الفقيه ابن حبيب

قال عيسى:

وعلى أثر صلب ابن أخت عجب هذا، وخوض الناس في صلبه وتنقيرهم[2] عما يلطخ بوصمته ما تجالبوا أيضًا على هارون[3] بن حبيب، أخي الفقيه الرئيس عبدالملك بن حبيب، فنسبوه إلى الإلحاد، وشهدوا عليه بالاستخفاف والتعريض، واستعدوا عليه الأمير عبدالرحمن، فأمر بحبسه أيضاً، وطلب الشهادات عليه. فشهد عليه أقوام بشهادات مختلفة. منها، أن رجلاً استعار منه سلمًا ليصلح به

(١) يتحلل.

(٢) ص: تنقيدهم.

(٣) ص: مروان.

سقف مسجد، فهوّن إليه سعيه في ذلك وقال: إني رأيت من تعلق بالله مخذولا، ومن تعلق بالشّبيرة{120} والقرابين حسن الحال عزيزاً. وأن رجلاً آخر سأله في مرضه، الذي طال به عن حاله، فقال له: أما الآن فلا بأس عليّ ولا بأس مني، إلا أني لاقيت في مرضي هذا ما لو أني قتلت أبا بكر وعمر ما استوجبت هذا / كله.

١٧٦/ب

ورُفِع الصك الذي انعقدت فيه شهادات القوم وتقييدها، وفتوى الفقهاء عليها، إلى الأمير عبدالرحمن. فنظر فيه، وأمر أن ينفذ إلى أخي المشهود عليه، الفقيه عبدالملك بن حبيب، وقد كان عُدِيَ به عنه، فأبى ذلك الأمير، وأنفذه إلى عبدالملك، ليفتي بالواجب عنده فيه، فأجاب عبدالملك عنه بجوابه المشهور المطول، الذي درأ فيه الحد عن أخيه هارون، وأوضح معاني ما أبطله به وأوجب خلاصه. فعمل الأمير عبدالرحمن بما أفتى به. وأطلق هارون، ورفع منذ هذا الوقت منزلة عبدالملك بن حبيب على الفقهاء أصحابه وشاوره في أكثر أموره، فجل في الناس مقداره{121}.

سنة ثمان ومائتين:

فيها، كانت الغزوة المعروفة بغزوة ألَبَة والقلاع من دار الحرب. وهي أول صائفة[١] جردها الأمير عبدالرحمن لأول ولايته، قلدها الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، فاحتل الثغر، وتوافت إليه عساكر المسلمين، فاقتحم بلد العدو من فج يقال له جولين، فأوغل ودمر[٢] وغنم واكتسف، وقفل سالماً، وكانت غزاة مشهورة {122}.

وفيها ولي محمد بن عتبة طليطلة.

---

(١) ص: طائفة.

(٢) ص: ودمر.

سنة تسع ومائتين:

فيها، عقد الأمير عبدالرحمن للحاجب القائد عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث على الصائفة[1]، فهلك بعد العقد له في المحرم منها، فعقد بعده لأمية[2] ابن معاوية ابن هشام {123} عليها، وقوّد معه مهاجر بن عتبة. فغزا أمية بن معاوية بالصائفة[3] إلى أوريط. وكان أهل أوريط قد قتلوا عمران المعروف بالفارسي، فاشتدت سطوته على أهل الرتب منهم، وسكن نفرة أهل الطاعة{124}، وتقدم إلى شنتبرية[4]، ومنها إلى تدمير. وكان أبو الشماخ محمد بن إبراهيم رئيس اليمانية يقوم فيها بدعوة الأمير عبدالرحمن على المضرية المفاتنين لهم بلورقة، وقد تلاحمت[5] الطائفتان في الفتنة ودامت بينهم، فهلك فيها بين الفريقين أمم. وفي هذه الغزاة قبض القائد أمية بن معاوية على عبدون بن عبد الله وغمر بن عبيدون، فقيدا، وأدخلا إلى قرطبة.

وفيها ولي مهاجر بن عتبة سرقسطة[6] / في صفر منها. وولي الوليد بن أمية طليطلة في رمضان، وعزل سريعًا في ذي الحجة منها. ١/١٧٧

سنة عشر ومائتين:

فيها، غزا الصائفة[7] عبيدالله بن عبدالله البلنسي، المعروف بصاحب الصوائف[8]،

---

(١) ص: الطائفة.

(٢) ص: لأمة.

(٣) ص: فعرى... بالطائفة.

(٤) ص: منتبرية.

(٥) تلاح.

(٦) ص: سرقصة. يعلق كورنيتي على ذلك بقوله إن نطق اسم المدينة بهذه الصورة يعكس النطق الذي جرى على ألسنة العامة، كما سجل ذلك ابن هشام اللخمي في كتابه «المدخل إلى تقويم اللسان» ص ٢٧٨، حيث ورد فيه: «ويقولون سَرَقُسْطه والصواب سَرَقُسْطه». ويضيف كورنيتي إن هذا التطور هو الذي تولد منه الاسم الحديثة للمدينة في الإسبانية Zaragoza.

(٧) ص: الطائفة.

(٨) ص: الطوائف.

وأمر بامتحان طاعة أهل شنتبرية، وحشدهم في طريقه، إذ اتصل عن بعضهم أنهم مالؤوا أهل تدمير، فحل بهم، فوجدهم منقادين على طاعته، وانحشدوا معه، فكثف جمعه، واضطرب في الثغر لتوه في الحشود[١] إليه، واستلحق الجند معه القطائع. فأرسل الأمير عبدالرحمن إليه بالأعطيات الخازن موسى بن حدير، فأعطى الجند وأراح عليهم. ودخل ألبة من بلد العدو في ربيع الأول منها، فأحرق ودمر وانتسف. ولحقه العدو قبلاً عند أصل جبل المجوس{125}، فمنحه الله أكتافهم وهزمهم، فقتل آلافاً[٢] منهم. وعرفت غزوته هذه بغزوة الفتح.

وفيها قبضت رهائن أبي الشماخ، محمد بن إبراهيم، القائم بدعوة اليمانيين بكورة تدمير، ورهائن أتباعه من أهل تدمير، على التزامهم الطاعة، وذلك صدر المحرم منها. وبقيت فتنة المضريين أضدادهم متمادية. ونفذ كتاب الأمير عبدالرحمن إلى جابر بن مالك، أن يتخذ مرسية منزلاً، ويجعلها للعمال موطناً. ففعل ذلك، وجرى الأمر على ذلك من يومئذ، وتاريخ الكتب من يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول من هذه السنة{126}.

وفيها أيضاً نفذ الكتاب بهدم مدينة آنة من كورة تدمير، التي منها ثارت أول هذه الفتنة، وتاريخه يوم الإثنين للنصف من ذي القعدة منها{127}.

وفي آخر هذه السنة التاث أمر أبي الشماخ، محمد بن إبراهيم رئيس اليمانية، وشارف الامتعاض. فبعث إليه الأمير عبدالرحمن بمحمد بن خالد، فاستصلحه وثبته على الطاعة، وعقد أمانه، واستزاد من رهائنه.

وفيها أمر الأمير عبدالرحمن ببنيان المسجد الجامع، بحاضرة جيان على مثال[٣] حَدَّه. وكتب بذلك إلى مسرة عامله على كورة جيان{128}، والزبير بن قطن

(١) ص: لتواه في الحسود.

(٢) ص: الأباء.

(٣) ص: على منال جده.

قاضيها، وأمرهما معًا بالنظر في ذلك، وتاريخ الكتاب يوم الثلاثاء لست خلون من ربيع الآخر منها.

وفيها غزا فرج بن مسرة أرض العدو، فافتتح حصن القليعة للنصف من شهر رمضان منها{129}.

وفيها أيضاً غزا عباس بن عبدالله القرشي، جلّيقية في عسكر آخر، فدخل على بازو[١]، ودخل أخوه مالك بن عبدالله / في عسكر آخر على قلمرية. وقد واعد أخاه عباسا ليلقاه، فلم يفعل، فابتلي ثم تخلص. وكان هذا كله في شهر واحد{130}. ١٧٧/ب

سنة إحدى عشرة ومائتين:

فيها غزا بالصائفة[٢] عبيد الله بن عبد الله، صاحب الصوائف، فانتهى إلى منيته[٣] وأفسد زروع القلاع{131}.

وغزا فيها أيضا عبدالله بن كليب بن ثعلبة الجذامي بربر أهل ماردة، فدخل على قورية[٤]. فلما انتهى إلى أم سرغين، هجم عليه لب بن خالد في البربر، فأفسد عسكره، وقتل قومًا من وجوههم؛ منهم مروان بن الجليقي، وعبيد الله بن عمر الصوفي في أكثر من ثلاثين من خيارهم. وتفرق الناس، وبطلت الصائفة[٥]{132}.

وفيها ثار طوريل بتاكرونا، فغدر بالخرس[٦] موالي الأمير، وقد تضيفوا أهل قريته وهم سائرون إلى الجزيرة. فهجم عليهم وهم نزول في دار ضيافتهم، فقتلهم

(١) ص: مازر، محرفة عما أثبتنا.

(٢) ص: بالطائفة.

(٣) كذا. وقد قرأها ليفي بروفنسال "مِنّيه". انظر تعليقنا على هذا اللفظ.

(٤) ص: قررية.

(٥) ص: الطائفة.

(٦) ص: بالحرس.

وأخذ خيلهم وأسلحتهم، فبادره معاوية بن غانم فيمن حشده[1] من أهل الطاعة، فظفر به، وفرق جمعه وقطع عاديته{133}.

سنة اثنتي عشرة ومائتين:

فيها غزا بالصائفة عبيد الله بن عبدالله، صاحب الصوائف. فاقتحم بلد الفرنجة، حتى بلغ مدينة برشلونة. فنازلها، ثم تقدم إلى جرندة، فحاصرها وقاتلها؛ وذلك في ربيع الأول من هذه السنة{134}.

وفيها كانت بالأنهار في الأندلس سيول عظيمة بالأمطار[2] توالت، وكان معظم ذلك في الثغر، فذهبت أكثر أسوار مدائنه، وانهدم بعض سور المدينة، سرقسطة، وذهب سيل نهرها الطامي بكثير من قنطرتها. فكتب الأمير عبدالرحمن إلى يحيى ابن عبد الله عاملها يأمره بإعداد أربعة مراكب، لإجازة الناس في نهرها، إلى أن يتم بنيان القنطرة رفقًا بهم.

سنة ثلاث عشرة ومائتين:

فيها انقطعت الفتنة بكورة تدمير. واستنزل أبو الشماخ، رئيس اليمانية وغيره من أعلام اليمانية والمضرية. وتمكن السلطان منهم، فحسم عاديتهم[3]. وصار أبو الشماخ / من أولياء الأمير عبدالرحمن، وذوي الخاصة والثقة عنده والخدمة له. ١/١٧٨

سنة أربع عشرة ومائتين:

فيها ثار هاشم الضرّاب. وكان طليطليّاً خرج عنها عند إحراق الأمير الحكم لمدينة طليطلة، واستنزاله[4] لأهلها من الجبل إلى السهل. وكان بقرطبة مع بعض أهله بها، يعمل في الحدادين، ولذلك عرف بالضراب. ثم عاد إلى طليطلة،

---

(١) ص: حسده.

(٢) ص: بالأمصار.

(٣) ص: عادتهم، وسار.

(٤) ص: واستزله.

راغبًا عن الجماعة، فاستدعى أهل الشر وبغاة الفساد في الأرض منهم ومن غيرهم، فتألب منهم معه خلق، صار بهم في ناحية وادي تجونيه[١]، فأغار على العرب والبربر. وعلا اسمه وبعد صيته، واجتمع إليه جمع عظيم، فاستغار على كورة شنتبرية، وأشاع الأذية، فدارت على البربر منه دوائر، وعم شره وأذاه، فجردت الصوائف نحوه، وجرت له خطوب{135}.

وفيها غزا الأمير عبدالرحمن مدينة ماردة. وكان أهلها قد نكثوا، وقدموا على أنفسهم، بعد قتل رئيسهم مروان الجليقي، محمود بن عبدالجبار وسليمان بن مرتين[٢]، فاحتل عليهم الأمير عبدالرحمن بجيشه، واحتجزوا عنه لمنعة حصنهم، فانتسف زرعهم، وحطم معايشهم، وشد الوطأة عليهم، ثم قفل عنهم.

وفيها عزل الأمير، مهاجر بن عتبة عن سرقسطة، وولاها يحيى بن عبدالله.

سنة خمس عشرة ومائتين:

فيها خرج الأمير عبدالرحمن في جنده وعدته، يريد حصار مدينة ماردة والمقام عليها. فتلقاه عشرة من وجوه أهلها، يسترقونه عنهم مكرًا منهم، وغَشَوْه[٣] من غير إذن ولا أمان[٤]. فقبض عليهم وكبلهم، وحل بالمدينة، فقاتل أهلها، وأفسد زروعها، فأذعنوا له بالطاعة، ورهنوه الرهن الذين صاروا في يده، على أن يردهم إلى سنة فيبدلونه بغيرهم. وولى عليهم حارث بن بزيع، وذلك في ربيع الأول منها.

وفيها أخرج الأمير عبدالرحمن[٥] ابنه الحكم بن عبدالرحمن إلى الثغر بالجيش،

---

(١) ص: بجونية.

(٢) ص: موسى، والصواب ما أثبتنا كما سيرد فيما بعد.

(٣) ص: وعشوه.

(٤) ص: أماض.

(٥) ص: عبدالله، وهو خطأ واضح.

ووجه معه عيسى بن شهيد وزيرا له، وذلك قبل أن يلي الوزارة، ومحمد بن عمر كاتبا، وحسن بن عبدالوهاب حاجبا، وعامر بن كليب صاحب شرطة، وعبدالخالق بن مواذة الغساني مذاكرا ومؤانسا{136}.

سنة ست عشرة ومائتين:

/ فيها عزل الأمير عبدالرحمن، إبراهيمَ بنَ عتبة عن طليطلة، في جمادى، وولى مكانه عبدالرؤوف بن عبدالسلام. ١٧٨/ب

وفيها ناهض محمد بن رستم عامل الثغر، هاشماً الضراب الطليطلي، المقدم خبره. وقد كان تغلب على جانب من الثغر، وجاوز بركة العجوز{137}، فأشاع الفساد في الأرض، ونهب الأموال. فاستقصر الأمير عبدالرحمن ابنَ رستم في أمره، وعنفه على التواني عنه. فحشد[١] له، وجدّ في حربه، فالتقيا على مقربة من حصن دروقة، ووقعت بينهما حرب شديدة أياماً. ثم انجهت الهزيمة آخرها على هاشم وأصحابه. فقتل وقتل معه ألوف من أصحابه، واستؤصلوا فلم تكن لهم بقية.

سنة سبع عشرة ومائتين:

قال أحمد بن محمد الرازي:

لم يكن فيها حركة مذكورة، ولا قصة مأثورة.

وقال ابنه عيسى:

بل غزا فيها الأمير عبدالرحمن بنفسه إلى مدينة ماردة، في ربيع الأول منها. فنازلها وشد حصرها، ثم قفل عنها. وقد خلف على محاصرتها عبدالواحد[٢] ابن يزيد الإسكندراني، ومحمد بن رستم متداولين.

---

(١) ص: فحمد.

(٢) ص: عبدالرحمن بن يزيد، وهو خطأ.

سنة ثماني عشرة ومائتين:

فيها غزا الأمير عبدالرحمن بالصائفة إلى ماردة، وقد انتقضوا عليه، عند صرفه لرهائنهم عند انصرام الحول، فسارعوا إلى المعصية، وامتنعوا من إرسال الرهائن. وأتاهم الأمير في جيشه وعدته، فأحاط بهم، وشد حصرهم، وأفسد زروعهم، وحطم معايشهم، وأمسك عن حربهم لمنعة معقلهم، وقفل عنهم، فكان خروجه في صدر ربيع الآخر، وقفوله في صدر جمادى الآخرة منها.

قال عيسى:

وفي سنة ثماني عشرة ومائتين كان الكسوف الأعظم بقرطبة، الذي[1] توارت معه الشمس، وذلك في يوم الجمعة لليلة بقيت من شهر رمضان منها قبل الزوال، فاكفهر الإظلام، وبدت النجوم، وصلى بالناس صلاة الكسوف القاضي يحيى بن معمر الألهاني، فكانت صلاتهم في مسجد أبي عثمان بالربض الغربي دبر قصر قرطبة؛ وكان من المساجد التي يُجَمَّعُ فيها، عاق عن الجامع في هذا اليوم، شَعَثُ أرجائه بالبنيان الحادث فيه{138}.

وقال ابن مفرج:

ذكر خالد بن سعد، عن أحمد بن خالد قال: صلينا صلاة الكسوف مع ابن معمر القاضي في المسجد الجامع سنة ثماني عشرة ومائتين، فأحسن الصلاة وطولها جداً: بدأ بالصلاة ضحوة النهار، فما قطع إلا في القائلة. وقد تجلت عن الشمس، وكنا في زمن الصيف.

سنة تسع عشرة ومائتين:

فيها أغزى / الأمير عبدالرحمن، أخاه أمية بن الحكم بالصائفة إلى مدينة طليطلة. وقادها معه عباس بن عبدالله، وخالد بن عبدالله. فحوصرت طليطلة، 1/179

(1) ص: التي.

وبها أيمن بن مهاجر مقيمٌ واليًا، وهم[1] في شوكة حادة، احتجزوا عن الجيش بحصانة معقلهم، فانتسف العسكر ثمارهم، إذ لم يلف لهم زروعًا، وقفل أمية عنهم، وغادر مسرة المعروف بابن[2] أبي أيوب في طائفة من الجيش في مدينة قلعة رباح لغوار طليطلة والتضييق عليها{139}.

فدعاهم الحَيْنُ، إلى أن خرجوا إلى مسرة في جمعهم، مهتبلين لغرته، وقد نذر بهم، فكمن عليهم، وظهر لهم في عدة قليلة كسعوها[3]، واشتغلت خيلهم بالغنائم، فخرجت الكمائن عليهم، فدهشوا وولوا أدبارهم. فاستمرت الهزيمة بهم، فقتلوا أبرح قتل. وبدد الله شملهم، وحيزت من رؤوسهم جملة عظيمة، هالت مسرة لما جعلت بين يديه، وحشت فؤاده جزعًا، مات من أجله إلى أيام يسيرة.

سنة عشرين ومائتين[4]:

فيها غزا الأمير عبدالرحمن بنفسه إلى مدينة ماردة. فأحاط بها وحاصرها، وانتسف أقواتها، وأفسد عمارتها. ثم رحل عنها، فاقتحم بلد الغرب، متبعًا آثار أهل الخلاف مفرقًا جموعهم، حتى احتل بطليوس، فأقام بها أيامًا. فدوخ بلاد أهل المعصية، فطالت غزوته، ثم قفل إلى قرطبة{140}.

وفيها عزل حمدون بن أبي عبدة عن طليطلة، ووليّها الغمر بن عبيدون[5].

---

(١) ص: ومقيم... وص.

(٢) ص: بني.

(٣) كذا في الأصل، ولها معنى لا يبعد عن الصواب، إذ تعني أنهم اتبعوا أدبار هؤلاء وتعقبوهم، وقد تكون "كشفوها" أي أزالوها عن مواقعها.

(٤) ص: سنة إحدى وعشرين ومائتين.

(٥) ص: الغمر وابن عبيدون، ويؤكد تصويبنا ما سيرد فيما بعد.

سنة إحدى وعشرين ومائتين:

فيها غزا الأمير عبدالرحمن طليطلة، خرج إليها لأربع بقين من جمادى الأولى، فنزل عليها في جمادى الأولى، فأحاط بها، وقتل رجالاً من أهلها، وقفل عنها في عقب رجب من هذه السنة. وكان قد خرج أيمن بن مهاجر، أحد رؤسائها المتنزين بها عند الخلاف الذي وقع بينه وبين أصحابه، فصار بقلعة رباح مع عاملها جانحًا إلى الطاعة. فكاتب السلطان، واستدعى الرجال، ووعد من نفسه الجد بقومه، فجردت إليه طائفة من الجيش، غاور بهم أهل طليطلة، وأقدم عليهم حتى وقف بباب مدينتهم، واستبلغ في نكايتهم، وقطع عنهم باقي مرافقهم، فكان نزوله سببًا لاستعجال فتح طليطلة في العام المستقبل{141}.

سنة اثنتين وعشرين ومائتين:

فيها غزا بالصائفة إلى طليطلة الوليد بن الحكم، أخو الأمير عبدالرحمن. وقاد معه عبدالواحد بن يزيد الإسكندراني، فحل بهم في صدر رجب منها، وقد جهدوا. فأقام محاصرًا لهم ومضيقًا عليهم. وعلم الأمير عبدالرحمن فرط اضطرابهم فلحقه / الطمع فيهم، وعرج نحوهم ببقية جيشه ونخبة رجاله. فاحتل ١٧٩/ب على أخيه الوليد بطليطلة في شعبان منها، وجدَّ بأهلها، فاقتحمها قسرًا، ودخلها على حكمه، فصفح عنهم، وأسجح في ملكه لرقابهم، فجدد بيعته عليهم، وأدخل عامله عندهم، وخلف معه أخاه الوليد بن الحكم مسيطرًا[1]. وأمر بتجديد القصر على باب الجسر الذي كان ابتناه عمروس بن يوسف أيام أبيه الحكم، وقفل.

---

(١) ص: مصيطرًا.

سنة ثلاث وعشرين ومائتين:

فيها، غزا بالصائفة على أرض العدو الأمير عبدالرحمن بنفسه، في جموعه وعدته. فاحتل بمدينة طليطلة في آخر شعبان منها، [فلقيه][1] أخوه الوليد بن الحكم سائراً معه لأمَّه[2]. فلما أجاز الأمير عبدالرحمن فجَّ حميد وأدرب[3] حن إلى ما خلفه من غضارة الملك وبهجة النعيم، فاستخلف على الصائفة أمية بن الحكم أخاه. وانصرف إلى قرطبة في خاصَّة من مواليه، وذلك في شهر رمضان منها{142}.

وتقدم أمية بالجيش إلى دار الحرب، ومعه زياد بن مزيد،[4] وحارث بن بزيع، فنازل حصن القرية، وافتتحه بعد حرب أبلى المسلمون فيها بلاءً حسناً، فانقلبوا بالنصر والغنيمة.

وفيها أغزى الأمير عبدالرحمن أيضًا عمه الوليد بن هشام إلى جليقية، فدخل من باب الغرب إلى بازو،[5] مع بعض الجند والحشد[6]، فدوخ ذلك الصقع، وفتح فتوحًا كثيرة.

وفيها دخل أيضاً سعيد بن الحكم أخو الأمير عبدالرحمن، إلى ألبة والقلاع من بلاد العدو ـ دمره الله ـ في أهل الثغور، كذلك في شهر رمضان، ففتح عليه أيضاً.

---

(١) يبدو أن هناك سقطا في هذا الموضع، ولعل ما أثبتناه يسد هذا الخلل، وقد يكون "فلحق به" أو شيء في هذا المعنى.

(٢) أي لمقصده.

(٣) أي دخل الدرب أو بلغه، وهو الشعب في الجبل.

(٤) ربما كان هذا الاسم محرفا عن "مزين" فأسرة بني مزين كان لها ماض بطليطلة، وولي عدد من أفرادها هذه المدينة.

(٥) ص: بارز، محرفة في الأرجح عما أثبتنا.

(٦) كذا، وقد تكون محرفة عن "الحشم".

وفيها عزل الأمير عبدالرحمن أخاه الوليد بن الحكم عن طليطلة، في صفر منها وولاها عامر بن كليب.

سنة أربع وعشرين ومائتين:

فيها عزل الأمير عبدالرحمن، عامر بن كليب عن طليطلة، في المحرم منها، وولاها أخاه عبدالله بن كليب، وأوعز إليه بإزعاج من سماه له من رجالهم إلى قرطبة، فأزعجهم إليها في النصف من صفر منها. وأقام بعضهم بقرطبة سنتين وثمانية أشهر. وبنى عبدالله الحصن على باب الجسر، فلم يعترض دونه.

وفيها أغزى الأمير عبدالرحمن ابنه الحكم، إلى دار الحرب. وأمره بالتجول في جنبات الثغر، لفهم مآربه وابتغاء مصالحه، وتعجيل الكتاب إليه، بما يبدو إليه من ذلك قبل إيابه. وأخرج معه الحاجب عيسى بن شهيد مدبرًا، والغمر بن عبيدون وزيرًا، ومحمد بن الغمر كاتبًا، وحسان بن عبدالوهاب وعامر بن كليب صاحب شرطة، وعبدالرحمن بن سوادة[1] مذاكرًا. فاقتحم دار الحرب، وأداخ منها بلد ألبة والقلاع، وكاتب الأمير عبدالرحمن بما بدا / إليه من مصالح الثغر، فقدم النظر فيها، وأرسل في هذا الوقت بعشرة آلاف دينار، في دفعتين إلى مدينة سرقسطة أم الثغر الأعلى، لتنفق في مَرَمَّة قنطرتها وشد ما تثلم من سورها. ١/١٨

وفيها دخل موسى بن موسى إلى بلد القلاع، لغرة لاحت له من العدو. وأمده عامل الثغر الغمر[2] بن عبيدون وفهر بن غالب، ففتح عليه، وقتل من العدو وغنم. وورد كتابه على الأمير عبدالرحمن بذلك، فجووب بشكر سعيه، واستحسان فعله، وأمر بتلقي الولد أبي العاصي الحكم صاحب الصائفة، والغزو معه{143}.

---

(١) ص: سرادة.

(٢) ص: وأمره... عمر.

وفيها خرج العلج لذريق في خيله،[1] للغارة على مدينة سالم. فأخرج إليه موسى بن موسى ابنه فرتون في جماعة أصحابه، فلقيه مقبلاً،[2] وقابله كفاحًا، فهزم الله العدو أقبح هزيمة، وقتل العلج لذريق وجل أصحابه{144}.

وفيها عزل الأمير عبدالرحمن، يخامر بن عثمان عن قضاء قرطبة، وولى مكانه سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقي{145}.

وفيها تساقطت النجوم بجو[3] قرطبة، في شهر مايه العجمي، ليلة الجمعة لثمان بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة{146}.

سنة خمس وعشرين ومائتين:

قال أحمد بن محمد:

فيها غزا الأمير عبدالرحمن جليقية في عقب شعبان، فافتتح حصوناً، وجال فيها، وحطم معايشها، وأوغل فيها، فطال مغزاه، وقفل ظافراً{147}.

خبر مراسلة ملك الروم الأكبر للأمير عبدالرحمن

قال الحسن بن محمد:

ورد على الأمير عبدالرحمن كتاب توفلش[4] ملك الروم الأعظم بالقسطنطينية، الذي ذكره حبيب بن أوس الطائي في شعره في فتح عمورية،[5] مبتدئاً يخطب وصلته، وفضل ما سلف منها بين أسلافهما بالمشرق، ويذكر له حقه في الخلافة

(١) بعدها: لمدينة، ثم ضرب عليها بخط علامة على الشطب.

(٢) ص: قبلا.

(٣) ص: نحو.

(٤) ص: ترفلش.

(٥) يعني أبا تمام، وقصيدته في فتح عمورية هي بائيته المشهورة:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

المغتصبة من أهل بيته هناك، ويحركه لمطالبة واتريهم[١] من ولد العباس، ويحضه على استرجاع حقه لديهم.

فكرم عبدالرحمن رسوله، واهتش[٢] لكتابه، وتقبل صلاته، وألطف مراجعته. وأرسل إليه بجوابه حكيمين[٣] من حكماء رجال قرطبة: يحيى الغزال الشاعر، ويحيى المنيقلة، وصلا إليه، فجرت لهما عنده أخبار كثيرة، وصدرا عنه مغبوطين، قد عقدا بينه وبين مرسلهما الأمير عبدالرحمن عقد الصداقة{148}.

وقال عيسى بن أحمد الرازي:

وفي سنة خمس وعشرين / ومائتين قلب الأمير عبدالرحمن بن الحكم ١/١٨٠ قرطيوس الرومي {149} الترجمان رسول ملك الروم الأكبر توفلش، صاحب القسطنطينية الوارد ـ كان ـ عليه بهديته وكتابه الذي التمس فيه وصلته بجوابه. وكان توفلش هذا أول من مَدَّ ذلك الحبل من ملوك الطاغية بينهم وبين ملوك الأندلس واستجاز فيه خطة الابتداء التي يلوذ منها الجبابرة. فأنفذ رسوله هذا، بكتاب منه إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم، يتودد[٤] إليه فيه ويستلطفه، ويخطب صداقته، ويذكر له أن دولتهم هذه بالأندلس يجدونه عندهم باسمه وخبره، ويحملونه عن أخبارهم[٥]. وأصحب كتابه ذلك بهدية حسنة ذات ألطاف مونقة سُرَّ بها الأمير عبدالرحمن أعظم السرور، وتلهج بما أتاه من[٦] ذلك العاتي الكفور.

---

(١) ص: وارتهم.

(٢) يقال اهتش للأمر: سره وطرب له.

(٣) ص: حكمين.

(٤) ص: فتردد.

(٥) في هذه العبارة اضطراب في الضمائر، ولعل فيها سقطاً، فالمقصود هو أن دولة بني أمية في الأندلس مذكورة في كتبهم القديمة، بل إنهم يجدون فيها ذكر عبدالرحمن بن الحكم باسمه وخبره.

(٦) ص: وتلحج بما أتاه منه. وقد يكون اللفظ: وتبجح، أي افتخر.

فكرم رسوله غاية التكريم، وأجابه عن كتابه بما انساغ له من خطابه، وكافأه عن هديته بأحسن منها كما أوجبه فضله عليه، وقرن برسوله رسولين اختارهما من رجال مملكته، طلب التغريب عليه[1] بما عرفه منهما لفُرارِه وعَيْنِه[2] - كانا الشيخين المنجمين الغزال وصاحبه[3] المنيقلة. فنفذا مع رسوله حسب ما مضى ذكره في خبر الغزال ونوادره.

وكانت نسخة جواب الأمير عبدالرحمن إلى الطاغية:

" بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد،

فقد بلغني كتابك، تذكر الذي كان عليه من مُضَامَّتكم لأولنا من المودة والمصادقة، وأنه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا، وإرسال قرطيوس رسولك إلينا، لتجديد تلك المودة، وترتيب تلك المصادقة، وتسأل أن ينعقد فيما بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ونتواصل له، ونبعث رسلاً من عندنا إليك ليعلموك[4] بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت[5] عليه ودعوت إليه لنثبت بقدومهم عليك مودتنا، وتتم به صداقتنا.

وفهمنا ما ذكرته من أمر الخليفة مروان[6] - رضي الله عنه وصلى عليه - وواشج

---

(١) المقصود أن الأمير عبدالرحمن أراد أن يبهر نظر ملك القسطنطينية بسفيريه يحيى الغزال وصاحبه لما عرفه وخبره منهما.

(٢) في الأصل "عنه" وكتب عليها الناسخ "كذا". وفي العبارة إشارة إلى المثل "إن الجواد عينه فراره" يضرب لمن يغني مظهره عن مخبره، والمقصود ما يعرفه الأمير من حكمة سفيريه ورجاحتهما.

(٣) ص: وصاحبه.

(٤) ص: ليعلمونك.

(٥) ص: خصصت.

(٦) يشير إلى آخر خلفاء بني أمية في المشرق مروان بن محمد الذي قتله بنو العباس في مصر سنة ١٣٢هـ.

قرابتنا منه، وأسيت لما استلب من سلطانه، واستبيح من حرمه، واستحل من دمه، وما كان من الفاجر أبي جعفر[1] ـ تربه الله ـ وجرأته على الله واغتراره به، وانتهاكه لمحارمه، فالله قد أحصى عليه ذلك، فآسفه منه[2]، فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه. ثم الذي ذكرته من فعل الخبيثين[3] ابن مراجل وابن ماردة أخيه بعده[4]، من إلحادهما في نحلتهما وإساءتهما لسيرتهما، وغائلتهما[5] في رعيتهما وشدة وطأتهما عليهم واستحلالهما دماءهم وأموالهم[6]، وما ذكرت من قرب حضور وقت زوال دولتهم، وانقطاع مدة سلطانهم، وتأذن الله برد دولتنا وسلطان آبائنا، الذين نبأت عنهم الكتب، ونطقت بهم الرسل، وأوجب لهم الإجماع، وحازه إليهم البرهان، والذي حضضت عليه من الخروج إليهم وطلب الثأر منهم ووعدته من نصرتك لنا / بما ينصر به الصديق صديقه، ومن يعلم هواه فيه ومودته له. ١٨١/أ

وما عطفت عليه من أمر أبي حفص[7] ومن معه من جالية[8] بلدنا، وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك، وخضوعهم لابن ماردة، ودخولهم في طاعته، وما سألت من أهل[9] الإنكار لذلك والأنفة منه، وحكيت من أمراء إفريقية في

(١) الإشارة إلى أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين.

(٢) كذا وردت العبارة، ولعل فيها تحريفاً، والمقصود "فعاقبه على فعله" دعاءً عليه.

(٣) بعد هذه الكلمة "من فعل" مقحمتين في النص، فحذفناهما.

(٤) ابن مراجل هو الخليفة المأمون وابن ماردة هو المعتصم، نسب كل واحد منهما إلى أمه على سبيل الذم.

(٥) ص: غائتهما.

(٦) الإشارة هنا إلى ما وقع من هذين الخليفتين العباسيين على رعيتهما في محنة خلق القرآن.

(٧) الإشارة هنا إلى أبي حفص عمر بن شعيب البلوطي زعيم فل الثوار الربضيين الذين احتلوا الإسكندرية، ثم صالحهم عبدالله بن طاهر على الخروج منها والتوجه إلى إحدى جزائر البحر، فاحتلوا جزيرة إقريطش (كريت) وكانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية في سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.

(٨) ص: خالية.

(٩) كذا، ولعل الصواب: أمر.

نزوعهم عن ابن ماردة وخلافهم عليه، واستثقالهم لدولته{150}، وكل ما حكيت من ذلك وقصصته في كتابك فقد قرأناه وفهمناه.

وأما ما رغبت به من مودتنا، وأحببته من مصادقتنا، وأردت تجديده وتوصيله، والتمسك به وتوثيقه، مما كان عليه أوّلوك لأولينا ـ فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا وأن نتمسك من ذلك بما كان عليه سلفنا، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ويتحاضون عليه، ويحفظه بعض لبعض، ويشدون أيديهم به.

وأما ما ذكرت من أمر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله، فإن الله تعالى أحب أن يكرمه بما انتهك من حرمته، ونكث من بيعته، ويسوقه إلى رحمته، وأن يشقي بذلك من ركبه منه، ويخزيه ويعذبه عليه.

وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر، في تعذيبه العباد وظلمه، وجرأته على الله، وانتهاكه لمحارمه، فإن الله قد أخذه بذنبه واستدركه[1] ببغيه، وصيره من عذابه ونكاله إلى ما لا انقطاع له ولا تخلص منه، جزاءً بما اجترح. وكذلك حكم الله في أهل معصيته وأولي الاجتراء والافتراء عليه.

وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة، وحضضت عليه من الخروج إلى ما قبله، وذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة أهله، وزوال سلطانهم، وما حضر من وقت رجوع دولتنا، وأزف من خبر ارتجاع سلطاننا، فإنّا نرجو في ذلك عادة الله عندنا، ونستنجز موعوده إيانا، ونتحري حسن بلائه لدينا، بما جمع لنا من طاعة من قبلنا من أهل شامنا وأندلسنا، وأجنادنا وكورنا[2] وثغورنا، وما لم نزل نسمع ونعترف أن النقمة تنزل بهم، والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب بنا وعلى

(١) كذا، ولعل الأصح: استدرجه.

(٢) ص: وذكورنا.

أيدينا، فيقطع الله دابرهم، ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى.

وأما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي، ومن صار معه من أهل بلدنا، في خضوعهم لابن ماردة، ودخولهم في طاعته، وما سألت من النظر في أمورهم والإنكار لفعلهم، فإنه لم يترع إليه منهم إلا سفلتهم،[١] وسوادهم وفسقتهم وأبّاقهم، وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ونكفيك مئونتهم، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة لمكانهم[٢] من بلده[٣]، ودنو ناحيتهم من ناحيته، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم، ولا تضعف[٤] عن نكايتهم، ولا تتوقف عن إخراجهم عمّا تطرفوه من بلدك، وإذ ترى مكانهم به من موضعك. وإن الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد إلينا سلطاننا بالمشرق وما كان تحت أيدي آبائنا منه، نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك، واستقامة لطاعتنا وطاعتك، وعرفنا الذي يكون من معونتك على ما دعوت إليه وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه، وذو المودة لأهل مودته، ولم يضع لك عندنا / ما رعيته من حقنا، وقمت به من حفظنا. ١٨١/ب

وقد أدخلنا رسولك قرطيوس[٥] علينا، وكشفناه على الذي أوصيت به إلينا، وعن كل ما يجب للصديق أن يعرفه من حال صديقه. ووجهنا إليك بكتابنا هذا رسولين من صالحي من قبلنا. فاكتب إلينا معهما بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتبت به إلينا، والذي نحب علمه[٦] من سارّ خبرك، ومتعة عافيتك، للنظر فيما ينصرفان به من عندك على حسب ما يأتيانا[٧] به من عندك، إن شاء الله"{151}.

(١) ص: سفيلتهم.

(٢) ص: لمانهم.

(٣) ص: بلدهم، والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٤) ص: تصعب.

(٥) ص: قرطيوس.

(٦) ص: عليه.

(٧) ص: يأتينا.

مقتل محمود بن عبدالجبار الماردي
ونبذ من أخباره

قال أحمد بن محمد الرازي:

وفي هذه السنة، قتل محمود بن عبدالجبار، البطل المنتزى على السلطان، الشديد الوحشة، الشارد عن الجماعة بناحية جليقية، الذي كان اعتصم بها لفرط النفور. فاضطرب في حماية[1] المشركين هناك مدة، معهم تارة، وعليهم أخرى. يركب رأسه في الغي، إلى أن أودى لديهم في هذه السنة، بعد أن كانت بينه وبين قواد السلطان والداثنين[2] له من أهل الطاعة، وقائع مشهورة{152}.

وقال عيسى بن أحمد:

كان محمود بن عبدالجبار بن زاقلة[3] البربري، البطل الثائر بمدينة ماردة الغيّ عند كشفه وجهه بمعصية السلطان، ودفعه لعامله. وكان أعظم خلق الله كياداً له، ودؤوبا على حربه. إذا غزاه السلطان، ومن قام معه من أهل بلده، احتجز عنه بالمدينة، ولم يبرز[4] لقتال رجاله، وكافحهم على بابها بأشياعه، من أهل الفتنة، وخلى لهم بسيط البلد يعيثون[5] فيه. فإذا أقلعت عنهم العساكر انبسطوا في أقاليم ماردة، بأموالهم ورعوا فيها ماشيتهم، واعتمروا ضياعهم أكثر السنة، إلى أن يحسوا بتجريد الصائفة لهم، فينقبضون عند ذلك إلى حصنهم. وصار من يجاورهم من البربر، الذين لم يدخلوا مدخلهم، وأظهروا الاستمساك بالطاعة، يغيرون في خلال ذلك على هؤلاء الماردين ويتحيفونهم. ولا يسكنون إلى دعة، أكثر أوقاتهم. فكان

(١) ص: حمية.

(٢) ص: والدائنين.

(٣) ص: راحلة.

(٤) ص: يبز.

(٥) ص: يعيشون.

رئيسهم محمود من أجل ذلك يخرج عن ضيق ماردة في أصحابه، فينزل حصن بطليوس درءاً[1] لأعدائه هؤلاء المغاورين له، يتكبد[2] من مدافعتهم إلى مدافعة من يتعمده من جيوش السلطان، ما لا يخف معه لبيت[3]، ولا يسكن إلى راحة.

فلما أحس بخروج الأمير عبدالرحمن نحوه بعساكره، [في][4] صائفة ثماني [عشرة] ومائتين خرج عن ماردة وعن بطليوس بكليته، هو وصاحبه سليمان بن مرتين مظاهره على أمره، فارين عنهما[5] فيمن تجرد معهما من أصحابهما بأولادهم. ومع رئيسهم محمود بن عبدالجبار أخوه[6]، وأختهما جميلة العذراء المشهورة الشأن في الناس، إلى براعة الجمال وفرط الحلاوة. فصار بمن معهما بحصن فرانكش، {153} على وادي آنة، من إقليم الذرب[7]. فأقاما فيه بحال منعة، إلى أن / اختلفت مذاهبهما في سنة تسع عشرة ومائتين بعدها. ١/١٨٢

ففارق سليمان محموداً، وخرج عنه فيمن تميز معه من أصحابه، ومعه مهاجر ولده إلى حصن شنت قروج[8] من كورة ريكت{154}، فاحتل به، وبقي أكثر الناس مع محمود، فصار بهم محمود إلى حصن بطليوس، وأخلى حصن فرانكش. وعلم أعداؤهما[9] بافتراقهما، فأجد لهم طماعية فيهما[10] حركوا إليهما

---

(١) ص: ردءاً.

(٢) ص: يتكايد.

(٣) ص: لبد. وكان في الأصل المخطوط «ما لا يخف معه لبد» فرأينا أن هذا اللفظ الأخير محرف عن «لبيت»، وفي ذلك إشارة إلى خوفه وقلقه الدائم. ويرى كورنيتي أن العبارة قد تكون: «ما لا يجف معه لِبْدٌ» بمعنى أنه كان يلازم ركوب فرسه استعداداً للحركة إذا شعر بالخطر. وهي قراءة جيدة وجيهة يحتملها رسم ألفاظ النص، وتؤدي معنى القراءة التي اقترحناها نفسها.

(٤) إضافة يتطلبها السياق.

(٥) ص: عنها.

(٦) بعدها: وكللوا، ولم يتوجه لنا فيها قراءة مقبولة. وقد يكون اللفظ تحريفاً لاسم أخي محمود.

(٧) كذا، ولعلها محرفة عن "الغرب".

(٨) ص: شنت فروج.

(٩) ص: أعداءهما.

(١٠) ص: فيما.

الأمير عبدالرحمن عليهما. فـمـا لـسليمان بن مرتين منهما الذي كان أضعف شوكة، وأغزاه قواده بالجيـوش، فنازلوه بحصن شنت قروج، وضيقـوا عليه، وقطعوا عنه الميرة. فلما أخذوا بمخنقه، خرق الحصـن ليلاً مع ولده مهاجر، وجُلَدَاء أصحابه. وانطلق سراً، فتردَّى في ظلمة الليل من صخرة عالية، فـسقط تحت فرسه وتكسَّر، فاحتزَّ الأروشيُّ{155} صاحبُه رأسَه، ومضى به إلى الأمير عبدالرحمن مستأمنًا، فأمنه ووصله، وألحقه في أعلى ملاحق الفرسان، ورفع من شأنه.

ولحق مهاجـر بن سليمان، وبقية أصحـابه بمحمود بن عبدالجبـار. فقوي بهم، وخرج بجـماعتهم، يريد كـورة أشكولية[1] المجاورة لحصـانتها، ومنعة جـبالها، وانتزاحها عن طالبيه.

وسمع أهل باجـة بمسيره نحوها واجتـيازه بطرف بلدهم، فأنفـوا لذلك وقاموا لمنعه، فـحشدوا جميع من أجـابهم، واحتفلوا للقـائه، فخرجوا نحـوه في مقدار عشـرة آلاف، بين فارس وراجل، فلقوه بالقـرب من مخاضـة بـاس، من إقليم مطل{156}، وتسرعوا إلى حربه، ولا يشكون أنه وأصحابه في أيديهم، لما عاينوه من قلتهم.

فلما أشرف أوائلهم على مـحمود قال لأصحابه: قـد انتهى الأمر بنا وبكم إلى ما ترونه، وليـس بيوم فرار، وإنما هو يوم صبر وتوطين[2]، فالعدو تجاهكم والبحر وراءكم{157}، ولستـم تطمعون فـي أحد يغيـثكم[3]، ولا تنحازون إلى مـعقل يحوزكم، فجدوا واصبروا، تفوزوا بإحدى الحسنيين: عز الظفر، أو طيب الذكر.

وعبأهم للحرب أحسـن تعبئة، وكانوا نحو سبعمائة فارس، واحتال في تكثيرهم

(١) كذا، ولعلها محرفة عن "أكشونبه".

(٢) ص: وترطين.

(٣) ص: آخر فعيتكم، محرفة عما أثبتنا، وقد تكون الكلمة الثانية: يعينكم".

في عين العدو، بأن أمر نساءهم بإسبال الشعور، وركوب الزوامل، ولبس فضل الأسلحة، والوقوف بناحية يتخيلهم أهل باجة على البعد أنهم رجال رِدْءٌ لمن تقدم نحوهم. ففعلن ذلك، وقامت بهن[1] أخته جميلة، ووضع بيدها علمًا من أعلامه، أمرها أن تسير بهنّ خلفه على تؤدة{158}.

وحرض أصحابه على اللقاء أحسن تحريض وقال: يا أصحابنا، اعملوها مذكورة في الناس، فإن متنا فكرام الميتة، وإن حيينا فأولياء العزة، وها أنا لكم أسوة، ونفسي لكم فداء، فامتثلوا فعلي، واصبروا صبري. ثم تقدم نحو القوم في تعبئته، فلما دنا منهم خلف مهاجر بن سليمان في جمهور أصحابه، وتقدم هو في نحو مائة فارس من مختاريهم، فخالط القوم في شطرهم، وترك الشطر الآخر ردءًا لهم، وتقدم إليهم ألا يبرح أحد من مكانه حتى يروا تقصيره، فيشدوا منه، وجعل يحمل على المقدمة[2]، فيطعن ويضرب ويقتل منهم في دخوله وخروجه. فلما تكاثروا عليه، ودرؤوا[3] إليه، برز إليه فرسانه الذين خلفهم وراءه مستريحين، فشدوا معه، واستأنف الحمل بهم، وأراح أصحابهم الذين استقدموا أولاً معه.

فحميَ الوطيس، واشتد الحرب، وكثر في الناس القتل، فاحتموا وحملوا بجمعهم على محمود / وأصحابه، فكثروهم وكشفوهم حتى ألقوهم على سليمان بن مهاجر وجماعة أصحابه، فخالطوهم على استراحة. فاشتبكت الحرب، واشتد الكرب، فاستظهر محمود وأصحابه على الباجيين لسوء ما غشيهم، واتهموا قومهم، وناجوا بالفرار أنفسهم. ١٨٢/ب

وبينما هم كذلك، إذ أشرفت جميلة أخت محمود في مركب النساء من كدية

(١) ص: بهم.

(٢) ص: مقدمة.

(٣) ص: ورءوا، والصواب ما أثبتنا، ودرؤوا إليه: اندفعوا وهجموا عليه.

مطلة، والعلم مرفوع بيدها. فلما نظر أهل باجة إلى جمعها، لم يشكوا أنه مدد لمحمود أو عسكر ردف له، وأن الذين صلوا بأسهم أهل مقدمته، فخامرهم خوفه إلى ما كان نالهم من شدة الحرب وضيق الأزْل[١]، فانكشفوا ومضوا منهزمين، لا يلوون على شيء. وبذل محمود السيف فيهم، فقتلهم قتلاً ذريعاً، واتبعهم إلى قرية ربية أوطه[٢] من ذلك الإقليم، وقد كلت خيله، فأمسك عن اتباعهم. وانتهب هو وأصحابه جميع ما في عسكرهم، فظهروا به على ما أعجزهم إحرازه، ومالوا إلى انتقاء خياره، فجعلوا يفُرُّون[٣] الخيل، فيأخذون منها الأفتى ويخلون ما وراء ذلك أو يعقرونه. وحسن بلاء جميلة أخت محمود في هذه الحرب، وأبلت فيها حتى تحدث الناس ببلائها في أقطار الأندلس، وتغنوا بها في الأعراس ببلد الغرب دهراً{159}.

وشنع الخبر عن هذه الوقيعة، والإكثار في شأنها. واشتهرت معرفتها في تلك البلاد، بوقعة أبده بطروشه[٤]، ونصر محمود على باطله نصراً لا كفاء له، علم الله ما أراده به. فنفذ بعد وقعته تلك لسبيله متهبّاً[٥] بسيط باجة لا أحد يعرض له حتى انتهى إلى كورة أكشونبه[٦] فجاس أرضها، وقتل من عرض له من أهل الطاعة فيها، وملك جميعه وانبسط في أموال أهلها، واتصل مقامه فيها.

وشرع الأمير عبدالرحمن في إخراجه عنها، فجعل يغزيه بالأجناد، ويجرد

(١) الأزل (بسكون الزاي) الضيق والشدة.

(٢) وهو موضع لم نهتد إلى موقعه من جغرافية البرتغال اليوم، ومن الواضح أنه اندثر. ويرى كورنيتي أن الاسم تعريب للفظين عجميين هما Ripa Awta (من أصل لاتيني: ripa alta)، ومعناهما الضفة العالية، إشارة إلى وقوعها على ضفة نهر وادي آنة.

(٣) يفرون: يختبرون.

(٤) يقول كورنيتي إن الاسم مأخوذ من اللاتينية oppidum petrosum (أي القلعة الصخرية).

(٥) ص: مشتهنا.

(٦) ص: أشكونيه.

نحـوه الجـيوش عـامًـا بعـد عـام بالقواد، وهـو قد انضـوى بمن مـعـه إلى منت شاقر{160}، وهو الجبل المنيع، الذي يقرب من البحر، فأقام فيه دهراً. وغزاه الأمير عـبدالرحـمن بنفـسه بالصـائفـة سنة عشـرين ومـائتين، وهي غـزاته الطويلة التي استقرى[1] فيـها كور الغرب بعـد أن جعل وجهـه صدرها إلى طليطلة، فوطئـها بكلكله، ثم انكفأ عنها إلى كور الغرب. فوطئها كورة بعد كورة يطلب أهل الخلاف ويناظرهم على الطاعة، حتى انتهى إلـى كورة أكشونبه[2] يطلب هذا المارد محمود ابن عبدالجبار، فأعيا عليه لامتناعه بجبالها الشاهقة، فطالت غزوته، وأضر بالناس، فقلقوا وكثرت أقوالهم. وقد كـان قال لأصحابه: لابد لـه من إتيان بطليوس، وأن القفـول منها يكون. فلما أتاها تلوم فـيها أيامـاً لا يذكر قفـولاً، فزاد قلق الناس، وفنيت أزوادهم، وكثرت أقـوالهم، وسقطت في سرادق الأمير عـبدالرحمن رقعة، فيها بيت شعر حُرِّك به، احتال بعض الناس في رميها هنالك، وفيها: [البسيط]

بطلوس[3] غايَتُنـا منها القفـول بنا ... فـيمـا يُقـالُ فـهـا نحن ببطلوسِ

١/١٨٣

فلما قرأها الأمير، بعث إلى عبدالله بن الشـمـر، ليجيب فيهـا ببيت فأجاب / وكتب:

مـا إن يوافـقنا[4] قـفلٌ بكم أبدًا ... [حتى][5] يُعَبَّا[6] لنا حِمْلانِ من رُوسِ

ثم انكفأ على أثر ذلك قافلاً، ومرج محمود في فتنته سادرًا.

---

(١) ص: استقرا. واستقرى الكور تتبعها واحدة واحدة.

(٢) ص: اشكرنبه.

(٣) ص: بطليوس، ولا يستقيم بها وزن الشعر. وقد حرف الشاعر اسم الحصن فجعله "بطلوس" عوضاً عن "بطليوس" مراعاة للوزن.

(٤) ص: برافقنا.

(٥) زيادة يتطلبها المعنى ووزن الشعر.

(٦) ص: يعمى.

مقتل محمود بن عبدالجبار الماردي

قال عيسى بن أحمد الرازي:

اتصلت الوقائع بين محمود بن عبدالجبار الماردي وبين قواد الأمير عبدالرحمن، منذ صار بالغرب. فمنها وقعة جرت بينه وبين حارث بن بزيع، وبعدها وقعة بينه وبين عامر بن كليب، وبعدها وقعة بينه وبين عامر الغريب.{161}، وكانت هذه الوقيعة صعبة عليه، فهي هي التي أخرجته عن الغرب كله، وألجأته فدخل جليقية مستجيرا بالطاغية أذفنش ملك الجلالقة[1]، وكذلك عندما عجز عن مقاومة السلطان، وفني أكثر رجاله، ونبا به مكانه، فرمى بنفسه إلى العدو وسار يريده.

فعارضه في طريقه المعروف بابن المجينين البربري المصمودي، فقطع عليه بالأشبونة وهو في نحو ألف فارس، ومحمود في نحو مائة فارس من بقية أصحابه، فاشتد الحرب بينهم وتصادقوا المصاع، حتى ترجل ابن المجينين في وهدة من الأرض ثبت فيها، وترجل معه وجوه فرسان البرابر. فحمي الوطيس حتى أصيب ابن المجينين الرئيس، وأصيب معه جماعة من أصحابه. وتخلص محمود، فمضى لسبيله يريد جليقية. وراسل ملكها أذفنش يلوذ بظله ويسأله أن يؤويه إلى كنفه، ويبيح له من أطراف بلده مكانًا ينزله فيمن معه ويتعيش منه. فسُرَّ الملك[2] بنزاعه، ورحب به وتلقاه بالقبول والتبشير، وبعث رسله إليه مع رسله القادمين بكتابه بما أعطاه من أمانه، وأمره به من لقائه ومشافهته.

فسار محمود نحوه، حتى قدم عليه بحضرته من جليقية، فرحب به أذفنش وكرمه ووصله، وتوسع له، وأنزله الحصن الذي ينسب إليه اليوم بطرف بلده{162}

---

(١) أذفنش المذكور هو أذفونش بن فرويله Fruelaوهو ألفونسو الثاني الملقب بالعفيف Alfonso II, el Casto ملك أشتوريش وجليقية (حكم بين سنتي ١٧٥-٢٢٧هـ/ ٧٩١-٨٤٢م).

(٢) ص: بذلك. والسياق يقتضي التصحيح.

ودون بسيطه إلى أرض الإسلام، فصيره هناك ردءًا لرعيته، وسياجًا على أرضه، فنزله محمود وعمره وأقام به. وأنست النصرانية من أجله، فانبسطت في العمارة حوله، واتخذت الحصون والقرى حوله. فمكث محمود بن عبدالجبار كذلك سُنيّات.

ثم ثابت له بصيرة في التوبة والانحياز إلى الجماعة ولزوم الطاعة، والرجوع إلى بلد الإسلام والتوسع. فكاتب الأمير عبدالرحمن سرًا أظهره من ذلك، يطلعه على ما قام بنفسه، ويسأله الأمان له ولأصحابه، والعفو عما فرط منه ومنهم، وصرفهم إلى بلد الإسلام والتوسع لهم بحيث يشاء من أطرافهم. فسُرَّ الأمير عبدالرحمن بما أظهره من ذلك، واستجاب لما سأله، ووعده بتبليغ ما أمَّله ومعونته على الخلاص مما تنشب فيه وتبويئه[1] أرض الإسلام والإحسان إليه.

وبينما محمود ينتظر جواب الأمير عبدالرحمن يستبطئ رسله، إذ سعى به ساعٍ إلى الطاغية / أذفنش، وأطلعه على ما أراد ودبَّره[2] محمود، وصحح عنده الدلالة، وكلمه ثقاته فيما أبلغ عن محمود، وحملوه على [تقليم][3] أظفاره، وقالوا له: تدارك النصرانية بحسم داء هذا الشيطان؛ فإنه إن أفلت يدك - وقد علمت بعد صيته ونأي غوره وشدة صولته وقوة جبلَّته وما قد تهيأ له إلى ذلك من العلم بأرضك والاطلاع على عورتك - لم تكن النصرانية معه دون هذا الدرب!

١٨٣/ب

فتلكأ أذفنش عليهم، وأظهر كراهية الغدر وقال:

إنه نُفِيَ من أرضه فآويناه، وأضيف فأمَّنّاه، ولم نر منه إلى اليوم إلا خيرًا.

---

(١) ص: وتبرئته.

(٢) ص: وتره أو وبره، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٣) إضافة يتم بها السياق، وقد أضفناها لأن كلمة "أظفاره" بعدها واضحة، إلا إذا كانت "أظفاره" محرفة عن "إخفاره" أي نقض عهده والغدر به، فحينئذ لا يحتاج النص إلى الإضافة التي اقترحناها.

فكيف نغدر به؟ فكرَّهوا إليه رأيه، ولم يزالوا يلحون عليه ويهونون شأن الغدر به، ويخوفونه البوار في فوت محمود عن يده إلى أن هان عليه إخفار محمود والغدر به.

وقال: إني أستحضره على عادتي، فإذا جاء عرضت عليه التنصُّر، ولم أرض منه بسواه. فإن فعله اقتطعته عن أهل ملته بالكلية، ونقلته إلى واسطة بلدي، وأسكنته وسط رعيتي، بحيث آمن وآمل نفعه، وتطيب أنفسكم عليه. وإن أبى وجدت سببًا إلى قتله وإيثاقه[1]. فوافقوه على هذا الرأي.

وبادر بالإرسال إلى محمود يستدعيه. فإذ ببعض من أدار هذا الرأي من رجال أذفنش من صديق محمود، الراغبين به عن الموت، قد دسَّ إلى محمود يحذره ويأمره بالنظر إلى نفسه. فألفاه رسل أذفنش حذرًا، وقد أظهر المرض وادعى العلة العائقة له من الحركة، فقلبهم[2] إليه بالمعذرة. فزاد ذلك في قلق العلج، وطما فَرَقه[3]، فخرج بعسكره نحو محمود مخفرًا لذمته.

فنزل عليه بحصنه، وأحاط به، فحصره أيامًا ووالى حربه، ومحمود يدافعه على باب حصنه فينتصف منه ويخزيه. فبينا هو يومًا من ذلك على حال، إذ ثابت له من الكفرة غِرَّة وانتشار في جهة من عسكرهم اغتنمها فرصة، فحمل عليهم بأصحابه حملة صادقة كشفهم بها ونال منهم، وثابت إليه جموعهم، فثنى عنانه عنهم[4] منصرفًا يبادر حصنه، فجمح به فرسه ـ ولم يكن الجماح عادته ـ فهمزه محمود همزًا مقلقًا يريد بذلك تقويمه، فازداد لجاجه[5]، وصدع به شجرة بلوط

(١) كان المنطق يقتضي أن تكون العبارة "إلى إيثاقه وقتله" أو "إلى قتله أو إيثاقه".

(٢) ص: فقلبه.

(٣) أي تزايد خوفه.

(٤) ص: عنه.

(٥) ص: لجامه.

كانت قدامه أصابت صدره، فانجدل ميتا لحين وقته[١]، وتفرق عنه أصحابه. فذكر أنه مكث في الأرض مجدلاً حينا، وفرسان النصارى قيام على ربوة منه يهابون الدنو منه، ويخافون أن ذلك الاضطجاع حيلة من حيله، إلى أن تقدم نحوه فارس من أجرئهم مقدما وقف عليه وحرّكه، فتبين لـه موته، فنزل إليه وحز رأسه.

فدخل النصارى عند ذلك الحصن، وقتلوا جميع من مانع على نفسه من أصحاب محمود، وأسروا من أعطى يده، وسبوا عيال محمود وعيال أصحابه. وسبيت جميلة بنت عبدالجبار أخت محمود في جملة من سبي من أهله وولده. فتنافس فيها وجوه النصارى لما اجتمع فيها من الحسب والجمال والبأس، حتى تقارعوا عليها. فصارت لعظيم منهم، نصَّرَها وتزوجها وتحظاها، وولد لـه منها، وكان / من ولدها بعد أسقف عظيم بكنيسة شنت ياقب، كان مقدمًا في النصرانية في وقته. ١٨٤/أ

وكانت جميلة هذه جارية حسناء ربعة القوام، عمرت في النصرانية عمرًا طويلاً. فانقضى أمر محمود في هذا الوقت، على ما وصفناه، وانقطع دابره. ولم يفلت من أصحابه إلا مهاجر بن سليمان بن مرتين زعيمهم في جُمَيِّعة من فرسان أصحابه لحقوا بمدينة قورية وبها يومئذ قبائل مختلفة من البرابر؛ من أوربة وصنهاجة ومصمودة وغيرهم، مع قوم من البلديين والعجم. فلما جاءهم مهاجر، عرض عليهم نفسه، ودعاهم إلى القيام معه، فاستجابوا لـه وأطاعوه. فأقام عندهم. وكان قتل محمود بن عبدالجبار سنة خمس وعشرين ومائتين{163}.

سنة ست وعشرين ومائتين:

فيها غزا بالصائفة إلى الفرنجة [المطرف][٢] بن الأمير عبدالرحمن، وقاد بها

(١) ص: لغير وقت.

(٢) إضافة يتطلبها السياق ويدل عليها ما سيأتي بعد.

عبدالواحد بن يزيد الإسكندراني. وكان الكاتب عبدالله بن كليب بن ثعلبة. فتجاوزوا الشّارّة{164}، وتوسطوا البسيط، فجروا بعيداً ودكوا شديداً، ودوخوا تدميراً، وافتتحوا أشونة وطرطانة{165}، وذلك في ذي القعدة منها، وأثخنوا في النصرانية. فشبهت صائفتهم هذه بصائفة[١] أربونة المتقدم ذكرها في أيام الأمير هشام، لجلالتها وارتفاع مغانمها{166}. وقد كان الأمير عبدالرحمن، أجمع على الغزو بها بنفسه، ثم رأى بعد ذلك تقديم ابنه المطرف، فأنهضه مع عبدالواحد بن يزيد، وقفل معه[٢] بعبدالله بن كليب وعبدالسلام بن عبدالله ولده، وبيزيد بن ديسم إلى قرطبة.

وولي طليطلة مكان عبدالله بن كليب عامر بن كليب.

وفيها عزل الأمير عبدالرحمن، سعيدَ بن سليمان بن حبيب الغافقي [عن القضاء][٣] بقرطبة، وولي مكانه إبراهيم بن العباس بن عيسى بن عمر بن الوليد ابن عبدالملك بن مروان{167}.

سنة سبع وعشرين ومائتين:

فيها غزا بالصائفة عبيد الله، صاحب الصوائف، ابن عبدالله البلنسي، وقاد محمد بن يحيى الوزير، فلقيه العدو عشيّاً في جموعه، وقد أجلبوا له وأحاطوا بالعسكر، وقوتلوا الليل كله، ثم انهزم العدو عند الصباح وولّى دبره. وكان صاحب المقدمة فيها موسى بن موسى، فأبلى بلاءً حسنًا، واختتم جميل فعله بالانتكاث، وذلك أنه تفاقم ما كان بينه وبين خزر بن مؤمن[٤]، فصار ذلك السبب في خلاف موسى بن موسى للأمير، والداعية إلى مروقه عن الطاعة، / وكان عامل تطيلة ١٨٤/ب

(١) ص: طائفتهم هذه بطائفة.

(٢) لعلها: بعد. وقد تكون العبارة "وقفي معه" أي وألحق به.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) ص: موقن.

وما يليها من قاصية الثغر الأعلى{168}.

فسارع في هذه السنة، وسعى للفساد في الأرض. فجرد إليه السلطان سريعًا حارث[1] بن بزيع بالجيش من قرطبة، والتقيا ببرجة فظهر عليه حارث وأصاب كثيرًا من رجاله، وأكب حارث على حصار برجة، وفيها ابنه لب بن موسى، فتردد عليه حتى فتح برجة وأسر لُبًّا، وحاصر بعد ذلك مدينة تطيلة، حتى صالحه ابن موسى على الخروج عنها والتبرؤ منها، وتم ذلك بينهما، فانعقد، وانتقل موسى إلى حصن أرنيط. فانصرف حارث إلى مدينة سرقسطة، فأقام بها أيامًا، ثم جعل يخرج إلى أرنيط المرة بعد المرة، فيضايق موسى ويرهقه.

وقد كان موسى ظاهر غرسية بن ونقه البشكنسي[2] أمير بنبلونة قرابته، وحارث لا يفتر عنهما[3]، فكاداه في بعض أيامهما، بأن كمَّنا له الخيل ببَلْمَة على نهر إيره[4]، فلما جاء حارث النهر، ثارت به الكمائن من كل وجه، فأحدقت به. فكانت وقيعة بلمة[5] الشنعاء التي أسر فيها حارث، بعد أن نالته ضربة على عينه اليمنى، بطلت عينه منها، وأقام أسيرًا عند موسى بن موسى بجرميد[6] تسعة شهور{169}.

وفيها غزا الأمير عبدالرحمن، بنبلونة للاقتصاص من فعلهم بحارث. وهي أولى غزواته[7] إليها. فصل في النصف من رجب منها، فافتتحها ودوخها حتى

---

(١) ص: حارثة.

(٢) البشكنسي.

(٣) ص: عنها.

(٤) ص: بيلية على نهر أثره.

(٥) يقابل قرية بلمة في الوقت الحالي San Adrian de la Palma أما قلعة قلهرة Calahorra فهي على بعد عدة كيلو مترات إلى الشمال الشرقي من أرنيط Arnedo المذكورة من قبل.

(٦) كذا، ولعل صحة الاسم "بجرنيق".

(٧) ص: وهو أول غزوته.

بلغ صخرة قيس على وادي أرغه[١]، فافتتحها للنصف من شهر رمضان منها، واستقرى بقاع بنبلونة، فعمها نسفًا وغارة وسبياً، وقفل غانمًا ظاهرًا{170}.

وفي قفوله، نقل رجالا من أهل طليطلة إلى قرطبة، فسجنهم في الدويرة، وعزل عامرًا وعبدالبر عن طليطلة، وولَّى مكانهما محمد بن [أبي][٢] عبدة، وعبدالعزيز بن هاشم، وانصرف إلى قرطبة، في صدر شوال منها.

وفيها هلك العلج أذفنش صاحب جليقية، وكانت ولايته اثنتين وخمسين سنة، إذ كان وَلِيَ سنة خمس وسبعين ومائة، فأُملي له إلى هذه الغاية، ووَليَ مكانه ابنه رذمير{171}.

وفيها عزل الأمير عبدالرحمن، إبراهيم بن العباس المرواني، عن القضاء بقرطبة، وولاها عليَّ بن أبي بكر القيسي{172}.

سنة ثمان وعشرين ومائتين:

فيها غزا الأمير عبدالرحمن إلى بنبلونة الثانية. ففصل للنصف من شعبان، واستخلف في القصر ابنه المنذر، وجعل على ميمنته محمدًا ولده، وعلى ميسرته المطرف ولده الآخر، فأوغل فيها واتسفها، وعارض خيله المتغيرة موسى بن موسى، وظهيره غرسية بن ونقه أمير البشكنس[٣]، وقيل: بل كان مع موسى فرتون بن ونقه، وهو أخوه لأمه، فيمن استجاشا به من البنبلونيين والسرطانيين[٤] والجليقيين وأهل ألبة / وغيرهم {173} في جموع[٥] كثيفة. والتقوا في آخر شوال منها، فاشتدت الحرب بينهم وبين المسلمين، وأمر[٦] يومهم حتى منحهم الله

١/١٨٥

(١) ص: أرعه.
(٢) إضافة لتمام الاسم.
(٣) ص: البشكنين.
(٤) ص: والسفرطانيين.
(٥) ص: جموعهم.
(٦) ص: وأمو، والمقصود أن القتال كان مريرًا في هذا اليوم.

النصر، وتوجهت الهزيمة المسبطرة على عدوهم، فأصيب خلق منهم، وأصيب ابن العلج فرتون بن ونقه، وكان فارسَ ببلونة[١] غيرَ مدافع وأشدهم في المسلمين نكاية في جماعة من حماة أصحابه وأصحاب موسى بن موسى ظهيره وأهل البأس والنجدة منهم زهاء مائة وخمسة عشر فارسًا.

وانحط موسى بن موسى عن فرسه، فخفي مكانه، ونجا شدّاً على قدميه. وفر العلج ابن ونقه وابنه غلند جريحين، وبعث الأمير عبدالرحمن برأس فرتون وغيره من المشهورين إلى قرطبة. ونزع إلى الأمير عبدالرحمن جماعة من وجوه أهل بنبلونة بأمان، فيهم بلشك[٢] بن غرسية في ستين رجلاً[٣] من أصحابه. وأثخن المسلمون في أرض بنبلونة، فعمروها[٤] نسفًا وغارة، وغنموا فيها غنائم كثيرة، وقفلوا ظاهرين بعزة{174}.

وترك الأمير عبدالرحمن على الثغر ابنه أبا أيوب، وصيَّر على وزارته[٥] حسان ابن عبدالوهاب، وعلى كتابته محمد بن مبشر، ودخل إلى قرطبة في ذي القعدة منها.

وفيها صرف الأمير عبدالرحمن عبدالعزيز بن هاشم، ومحمد بن أبي عبدة عن طليطلة، وولى مكانهما عبدالله بن كليب، ثم صرفه وولاها حارث بن بزيع.

سنة تسع وعشرين ومائتين:

فيها فصل الأمير عبدالرحمن غازيًا من قرطبة غزوته الثالثة إلى موسى بن موسى، وسار مشيحًا جاداً إلى أن بلغ وادي آنة في صدر رمضان منها. وانتهى[٦]

(١) ص: بنبلونة.
(٢) ص: بنشك.
(٣) ص: رحيلاً.
(٤) ص: فعمرها.
(٥) ص: وزاته.
(٦) بعد هذه الكلمة "محمد" وهي مقحمة في السياق، فحذفناها.

إلى تطيلة، فبدأ له عن ذلك الأمر غزاة، قلد لها[1] العسكر ابنه محمداً، وجعل معه محمد بن يحيى الوزير، فأمضاه لسبيله، وانصرف هو إلى قرطبة يوم الجمعة لليلة بقيت من شهر رمضان منها. وانتهى محمد إلى تطيلة، فصالحه يومئذ موسى ابن موسى، وعلق حبال الطاعة، ونزع إلى محمد لب بن موسى[2] وغلند بن ونقه.

وفيها ولى الأمير عبدالرحمن ابنه المنذر سرقسطة وجميع الثغر الأعلى، وكان عامل سرقسطة عبدالله بن كليب.

وفيها صرف الأمير عبدالرحمن، عليَّ بن أبي بكر عن القضاء بقرطبة، وولى مكانه محمد بن زياد اللخمي{175}.

خبر خروج أسطول المجوس من الأردمانيين لعنهم الله

من تلقاء البحر الرومي، على ساحل الأندلس الغربي، في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، ووطئهم / لأهله، وغلبتهم على مدينة إشبيلية، وعظيم المصاب على أهلها وعلى المسلمين، وما عمل بهم الأمير عبدالرحمن في إصراخهم وسد فتقهم، وما جرى في ذلك واتصل منه عما انتهى[3] لنا علمه، والإحاطة لله عز وجهه{176}. ١٨٥/ب

قال أحمد بن محمد[4] الرازي:

وفي آخر سنة تسع وعشرين ومائتين، ظهرت مراكب الأردمانيين، الذين عرفوا

(١) ص: له.

(٢) ص: ونزع إلى محمد بن لب بن موسى، و"ابن" الاولى مقحمة تفسد السياق، فحذفناها.

(٣) ص: انتهى.

(٤) ص: محمد بن أحمد الرازي، وهو خطأ في الاسم.

بالأندلس بالمجوس، بالساحل الغربي من بلد الأندلس. فحلت بالأشبونة، أول دخولها يوم[1] الأربعاء غرة ذي الحجة من هذه السنة. وأقامت بها ثلاثة عشر يومًا، وكانت بينهم وبين المسلمين من أهلها ثلاث ملاحم. ثم أقبلوا إلى قادس، ثم إلى شذونة، فكانت بينهم وبين المسلمين هناك معركة. وحضر قتالهم لب بن موسى، المستأمن إلى الأمير عبدالرحمن.

وكان قد ورد على الأمير عبدالرحمن، كتاب وهب الله بن حزم، عامل الأشبونة أنه حل بالساحل قبله أربعة وخمسون مركبًا من مراكب المجوس، ومعها أربعة وخمسون قاربًا بعددها، فنفذت كتب الأمير لوقته[2] إلى عمال السواحل بالتحفظ والاحتراس.

فلما كان يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من المحرم، سنة ثلاثين ومائتين، احتلت مراكب المجوس على إشبيلية، وهي عورة، فانتهبوا يومهم ذلك ما قُدِرَ عليه، وبانت لهم من أهلها[3] الغرة. وبادر الأمير عبدالرحمن منذ أول انتهاء خبرهم إليه، بإنفاذ الخيل إلى هذا الساحل، مع عبدالله بن كليب، ومحمد بن سعيد[4] بن رستم، وعبدالواحد بن يزيد الإسكندراني. فحلوا بالشرف، واضطربوا فيه، ثم عززوا[5] بعبيدالله بن المنذر، وعيسى بن شهيد في طائفة من الرجال ألحقوا بهم. ونفذت الكتب إلى العمال، باستنفار المسلمين لحرب هؤلاء الطواغيت، الذين لم يحسبوا ولا عهد طروقهم من الناحية التي أصابوا غرتها.

---

(١) في الأصل قبل هذه الكلمة "في المحرم" وهو تاريخ يتناقض مع ما سيذكر بعد ذلك مباشرة من أن دخولهم كان غرة ذي الحجة، ولهذا لزم حذف هاتين الكلمتين.

(٢) ص: لزقته.

(٣) ص: أهله.

(٤) ص: سعد.

(٥) ص: غرروا.

فتوافوا من كل قطر، وحلوا بقرطبة، فتقدم بهم أبو الفتح نصر الخصي فتى الأمير عبدالرحمن، الأثير الغالب على رأيه. ونفذ مبادرًا في جمع كثير وقوة ظاهرة. وتوافت للمجوس لعنهم الله ـ مراكب على مراكب، وقد ظهروا على مدينة إشبيلية، فبقوا فيها سبعة أيام يقتلون الرجال ويسبون النساء والصبيان.

إلى أن توافى القواد بإشبيلية، فلقوا المجوس مرة بعد أخرى، وقتلوا منهم عدة بعد عدة، حتى استحر فيهم القتل، وبدا منهم الانكسار. وكانت الوقيعة العظمى عليهم يوم الثلاثاء، لخمس بقين من صفر سنة ثلاثين ومائتين بقرية طلياطة،{177} على مقربة من حاضرة إشبيلية، فقتلوا وأفنى الله كثيرًا منهم، وأحرق من مراكبهم ثلاثون مركبًا، وعلق من قتلاهم بالأنصاب[١] بإشبيلية عدد كثير، ورفع منهم آخرون على جذوع النخل.

فكان من يوم دخولهم إشبيلية قاهرين، وقتلهم أهلها إلى يوم فلهم، وخروج باقيهم عنها وانقطاعهم، اثنان وأربعون يومًا. وقتل الله أميرهم، وأقل عديدهم. ونفذت الكتب إلى الآفاق بالفتح عليهم. وتُجووز بها بلاد الأندلس، إلى مَن ببلد العدوة من أمراء البرابرة، وإلى أفلح بن عبدالوهاب صاحب تاهرت مولى بني[٢] أمية وغيرهم. وأرسل إلى هنالك برأس أميرهم في مائتي رأس من رؤوس أنجادهم. وقد كانت الأندلس رُجَّت، لسوء إقدامهم على أهلها، وتمرسهم بسلطانها، فسكَّن الله الإرجاف وأذهب المخافة[٣] منه.

١/١٨٦ / قال عيسى بن أحمد الرازي، في شرح هذا الخبر:

ظهر أسطول المجوس ـ دمرهم الله ـ على إشبيلية من قبل البحر الغربي، الذي

(١) في الأصل كلمة يمكن أن تقرأ "بالأوضام"، ولعلها "بالأنصاب"، جمع نُصُب، وهو كل ما ينصب من بناء.

(٢) ص: "ولبني أمية" مكان "مولى بني أمية".

(٣) ص: المخاف.

يليهم، أولَ سنة ثلاثين ومائتين. فكان أول منزلة نزلوها[١] منها، جزيرة قبطيل {178} جوف واديها، وهي الجزيرة المتخذة لإنتاج الخيل، نزلوها[٢] في يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم، سنة ثلاثين ومائتين. وكان عدد مراكبهم ثمانين مركبًا. وقدموا في اليوم الثاني من نزولهم أربعة مراكب إلى قرية قورة.{179}، وهي على ضفة النهر بغربي المدينة. يسكنها قوم من يحصب من العرب اليمانيين، يعرفون ببني معدي، وبينها وبين مرفئهم بقبطيل أربعة أميال، فغنموا القرية لحينهم، وقتلوا من وجدوا فيها. وكانت لديها وقيعة عظيمة، وهي أول وقائعهم على المسلمين. فلم تزل تلك القرية بعد موضع رباط. وقد بني الآن فيها أيام الخليفة الناصر لدين الله مسجد جامع معطل لم يكن من قبل.

ثم رحل المجوس ـ لعنهم الله ـ من قرية قبطيل يوم الثلاثاء الثالث من نزولهم، قاصدين إلى مدينة إشبيلية. فلما وازوا كنيسة الماء - {180} وهي من المدينة على فرسخين ـ تداعى المسلمون من أهلها وغيرهم مِمَّن انضم إليهم لحرب الكفرة، وبرزوا لهم متشمرين مستبقين من غير ترتيب ولا نصب رئيس ولا رافع راية، إذ بادر عاملهم الفرار عنهم إلى مدينة قرمونة {181} وتركهم دون سند يستندون إليه.

فلما دنا المجوس من عدوة[٣] المدينة، بان لهم[٤] الخلل والوهن في أهلها. فمشوا نحوهم في سفنهم، ورشقوهم بالنبل دراكًا، حتى فضوا جمعهم. ثم خرجوا من المراكب، فساوروهم في عدوتهم، ووالوا الشَّدَّ عليهم. فانهزم عند ذلك أهل إشبيلية، ولم يثبت أحد، وفر أكثرهم عن المدينة على وجوههم ناجين بأنفسهم.

فاقتحم المجوس المدينة على من أقام فيها من ضعفاء الناس ومثبطيهم، ومن

---

(١) ص: نزولوه.

(٢) ص: نزولوها.

(٣) ص: عدة.

(٤) في الأصل "نازلهم" في مكان "بان لهم".

فيها من نساء الفُرَّار وأبنائهم، فقتلوا وأسروا وسبوا وغنموا. وأقاموا بالمدينة مستبيحين لها سبعة أيام، ثم خرجوا عنها لثمان بقين من المحرم المؤرخ، وهم مثقلون بالسبي والغنائم، فشحنوا سفائنهم وعادوا إلى محلتهم الأولى بجزيرة قبطيل، فأقاموا بها أيامًا، وأباحوا لمفاداتها الأسرى والعيال كيادًا لفرار أهل المدينة كيما ينصرفوا إليها، فيحاودوهم مرة ثانية، كيما يصطلموهم. فأخذ الناس بالحزم، ولم يجبهم أحد ولا ظهر إليهم، وعاود[1] المجوس - لعنهم الله - المدينة بعد أيام، فلم يلفوا فيها أحدًا إلا فُلَّالاً تحصنوا منهم في بعض مساجدها، فأحاطوا بهم وقتلوهم أجمعين، فسمي ذلك المسجد من يومئذ مسجد الشهداء.

وسُبِق بالخبر إلى الأمير عبدالرحمن، فانزعج منه، وأنفذ الكتب إلى الكور والثغور في استنفار الناس، فتبادروا إليه من جميع الجهات. وبادر الأمير لأول ما سقط إليه الخبر بإخراج محمد بن رستم إلى إشبيلية بقطيع من الخيل امتير لديه عجل النفوذ بهم. فقدم إلى الكورة والمجوس بقربها. فأخذ في مخاتلتها، وكمن عليهم بقرية يقال لها طبلاطة،[2] قبلي إشبيلية، وعلى ميلين منها فيما يجاور النهر. وأخرج رجَّالة فُرْهًا، انتقاهم من أهل الثغر وغيرهم نحو المدينة ليهاوشوا من فيها من المجوس، وذلك يوم الجمعة لتسع بقين من صفر سنة ثلاثين ومائتين.

فتبادر[3] المجوس، إليهم وقد استقلوا عددهم. فتحركت مراكبهم في النهر بإزائهم، / ونزل إليهم منها عدد كثير، ناشبوهم الحرب وأطردوا لهم حتى أتوا قرية طلياطة، حيث كمن القائد محمد بن سعيد[4] بن رستم بمن معه من جمهور أصحابه. فلما جاوزه المجوس خرج إليهم وعطف المنهزمون من أصحابه لما بصروا

١٨٦/ب

---

(١) ص: وعاودوا.

(٢) كذا في الأصل، وهي غير طلياطة التي ورد ذكرها من قبل.

(٣) ص: فتبادرا.

(٤) ص: سعد.

به على من كان يطردهم من المجوس. فكفوا عنهم، وجزعوا لترادفهم، فانهزم المجوس هزيمة قبيحة، ومنح الله المسلمين أكتافهم، فقتل منهم ألف علج، وأسر منهم نيف[١] على أربعمائة، ونجا من بادر منهم إلى مراكبهم مفلولين مُرَوَّعين، فركبوها وتحصنوا بها، وأخلوا منها ثلاثين مركبًا تفرغت ممن قتل منهم وأسر. ووقف القائد ابن رستم بإزائهم، فأمر بضرب رقاب أسراهم وهم ينظرون إليهم، فزادهم الله رعبًا، وغلبهم المسلمون على المراكب الفرغ، فأحرقوها[٢] جميعها. وأقلع أعداء الله منهزمين بخزية، ولله المنة.

هذه رواية محمد بن أشعث القرشي (182)

في كتابه الذي ألفه في أخبار أهل إشبيلية

قال عيسى بن أحمد:

وقرأت في كتاب الفتح على المجوس، النافذ إلى العدوة بذكرهم:

"واحتل بساحل من سواحل ثغورنا مراكب لقوم من المجوس، يقال لهم الأردمانيون. أقبلوا من بلدهم في البحر إلى أرض إفرنجة، وخرجوا على ساحلهم، فقتلوا رجالهم، وأصابوا ذراريهم، وغنموا أموالهم، وأقاموا ببلدهم يعيثون فيهم، ويقتلون من ظفروا به منهم. ثم مضوا على جهتهم تلك في البحر الرومي، يفعلون ذلك بكل من مروا به من أجناس العدو، لا يقوم لهم أحد ولا يدفعهم دافع.

إلى أن خرجوا على ثغر من ثغورنا، بكورة من كورنا، يقال [لها][٣] الأشبونة قد كروا[٤] الحرب والهزيمة."

(١) ص: نيفا.

(٢) ص: فأحرقوهم.

(٣) إضافة لتمام السياق.

(٤) كذا، ولعلها "فكرروا".

ثم قال:

"وانصرفوا على جهتهم التي كانوا أقبلوا منها، حتى جاوزوا سواحل بلدنا، واقتحموا سواحل عدونا من أهل جليقية، لم يدفعوا على أيديهم، ولا خرجوا عن بلدهم، للذي كان واقعهم من الضعف، وتداخلهم من الحرب، والحمد لله على ذلك كثيراً".

قال عيسى:

وانقطع خبر هؤلاء المجوس الملاعين عن الأندلس، فلم يعاودوها، إلا بعد سنين في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن.

قال:

ولما كشف الله كرب هؤلاء المجوس عن الأندلس، اعتنى الأمير عبدالرحمن إثر ذلك بشأن البحر. فتهمم في احتراسه، وأنشأ السفن في جميع سواحله، وألحق البحريين لركوبها، وشرع في بنيان السور على مدينة إشبيلية، ثم توقف عنه / 1/187 تخوفًا من خلاف أهلها إذا تحصنوا به.

وقرأت في كتاب عبدالله بن كليب إلى الأمير عبدالرحمن، في شأن إشبيلية:

" وإني - أكرم الله الأمير - في إقبالي إلى مدينة باجة، رأيت بشط[1] نهر قرطبة آثار مدائن ومعاقل وحصون ومراقب متصلة متقاربة إلى أن بلغت[2] قلعة غزوان{183}، قد اتصلت تلك المعاقل بطالقة وقورة إلى مدينة إشبيلية، ثم امتدت منها إلى قلعة ورد إلى مدينة شريش[3] من شذونة، إلى مدينة أشطة إلى مدينة قادس بها.{184}، وإلى ذلك الصقع الساحلي. ولا أشك أن الأوائل لم تصنع

(١) ص: بسط.

(٢) بعد هذه الكلمة "غزوة" ثم ضرب عليها بخط يدل على الشطب.

(٣) ص: بشريشة.

هذه الحصون وهذه المراقب، إلا عدة لدفع هذا العدو من المجوس، الذي لم يزل يطرقهم في الأزمان. وهذه مدينة قرقبة من كورة لبلة {185} على بابها مماً عمله الأوائل وصوروه[١] صور رجال أشبه شيء[٢] بهؤلاء المجوس المحاربين على المسلمين في هذا الوقت، وصوروا مراكب[٣] كأنها من مراكبهم، لا شك أنهم [ما][٤] عملوها وصوروها على ذلك الباب، إلا في سبيل الطلسمات التي كانت من شأنهم في العون لإغرابهم عن بلادهم. قد درست تلك الآثار وعفيت، إلا رسوماً يستدل بها أهل المعرفة الغُوَّاص على النظر أنها لم تُعَدَّ إلا لمثل هذا العدو الشديد. والله أعلم بذلك، تعالى جده".

وذكر معاوية بن هشام الشبينسي قال:

خرج المجوس - لعنهم الله - من جهة البحر على أهل مدينة إشبيلية، في سنة ثلاثين ومائتين، وهي يومئذ دون سور، فصادفوا أهلها في غفلة وبحال غرة، لمطاولة أمد الأمان لهم في كنف الخلفاء المروانيين، ناظمي الجماعة بالأندلس. فخرجوا من مراكبهم، ووضعوا سلاحهم فيهم، ولم يكن عندهم دفاع، ولا فيهم امتناع. فتغلب الكفرة عليهم وتملكوهم، إلا من قدر على الفرار منهم بأهليهم وقليل ما هم. وملك المجوس إشبيلية سبعة أيام.

واتصل الخبر[٥] بالأمير عبدالرحمن بقرطبة. فبادر بإخراج القواد في الجيوش، لدفاع الكفرة ومحاربتهم، مزعجاً لمن حضره منهم، حاشداً لأجلاد الرجال[٦]

---

(١) ص: وصوره.

(٢) ص: شيئاً.

(٣) ص: مراكبهم.

(٤) إضافة يتم بها السياق.

(٥) الكلمتان مكررتان في الأصل.

(٦) ص: الأجناد الرجل.

من الرعية معهم، فخرجوا يتلو بعضهم بعضًا. وكان أول من نفذ منهم عبدالله ابن كليب بن ثعلبة في جرائد[1] الخيل بقرطبة.

١٨٧/ب ونفذ الأمر والعهد بحشد أجناد / رجّالتهم[2] [من] الرعية، بأقاليم السهل والجبل من عمل قرطبة، وما يتصل لها. فأقبلوا أرسالاً. وأردفه الأمير بعبدالواحد ابن يزيد الإسكندراني، ثم تلاه محمد بن سعيد بن رستم في جيش كثيف، ثم أردفه بعبدالله بن المنذر بن الأمير عبدالرحمن[3] بن معاوية. وقد عقد له الأمير على جميع قريش، والموالي والعمال، وأهل مدينة قرطبة حضرته، وأخرج معه قائدًا عيسى بن شهيد. ثم توافت بقرطبة جنود من أهل الكور المستنفرين، وطوائف من الأجناد النائبين في الأنداب، قود الأمير عبدالرحمن عليهم خليفته الأثير لديه الغالب على تدبير دولته، نصرًا الخصي الجريء. فخرج خلف جميع القواد، وسلك طريق قرمونة، فجاء معهم على باب مدينة إشبيلية، وزاحفوا المجوس بجد وعزيمة، فأخرجوهم عنها خاسئين بعد قتل ذريع نالهم. ولجؤوا بعد انهزامهم إلى مراكبهم المرساة، بعد أن أحرقت مراكب المسلمين المستجلبة لقتالهم منها ثلاثين مركبًا. وانكمش الكفرة في بقية مراكبهم، للخروج من وادي إشبيلية. فدارت عليهم هناك ملحمة صعبة، قتل فيها منهم جماعة، وذلك يوم الثلاثاء، لخمس بقين من صفر سنة ثلاثين ومائتين.

قال معاوية:

فكان الذي صدر بالرؤوس المحتزّة لأعداء الله الكفرة من بين هؤلاء القواد ونوّه بذكره وأضيف الفتح إليه ـ نصر الخصي، خليفة الأمير عبدالرحمن، الأثير لديه.

---

(١) ص: جراير.

(٢) ص: رجالهم. وبعدها إضافة لتمام السياق.

(٣) ص: الأمير عبدالله، وهو خطأ صوبناه بما أثبتنا.

فرفع الأمير عبدالرحمن بعدُ محلَّه[1]، وزاد في علو مرتبته، وسنَّى صلته، وانثال الناس أيامًا عليه لتهنئته بالفتح عليه، وأنشده شعراؤهم ما صاغوه في تهنئته وامتداحه[2]. فكان منهم عثمان بن المثنى القائل في قصيدته{186}:

يقولون إن الأُرْدمانين[3] أقبلُوا ... فقلت إذا شاؤوا رضيتُ لهم نصرا
لقد أيقنَ الإسلامُ أن سيوفَهُ ... ستحمي حِماهُ بل ستصطلمُ الكفرا
فكم جَزَرٍ[4] للشركِ من صنْعِ سيفِهِ ... وطبلاط عنها فاسألِ الذئبَ[5] والنسرا
/ لئن أسْخَطَ الأعداءَ في الروعِ إنه ... ليُرضي العوالي والردينيَّةَ السُّمْرا (1/188)
وينظر فوق الأرض سَيْفُكَ[6] منطقًا ... تخِرُّ الجبالُ الراسياتُ له ذُعْرا
يحاربُ رَيْبُ الدهرِ من أنت حَرْبُهُ ... كذلك من سالمْتَهُ سالَمَ الدهرا
تظل قوافي الشعر تُظهِرُ زُهْرَها ... إذا الفكرُ ناجَى في مدائحكَ الشعرا
أبو الفتح فاتَ المدحَ مجدًا وسؤددًا ... وحاز[7] المعالي واعتلى فَخْرُهُ الفخرا[8]

وهي طويلة، وله في أخرى:

سأشْغَلُ من قد خانَني وتغيَّرا ... بِمَدْحِ أبي الفتحِ القريضَ المُحَبَّرا
أراه - وإن قالوا بأني شاعرٌ - ... منَ الشعرِ في مَبْنَى المكارمِ أشْعرا
وما للندى بحرٌ يفيضُ بنائلٍ ... ولا الجودُ إلا من يَدَيْهِ تفجَّرا

---

(1) ص: حله.

(2) ص: وامتداده.

(3) ص: الأردمانيين، ولا يستقيم بها الوزن، فغيرناها بما أثبتناه، وحذف الياء الثانية (ياء النسب) جائز كما في "اليمانين" و "الأشعرين" وما إلى ذلك.

(4) ص: جزرا.

(5) ص: الذب، وإنما قصد الشاعر ذكر الذئب والنسر مشيرًا إلى جيف قتلى الأعداء التي أصبحت طعامًا للذئاب والنسور.

(6) ص: فسفك. وقد يكون لفظ "وينظر" في أول البيت محرفا عن "وينطق".

(7) ص: وجاز.

(8) ص: فجره الفخرا.

إذا ما أراد الفخرَ يوماً مُفاخِرٌ — أتاك ليستجديك[1] يا نصر مفخرا
إذا البِيضُ غنَّتْ فوقها البِيضُ والقنا — تقصَّفَ من طَعْنِ الطُّلَى[2] وتكسَّرا
يرى الموتَ عَذْبًا عند ذاك كأنما — يذوقُ بطعمِ الموتِ شُهْدًا وسكرا
ويرضى العدا ألاَّ يُلاقوكَ مفردًا — على الشرطِ أن يلقوا مكانك عسكرا
إذا أنشأتْ ليلاً من النقْعِ خيلُهُ — ترى وجهَه فيه من الصبحِ أنورا
قرَى من لحوم الأردمانينَ سيفُهُ — عشيَّةَ لاقَوْهُ ذئاباً وأنْسُرا
وراح بهاماتٍ تجسَّدتِ القنا — فيا حُسْنَهُ في أعْيُنِ الناسِ منظرا
كتيبةُ نصرٍ ترجفُ[3] الأرضُ خَوْفَها — إذا لَبِسَتْ يوم الهياجِ السَّنَوَّرا[4]

وقال أبو بكر ابن القوطية:

وفي سنة ثلاثين ومائتين، في دولة الأمير عبدالرحمن بن الحكم، كان ظهور المجوس بساحل[5] الغرب، وتغلبهم على مدينة إشبيلية، ونهبوها عدة أيام. ولم يقف لهم أحد من أهل الغرب.

فاستنفر[6] الأمير عبدالرحمن الناس لجهادهم بقرطبة حضرته، وما والاها من الكور والثغور، فقدموا أرسالاً، وقدم فيهم من أمراء الثغر الأعلى موسى بن موسى بن قسي المتزى على السلطان، بعد استلطاف الأمير عبدالرحمن له، وتذكيره إياه بولاء له بسلفه الوليد بن عبدالملك، وإسلام جده على يده، فقدم في كثيف من جنده، ونفذ في النافذين إلى إشبيلية.

(١) ص: ليستحرقك.

(٢) ص: البلا، وما أثبتناه هو الموافق للسياق، والطُّلَى جمع طُلْيَة وهي أصل العنق أو صفحته.

(٣) ص: ترحب.

(٤) كلمة مطموسة في الأصل، ولابد أنها كما أثبتنا، والسنور هو غبار الحرب.

(٥) ص: ساحل.

(٦) ص: فاستقر.

وخرج الوزراء بجماعة الناس إلى قرمونة، فأحجموا[١] مع ذلك عن لقاء المجوس، لشدة شوكتهم، وقوة بطشهم. ثم أحتمت نفوسهم، فبرزوا إليهم ولاقوهم. ففتح الله فيهم فتحًا عظيمًا، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وابن قسي في ذلك معتزل بجماعة من الناس، مضطرب فيمن معه على حربه[٢]. فأقلع الملاعين عند فَلِّهم عن الساحل، وكفوا عن الحرب، وفازوا بمن صار في أيديهم من الأسرى. فأباحوا الناس المفاداة بهم، وقاربوهم في / سبيهم، وزهدوا في الذهب ١٨٨/ب والفضة، ورغبوا في الثياب والأزودة، ففدى الناس أكثر من كان في أيديهم، ثم أقلعوا راحلين إلى جهة العدوة.

وبنى عبدالرحمن في هذا الوقت سور مدينة إشبيلية وحَصَّنها، ورَمَّ ما شَعَّثه المجوس من مسجدها الجامع وغيره من مساجدها، ورَمَّ مُخَرَّبها[٣].

وقال معاوية بن هشام الشبينسي:

كتب الفقيه عبدالملك بن حبيب إلى الأمير عبدالرحمن إثر هذه الحادثة التي[٤] جرت من المجوس ـ أفناهم[٥] الله ـ بإشبيلية، يحضه على بنيان سور مدينة إشبيلية، وذلك أيام كان الأمير عبدالرحمن ابتدأ بنيان زيادته المشهورة في المسجد الجامع بقرطبة، [و] استوسعت عليه النفقة، فذكر له ابن حبيب في كتابه أن بنيان سور إشبيلية وتحصينها أوكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع. فعمل برأيه في بنيان سور إشبيلية، ولم يثن ذلك من عزمه فيما كان شرع فيه من بنيان الزيادة، فأكملهما معًا قويَّ العزيمة[٦]. وأعانه الله منه بقوة، فكملهما معًا، وتمت ولله المنة.

(١) ص: فأجمحوا.

(٢) ص: جديه.

(٣) ص: ولم مخوقها.

(٤) ص: الذي.

(٥) ص: أفنهم.

(٦) ص: وقوي.

سنة ثلاثين ومائتين:

أعظم ما كان فيها من الأحداث، حادثة المجوس بإشبيلية، وقد اتسقت[١] أنباؤها لوقت مطلعها، في عقب سنة تسع وعشرين ومائتين، إلى انقضائها مبسوطة.

وفيها أيضاً غزا بالصائفة[٢] هشام [ابن][٣] الأمير عبدالرحمن إلى بنبلونة، وسار معه الوزير عيسى بن شهيد للتدبير، وانعقد أمان موسى بن موسى، وتم صلحه على دَخَلٍ من نيته، فنقض به إلى مدة قريبة.

سنة إحدى وثلاثين ومائتين:

فيها غزا بالصائفة[٤] إلى جليقية محمد بن الأمير عبدالرحمن، وقاد فيها عبدالعزيز بن هاشم[٥]، فحاصر مدينة ليون، ونصب عليها المجانيق، فأخلاها أهلها ليلاً، وفروا إلى الشعاب والغياض الأشبة، والجبال الوعرة. ودخلها المسلمون، فغنموا ما فيها، وحرقوا مساكنها، وأمرهم الأمير محمد بإحراق ما حولها، فأحرقها[٦] وما حولها. وأراد هدم سورها فتعذر عليه لسعته ووثاقة بنائه وضخم حجارته. وأمر بذَرْعه[٧]، فأصاب في عَرْضه ثمانية عشر ذراعًا. فتركه، بعد أن ثلم ما قدر عليه منه، وأمعن في البلد خلف ليون، فأسعره قتلاً وسبيًا وانتهاكًا وتهديمًا[٨] وتحريقًا. فبلغ بالعدو مبلغًا شديدًا، ثم قفل غانمًا لم يلق كيدًا[٩] {187}.

---

(١) ص: اتسعت.

(٢) ص: بالطائفة.

(٣) إضافة لتمام الاسم.

(٤) ص: بالطافية.

(٥) ص: هشام.

(٦) الضمير هنا يعود على محمد بن الأمير عبد الرحمن قائد الحملة.

(٧) ص: بدرعه، والذرع هو القياس بالذراع.

(٨) ص: وتهدمًا.

(٩) قد يكون اللفظ أيضاً "كبداً" (بفتحتين)، والكبد هو المشقة والعناء.

وفيها، عزل الأمير عبدالرحمن، محمد بن زياد عن القضاء بقرطبة.{188} وولاه معاذ بن عثمان الشعباني.

سنة اثنتين وثلاثين ومائتين:

فيها، تقلب موسى بن موسى القسوي[1] عن الطاعة، واعتلّ بتحامل عبدالله ابن كليب عامل الثغر عليه، ومده يده إلى بعض أمواله. فأحفظه[2] ذلك، وهاج / [حميته، وتحرك إلى تطيلة، وابن كليب داخلها، فطمع أن ينتهز منه ١٨٩/أ فرصة، فاحتجز عنه عبدالله بحصانتها، ولم يؤته حربًا، واستغاث بالأمير عبدالرحمن، فأخرج إليه ابنه محمدًا بالصائفة، وقاد معه محمد بن يحيى بن خالد، فاحتل عليه محمد بالجيوش، فأذعن موسى واعترف بالذنب وسأل العفو. فسارع الولد محمد إلى إجابته وتطمينه وإقراره على حساله، وتقدم بالصائفة إلى بنبلونة، فجال بأرضها وأداخها، ونكأ العدو أبرح نكاية][3].

* * *

* *

*

---

(١) ص: العمرى.

(٢) ص: نأخفضه.

(٣) تنتهي القطعة المخطوطة التي بين أيدينا بنهاية الورقة رقم ١٨٨، وهي متصلة بالقطعة التي سبق أن نشرناها من "المقتبس" (مخطوطة القرويين بفاس) (ط. بيروت ١٩٧٣م) والتي تبدأ بالورقة رقم ١٨٩. ولهذا فقد استكملنا بقية خبر موسى بن موسى من نشرتنا السابقة (ص١ من النص المحقق).

تعاليق القسم الأول

إمارة الحكم بن هشام

(180 - 206هـ)

التعاليق

[1] عن زياد بن عبدالرحمن، الملقب بشبطون (المتوفّى سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م) انظر مصادر ترجمته، في تحقيقنا للقطعة التي نشرناها من المقتبس. التعليق رقم ٢٢٦ ص ٤٩٥.

[2] وردت عدة أحاديث بهذا المعنى، وإن كانت بألفاظ مختلفة. وأقربها للوارد هنا هو ما رواه ابن أبي الدنيا في باب ذم الغضب، عن عبدالله بن عمر، في كتاب قضاء الحوائج. ونصه عنده: "من كظم غيظًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى". انظر جامع الأحاديث للإمام السيوطي، القاهرة ١٩٨٤م، الحديث رقم ٢٩٩٤ - الجزء السادس ص ٥٨٩.

[3] ورد هذا الخبر أيضاً مختصراً في ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/٣٥١-٣٥٢.

[4] ورد خبر هذه المجاعة في أخبار سنة ١٩٧هـ كما هو هنا في نفح الطيب ١/٣٤١ وفيه أيضًا بيتا عباس بن ناصح. أما ابن عذاري في البيان المغرب ٢/٧٣ فقد أشار إليها في أخبار سنة ١٩٩هـ.

[5] أورد ابن القوطية، هذا الخبر مختصراً، في تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٧.

[6] عرف سليمان بن عبدالرحمن بن معاوية الداخل، بلقب الشاميّ؛ لأنه ولد في الشام سنة ١٢٧هـ (٧٤٥م) وأمه لخمية، من نسل الصحابي حاطب بن أبي بلتعة، وكان أسنّ ولد عبدالرحمن الداخل، وكان يكبر أخاه هشامًا بإثنتي عشرة سنة. انظر جمهرة الأنساب لابن حزم، بتحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٧١م ص ٩٤، والحلة السيراء، بتحقيق حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٣م-١/٤٢، وليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية ١/١٣٩.

[7] انظر ترجمة عبدالله البلنسي، في الحلة السيراء، لابن الأبار ٢/٣٦٣-٣٦٦، وسيورد ابن حيان مزيداً من أخباره.

[8] ابن الأغلب المقصود هنا، هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، أول أمراء الأغالبة على أفريقية. ولاه عليها هارون الرشيد في سنة ١٨٤هـ (٨٠٠م) فحكمها حتى وفاته سنة ١٩٦هـ (٨١٢م). انظر البيان المغرب، لابن عذاري (١/٩٢-٩٥)، والحلة السيراء (١/٩٣-١٠١).

[9] قيجيطة، وترد في المصادر الأندلسية أيضاً برسم قيجاطة وقيشاطة، كانت على عهد المسلمين مدينة عامرة من عمل جيّان (انظر الروض المعطار لابن عبدالمنعم الحميري، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٣٧م ص١٦٥، وقد جعل لها ابن عبدالمنعم مدخلين باسميها قيجاطة وقيشاطة، مما يوهم بأنهما مدينتان، وهما في الحقيقة علم جغرافي واحد، وانظر كذلك جغرافية الإدريسي، بتحقيق لجنة من العلماء، طبع نابلي وروما سنة ١٩٨٤م ص ٥٦٩، ومعجم البلدان لياقوت، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م -٤/٤٢٢) وقد اندثرت المدينة بعد ذلك، وبقي اسمها دالاً على سلسلة من الجبال تنسب إليها Sierra de Quesada.

[10] بركلون، موضع يبدو أنه قد اندثر. ولابد أن يكون واقعاً على مقربة من مدينة إستجة Ecija.

[11] العِرافات (بكسر العين) جمع عِرافة، وهي في المصطلح الأندلسي، الفرقة من الجيش النظامي، ومنها العريف وهو الضابط الذي يقود مجموعة صغيرة من الجنود.

[12] قَارْلُهْ المذكور هو شارل العظيم Charlemagne ملك الفرنجة (فرنسا) الذي عاش بين سنتي ١٢٤ و ١٩٨هـ (٧٤٢-٨١٤م)، وهو حفيد شارل مارتل

(المطرقة) Charles Martel الذي هزم عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي في موقعة بلاط الشهداء (بواتييه) سنة ١١٤هـ (٧٣٢م). وولي حكم بلاده سنة ١٥٤هـ (٧٧١م)، واتسع ملكه، إذ استولى على الشطر الأكبر من القارة الأوربية، مما حمل البابا ليون الثالث على منحه لقب "الإمبراطور" سنة ١٨٥هـ (٨٠٠م). وهو الذي قاد الحملة المشهورة على أرض المسلمين في الأندلس فحاصر سرقسطة، ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها، واضطر للانسحاب، وأثناء اجتيازه لجبال البرتات (البيرينيه) هاجم المسلمون والبشكونس مؤخرة جيشه وأوقعوا به الهزيمة في رنشفاله Roncesvalles (Roncevaux الفرنسية) في سنة ١٦١هـ (٧٧٨م). وفي هذه المعركة، قتل أحد أبطال رجاله، وحول مقتل هذا البطل، تدور الملحمة الفرنسية المشهورة المعروفة بأغنية رولان La Chanson de Rolan. وقارله هذا هو الذي انتزع برشلونة من أيدي المسلمين، وأنشأ فيها ما يسمى بالثغر الإسباني La Marca Hispanicaفي سنة ١٨٥هـ (٨٠١م)، وذلك على يد ابنه ووريث عرشه لذويق Ludovico، الملقب بالورع Le Pieux، وهو الذي خلفه على العرش عند وفاته في سنة ١٩٨هـ (٨١٤م). وعن هذه الأحداث، انظر ما كتبه ليفي بروفنسال، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ١/ ١٧٨ -١٨١.

[13] في الأندلس، أكثر من موضع يحمل اسم بلمه. والمقصود هنا هي قرية Palma del Rio الواقعة على ضفة نهر "الوادي الكبير" في منتصف الطريق بين قرطبة وإشبيلية. وكانت من أعمال إستجة Ecija، وتقع منها إلى الشمال الغربي على مسافة نحو ثلاثين كيلو متراً.

[14] لم يذكر ابن حيان اسم هذا الفقيه، الذي كان صاحبًا ليحيى بن يحيى ورفيقه في الخروج بالأمان لعبدالله البلنسي، غير أنه من الواضح من اسمه

ونسبه، أنه أحد أجداد الحاجب الأندلسي المشهـور، المنصور محمد بن أبي عامر.
ومن المعـروف، أن أول من دخل الأندلس من هذه الأسـرة، هو عبـدالملك المعافـري، في جيش طارق بن زياد، وأنه استقـر في بلدة قرطاجنة Carteya من عمـل الجزيرة الخضـراء، التي أصبـحت إقطاعًا لولده من بعـده (انظر الـروض المعطار ص ٥١، والمغرب لابن سـعيد ١/ ١٩٩، وأعمـال الأعلام ص٥٩). ويبدو من تأمل عـمود نسب المنصـور، أن الفقيـه المذكور هو أبو عامر محمـد بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك الداخل إلى الأندلس، وهو أبو جد المنصور (محمد بن عبدالله بن عامر بن أبي عامر محمد المذكور).

[15] أورد ابن عذاري خبر هذه الغزوة بتفاصيـل فيها بعض الاختلاف عما ورد هنا (البيان المغرب ٢/ ٦٩).

[16] بنو مزين، أسرة مشهورة، من بيوت موالـي بني أمية. أنجبت عدداً كبيراً من رجالات الـسياسـة والعلم، منذ فتح الأندلس حـتى أواخر القـرن الخامس الهجرى. دخل جدهم أبو الجـود مزين بن موسى الأودي، مولى رملة بنت عثـمان بن عفان ـ رضـى الله عنه ـ وسكنوا أكشونبـة في غرب الأندلس، ومنهم إبراهيم بن مـزين الكاتب الذي ولي طـليطلة، وحفـيـده إبراهيم بن محمد، الذي كان يتـعاقب مع الحجاب وجلة الوزراء والقواد في أيام الحكم ابن هشام، وولاه الحكم إمارة طليطلة أيضاً أعوامًا متصلة على حد قول ابن الأبار (الحلة الـسيراء ١/ ٨٨)، ولعـله ابن عم لأبي مضر محمـد بن عبدالله ابن مزين المذكور هنا. وإبراهيم بن محمـد المذكور، هو والد يحيى الفقيه، تلميـذ يحيى بن يحيى الليـثي، وراوية الموطأ، وصاحب كتب مشـهورة في الفقـه، منها تفـسيـر الموطأ، والمستـقصيـة في علل الموطأ، وفضـائل العلم وفضـائل القرآن. وكـانت وفاته سنة ٢٥٩هـ (٨٧٣م) (انظر في ترجمـته،

تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي رقم ١٥٥٦ -٢/١٧٨، والحلة السيراء ١/٨٨). ويبدو أن هذه الأسرة، انتقلت بعد سقوط خلافة بني أمية في قرطبة إلى موطنها الأول في غرب الأندلس. فكان منهم، أبو الأصبغ عيسى ابن أبي بكر محمد، الملقب بالمظفر، الذي كانت له رياسة مدينة شلب Silves (في البرتغال اليوم) فحكم هذه المدينة، وكان في البداية قاضيًا عليها وعلى سائر أعمالها، ثم بايعه أهلها حاكمًا عليهم، وكانت وفاته سنة ٤٣٢هـ (١٠٤١م)، وحكم بعده ابنه محمد حتى سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨م)، وخلفه ابنه المظفر، عيسى الذي خلعه المعتضد عباد ملك إشبيلية وقتله، سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م)، ثم ولي بعده ابنه الناصر محمد بن عيسى، فلم يزل يحكم شلب حتى مات سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م)، وبايع أهل شلب ابنه المظفر، عيسى الذي والى عليه المعتضد الغارات، حتى دخل عليه المدينة فأخذه وضرب عنقه في سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) وبهذا انقرضت دولة بني مزين. (انظر البيان المغرب ٣/ ١٩٢-١٩٣، ٢٩٧-٢٩٨). على أننا نعرف بعد ذلك، ابنًا لهذا الأمير الأخير هو أبو بكر محمد بن عيسى، كان كاتبًا ومؤرخًا عاش في إشبيلية في ظل المعتمد محمد بن عباد وتوفي بعد سنة ٤٧٠هـ (١٠٧٧م). وله كتاب في تاريخ الأندلس، ينقل عنه ابن الأبار في الحلة السيراء (٢/ ١١٦، ١٢٩) والوزير محمد بن عبدالوهاب الغساني في كتابه "رحلة الوزير في افتكاك الأسير" (نشر ألفريد البستاني، طنجة ١٩٤٠م، ص ١١١- ١٢٠).

[17] بهلول بن أبي الحجاج مرزوق الثائر بالثغر الأعلى، سيورد ابن حيان مزيدًا من أخباره فيما يلي، وقد ذكر العذري في جغرافيته، أن أباه مرزوقًا ابن أسكرى، كان قد احتل حصنًا يدعى قصر مونش من حوز بربطانية

Barbitania (Boltaia)، وأنه كان له ثلاثون ولداً ذكوراً. وكان بنو سلمة التجيبيون المتولون على وشقة، قد عزموا على قصد مرزوق وبنيه، لإنزالهم إلى حصن بربطانية، فاسترضاهم مرزوق بأن أعطاهم رهائن كان في جملتهم ابنه بهلول، وجرت له أحداث كثيرة، لحق أثناءها بأرض برشلونة، حيث قضى سنوات، ثم عاد فدخل سرقسطة، وملك أيضاً طرطوشة، وانتهى أمره بأن لقي مصرعه، على يد خلف بن راشد، الثائر عليه في سنة ١٨٦هـ (٨٠٢م). (انظر جغرافية العذري ص ٥٧-٦١).

[18] عن أولية عمروس بن يوسف، قبل أن يوليه الحكم طلبيرة، انظر ما أورده العذري في جغرافيته (ص ٢٧-٢٩)، وفيه أنه كان هو وخلف بن راشد وصيفين لمطروح بن سليمان الأعرابي الثائر بسرقسطة منذ سنة ١٧٤ هـ (٧٩٠م)، فقاما باغتياله في السنة التالية في أيام الأمير هشام بن عبدالرحمن. ثم قدم عمروس على الأمير الحكم، فولاه طلبيرة، ثم قُدِّمَ على طليطلة، وكان منه ما سوف يفصل ذكره ابن حيان.

[19] عبد الله بن خمير، الثائر بطليطلة، هو الذي سماه ابن عذاري عبيدة بن حميد (البيان المغرب ٢/ ٦٩).

[20] عن إيقاع عمروس بن يوسف بثوار طليطلة، وهو ما سيفصله ابن حيان في الصفحات التالية بروايات مختلفة، انظر ما أورده عنه في إيجاز ابن عذاري في البيان ٢/ ٦٩-٧٠، وتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص ٤٦-٤٩.

[21] التحنيف: هو الاختتان. والحنيف في الجاهلية، هو الذي كان يحج البيت، ويغتسل من الجنابة ويختتن. فلما جاء الإسلام أصبح الحنيف هو المسلم.

[22] ورد هذا النص بالفعل، في تاريخ ابن القوطية ص ٤٨.

[23] ورد مضمون النص التالي، المنسوب لابن القوطية، في تاريخه ص ٤٦-٤٩، ولكن بألفاظ مختلفة.

[24] عبارة مأخوذة من بيت شعرٍ، لزهيرِ بن أبي سلمى في معلقته:

فشدَّ ولم يفزع بيوتًا كثيرةً   لدى حيث ألقت رحلها أمُّ قشعم

(ديوان زهير، بشرح ثعلب. طبعة دار الكتب. القاهرة ١٩٤٤م ص ٢٢-٢٣ والقشعم، المسِنُّ من الرجال والنسور، وأم قشعم المنية، والمقصود إلى حيث ألقى الموت رحله. انظر أيضاً ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥م ص ٢٦٠).

[25] العبارة مأخوذة من خطبة لقس بن ساعدة الإيادي، أثبتها الجاحظ في البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٧٥م-١/ ٣٠٩. وهي هناك: "... ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا؟ أم حبسوا فناموا؟".

[26] الخبر مختصراً في البيان المغرب ٢/ ٧٠.

[27] من الغريب، أن هذه الكائنة ذات الأهمية البالغة في تاريخ الأندلس، وهي سقوط برشلونة في أيدي المسيحيين، لم تظفر باهتمام المصادر الإسلامية، فيما عدا هذا النص الذي سجله ابن حيان. حتى ابن عذاري في البيان المغرب، تجاهل ما وقع من أحداث سنة ١٨٥هـ بأسرها، وهي التي فقد المسلمون فيها هذه المدينة، وانتقل حكمها إلى شارلمان الذي وصل ملك الفرنجة في عهده إلى أوج اتساعه وقوته؛ إذ كان هذا الملك يحكم الشطر الأكبر من أوربا الغربية. وكان المسلمون منذ فتح الأندلس، قد نفذت جيوشهم عبر جبال البرتات (البيرينيه) وبسطوا حكمهم على منطقة أكويتانيا Aquitania في جنوب شرقي فرنسا، على الرغم من هزيمة عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي في بلاط الشهداء (موقعة بواتييه) سنة ١١٤هـ (٧٣٢م)

أمام شارل مارتل؛ جد شارلمان. واتخذ المسلمون مدينة أربونة Narbonne قاعدة لهذه المنطقة، حتى ولي عرش فرنسا شارلمان (ولد في ١٢٤هـ/ ٧٤٢م وحكم ما بين سنتي ١٥٤-١٩٨هـ / ٧٧١ -٨١٤م). وقد انتهز هذا الملك فرصة الثورات الناشبة في الثغر الأعلى الأندلسي، في عهد عبدالرحمن الداخل. فعبر جبال البرتات في حملته، التي حاول فيها الاستيلاء على سرقسطة في سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م، ولكن حصاره فشل واضطر للانسحاب، ولحق المسلمون والبشكونس بمؤخرة جيشه في مَمَرّ رنشفاله Roncesvalles وأوقعوا به هزيمة منكرة، أصبحت موضوع الملحمة الفرنسية المشهورة "أنشودة رولان" "La Chanson de Rolan". على أن هذه الهزيمة لم تثبط عزيمته، إذ حشد قواته وعاد لغزو منطقة أكويتانيا، التي كانت في أيدي المسلمين، فاحتل في سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م جرندة Gerona في شمال شرقي برشلونة، ثم Ausona (التي تدعى اليوم Vic) و Urgell وقرقشونة Carcasona (ما بين سنتي ١٧٦-١٧٧هـ/ ٧٩٢ - ٧٩٣م)، غير أن المسلمين استردوا قرقشونة، وجرندة، وعادوا لاحتلال أربونة. وفي سنة ١٧٨هـ (٧٩٥م) يقوم لذويق Ludovico بن شارلمان ونائبه في حكم أكويتانيا بتحصين Vic و Cardona وكاسِّراس Caserras، ثم يتولي على جرندة من جديد. وفي سنة ١٨٣هـ (٧٩٩م) يضرب الحصار على برشلونة، ويستصرخ عاملها سعدون الرعيني بقرطبة، غير أن الأمير الحكم كان مشغولاً بالحرب مع عميه الثائرين عليه، عبدالله وسليمان، فلم يستطع إمداد المدينة المحاصرة. وهكذا اضطر سعدون للاستسلام في ١٨٥هـ (٨٠١م)، ومنذ هذا التاريخ، تصبح برشلونة عاصمة لما سمي بعد ذلك بالثغر الإسباني Limes hispanicus بالإسبانية (Marca Hispinica)، على أن تنظيم شؤون هذا الثغر، وتحويله إلى

إمارة ذات كيان سياسي مكتمل، لم يتم إلا في أيام الملك الفرنسي شارل الأصلع Charles le Chauve في سنة ٢٥١هـ (٨٦٥م) في أيام الأمير محمد ابن عبدالرحمن بن الحكم.

وتضيف المدونات الفرنسية القديمة تفاصيل أخرى؛ فتذكر أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن الميلادي، يقدم عبدالله البلنسي الثائر على ابن أخيه الحكَم (الذي تدعوه بكنيته أبي العاص Abulaz) على شارلمان، فيلتقي به في إكس لاشابيل Aix - la-Chapelle ويعرض عليه توجيه حملة من جرندة لاحتلال برشلونة ودلتا نهر الإبرو. وفي الوقت نفسه يعرض ملك أشتوريش الأذفونش (ألفونسو الثاني الملقب بالعفيف Alfonso II, el Casto) على العاهل الفرنجي استعداده لمعاونته في الحملة المقترحة والاعتراف بتبعيته لشارلمان، كذلك يقوم عامل برشلونة نفسه سعدون (الذي تسميه المصادر الفرنسية Zado أو Zato) بالتوجه أيضاً إلى إكس لاشابيل ويعد شارلمان بالتخلي له عن برشلونة حين تصل الكتائب الإفرنجية إلى أسوار المدينة، ولكن شارلمان لم يثق بتلك الوعود التي كلفته أمثالها هزيمة من قبل في حملة سرقسطة، فتروى في الأمر، ولم يقرر توجيه حملته على أرض المسلمين إلا في سنة ١٨١هـ (٧٩٧م) بعد لقاء عقده مع ابنه لذويق وبهلول بن مرزوق. ولم يعد لذويق إلى أكويتانيا إلا بعد سنتين (في ١٨٣هـ/ ٧٩٩م). فبينما كان أبوه يتوج في روما إمبراطوراً، قام هو بمهاجمة مدينتين أندلسيتين من مدن الثغر، هما لاردة Lérida ووشقة Huesca (وهو خبر لا تؤكده المصادر الأندلسية). وكان بهلول بن مرزوق، وسعدون اللذان وعدا بمساعدة الحملة الإفرنجية، قد أخلا بوعودهما، وعادا إلى صفوف المسلمين. وعلى الرغم من ذلك؛ فإن لذويق حشد جيشاً كبيراً، حاصر به برشلونة على مدى سنتين، واستنجد

سعدون بقرطبة، ولكن لم تصل إليه الإمدادات المطلوبة. فاضطر لتسليم المدينة في ١٨٥هـ (٨٠١م). وأصبحت منذ هذا التاريخ، قاعدة للثغر الإسباني، خاضعة لسيادة الملك الإفرنجي.

ومع أن برشلونة ظلت في أيدي المسلمين قريباً من قرن من الزمان (٩٢- ١٨٥هـ / ٧١١-٨٠١ م) فإن المصادر العربية لا تكاد تذكر شيئاً عن تاريخها الإسلامي، فيما عدا خبراً مقتضباً أورده ابن حزم في جمهرة الأنساب (ص٤٣٠)، وذكر فيه اسم أول عامل لها بعد الفتح، وهو عميرة ابن المهاجر التجيبي.

حول سقوط برشلونة، انظر ما كتبه ليفي بروفنسال في تاريخ إسبانيا الإسلامية ١/ ١٧٨-١٨١ وقائمة الحوليات والمدونات الفرنسية التي أوردها، وكذلك أجوادو بليه في مجمل تاريخ إسبانيا في العصور القديمة والوسطى، مدريد ١٩٤٧م، ١/ ٥٠٣-٥٠٥:

Aguado Bleye : Manual de la historia de Espana, I, 503-505

[28] فج أرغنسون: شِعب أو ممر جبلي، يقع قرب وادي ثادورا، على مسافة قصيرة من مصب هذا النهير Rio Zadorra في نهر الإبرو، وعلى مقربة من مدينة فيتوريا Vitoria وهي اليوم عاصمة محافظة ألبة Alava إحدى محافظات إقليم البشكونس Pais Vasco. وقد ذكر الباحث الإسباني سانتشث ألبورنوث تحديد موقع هذا الفج. فذكر أنه الذي يسمى الآن Con-chas de Arganzin وذلك في مقال له نشره عن "حملة المركوير" في مجلة "حوليات التاريخ القديم والوسيط"، التي تصدر في بوينوس أيرس:

Cf. Sanchez-Albornoz : La campana de Morcucra, en Anales de historia antigua y medieval, I, 1948, p.22.

ولم تشر المصادر العربية الأخرى إلى هذه الحملة، التي انتهت بهزيمة

المسلمين. أما المصادر المسيحية، فإن المصدر اللاتيني الوحيد الذي سجلها متفقاً في روايتها مع ابن حيان هو مدونة "سيرة لذويق "Vita Hludovici، التي كتبها مؤرخ فرنسي مجهول، يدعى "الفلكي "L'Astronome حسبما يذكر ليفي بروفنسال في تاريخ إسبانيا الإسلامية ١/ ١٧٥، حاشية رقم ٢.

[29] أشار ابن حزم في جمهرة الأنساب، إلى معاوية بن هشام المذكور إشارة عابرة، ويبدو أنه لم يعقب (ص٩٦).

[30] الذي يذكره معاوية بن هشام الشبينسي هنا من مقتل بهلول بن مرزوق على يد عمروس بن يوسف، يخالف ما ذكره العذري في جغرافيته (ص٦٠-٦١) من أن قاتل بهلول كان خلف بن راشد، وكان بهلول قد رباه واتخذه موضعًا لثقته، ولكنه غضب عليه وأمر بتقييده وسجنه. ولكن خلفاً تمكن من الخلاص، وشرع في الثورة على بهلول، وتعقبه حتى ضغطه إلى غار بجانب بليارش Pallars فقتله فيه سنة ١٨٦هـ.

[31] أماية Amaya بلد اندثر، ولم يعد له وجود اليوم، غير أن اسمه بقي دالاً على الأرض الواقعة في محافظة بلنسية Palencia والقريبة من محافظة برغش Burgos.

[32] نسبة إلى شرطانية، الواقعة على سفوح جبال البرتات، في محافظة لاردة، وعلى ضفاف نهر سيغري Rio Segre ومنطقة شرطانية على قسمين؛ قسم إسباني Cerdana وقسم فرنسي Cerdagne هو امتدادٌ للأول داخل الأرض الفرنسية.

[33] صخرة قيس، هي التي تقابل اليوم الموضع المسمى Haurte Araquil الواقع على ضفاف نهر أرغه Rio Arga إلى الشمال الغربي من بنبلونة. والصخرة في المصطلح الأندلسي هي الموضع القائم على مرتفع شاهق؛ يضمن له

حصانة طبيعية. انظر تاريخ إسبانيا الإسلامية، لليفي بروفنسال ٢١٦/١، حاشية رقم ١.

[34] يتبين لنا من مراجعة أنساب بني أمية في كتاب الجمهرة؛ أنه محمد بن قاسم ابن عبدالملك بن هشام بن عبدالرحمن الداخل. فهو في الحقيقة، ليس ابن عم الأمير الحكم بن هشام كما ورد في النص، وإنما كان الحكم عم أبيه القاسم (انظر الجمهرة ص ٩٦).

[35] تشزّر: غضب وتهيأ للقتال.

[36] ذكر ابن حزم مسلمة المعروف بكليب، بين أبناء عبدالرحمن بن معاوية الداخل. وقال: إنه هو الذي تنسب إليه أرحى كليب، على النهر بقبلي قرطبة (الجمهرة ص ٦، ٩٤). أما آمية، فإنه لم يرد له ذكر في قائمة أولئك الأبناء. هذا وقد سبق لابن حيان أن ذكر أن الأمير الحكم اتهم عمه أمية هذا بموالاة أخيه سليمان، فقبض عليه وحبسه (الورقة ٨٩أ).

[37] وردت هذه الترجمة بنصها، مع اختلافات طفيفة في تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، رقم ١٥٥١.

[38] في الأصل: الحسن بن محمد، والصواب ما أثبتنا، فهو الحسين بن محمد ابن قابل القرطبي. ترجم له ابن الفرضي (رقم ٣٥٣) ونص على أنه ـ أي ابن الفرضي ـ كتب عنه كثيراً، كما يؤكد ذلك أن الحسين المذكور سمع من محمد بن عمر بن لبابة. وكانت وفاته بقرطبة سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٣م).

[39] المقصود محمد بن عيسى المعافري القرطبي، المعروف بالأعشى، الفقيه المعروف المتوفى سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) وقد سمع منه عبدالملك بن حبيب. (ترجمته في كتاب ابن الفرضي، رقم ١١٠٠).

[40] هو العباس بن عبدالله بن عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم وجده

عبدالملك، هو الذي يدعوه ابن الأبار، قعيد جماعة آل مروان في وقته، وفارسهم وشهابهم، قدم من مصر على عبدالرحمن بن معاوية الداخل سنة ١٤٠هـ (٧٥٨م) فولاه إشبيلية، وولى ابنه عبدالله مورور Moron ثم استوزره. أما العباس المذكور، فهو جد أسرة كان منها كثير من رجالات الدولة من قواد ووزراء وأدباء. وابنه محمد هو المكنى بأبي صفوان، الذي عرف نسله باسم "الصفوانيين". انظر جمهرة الأنساب ص ١٠٧-١٠٨، والحلة السيراء ١/٥٦-٦٠، وانظر القطعة التي نشرناها من المقتبس ص٢٨ التعليق رقم ٩١ ص ٤٥٠-٤٥١.

[41] أورد ابن القوطية أيضاً خبر هذه المؤامرة، على نحو لا يختلف كثيراً عن هذه الرواية المنسوبة لعيسى الرازي، غير أن الأمير المرواني، ابن عم الحكم، الذي أراد المتآمرون البيعة له في رواية ابن القوطية، هو ابن الشمّاس من ولد منذر بن عبدالرحمن بن معاوية (تاريخ ص ٥٠). ونعتقد أن رواية عيسى الرازي هي الاجدر بالثقة.

[42] أورد ابن عذاري هذا الخبر باختصار شديد (البيان ٢/ ٧٢).

[43] لم نعرف على وجه التحديد حقيقة هذا "الكتاب الخزائني" ولا من هو مؤلفه، ويبدو أنه تاريخ مفصل للأندلس، منذ الفتح حتى القرن الخامس الهجري. وفي نفح الطيب للمقري نقل آخر عن هذا الكتاب، يقول في تقديمه: "وفي الكتاب الخزائني وغيره سياقة فتح الأندلس على أتم الوجوه" (النفح ١/ ٢٥٠).

[44] أورد ابن عذاري هذا الخبر مختصراً إياه على عادته (البيان ٢/ ٧٢).

[45] تمام البيت:

متى تجمع القلب الذكي وصارمًا — وأنفًا حميًا تجتنبك المظالم

وهو للفارس والشاعر الجاهلي عمرو بن براقة، من قصيدة له، وردت في الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام، تحقيق عبدالعزيز الميمني ومحمود شاكر، القاهرة ١٩٦٨م ص ٣٢، وأمالي أبي علي القالي، ط دار الكتب ٢/ ١٢٢، وسمط اللآلي في شرح الأمالي لأبي عبيد البكري ص ٧٤٩، والزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق إبراهيم السامرائي ونوري القيسي، بغداد ١٩٧٥م - ٢/ ٣٥٧.

[46] قارله بن ببين ملك الفرنجة هو Charlemagne ابن Pepin الذي أوردنا ترجمته في التعليق رقم ٢٧.

[47] كان ظهور إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في المغرب سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) وكان قد فر من المشرق، على أثر هزيمة أخويه محمد النفس الزكية الثائر بالمدينة، وإبراهيم الثائر بالبصرة. ومقتلهما في أيام أبي جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس. فقدمته قبائل البربر وأطاعوه وملكوه عليهم. وتوفي إدريس سنة ١٧٥هـ (٧٩١م) وخلفه ابنه إدريس (الثاني) وكان طفلاً، فقدمته سائر قبائل العدوة سنة ١٨٧هـ (٨٠٣م)، وإدريس هذا هو الذي بنى مدينة فاس سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م) واتخذها عاصمة لمملكته وكانت وفاته سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م). انظر البيان المغرب ١/ ٢١٠-٢١١، والحلة السيراء ١/ ٥١-٥٥. وواضح مما ذكرناه، أن الذي كان يحكم المغرب في سنة ١٩١هـ (٨٠٧م) لم يكن إدريس الأول بن عبدالله، وإنما ابنه إدريس الثاني.

[48] غريب ما يذكره ابن حيان هنا، من أمر "فزع" الفرنجة لظهور إدريس الحسني بأرض المغرب، وذلك لبعد ما بين البلدين، مما يستبعد معه أن تصبح دولة الأدارسة الوليدة خطراً يتهدد بلد الفرنجة. ولليفي بروفنسال تفسير لذلك

يبدو في ظاهره مقبولاً، وهو أن يكون شارلمان قد تخوف من إمكان عقد حلف بين الإمارة الأموية في الأندلس، وإمارة الأدارسة في المغرب، وذلك بهدف مواجهة النصرانية في أوربا الغربية (تاريخ إسبانيا الإسلامية ١/ ١٨٢)، على أن ذلك بدوره مستبعد، بحكم العداء بين الدولة الأموية الأندلسية والدولة العلوية في الشمال الأفريقي.

[49] التاريخ الذي ذكره ابن حيان لوفاة شارلمان وهو ١٩١هـ (٨٠٧م) غير صحيح، فالحقيقة أنه توفي بعد ذلك بسبع سنوات في (١٩٨هـ/ ٨١٤م).

[50] لذويق Ludovico ابن شارلمان، هو الذي تدعوه المصادر الفرنسية لويس الورع Louis le Pieux، وكان نائبًا عن أبيه في حكم المنطقة الجنوبية من فرنسا، المعروفة بأكويتانيا Aquitaine، وكان شارلمان قد قسم مملكته في حياته بين أبنائه الثلاثة: بيبن، وقارله، ولذويق المذكور، ولكن الأولين توفيا في حياة أبيهما، وبذلك آلت مملكته كلها لابنه الثالث لذويق عند وفاته في سنة ١٩٨هـ/ ٨١٤م.

[51] لم يذكر ابن عذاري شيئاً من أخبار هذه السنة.

[52] نقل ابن عذاري هذا النص بطوله، مع اختصار طفيف (البيان ٢/ ٧٢-٧٣).

[53] يلفت النظر أننا سنسمع باسم مكحول آخر بعد ذلك بستين سنة، ونعني به مكحول بن عمر أحد زعماء ماردة في هذه المنطقة نفسها من غرب الأندلس، وكان رفيقًا لعبدالرحمن بن مروان الجليقي في ثورته على الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم منذ سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) حينما تسلط على بلدة جلمانية Jurumenha (في البرتغال اليوم) حتى مقتله في معركة مع جيش الأمير محمد سنة ٢٦٢هـ (٨٧٦م). (انظر القطعة التي سبق لنا تحقيقها من المقتبس، في تاريخ الأمير محمد ص٣٢٢، ٣٤٨-٣٥٠، ٣٦٥). ولما كان

من المألوف تكرر الأسماء في الأسرة الواحدة، فإننا نعتقد أن مكحولاً المذكور هنا، والمقتول في سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م) إنما هو جد لمكحول بن عمر، رفيق عبدالرحمن الجليقي، لاسيما وأن كلتا الثورتين كانت في المنطقة نفسها من غرب الأندلس.

[54] لم ترد في أي مصدر آخر أي إشارة إلى هذا الخبر الذي يذكر فيه ابن حيان ثورة طملس في الأشبونة Lisboa وقلنبرية Coimbra (في البرتغال اليوم).

[55] الحائر، في لغة أهل الأندلس يطلق على البستان والغدير والبركة. واللفظ هنا بالمعنى الأول. انظر رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد ١٩٨١م، ٣ / ٣٩١.

[56] لم يذكر ابن عذاري شيئاً من هذه الأخبار، وإنما اقتصر على خبر غزوة للأمير الحكم في منطقة وادي الحجارة، على أثر شعر رفعه إليه عباس بن ناصح يستصرخه فيه، بعد أن سمع استغاثة لامرأة من وادي الحجارة، (البيان المغرب ٢/ ٧٣) وهو خبر سيذكره ابن حيان في سياق الحديث عن عباس بن ناصح بغير تحديد لتاريخه.

[57] ذكر ابن عذاري خبر هذه المجاعة (البيان ٢/ ٧٣) إلا أنه أورده في سنة تسع وتسعين، ونظن أن رقم تسع إنما هو تحريف لسبع، إذ كثيراً ما يقع الخلط بينهما عند النساخ.

[58] ورد خبر هذه الغزوة في ابن عذاري، مختصراً بعض الشيء (البيان٢/ ٧٤).
"وفيها خرج الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى سُرْيَة للإصلاح بين البرابر".

كنا قد رأينا أن سرية المذكورة تقابل المدينة التي تسمى في إسبانيا اليوم Soria، (في وسط محافظة قشتالة القديمة). غير أن فيديريكو كورينتي يرى أن الاسم

محرف عن "سُرِتَة"، مقابلاً للموضع المعروف باسم Almonacid de Aorita، وفقاً لما ذكر دوزي R. Dozy، وربما كان الأرجح أن يقابل Zorita de los Canes كما يرى أليماني بولوفر Alemany Blolufer في دراسته عن جغرافية شبه الجزيرة في المصادر العربية، ومازالت في هذه القرية بقايا قلعة عربية، وكانت هذه المنطقة مأهولة بالبربر.

وقد ورد ذكر سُرِتة ثلاث مرات في السفر الخامس من "المقتبس" (ص ٢٠٣، ٢٧٨، ٣٩٢= ص٤٤٦ من الترجمة الإسبانية)، وفي إحداها يذكر ابن حيان أن سُرِتة هذه هي إحدى المدن المهمة في منطقة شنتبرية Santaver التي كانت إقطاعاً لبني رزين، ونسبهم في البربر معروف. ولو كان المقصود باللفظ Soria لكان ينبغي أن تكتب شرية بالشين بحسب القواعد الصوتية المتبعة في تعريب أسماء المواضع العجمية. أما سُرْيَة فهي الآن عاصمة للمحافظة التي تحمل اسمها، وتتاخمها من الشرق محافظة سرقسطة، ومن الجنوب وادي الحجارة، ومن توابعها اليوم بلدتا المَحْصَن Almazan ومدينة سالم Medinaceli.

[59] سبق لابن حيان، أن ذكر في أخبار سنة ١٩٣هـ أن عبيدون هذا كان أحد عاملي الثغر الأعلى مع عمروس بن يوسف؛ فقد كان عمروس، هو العامل على سرقسطة، وعبيدون على طرطوشة Tortosa. وقد اشترك القائدان في إلحاق الهزيمة بلذويق بن شارلمان لدى أسوار طرطوشة في سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م) المذكورة. وبعد ذلك بثلاث سنوات في ١٩٦هـ (٨١٢م) انعقدت الهدنة بين الأمير الحكم وشارلمان، على ما تذكر المدونات الإفرنجية (انظر ليفي بروفنسال: تاريخ ١/ ١٨٤).

[60] أورد ابن عذاري هذا الخبر مختصراً في البيان ٢/ ٧٤-٧٥.

[61] لهذا النص أهمية تاريخية كبيرة؛ فهو يطلعنا على بداية مملكة نَبَرَّة Navarra وحركة المقاومة المسيحية في حاضرتها بنبلونة Pamplona. وقد ظلت هذه المدينة في أيدي المسلمين منذ فتح الأندلس، حتى سنة ١٨٢هـ (٧٩٨م) حينما ثار بها البشكونس Los vascones أو الجلشقيون Gascones كما يسميهم المسلمون، فقتلوا آخر عمالها من قبل الإمارة مطرف بن موسى بن قسي (أخا موسى بن موسى)، واختاروا لرياستهم الزعيم المذكور في هذا النص، وهو الجلشقي بلشك Velasco، وكانوا قد أعلنوا تبعيتهم لملك أشتوريش، فتوجهت إليه هذه الحملة التي فصَّل خبرها ابن حيان، ونقلها عنه ابن عذاري، مع بعض الاختصار كعادته. وقد استفاد ليفي بروفنسال من نص ابن حيان في تاريخه (١٧٦/١-١٧٧) ولو أنه جعل مدة القتال بين المسلمين وأعدائهم ثلاثة أيام، بدلاً من الثلاثة عشر يوماً التي ذكرها ابن حيان. وقد قابل بروفنسال خبر هذه الحملة على ما ورد في المدونتين المسيحيتين: المنسوبة لألفونسو الثاني، ومدونة ناجرة Najera اللاتينية، كما نفي ـ معتمداً على نص ابن حيان ـ ما انتهى إليه الباحثون دوزي وكوديرا Codera وبارّاو ديهيجو Barrau-Dihigo من أن حملة عبدالكريم بن مغيث كانت موجهة إلى جليقية، على حين أنها دارت في بلاد البشكونس: في بنبلونة أو نواحيها.

[62] غرسية Garcia بن لب Lope المذكور، هو ابن الأميرة المسماة نونيا بيلا Nuna Bella أخت برمود (الأول) Vermudo I المعروف بالقس el Diacono بن فرويلة Fruela أخي ملك أشتوريش. وبرمود المذكور هو الذي ولي ملك أشتوريش لمدة سنتين (بين ١٧٣-١٧٥هـ / ٧٨٩-٧٩١م) واعتنق الرهبنة بعد خلعه عن العرش، ولهذا لقب بالقس. فخلفه الأذفونش (ألفونسو الثاني الملقب بالعفيف).

[63] لم يذكر ابن حيان، اسم هذا النهر. على حين ذكر ابن عذاري (٢/ ٧٥) أنه "أرون" الذي اختلف الباحثون حول ما يقابله الآن. وأرجح الآراء في ذلك هو ما ذكره سانتشث أبورنوث Sanchez - Albornoz وليفي بروفنسال، من أنه نهير متفرع من الإيرو، تقع عليه قرية Oron على بعد بضعة كيلو مترات إلى الجنوب الغربي من البلدة التي تدعى اليوم Miranda del Ebro وإلى جوار شعب جبلي وعر، كان المسلمون يدعونه "فج المركوير" واسمه الآن La Hoz de la Morcuera. وما زال اسم Oroncillo (تصغير (Oron) يطلق الآن على مسقط مائي، في هذا الموضع نفسه (انظر تاريخ ليفي بروفنسال ١/ ١٧٧).

[64] هذه، هي أول مرة يرد فيها اسم مروان بن يونس الجليقي، والد عبدالرحمن، الذي سوف يتزعم ثورة غرب الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن منذ منتصف القرن الثالث الهجري. ونرى من هذا النص، أنه بدأ حياته السياسية أيضاً بالثورة والتمرد، وسوف يورد ابن حيان خبر مقتله في سنة ٢١١، ثم سيذكر في أخبار سنة ٢١٤ غزو الأمير عبدالرحمن لماردة، وكان أهلها قد نكثوا وقدموا على أنفسهم محمود بن عبدالجبار وسليمان بن مرتين بعد مقتل رئيسهم مروان الجليقي. وهذا يناقض ما زعمه ليفي بروفنسال في تاريخه (١/ ٢٠٨، ٢٩٥-٢٩٦) من أن مروان كان عاملاً على ماردة للأمير عبدالرحمن وأنه كان متمسكاً بالطاعة، وكان مقتله على يدي محمود بن عبدالجبار وسليمان بن مرتين في سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م). ولم يبين بروفنسال مصدره في زعمه هذا.

[65] إسحاق بن المنذر بن عبدالرحمن بن معاوية، هو ابن عم الأمير الحكم بن هشام، وكان من وزرائه وذوي مشورته؛ كما سوف يذكر ابن حيان (ورقة

١١٨ب)، وكان لـه مقام محمود في إخماد ثورة الربض. وسوف يفصل ابن حيـان أيضا دوره في ذلك (ورقة ١٠٣ب ومـا بعدها) وكـذلك ابن عذاري (البيان المغرب ٢/ ٧٦). والغـريب أن ابن حزم، لم يذكره بين ولد المنذر بن عبدالرحـمن، على حين أشار إلى حفيد للمنذر المذكـور، يدعى إسحاق بن عبدالله بن المنذر (الجمهرة ص٩٥).

[66] أحمد بن محمـد المذكور هنا هو الرازي. وقد وردت أبيات الحكم الواردة هنا في كـثيـر من المصادر، مع اخـتلاف في عـددها ورواياتها. وأكـمل رواية للأبيات التـسعة التي تتألف منهـا القصيدة فـي أخبار مجـموعة ص ١٣٢-١٣٣، والحلة السيراء ١/ ٤٧-٤٨، والبـيان المغرب ٢/ ٧١-٧٢ وفي المغرب لابن سعيد (١/ ٤٤-٤٥) ثمانية أبيـات منها؛ وفي نفح الطيب خمسة أبيات (١/ ٣٤٢)، وفي تاريخ ابن القوطية (ص٥٢) بيت واحـد. ولـسنا في حاجة إلى تسجيل كل اخـتلافات القراءات المختلفة في هذه المصادر؛ فـهي طفيفة وليـس لها كبير جدوى. كمـا أننا أضربنا عن تـسجيل ما حـرفه الناسخ من ألفاظ في بعض الأبيات.

[67] ورد هذا النص في أخبار مجموعة ص ١٣٣.

[68] أشار ابن سعيد في المغرب (١/ ٤٢) إلى مهاجر بن القتيل هذا، متفقاً مع ابن حيـان في ذكر دوره في فـتنة طليطلة، بعـد قدومـه إليهـا من دار الحرب، وأضاف أنه قد صار إليه نحو خمـسة عشر ألفًا في البحر، من ثوار الربض. فخرج بهـم في البحر إلى الإسكندرية. وهناك إشارة أخـرى، إلى من يبدو أخًا لمهاجر هذا، يدعى مالك بن القتيل. ويذكر ابن حيان عنه، أنه توفي في المطبق؛ وهو سجن قـرطبة، وذلك في سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م). (ابن حـيان: القطعة التالية من المقتبس ورقة ٢٠٩ب).

[69] سبق أن أشرنا إلى أسرة بني مزين، وإلى إبراهيم هذا، الذي كان عاملاً على طليطلة: انظر تعليقنا رقم ١٦.

[70] نقل ابن سعيد في المغرب، (٤٢/١) عن ابن حيان، خبر هذه المنازعة بين أحد مماليك الحكم والصيقل؛ وهي الواقعة التي تولدت عنها الثورة. غير أنه اختصر الخبر في سطور.

[71] لم يذكر ابن حزم في الجمهرة (ص ٩٥-٩٧) المغيرة بن الأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل، بين من ذكرهم من أبناء هذا الأمير.

[72] ذكر ابن سعيد في المغرب (٣٩/١)، أن بين مماليك الحكم الخمسة الآلاف كان ثلاثة آلاف فرساناً هم الذين أطلق عليهم اسم الخرس، وذلك لعجمتهم.

[73] بزيع المذكور كان عبداً اشتراه الأمير عبدالرحمن الداخل، بعد أن رأى بلاءه في حرب حيوة بن الملامس، وعبدالغافر اليحصبي سنة ١٥٤هـ (٧٧١م) على ما يذكر صاحب "أخبار مجموعة" (ص١٠٩). ويظهر أنه قد ولي بعض مناصب القيادة. ولابد أن يكون قد جاوز الستين من عمره، عند نشوب ثورة الربض.

[74] كان حدير المذكور بواباً للأمير الحكم على باب السُّدَّة من أبواب قصر قرطبة، عند ثورة الربض. وسيورد ابن حيان بعض أخباره في هذه الثورة، وهي أخبار ذكرها أيضاً ابن القوطية في تاريخه (ص ٥٥-٥٦).

[75] خبر بزيع في وقعة الربض يكاد يكون تكراراً لما ترويه كتب التاريخ عن أبي محجن الثقفي، الذي كان في حبس سعد بن أبي وقاص، أثناء اشتداد القتال يوم القادسية بين العرب والفرس، سنة ١٤ للهجرة (٦٣٥م)، وكان أن طلب أبو محجن إلى سلمى بنت خصفة زوج سعد ـ وكانت تقوم على محبسه ـ أن تطلقه من قيوده، وتعيره البلقاء فرس سعد، ليشهد المعترك،

ووعدها بأنه إن سلم أن يعود حتى يضع رجليه في القيد، فخلّت عنه، وخرج فركب البلقاء، ثم لحق بالمعركة، وكان له فيها بلاء عظيم، فلما انتصف الليل رجع إلى القصر، وأعاد رجليه في القيد. وبهذه المناسبة قال قصيدته المشهورة: (من الطويل)

كفى حزنًا أن تردى الخيل بالقنا وأُتركَ مشدودًا عليَّ وثاقيا

(انظر في هذا الخبر تاريخ الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٢-٣/٥٤٨-٥٥٠، والأغاني لأبي الفرج الإصبهاني، تحقيق عبدالكريم العزباوي، القاهرة ١٩/ ٥-٨).

[76] ورد خبر شبريط في المغرب لابن سعيد ١/ ٤٢.

[77] ورد الخبر، في تاريخ ابن القوطية (ص٥١-٥٢) مختصراً بعض الشيء. وأورده ابن الأبار أيضاً (الحلة ١/ ٤٥)، وابن سعيد (المغرب ١/ ٤٢) بألفاظ أخرى.

[78] لم يورد ابن حيان اسم عامل بني العباس على مصر. وذكره ابن القوطية باسم ابن أيمن الحاجب. وأظن الاسم محرفاً عن [هرثمة] بن أعين؛ غير أن ذلك خطأ، فهرثمة بن أعين توفي سنة ٢٠٠هـ (٨١٦م) ولم يعرف عنه قدومه إلى مصر، وأما ابن الأبار وابن سعيد فقد ذكرا أن عامل مصر للمأمون العباسي، كان عبدالله بن طاهر، وهو ما يفهم أيضاً من نص للمقري في نفح الطيب ٢/ ٢٥٦. وهذا هو الأرجح.

[79] ورد الخبر بنصه، نقلاً عن ابن حيان، برواية ابن القوطية، في الحلة السيراء (١/ ٤٥-٤٦) وفي المغرب (١/ ٤٣)، وفي أخبار مجموعة، مختصراً (ص١٣١). ومما هو جدير بالذكر، أن الخبر لم يرد في نص ابن القوطية المطبوع، على الرغم من أن ابن حيان وابن الأبار ينسبانه إليه؛ وهذا دليل

جديد، على أن ما بين أيدينا من "تاريخ" ابن القوطية، ليس إلا مختصراً له، وليس نصه الكامل.

[80] كذا، ورد اسم هذا الخادم: بزنت، وكذا ورد في "أخبار مجموعة"، وهو يقابل اسم Vicent، وأما ابن الأبار، فقد أورده في صورة "يزنت" وهو يقابل Jacinto (= ياقوت)، والصيغتان مقبولتان. انظر تعليق حسين مؤنس على نص ابن الأبار ١/٤٦، حاشية رقم ١.

كنا قد ذكرنا في التعليق على اسم "برنت" خادم الأمير الحكم الذي ذكر صاحب "أخبار مجموعة" أنه قد يكون مقابلاً للاسم العجمي Vicente، أما ابن الأبار في "الحلة السيراء" فقد ورد برسم "يزنت"، ورأى حسين مؤنس أنه يقابل .Jacinto على أن فيديريكو كوريتي يرى أن القواعد الصوتية تتعارض مع كلتا الصيغتين، إذ لو كانتا صحيحتين لكان رسمهما بالعربية "بجنت" و "يجنت" بالجيم بدلاً من الزاي. ولهذا رأى أن الاسم قد حرف في المخطوط من "لورنت"، ويكون في هذه الحالة مقابلاً لاسم Lorenzo وهو اسم كثير الوقع لدى المستعربين.

[81] باب اليهود، من أبواب قرطبة كان هو الذي يطل على الحي اليهودي، La Juderia الذي كان ينحصر بين قنطرة قرطبة؛ على الوادي الكبير، وقصر الخلافة وسور المدينة الغربي. انظر تاريخ إسبانيا الإسلامية لليفي بروفنسال ٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

[82] ورد هذا الخبر، في تاريخ ابن القوطية ص ٥١.

[83] طالوت بن عبدالجبار بن محمد بن أيوب بن سليمان بن صالح بن السمح المعافري القرطبي، وهو خال الفقيه محمد بن عيسى الأعشى، ترجم له ابن الأبار في التكملة (نشر كوديرا ترجمة رقم ٢٧٩ ص٨٤-٨٥) وابن عبدالملك

المراكشي في الذيل والتكملة، بتحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٤م، بقية السفر الرابع، ترجمة ٢٧٤ص ١٥٠-١٥٢، وقد نقل في هذه الترجمة المطولة ما أورده ابن حيان هنا. وأصل الخبر في ابن القوطية ص ٥٣-٥٥، وقد نقل الخبر أيضاً ابن سعيد في المغرب ١/ ٤٣.

[84] الوارد في تاريخ ابن القوطية المطبوع نسبة ما جرى من إخفار ذمة طالوت، والتحريض على سفك دمه إلى الوزير أبي بسام. وكذلك الأمر لدى ابن عبدالملك. أما ابن سعيد؛ فإنه نسب ذلك إلى الوزير الإسكندراني؛ مع أن ابن القوطية نفى هذه النسبة.

[85] ورد خبر حدير مع الحكم في تاريخ ابن القوطية ص ٥٥-٥٦.

[86] أبو أيوب، سليمان بن هشام بن عبيد الله بن عبدالرحمن الناصر، من أمراء بني أمية الذين اشتركوا في أحداث الفتنة الكبرى الواقعة بعد سقوط دولة بني عامر. وكان محمد بن هشام بن عبدالجبار المهدي عند ثورته على العامريين في سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٨م) ومناداته بنفسه خليفة قد جعل ابن عمه سليمان بن هشام هذا، ولياً لعهده؛ إلا أنه لم يلبث أن قبض عليه وسجنه، ثم هرب من قرطبة وصار إلى البربر فاجتمعوا إليه وعقدوا له الخلافة وتسمى بالمستعين بالله، واضطربت به الأحوال حتى كانت خلافة المستكفي بالله محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن الناصر، فولاه عهده سنة ٤١٥هـ (١٠٢٤م)، ولكن المستكفي خلع، وقتل في السنة التالية، ويبدو أن سليمان قتل معه في هذه السنة (٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) نفسها. ولهذا وصف في النص بأنه "المقتول في طلب الدولة". (انظر عن سليمان هذا، جمهرة الأنساب ص١٠٠، وأعمال الأعلام لابن الخطيب ص١١٠ والبيان المغرب ٣/ ٥٣، ٥٩، ٧٨-٨٢، ١٤٢).

[87] سبق لابن حيان، أن أورد برواية عيسى بن أحمد الرازي أن الأمير الأموي الذي أراد المتآمرون أن يبايعوا له بعد خلع الحكم هو محمد بن القاسم القرشي المرواني؛ عم هشام بن حمزة. على حين أن هذه الرواية التي يسندها ابن مفرج إلى سكن بن إبراهيم، تقول: إن الأمير الذي رشحه المؤتمرون هو ابن الشماس بن المنذر بن عبدالرحمن (وهي الرواية التي ارتضاها أيضًا ابن القوطية في تاريخه ص٥٠). ومن هنا، وصف ابن حيان الاضطراب والخلاف في هاتين الروايتين "بالشوب". وقد تنبه ليفي بروفنسال في تاريخه (١/١٦٣، حاشية رقم١) إلى هذا الاضطراب، الذي أدى إليه خلط بعض المؤرخين القدماء والمحدثين مثل دوزي، بين ثورتي الربض في سنتي ١٨٩هـ و٢٠٢هـ.

[88] أول من نعرفهم من وجوه بني الحذَّاء الذين يشير إليهم النص، هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يعقوب بن داود القرطبي؛ مولى الأمير عبدالرحمن بن معاوية الداخل. وهو فقيه صلَّى بالأمير عبدالله بن محمد، وبحفيده الخليفة عبدالرحمن الناصر. وكانت وفاته في ٣٣٥هـ/٩٤٧م (ترجمته في ابن الفرضي رقم ١٠٧)، ثم حفيده محمد بن يحيى بن أحمد، وهو فقيه محدث، خرج في الفتنة إلى الثغر الأعلى، فوليَ القضاء بتطيلة، ثم بمدينة سالم، وكانت وفاته بسرقسطة سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م (ترجمته في الصلة لابن بشكوال، رقم ١١٠٣)، وابن هذا الفقيه، أحمد بن محمد بن يحيى، الذي خرج مع أبيه في الفتنة، وولي القضاء بدوره في طليطلة ثم دانية. وتوفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م. (ترجمته في ابن بشكوال رقم ١٣٣).

[89] الباب الجديد، الذي يسميه ابن حيان "المحدث" لأن الحكم بن هشام، هو الذي أحدثه، هو الخارج من سور المدينة في أقصى الجنوب الشرقي، والمؤدي

إلى الرملة، ومنها خاض النهر عساكر عبيد الله، صاحب الصوائف، وإسحاق بن المنذر إلى دمنة الخشابين، حتى يلتقوا حول الثوار. وقد كان هذا الباب لا يزال قائماً حتى القرن الخامس، حينما كان ابن حيان يكتب تاريخه. انظر تاريخ ليفي بروفنسال ١/ ١٦٤، ٣ / ٣٦٧، ٣٧٠-٣٧٣.

[90] لم نجد فيما بين أيدينا من مصادر ترجمة أو تعريفاً بمحمد بن حفص بن فرج هذا المؤرخ أو الراوية الذي ينقل عنه ابن حيان.

[91] كان إدريس (الأول) بن عبدالله بن الحسن مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، ولما خلفه ابنه إدريس (الثاني) أسس مدينة فاس في سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م) واتخذ من المدينة عاصمة لملكه، حرص على تعميرها، واستجلاب سكان لها. فقدم إليها كثيرون من عرب القيروان. فلما قدم عليه الربضيون أنزلهم في شطر المدينة، الذي أصبح يحمل اسمهم: عدوة الأندلس، في مقابل الشطر الآخر المسمى عدوة القرويين. وكان يفصل بين العدوتين، مجرى مائي صغير. وحمل الأندلسيون إلى المدينة أساليبهم في البناء، وفي فلاحة الأرض، وإجراء المياه وتنسيق الحدائق. وانتقل فريق آخر من أولئك الربضيين، إلى منطقة أخرى في جنوبي فاس، أطلقوا عليها اسم حيهم القديم "شقندة". وهو ما زال يحمل هذا الاسم حتى اليوم، ويطلق على "حي البهاليل" قريبًا من قرية صفرو. وأشار البكري إلى مواضع أخرى عمرها الربضيون في المغرب، في سجلماسة التي نزلها أحد زعمائهم، وكان يدعى مدراراً، وهو مؤسس دولة المدراريين. انظر حول ذلك ما كتبه ليفي بروفنسال بعنوان "تأسيس مدينة فاس"، في مجلة حوليات معهد الدراسات الشرقية في الجزائر، المجلد الرابع، ١٩٣٨ ص ٢٣-٥٣، وتاريخ إسبانيا الإسلامية ١/ ١٧٠.

[92] حول هذا الفريق من الربضيين، الذي احتل مدينة الإسكندرية، انظر الولاة والقضاة للكندي ص ١٨٣، والخطط للمقريزي ١/ ١٧٢-١٧٣. أما عامل مصر الذي صالحهم على الخروج منها إلى إقريطش، فهو كما يرى من هذا النص الذي ينقله ابن حيان عن ابن القوطية، عبدالله بن طاهر من قبل المأمون، وليس هرثمة بن أعين من قبل الرشيد (المتوفى سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٦م؛ أي قبل هذه الأحداث بسنوات)، كما ورد في كتاب ابن القوطية المطبوع (ص٥١-٥٢). وفي هذا دليل جديد على أن نص ابن القوطية الذي بين أيدينا، ليس الكتاب الحقيقي، الذي وضعه هذا المؤرخ؛ وإنما هو رواية مختصرة له، ولعل ما ورد فيه حول احتلال الربضيين للإسكندرية، وجلائهم عنها إنما هو إحدى الروايات الضعيفة حول هذه الأحداث، صححها ابن القوطية بعد ذلك بالرواية الأخرى التي أثبتها ابن حيان، والتي تتفق مع الروايات المصرية الواردة لدى الكندي والمقريزي.

[93] سبق أن مر بنا خبر طالوت بن عبدالجبار مختصراً. وابن حيان يذكره هنا، بمزيد من التفاصيل. انظر تعليقنا السابق رقم ٨٣.

[94] مكان عبارتي الوزير، أبي اليسام، والأمير الحكم في ابن القوطية: "كيف رأيك في كبش سمين على مذوده اليوم سنة؟ فقال له حكم: اللحم المشبع ثقيل، واللحم الصحرائي أخف وأعذب" (ص٥٣) وبهذه الألفاظ نفسها تقريبًا في الذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي (٤/ ١٥٠-١٥١). وأما الوارد هنا عن ابن مفرج؛ ففيه مفاضلة بين لحم العجل السمين ولحم "المنقلب الدارج". ولعل المقصود بالمنقلب اللحم الذي يشوى على جنب ثم يقلب على الجنب الآخر، والدارج هو الصغير السن من الحيوان والطير، ويرى الأستاذ فيديريكو كوريتي أن المراد بالمنقلب الدارج لحم الصيد، أي

لحم الحيوان الكثير الانقلاب والمشي في الغابة، فالأمير يفضله على لحم الدواجن، ومن المعروف هواية الأمير الحكم للصيد. والمعنى المقصود في النصين متقارب، على الرغم من اختلاف الألفاظ، فقد ظن الحكم لاول وهلة أن الوزير يكلمه عن لحم حقيقي، فعبر عن تفضيله للحم الخفيف على الدسم السمين، وإنما كان أبو البسام يشير إلى طالوت الذي لجأ إليه، بعد أن استخفى سنة كاملة، محرضاً عليه، وحاثاً على إنزال العقوبة به.

[95] في الصفحات التالية قدر كبير من أخبار غربيب الثقفي الشاعر وأشعاره مما لم يرد في المصادر الأندلسية الأخرى. وسيورد ابن حيان في الأحداث المرتبة على السنين أن وفاته كانت في سنة ٢٠٧هـ (٨٢٢-٨٢٣م) (القطعة التالية من المقتبس ورقة ٢٠٩أ) والغريب أن ابن القوطية، يذكر أنه توفي قبل سنة ١٨١هـ (٧٩٧م) التي كانت فيها وقعة الحفرة بطليطلة. (وفي ترجمته وشعره انظر تاريخ ابن القوطية ص٤٦، وجذوة المقتبس للحميدي رقم ٧٥٥، والتكملة لابن الأبار، نشر ألاركون وبالنثيا رقم ٢٤٨٩، والمغرب لابن سعيد ٢/٢٣-٢٤، ونفح الطيب ٤/٣٣٢، وتاريخ ليفي بروفنسال ١/١٥٧).

[96] لم يرد النص الذي نقله ابن حيان عن ابن القوطية في تاريخه المطبوع. وإنما جاء ملخصًا في هذه السطور: "وطاولت الحكم بعد هذا علة صحبته سبعة أعوام مات في آخرها على ندم وتوبة مما جرى على يده، وأخذته في العلة رقة، فكان يسهر بالقرآن إلى أن توفي" (تاريخ ص٥٥).

[97] لا يفهم من النص ما هي مدينة اليهود هذه، ولا أين كان موقعها. وقد كانت في الأندلس أكثر من مدينة تحمل هذا الاسم؛ منها غرناطة، التي دعيت في أول إحداثها غرناطة اليهود؛ لأن أكثر سكانها لدى فتح العرب لها كانوا من اليهود. (انظر الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب، تحقيق

محمد عبدالله عنان، القاهرة ١٩٧٣-١/١٠١، والروض المعطار لابن عبدالمنعم الحميري ص٢٣)، ومنها مدينة اليسانة Lucena من أعمال قرطبة. ويرى ليفي بروفنسال، أن المقصود بمدينة اليهود في هذا النص هو الحي الذي كان يقطنه اليهود؛ وكانوا أغلب سكانه في مدينة طليطلة نفسها (تاريخ إسبانيا الإسلامية ٣/٢٢٨)، غير أن الذي يقف حائلاً دون قبول هذا الرأي هو قول ابن حيان: إن مهاجر بن القتيل، بعد حصاره لمدينة اليهود، وأخذه لها؛ "قدم إلى طليطلة"، فذلك يدل على أن هذه المدينة، لم تكن جزءاً من طليطلة. ويظهر أنها كانت بلدة ـ لا تبلغ أن تكون مدينة ـ خارج طليطلة وعلى مقربة منها.

[98] فج سراج: لم تسعفنا المصادر بتحديد موقع هذا الفج؛ والمصدر الوحيد الذي ذكره فيما نعرف، هو ابن حيان نفسه، في القطعة المنشورة من "المقتبس" حول تاريخ عبدالرحمن الناصر. (السفر الخامس، بتحقيق بدرو شالميتا، وفيديريكو كورينتي، مدريد ١٩٧٩م - ص٤٤٤). فقد ذكر أن الخليفة الناصر، بعد هزيمة الخندق سنة ٣٢٧هـ (٩٣٩م) في طريق عودته إلى قرطبة، مر بطليطلة، ثم رحل منها إلى فج سراج، يوم الخميس، ومنها إلى ملقون Malagon، ثم رحل من ملقون يوم السبت... ومعنى ذلك، أن فج سراج، هو أول مراحل الطريق من طليطلة إلى قرطبة؛ وأنه يقع في نحو منتصف الطريق، بين طليطلة وملقون، التي تبعد بنحو ١٣٠ كيلو متراً إلى جنوب طليطلة. ويرى فيديريكو كورينتي أن هذا الفج يقابل ما يعرف اليوم باسم Los Yébenes وهو يقع بالفعل في منتصف الطريق من طليطلة إلى ملقون.

[99] شنتبرية وهي الآن Castro de Santaver، الواقعة على بعد نحو ٦٠ كيلو متراً إلى شرقي وادي الحجارة.

[100]يبدو أن عبارة سقطت من هذا الموضع، يتم بها الكلام. أما وادي العسل، فلم تفدنا المصادر الأخرى بشيء حوله. هذا وإن كان هناك وادٍ آخر يدعى بهذا الاسم، إلا أنه قرب مدينة الجزيرة الخضراء Algeciras في أقصى جنوب شبه الجزيرة. وهو نهير، يصب في البحر المتوسط (انظر الروض المعطار ص٧٣-٧٤ وجغرافية العذري ص١١٧).

[101] المغيرة بن الحكم بن هشام، أخو الأمير عبدالرحمن، وولي العهد بعده. ويؤكد ابن حزم هذا الخبر الذي يورده ابن حيان هنا، فقد بايع له الأمير الحكم بعد عبدالرحمن، وذلك في العاشر من ذي الحجة، عيد الأضحى سنة ٢٠٦هـ (٦ مايو ٨٢٢م) وذلك قبل وفاته بخمسة عشر يومًا (٢٥ من ذي الحجة = ٢١ مايو). ويقول ابن حيان بعد ذلك: إن المغيرة تخلى طائعًا عن ولاية العهد، على حين أن ابن حزم يقول: إن عبدالرحمن هو الذي خلعه. ويضيف إلى ذلك، أن المغيرة هذا هو الذي تنسب إليه منية المغيرة بشرقي قرطبة (جمهرة الأنساب ص٩٨). وانظر حول هذه المنية ما كتبه ليفي بروفنسال في تاريخه (١/ ١٩٠ و ٣/ ٣٧٣).

[102] على الرغم من هذا العقب الكثير للمغيرة بن الحكم فإن ابن حزم يذكر أنهم قد انقرضوا جميعًا (الجمهرة ص٩٨).

[103] في الصفحات التالية، تفاصيل جديدة عن ربيع بن تدلف (Teodulfo) القومس، تضاف إلى ما ورد عنه في المصادر الأندلسية: جمهرة الأنساب لابن حزم ص٩٦ وأعمال الأعلام لابن الخطيب ص١٥. وانظر حول شخصية ربيع هذا، تاريخ ليفي بروفنسال ١/ ١٦٤-١٦٦، ١٩٠، ١٩٦-١٩٧؛ ٣/ ٣٢، ٧٣، ٢١٨-٢١٩.

[104] بمقابلة قائمة أبناء الحكم الواردة عند ابن حيان بالقائمة التي أثبتها ابن حزم

في الجمهرة (ص٩٧-٩٨) يتبين أن القائمتين تشتركان في سبعة أسماء؛ هي: عبدالرحمن، المغيرة، هشام، أمية، عبدالعزيز، سعيد الخير، أصبغ. وينفرد ابن حزم بثلاثة أسماء لم يذكرها ابن حيان، وهي: يعقوب وأبان وبشر، على حين ينفرد ابن حيان بثلاثة عشر اسمًا.

[105] سوف يعود ابن حيان، للحديث عن الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، في القطعة التالية من المقتبس، الورقة ١٩٥ وما بعدها.

[106] أورد ابن حيان بعض خبر محمد بن أمية بن يزيد، في سياق الحديث عن ثورة سليمان بن عبدالرحمن الداخل على ابن أخيه الحكم. وحول محمد بن أمية وأسرته انظر القطعة التالية من المقتبس الورقة ١٩٧أ. وكانت وفاة محمد ابن أمية في سنة ٢٢٦هـ (٨٤١م).

[107] عن بيت أبي عبدة حسان بن مالك انظر ما سيورده ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس، وكذلك ابن الأبار: الحلة السيراء ١/ ١٢٠-١٢١، ٢٤٥-٢٤٧.

[108] سوف يفرد ابن حيان صفحات لبكر بن قيس الكناني.

[109] ألاك: بعث ألوكة أي رسالة.

[110] لا نعرف عن الهيثم بن أصبغ هذا، أكثر مما ورد هنا.

[111] عكاشة بن محصن الأسدي، صحابيٌ من السابقين الأولين؛ شهد بدرًا، ووقع ذكره في الصحيحين واستشهد في قتال أهل الردة سنة ١١هـ (٦٣٢م). انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، القاهرة، برقم ٥٦٣٦ -٤ / ٥٣٣-٥٣٤.

[112] سيفرد ابن حيان فيما بعد، فقرات لحجاج المغيلي المذكور.

[113] بلاط مغيث، حي كبير في الجانب الغربي من قرطبة الذي ظل يمتد بالتدريج

غربًا في اتجاه مدينة الزهراء، عند اتساع عمران قرطبة؛ حتى أصبح يشمل تسعة أرباض في أواخر القرن الرابع الهجري. وفي بلاط مغيث كانت دور بني حزم، آباء ابن حزم الظاهري. هذا، ولفظ بلاط هنا، من أصل لاتيني هو Palatium أي قصر. انظر عنه ما كتبه ليفي بروفنسال في تاريخه ٣/ ٣٧٥-٣٧٦.

[114] يشير ابن الفرضي، بذلك إلى نسب مغيث "الرومي" كما يذكره بعض المؤرخين، مثل الحجاري، فهو مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني؛ فجده الأعلى هو جبلة بن الأيهم، صاحب الخبر المشهور مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حينما فر إلى بلد الروم، وارتد إلى النصرانية. أما مغيث فقد سبيَ وهو صغير، فأدبه عبدالملك بن مروان مع ولده الوليد، وكان في جيش طارق بن زياد الذي فتح الأندلس، فقدمه طارق لفتح قرطبة (انظر نفح الطيب للمقري ٣/ ١٢). وبسبب نشأته الأولى في بلاد الروم أطلقت عليه نسبة "الرومي" وإن لم يكن روميًا على الحقيقة.

[115] لسنا نعرف شيئاً عن محمد بن أمية بن شهيد هذا فيما عدا ما يورده ابن حيان هنا. وواضح أنه ابن أخٍ لعيسى بن شهيد، الذي ولّي الحجابة لعبدالرحمن الأوسط بن الحكم، ثم لابنه محمد، على مدى خمس سنوات، حتى وفاته سنة ٢٤٣هـ (٨٥٧م). أما أمية وابنه محمد، فلا نعرف أنهما وليا منصبًا من مناصب الدولة (انظر عن عيسى بن شهيد القطعة التالية من المقتبس، الورقة ١٩٥ب-١٩٦أ).

[116] حبيب المقصود هنا، هو حبيب بن عبدالملك بن عمر بن الوليد بن عبدالملك وهو كما يقول ابن حزم: جد الحبيبيين الذين بقرطبة وريُّةَ (جمهرة ص٨٩) ويعني ابن حيان بقوله: إنهم موالي ابن مغيث، أن جدهم الأعلى الوليد، هو الخليفة الأموي الذي كان مغيث الرومي مولًى له.

[117] أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي، كبير الفقهاء على عهد الأمير عبدالله بن محمد توفي سنة ٢٩٨هـ (٩١١م). (انظر في ترجمته تاريخ ابن الفرضي، رقم ٧٦٢ وجذوة المقتبس رقم ٥٨١).

[118] غزاة أربونة Narbonne (عاصمة منطقة سبتمانية، في أقصى جنوب فرنسا) كانت في صيف سنة ١٧٧هـ (٧٩٣م) في أواخر أيام الأمير هشام بن عبدالرحمن. وكان قائد هذه الصائفة عبدالملك بن عبدالواحد بن مغيث. فبدأ بمحاصرة جرندة Gerona (وكان الإفرنج قد انتزعوها من المسلمين في سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م في أواخر أيام عبدالرحمن الداخل) وألحق الهزيمة بعسكر الفرنجة الذي تصدى له. غير أنه لم يتمكن من فتح المدينة، فتوجه شمالاً إلى أربونة، فأحرق أرباضها، وانتسف معايشها. والتقى من جديد بجيش من الفرنجة، بقيادة دوق تولوز Toulouse على ضفاف نهر أوربيو Orbieu فأوقع به مقتلة هائلة. وعاد بقدر عظيم من الغنائم والأسرى. (انظر حول هذه الغزاة البيان المغرب ٢/ ٦٤ ونفح الطيب ١/ ٣٣٧-٣٣٨ وتاريخ إسبانيا الإسلامية لليفي بروفنسال ١/ ١٤٤-١٤٦). ويظهر من نص ابن حيان هنا أن عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث كان مرافقًا لأخيه عبدالملك في هذه الغزوة.

[119] سوف يفرد ابن حيان صفحات للحديث عن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، والقاضي سعيد بن محمد بن بشير.

[120] من هذا النص، يبدو يحيى بن يحيى الليثي أكثر تزمتًا وتشددًا من شيخه وأستاذه مالك بن أنس، الذي كان أكثر تسامحًا مع السماع أي الغناء.

[121] هذه هي أول مرة يرد فيها مصطلح "الملعبة" بمعنى ضرب من ضروب الشعر، ذي بنية خاصة، تتغاير فيه القوافي. وذلك قبل ابتكار الموشحة بنحو قرن من الزمان. ونرى من هذا النص أن أحمد بن عبدالواحد بن مغيث،

هو أول من نظم في هذا النوع من الشعر. وقد تتبع العالم المغربي محمد بن شريفة هذا المصطلح، في دراسته القيمة وتحقيقه لملعبة الكفيف الزرهوني (الرباط ١٩٨٧ ص٣٥-٤٢)، وهي قصيدة دورية طويلة ملحمية الطابع، تتألف من أدوار كل دور ينقسم إلى عشرة أشطار، وقد ألفت في نحو منتصف القرن الثامن الهجري، وموضوعها حركة السلطان أبي الحسن المريني إلى القيروان وهزيمته. وقد رأى بن شريفة أن المصطلح كان معروفًا منذ القرن السادس، إذ أطلق اسم "الملعبات" على قصائد للأديب الأندلسي محمد بن أبي الخصال الغافقي (ت٥٤٠/١١٤٥)، هي من نوع المسمط المخمَّس، وتقفيتها تجري على هذا النحو أ أ أ أب/ جـ جـ جـ جـ ب وهكذا. ونقل الصفدي عن ابن سعيد الخير (ت ٥٩١هـ/ ١١٩٥م) قوله: إن مهيار الديلمي (ت٤٢٨/ ١٠٣٧)، وأبا القاسم الحريري صاحب المقامات (٥١٦/ ١١٢٢) استنبطا من أعاريض الشعر أقسامًا مؤلفة على فقر مختلفة من قوافٍ مؤتلفة، وسموها ملاعب (توشيع التوشيح، تحقيق ألبير مطلق، بيروت١٩٦٦م ص٢٠-٢١) وهذه الملاحظة صحيحة فيما يتعلق بالحريري، ولكننا لم نجد شعرًا لمهيار على هذا الطراز. ويظهر أن الملاعب التي ظهرت ـ مثل الموشحات ـ في الأندلس والمغرب كانت ذات طابع شعبي، غير أنها في البداية كانت تنظم بالعربية الفصيحة المعربة، ثم أصبحت تنظم بالعامية الملحونة، كما تطورت بنيتها على نحو ما نراه في ملعبة الكفيف الزرهوني، التي تتألف من أدوار، كل دور من عشرة أشطار، وتقفيتها على هذا النحو:

أب أب/ جـ د جـ د جـ د// أب أب / هـ و هـ و هـ و... وهكذا.

[122] سوف يذكر ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس، (الورقة ٢٠٩ب) أن وفاته كانت في سنة تسع ومائتين.

[123] سبق لابن حيان تفصيل بلائه في إخماد ثورة الربضيين، ولكنه لم يشر إلى سنة وفاته فيما يلي من التاريخ. وانظر ما كتبناه عنه في تعليقنا رقم ٦٥.

[124] سيذكر ابن حيان في هذه القطعة وفاته في سنة ١٩٦هـ، ولكنه في القطعة التالية ذكره في وفيات سنة ٢٠٧هـ ثم أضاف "على خلاف من الرواة... وقيل بل في سنة ١٩٧هـ في حياة الأمير الحكم" (انظر الورقة ٢٠٩أ).

[125] ورد اسمه في البيان لابن عذاري: سعيد بن حسان (٦٨/٢)، ولم يفدنا ابن حيان بشيء من أخباره، ولا بتاريخ وفاته.

[126] ينص ابن حيان هنا على أن المغيرة بن هشام هذا كان من أهل بيت الأمير الحكم، ولكنه لم يورد نسبه كاملاً، ولا أفادنا بشيء من أخباره. ولم يذكره ابن حزم فيمن ذكر من أبناء الأسرة الأموية في الأندلس. على أننا نعلم من الجمهرة (ص٩٤ و٩٥) أن لعبدالرحمن بن معاوية الداخل ولدًا يسمى سعيد الخير، وأن له عقبًا كثيرًا. فلعله حفيد لسعيد الخير هذا.

[127] سيشير ابن حيان في هذه القطعة إلى وفاة خطاب بن زيد المذكور في سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م).

[128] سيشير ابن حيان إلى وفاته أيضاً في سنة ١٩٦هـ (٨١٢م).

[129] سيورد ابن حيان طرفًا من أخبار مؤمن بن سعيد في هذه القطعة. على أن أكثر أخباره وشعره، سوف يرد في القطعة التالية من المقتبس (الورقة ٢٢٠أ).

[130] سوف يذكر ابن حيان في هذه القطعة، أن وفاته كانت في سنة ١٩١هـ (٨٠٧م) (الورقة ١٢٦أ) على أنه سوف يعود لذكره في القطعة التالية من المقتبس (ص٣٨) في الحديث عن أصحاب الشرطة، للأمير عبدالرحمن بن الحكم، إذ استطرد إلى ذكر من ولي خطة الشرطة، في أيام الحكم بن هشام، ومن تعاقب عليها حتى سعيد بن عياض المذكور. ونص ابن حيان

الوارد هنا، يُجَلِّي لنا هذه المسألة، إذ نرى أن الذي وليَ الشرطة للحكم بعد سعيد هو جودي بن أسباط، وبعده محمد بن كليب بن ثعلبة، الذي ألفاه الأمير عبدالرحمن بن الحكم على الشرطة عند ولايته الإمارة سنة ٢٠٦هـ، وأمضاه عليها، ثم رقاه إلى الوزارة.

[131] هو جودي بن أسباط بن إدريس السعدي، من هوازن، كان جده الداخل إلى الأندلس من جند قنسرين، الذين نزلوا كورة جيَّان، وولي هو الشرطة للأمير الحكم وولي أيضاً قضاء إلبيرة، على ما يذكر ابن الأبار في الحلة السيراء (١/ ١٥٤-١٥٥). ويبدو، أنه استقر في هذه الكورة، وأعقب بها خَلَفاً، كان منهم حفيده سعيد بن سليمان بن جودي الفارس الشاعر، الذي نصبه عرب إلبيرة زعيمًا عليهم بعد مقتل سوار بن حمدون خلال الفتنة التي نشبت بين العرب والمولدين، الذين تزعمهم عمر بن حفصون، واتصل قيامه بأمر العرب، حتى قتل غيلة بأيدي بعض أصحابه سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م).

[132] سوف يذكر ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس، أن محمد بن كليب بن ثعلبة المذكور، توفي سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) أو ٢٢٦هـ (٨٤١م) وكانت وفاته بسرقسطة (الورقة ٢١٠أ).

[133] المصعب بن عمران الهمداني، كان قد عرض عليه عبدالرحمن بن معاوية الداخل ولاية القضاء فأبى من قبوله، ثم ولى هذه الخطة لابنه هشام، وظل مباشراً لها حتى وفاة هذا الأمير، وصدرٍ من إمارة الحكم حتى وفاته سنة ١٨٣هـ (٧٩٩م). وكان تلميذاً للإمام الأوزاعي، غير أنه كان في قضائه يجتهد برأيه، ومجلس فتواه يتألف من أوزاعيين ومالكية. (انظر في ترجمته كتاب القضاة للخشني ص ٤٥-٥١، وابن الفرضي، رقم ١٤٣٠ والمرقبة العليا للنباهي، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٤٨م، ص٤٧).

[134] سوف يتحدث ابن حيان، عن هؤلاء القضاة بالتفصيل.

[135] سماه ابن الفرضي إسماعيل بن البشر التجيبي، وذكر وفاته أول أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم (انظر ترجمته رقم ٢٠٧).

[136] محمد بن سعيد السبئي، ترجم له محمد بن حارث الخشني في كتابه أخبار الفقهاء والمحدثين، (بتحقيق ماريا لويسا آبيلا، ولويس مولينا، مدريد ١٩٩٢، رقم ١٢٨ص١١٣) ونقل عن عبدالملك بن حبيب أنه جعله في الطبقة الأولى من رجال الأندلس، وأنه كان ممن تدور عليهم الفتيا في أيام الأمير الحكم، وكان ممن التزم بالطاعة أثناء ثورة الربض، مما جعل الأمير الحكم يقربه، ويعهد إليه ببعض وفاداته.

هذا، ونلاحظ في آخر هذا الخبر أن ابن عبدالبر ـ صاحب كتاب الفقهاء بقرطبة، المتوفَّى سنة ٣٣٨هـ (٩٥٠م) ـ يقول: "خبرني بذلك إسماعيل بن بشير، ومحمد بن سعيد السبئي". وهذا أمر لا يستقيم؛ لأن بين ابن عبدالبر وهذين الفقيهين نحو قرن ونصف من الزمان، فلا يمكن أن يكون قد سمع عنهما؛ ولهذا فإننا نعتقد أن هناك سقطاً في سلسلة السند.

[137] تتفق الترجمة في مجملها مع ما ورد في كتاب ابن الفرضي، رقم ٦٠٨ مع اختلافات يسيرة، وتحريفات لبعض الألفاظ من جانب ناسخ المقتبس.

[138] الخلاف حول وفاة صعصعة بن سلام كبير كما يرى في حواشي النص، فهناك ثلاثة تواريخ: ١٨٠ و١٩٢و ١٩٣، بل إننا نجد تاريخًا رابعًا، واردًا في كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين، لمحمد بن حارث الخشني، هو شوال سنة ٢٠١هـ (ص٢٠٨) ونرى أن أصوب الآراء، هو تاريخ ١٩٢هـ الذي نقله ابن عبدالبر عن عبدالملك بن حبيب، إذ هو أقدم من سجل هذا التاريخ.

[139] نص أيضاً على ذلك، النباهي في كتاب "المرقبة العليا" ص٥١.

[140] ينفرد ابن عبدالبر ـ فيما نقله عنه ابن حيان ـ بهذا الرأي، الذي ينسب إلى الأمير الحكم تشجيع المذهب المالكي، والعمل على نشره، ونقل أهل الأندلس من مذهب الأوزاعي إليه. فالمشهور أن ذلك كان دور أبيه الأمير هشام، وهذا هو ما قال به الإمام ابن حزم الظاهري، والقاضي عياض صاحب "ترتيب المدارك"، وهو ما يبدو أقرب إلى المنطق؛ فالعلاقات بين الحكم والفقهاء كانت متوترة وسيئة خلال الشطر الأعظم من إمارته، مما تمثل في ثورتي الربض في سنتي ١٨٩هـ و ٢٠٢هـ. ولم تتحسن بعض الشيء إلا بعد إخماد الثورة الأخيرة. أما أبوه الأمير هشام، فهو الذي كان يقرب الفقهاء، ويركن إلى مشورتهم.

[141] يتفق ما ذكر هنا عن زياد بن عبدالرحمن اللخمي، المعروف بشبطون، مع ما سجلته ترجماته في ابن الفرضي، رقم ٤٥٦، وجذوة المقتبس للحميدي رقم ٤٣٩، وتاريخ ابن القوطية ص٤٢-٤٣، ونفح الطيب ٢/ ٤٥-٤٦، والديباج المذهب لابن فرحون ص١١٨.

[142] محمد بن خالد بن مرتنيل، المعروف بالأشج، المتوفى سنة ٢٢٠هـ أو ٢٢٤هـ. (انظر في ترجمته ابن الفرضي، رقم ١٠٩٩)، وأخبار الفقهاء والمحدثين للخشني رقم ١٢٦. هذا وسيترجم ابن حيان لابن مرتنيل المذكور، في القطعة التالية من المقتبس الورقة ٢١٠ب في وفيات سنة ٢٢٤.

[143] ما أورده ابن حيان من أخبار ابن بشير هو أوسع ما نعرفه في المصادر الأندلسية، فقد استقصى فيه كل ما جاء في المصادر السابقة، وأضاف إلى ذلك أخباراً انفرد بها.

[144] ما نقله ابن حيان عن ابن القوطية أوسع بكثير مما ورد في تاريخه المطبوع، وهو لا يتجاوز ترجمة مقتضبة وخبراً منقولاً عن ابن وضاح (ص٤٤-٤٥، ٥٦-٥٧).

[145] ورد هذا الخبر في كتاب القضـاة بقرطبة للخشني ص ٦٦-٦٧، وكذلك في تاريخ ابن القوطية ٥٦-٥٧.

[146] الأخبار المنقولة عن محمد بن حـارث الخشني، واردة في كتاب القضاة له، ص٥١-٦٧.

[147] أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي، المعروف بابن الحبَّاب. سمع بالأندلس من محـمد بن وضاح، ومـحمد بن عـبدالسلام الخشني، ورحل إلى المشرق، فأخـذ عن شـيوخ المحدثين، وعـاد إلى بلده، فكان إمام وقـته؛ في الفـقه والحديث والعبادة، وتوفي في ٣٢٢هـ (٩٣٤م) (ترجـمته في ابن الفرضي، رقم٩٤). وهو يعتمد في أخباره عن محمد بن بشير، على شيخه محمد بن وضاح.

[148] محـمد بن أحـمد الزهري، المعـروف بالإشبيلي الـزاهد، مؤدب روى عن محمد بن وضاح والخشني، وتوفي سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م). (ترجمته في ابن الفرضي، رقم ١٢١٢).

[149] الرجال الذين عـدهم محمد بن بشـير أسوة له، هم ثلاثة من كـبار التابعين وأئمة أهل الحديث والفـقه من أهل المدينة. وهم على الترتيب: مـحمد بن المنكدر التيـمي (ت ١٣٠هـ/٧٤٨م) (تاريخ الإسلام للذهبي ٥/١٥٥-١٥٨، وتهذيب التهذيب لابن حجر العـسقلاني ٩/٤٧٣)؛ وهشام بن عروة بن الزبير (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣م) (وفيات الأعـيان ٥/ ٨٠-٨٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٧)، والقاسم بن محمـد بن أبي بكر الصديق، أحد الفقهاء السـبعة المدنيين، الذين أخذ عنهم الإمام مالك (ت ١٠٧هـ/ ٧٢٥م) (وفيات الأعيان ٤/ ٥٩-٦٠).

[150] الإشـارة هنا، إلـى مخنث من أهل المدينة، مـعروف باسم الدَّلال، واسـمه ناقد، كان مولى لعائشة بنت سعيد بن العاص، لا نعرف سنة وفاته، ولكنه

كان معاصراً للوليد بن عبدالملك وأخيه سليمان، أي أن حياته امتدت خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري. وتروى عنه نوادر كثيرة. ترجم له أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (٤/٢٦٩-٣٠٠). أما اسم "عشر"، الذي ألحق في النص، فلا نعرف مصدره، إذ لم يرد في ترجمته، ولا في أخباره.

[151] هو عثمان بن محمد الأزدي القرطبي، فقيه غلب عليه علم التنجيم، له كتاب في فقهاء الأندلس قرئ عليه، ذكره ابن الفرضي واتهمه بالكذب، وقال: إنه كان "يزعم" أنه سمع من محمد بن وضاح، ومن عبيد الله بن يحيى بن يحيى. ولم يذكر سنة وفاته (ترجمته برقم ٩٠٠).

[152] قاسم بن هلال بن فرقد القيسي القرطبي، فقيه سمع بالأندلس من زياد المعروف بشبطون، ورحل فسمع بمصر من عبدالله بن وهب، وعبدالرحمن ابن القاسم. توفي سنة ٢٣١هـ (٨٤٦م). (ترجمته في ابن الفرضي رقم ١٠٤٦).

[153] ورد النص مختصراً ومختلفاً في بعض تفاصيله في كتاب القضاة ص٦٢.

[154] ورد هذا النص أيضاً، في كتاب القضاة ص ٦٣-٦٤.

[155] هو ابن القوطية، صاحب كتاب التاريخ.

[156] ورد في كتاب القضاة ص٦٥.

[157] لم يرد هذا النص في كتاب القضاة. وإنما جاء في كتاب المرقبة العليا للنباهي ص٤٧-٤٨.

[158] لم يرد هذا النص بدوره في كتاب الخشني، وإنما ورد في كتاب النباهي ص٤٨-٤٩. والملاحظ أن النباهي يقول في تقديمه: "ومن كتاب محمد بن حارث"، وهذا يدل على أن الخبر كان في كتاب القضاة للخشني على وجه التحقيق، ولكنه سقط من المخطوطة التي نشر الكتاب وفقًا لها.

[159] ورد هذا النص، في كتاب النباهي ص٥١.

[160] انفرد ابن حيان بالنص التالي، إذ لم يرد لدى الخشني ولا النباهي.

[161] هذا الخبر الذي يرويه ابن لبابة عن عبدالأعلى بن وهب، هو أيضاً مما انفرد به ابن حيان.

[162] ترجمته في كتاب القضاة للخشني ص٧١-٧٦، وفي تاريخ ابن الفرضي رقم ١٠٢٨، وكتاب النباهي ص٥٣-٥٤.

[163] في القضاة للخشني "عتبان" مكان غسان، وفيه، وفي تاريخ ابن الفرضي "ابن مالك بن كنانة".

[164] ترجم ابن الفرضي لخلف بن حامد بن الفرج بن كنانة، في تاريخه (رقم ٤٠٤). وقال: إنه سمع من ابن وضاح، وكان الأمير عبدالله بن محمد، يرشحه لقضاء الجماعة بقرطبة، فلما ولي عبدالرحمن الناصر ولاه قضاء بلده شذونة، فلم يزل قاضيًا حتى وفاته.

[165] ترجمة عبيد الله بن موسى، في كتاب الخشني ص٧٧-٧٨.

[166] بنو موسى الوزير، المشتهرون بهذه النسبة، ينتمون إلى محمد بن موسى الإشبيلي، وكان كاتباً لمحمد بن الأمير، عبدالرحمن بن الحكم، قبل أن يخلف أباه على الإمارة، فلما بويع له أنهضه إلى خطة الوزارة، صبيحة اليوم التالي لمبايعته "ضربة من غير تدريج إليها" على حد قول ابن القوطية. ومن هنا، اشتهر ولده ببني الوزير، "من بين جميع وزراء الأزمنة" كما جاء في النص الذي بين أيدينا حول هذا الوزير، انظر ما أورده ابن حيان في القطعة التالية من "المقتبس" (الورقة ٢٢٣ب-٢٢٤أ)، وتاريخ ابن القوطية ص٧٥-٧٦، ٨٠، وكتاب القضاة للخشني ص١١٥-١١٦.

[167] هو أبو مضر محمد بن إبراهيم بن مزين الأكشونبي، الذي ولاه عبدالرحمن

ابن معاوية الداخل قضاء قرطبة، ثم استعفي في سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) بعد أن تقلد القضاء أشهراً. ورحل إلى المشرق، فأدى فريضة الحج، ولقي الإمام مالكاً وعاد إلى الأندلس، فتوفي عن سن عالية في ١٨٣هـ (٧٩٩م). انظر في ترجمته التكملة لابن الأبار، ترجمة ٣٠١، والذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي، السفر السادس رقم ٢٧٢، ونفح الطيب ٢/ ٥١٤.

[168] عبيد الله بن عثمان، كان له دور كبير في تمهيد الملك لعبدالرحمن بن معاوية الداخل، ثم في إخماد ثورة مطروح بن سليمان الأعرابي في سرقسطة بين سنتي ١٧٠-١٧٥هـ (٧٨٦-٧٩١م)، وكانت أكثر إقامته بعد ذلك في طرسونة، من مدن الثغر الأعلى. وكانت ترد إليه أعشار برشلونة وأربونة؛ ولذلك أطلق عليه لقب "صاحب الأرض" (أي الأرض الكبيرة والمقصود بها، بلاد إفرنجة). (انظر في ترجمته ابن القوطية ص٢١-٢٤، ٣٨-٤٠، وجغرافية العذري ص٢٦، ٢٩، والروض المعطار ص١٢٣، وتاريخ ليفي بروفنسال ١/ ٩٩-١٠٣، ١٤٢-١٤٣).

[169] عبدالغافر بن أبي عبدة، كان من وزراء عبدالرحمن بن معاوية الداخل، وصاحب خاتمه، وحاجباً لابنه هشام، وصفه بذلك ابن الأبار في الحلة السيراء ٢/ ٣٠.

[170] عن شهيد بن عيسى، جد أسرة بني شهيد التي توارثت أعلى المناصب في ظل بني أمية، انظر تاريخ ابن القوطية ص ٣١، أخبار مجموعة ص١١١، البيان المغرب ٢/ ٦٣.

[171] عن تمام بن علقمة، انظر تاريخ ابن القوطية ص٢٤، أخبار مجموعة ص٧٤-٧٥، الحلة السيراء ١/ ١٤٣.

[172] جودي بن عثمان المورري، كان قد رحل إلى المشرق، وقرأ على شيوخ

نحاة الكوفة: أبي جعفر الرؤاسي، والكسائي، والفراء. وعاد إلى الأندلس فكان أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس. وكانت له حلقة يقرئ فيها بقرطبة. وكان له مؤلف في النحو، على مذهب أهل الكوفة، عنوانه "منبه الحجارة". (انظر في ترجمته التكملة لابن الأبار، رقم ٧، وطبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٣ ص٢٥٦-٢٥٧، وبغية الوعاة للسيوطي بتحقيقه أيضا، القاهرة ١٩٦٤، ١/ ٤٩٠).

[173] المصدر الوحيد الذي أفرده بالترجمة، هو ابن الأبار في التكملة رقم ٢١٩٦، ثم ترددت الإشارات إليه في ثنايا ترجمات ابنه الوليد، وحفيده أحمد. ويسجل ابن حيان وفاة جد هذه الأسرة، عبدالخالق بن عبدالجبار في سنة ٢٠١هـ (٨١٦م)، وإن كان قد تناقض بعد ذلك، إذ ذكره في وفيات سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) في القطعة التالية من المقتبس (الورقة ٢١٠أ)، بل نرى له قولاً ثالثاً، ورد في ترجمة ابن الأبار له في التكملة، وهو سنة ١٩٨هـ (٨١٣م)، وواضح أن السبب في اختلاف هذه الأقوال، أن ابن حيان ينقل عن روايات متعددة.

[174] قتيبة بن مسلم الباهلي، هو القائد المشهور الذي فتح بلاد ما وراء النهر، وبلغ أطراف الصين، ولما وليّ سليمان بن عبدالملك الخلافة أراد عزله، وحرض عليه فقتل سنة ٩٦هـ (٧١٥م). وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة (ص٢٤٦)، أن عدداً كبيراً من ذرية قتيبة بن مسلم قد استقروا في الأندلس: في جيان وطليطلة ووادي الحجارة. وذكر منهم ابن حيان عبدالخالق بن عبدالجبار، المذكور في نصنا.

[175] أمية بن عبدالملك بن قطن الفهري، أبوه عبدالملك هو الذي كان والياً على

الأندلس مرتين. وفي المرة الثانية، دخل الأندلس بلج بن بشر القشيري في طالعة الشاميين سنة ١٢٣هـ (٧٤١م) ونشب القتال بين بلج وابن قطن ومن معه من العرب البلديين، فانهزم عبدالملك، وقام الشاميون بقتله وصلبه. وهرب ابناه قطن وأمية المذكور في النص إلى سرقسطة، ومن هناك حشدا جمعا كبيرا وتوجها للقاء بلج، طالبين بالثأر لأبيهما، ولكن بلجًا أحرز عليهما انتصارا كبيراً. (حول هذه الأحداث انظر أخبار مجموعة ص ٤١-٤٣ وتاريخ ابن القوطية ص ١٥-١٧ والبيان المغرب لابن عذاري ٢/ ٣٢).

وفي سنة ١٢٥هـ (٧٤٣م) ولي الأندلس أبو الخطار الكلبي، فأمن ابني عبدالملك بن قطن: أمية وقطنًا، فعادا إلى قرطبة، وظلا فيها حتى ولاية يوسف بن عبدالرحمن الفهري. وخلالها بَنَى أميةُ على المكان الذي صلب فيه أبوه مسجداً. (أخبار مجموعة ص٤٢) ولكن هذا المسجد هدم بعد ذلك في ثورة الربض. ولسنا نعلم شيئاً من أخبار أمية خلال السنوات الطويلة التي امتد به العمر فيها منذ هذه الأحداث حتى وفاته في سنة ١٩١هـ (٨٠٧م) وهل قضاها في قرطبة، أو في الثغر، حيث كان اضطرابه قبل ذلك.

[176] حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، حليف بني أسد بن عبد العزى القرشيين، صحابي شهد بدراً، وكان فارسًا شاعراً، وتوفي سنة ٣٠هـ/ ٦١٥م (الإصابة لابن حجر العسقلاني، ترجمة رقم ١٥٤٠-٢/ ٤-٦).

[177] كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي (المتوفى سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م)، لا نكاد نجد له ذكرًا في المصادر الأندلسية، مع أن ذكر أبيه يتكرر في رواية الأحداث منذ كان له بلاء كبير في تأييد عبدالرحمن الداخل عند دخوله الأندلس. ثم كان لأبنائه عبدالله، وعامر، ومحمد، وغيرهم مكانة كبيرة في عهد عبدالرحمن ابن الحكم الأوسط (انظر جغرافية العذري ص٢٩-٣٠، ١٠٠ والبيان المغرب ٢/ ٨٧).

[178] سبق لابن حيان، أن ذكر وفاة محمد بن بشير في ١٩٨هـ.

[179] لم يذكر ابن حيان اسم أبي صفوان القرشي المذكور والمتوفى سنة ١٩٧هـ، غير أننا نعتقد أنه يقصد به العباس بن عيسى بن عمر ابن الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك. وهو والد إبراهيم بن العباس، الذي ولي القضاء في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، استنتجنا ذلك، من ترجمات إبراهيم بن العباس المذكور، كما أوردها ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس (نقلاً عن ابن عبدالبر، وابن القوطية، والخشني) (الورقة ١٩٩ب، ٢٠٥)، وكذلك المغرب لابن سعيد (١/١٤٨-١٤٩)، ففي كل هذه الترجمات، يذكر بعد اسمه، أنه جد بني أبي صفوان القرشيين. ولا يمكن أن ينصرف هذا اللقب على إبراهيم بن العباس نفسه. فلابد أن يكون المقصود به هو أباه العباس، وقد يكون أحد أجداده.

[180] نقل ابن حيان هذه الترجمة بنصها من تاريخ ابن الفرضي رقم ٧٧٤.

[181] ذكر هذا الخبر أيضاً ابن حزم في الجمهرة (ص٩٥) وقال: إن عبدالملك، كان أسَنَّ ولد هشام، فنكبه أبوه في حياته وسجنه.

[182] نقل ابن حيان أيضاً هذه الترجمة عن ابن الفرضي رقم ١٠١٣، بتصرف قليل. وأضاف ابن حيان الخلاف في تاريخ وفاته.

[183] وهذه الترجمة بدورها منقولة عن ابن الفرضي رقم ٦٠٨ مع بعض الاختصار.

[184] وهي ترجمة منقولة عن ابن الفرضي رقم ٧٧٣، وإن كان ابن حيان قد أضاف إليه تفصيلات حول اسم هذا الفقيه وسيرته وتاريخ وفاته.

[185] المقصود هو المؤرخ والمحدث المصري عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبدالأعلى (المتوفى سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م)، وكتابه المذكور هو تاريخه في أهل

مصر والمغرب، الذي ينص ابن الفرضي على الرجوع إليه في مقدمة كتابه (ص٩-١٠).

[186] وردت هذه الأبيات في الحلة السيراء ١/ ٤٩.

[187] وردت الأبيات الأربعة أيضاً، في الحلة ١/ ٥٠ وفي أخبار مجموعة ص١٣٤، وفي البيان المغرب ٢/ ٧٩.

[188] وردت هذه المقطوعة الغزلية في أخبار مجموعة ص١٣٤-١٣٥، وفي الحلة السيراء ١/ ٤٩، والبيان المغرب ٢/ ٨٠، وأعمال الأعلام ص١٧ ١٨ مع فروق طفيفة في القراءة.

[189] لم يرد في المصادر الأندلسية القديمة، شيء من هذه الوصية، التي تعد وثيقة على أعظم جانب من القيمة، إذ هي أشبه بدستور وضعه الأمير الحكم لابنه عبدالرحمن، والمؤرخ الوحيد الذي نقل لنا أحد نصّيْها، هو أبو القاسم محمد بن أبي العلاء بن سِماك العاملي المالقي، تلميذ لسان الدين ابن الخطيب، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وذلك في كتابه "الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة"، الذي قمنا بتحقيقه ونشره، في المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، سنة ١٩٨٤م، (وقد جاء نص الوصية المذكورة في الزهرة الثالثة والتسعين ص١٣٨-١٣٩). ويجدر بالذكر أن الوحيد الذي عرف هذه الوصية من بين المؤرخين المحدثين، هو الأستاذ محمد عبدالله عنان رحمه الله. وكان قد اطلع على هذه النسخة المخطوطة من كتاب المقتبس (أعاره إياها ليفي بروفنسال الذي كانت بحوزته) فنقلها في كتابه "دولة الإسلام في الأندلس" (الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٩م، ص٢٤٨)، ونسبه في تعليقه عليها أنها وردت في مخطوطة ابن حيان بروايتين مختلفتين للرازي ولمعاوية بن

هشام الشبيني، غير أنه خلطهما ونسّق بينهما ولم يلتزم بإحداهما. أما النص الوارد في الزهرات، فقد تبين لنا من مقابلته على ما أورده ابن حيان أنه يكاد يطابق رواية معاوية بن هشام الشبيني.

[190] هذا الفصل الذي يورده ابن حيان هو أوسع ما نعرفه عن هذا الشاعر العالم، وأكثر مصادر ترجمته تفصيلاً. ونورد فيما يلي بيانًا بهذه المصادر، إذ يحتوي بعضها على تفاصيل لم ترد في هذا الفصل: أخبار مجموعة ص١٣٣؛ تاريخ ابن القوطية ص٣٦، ٤٩؛ أخبار الفقهاء والمحدثين للخشني رقم ٣٨٢ ص٢٨٤-٢٨٥؛ طبقات الزبيدي ص٢٥٦-٢٥٧، ٢٦٢-٢٦٣؛ تاريخ ابن الفرضي، رقم ٨٧٩؛ المقتبس، نشر ملتشور أنطونيا، ص٣٦، ٤٩، المغرب لابن سعيد ١/ ٤٤، ٣٢٤-٣٢٥؛ التكملة لابن الأبار، نشر محمد بن شنب، رقم ٥٥٩، الحلة السيراء ١/ ٤٨، الإحاطة لابن الخطيب ١/ ٤٨١-٤٨٢؛ نفح الطيب ١/ ٣٤٣-٣٤٤، ٢/ ٢٦١-٢٦٢؛ مفاخر البربر ص ٦٢؛ وهناك قطع من شعره في كتاب التشبيهات لابن الكتاني بأرقام ٢، ٢٠٣، ٢٧٤، ٣١٨، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٦٩.

[191] ورد خبر هذه المرأة المستصرخة وإغاثة الحكم لها في الإحاطة ١/ ٤٨١-٤٨٢، وفي نفح الطيب ١/ ٣٤٣-٣٤٤. وفي هذا المصدر الأخير، ثلاثة أبيات لعباس يحثه فيها على إجابة صريخ المرأة، وبيتان من وزنها ورويها، للحكم نفسه، يرد بهما على عباس.

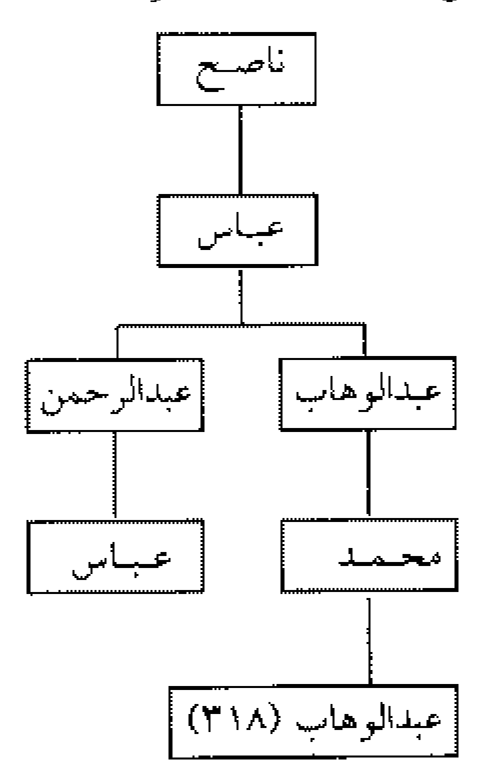
[192] ورد خبر هذه الطائفة الخارجية الناجمة في أرض الجزيرة، ومبادرة الحكم لها، في تاريخ ابن القوطية ص٤٩ وفي أخبار الفقهاء للخشني ص٢٨٥.

[193] ورد قبل هذا البيت في كتاب الخشني بيت آخر هو:

فَأْمُرْ بأمرِكَ فيهم مُوشكًا وأَخِفْ ... مَنْ كان من ربقة الإسلامِ مُنْخَلِعا

[194] ترجمة عباس في طبقات الزبيدي (ص٢٦٢-٢٦٣)، أوسع بكثير مما جاء لدى ابن حيان، وفيها تفاصيل منقولة عن ابن القوطية حول لقاء عباس بأبي نواس، وما دار بين الرجلين، وقد ترك ابن حيان كل ذلك، واكتفى بنقل صدر الترجمة، وإن كان قد تصرف فيما نقل وأضاف إليه تفاصيل أخرى كثيرة.

[195] أفاض ابن حيان في ذكر من أنجب عباس بن ناصح من ذريته، مما لم يرد في ترجمة الزبيدي له: ابنه عبدالوهاب (ترجمته في ابن الفرضي رقم٨٤٣)، ثم حفيده محمد (ابن الفرضي رقم ١٢٠٨ والخشني رقم ١٨٦) وابن حفيده عبدالوهاب (ابن الفرضي ٨٤٤ والخشني رقم ٣٣٩) وهو الوحيد، الذي نص مترجماه على سنة وفاته وهي ٣١٨هـ (٩٣٠م). وذكر ابن حيان حفيداً آخر لعباس بن ناصح، هو عباس بن عبدالرحمن. وفيما يلي جدول يبين أفراد هذه الأسرة من الفقهاء القضاة الشعراء:



[196] لسنا نعرف شيئاً عن هذا النسابة الجزيري، إلا من طريق ابن حيان. فلم نر أحدًا من المؤلفين الأندلسيين ترجم له، فيما عدا ابن عبدالملك المراكشي الذي أفرد له مادة قصيرة في "الذيل والتكملة" (السفر الخامس، رقم ١٠٦٢). غير أن ما ذكره لا يتجاوز ما أورده ابن حيان، فهو يشير بغير تفصيل إلى الخبر المتعلق بمولوية ناصح والد عباس. وكرر ذلك ابن سعيد (في المغرب ١/ ٣٢٤) إذ نقل عنه أن ناصحًا كان عبدًا لمزاحمة بنت مزاحم الثقفي الجزيري.

[197] أوْرَبَة قبيلة بربرية من البرانس (انظر جمهرة الأنساب ص٤٩٥، ٥٠١).

[198] لنقيله، كذا ورد اسم هذه القرية في إقليم الجزيرة الخضراء. ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر، ما يمكن أن يعيننا على تعرفها.

[199] إبراهيم بن قطن المهري، نحوي قيرواني؛ جعله الزبيدي على رأس الطبقة الثانية من اللغويين القرويين. وهو أخو أبي الوليد عبدالملك شيخ أهل اللغة والنحو والرواية. وكان إبراهيم يرى رأي الإباضية، وربما كان هذا من أسباب التهاجي بينه وبين عباس بن ناصح. ولسنا نعرف تاريخ وفاة إبراهيم هذا، ولكننا نعرف وفاة أخيه عبدالملك سنة ٢٥٣هـ عن عمر طويل. (انظر ترجمته في طبقات الزبيدي ص٢٢٩). على أن الغريب في النص هو النسبة التي ألحقت باسم إبراهيم المذكور، وهي "الجزيري"؛ إذ إنه لم يكن من أهل الجزيرة الخضراء؛ فلعله سكن هذه المدينة الأندلسية مدة.

[200] جابر بن غيث الليلي (ت٢٩٩/ ٩١١) من العلماء بالعربية والشعر. استجلبه الوزير هاشم بن عبدالعزيز، من بلده لبلة، لتأديب أبنائه. انظر في ترجمته طبقات الزبيدي ص ٢٦٦-٢٦٧ وتاريخ ابن الفرضي، رقم ٣١٢.

[201] وردت هذه الحكاية في المغرب ١/ ٣٢٤-٣٢٥، وفي نفح الطيب ٢/ ٢٦١-٢٦٢.

[202]أظن المقصود، عثمان بن سعيد الكناني الجيَّاني، المعروف بحرقوص. فقيه كان من تلاميذ بقي بن مخلد جامع للكتب، شافعي المذهب، متفنن في الأدب والرواية، وله كتاب في شعراء الأندلس، لعل الخبر الوارد هنا مأخوذ منه. وكانت وفاته قريبا من ٣٢٠هـ (٩٣٢م). انظر في ترجمته ابن الفرضي، رقم ٨٩٠.

[203] بكر بن عيسى الكناني، عالم باللغة، وشاعر مجيد ضرب به المثل في الفصاحة. ذكره الزبيدي في الطبقات ص٢٦١، وابن الأبار في التكملة ١/ ٢١٦. وسوف يورد ابن حيان فيما بعد جملة من أخباره.

[204] وردت هذه الحكاية في نفح الطيب ٢/ ٢٦٢.

[205] أبو بكر عبادة بن ماء السماء الشاعر، (المتوفى سنة ٤١٩هـ أو ٤٢١هـ، له كتاب في أخبار شعراء الأندلس، ينقل ابن حيان عنه كثيرا. انظر عنه الصلة لابن بشكوال، رقم ٩٦٣، والجذوة للحميدي، رقم ٦٦٢، والذخيرة لابن بسام، القسم الأول ١/ ٤٦٨-٤٨٠).

[206] إسحاق بن سلمة القيني، من أهل رية عاش أيام الحكم المستنصر، وله كتاب في أخبار رية، في أجزاء كثيرة. انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرضي، رقم ٢٣٦ والجذوة، رقم ٣٠٩.

[207] يحيى بن إبراهيم بن مزين (ت٢٥٩هـ). له كتب، منها تفسير الموطأ، وفي علل الموطأ. ترجمته في ابن الفرضي رقم ١٥٥٦ والخشني رقم ٤٩٥. انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرضي، رقم ١٥٥٦، والجذوة، رقم ٨٨٠.

[208] محمد بن يوسف بن مطروح البكري الأعرج، صاحب الصلاة في قرطبة أيام الأمير محمد. ترجمته في ابن الفرضي رقم ١١١١ وفي الخشني رقم ١٣١.

[209] في القطعة التالية من المقتبس قدر كبير من الأخبار، حول عباس بن فرناس. وسيرد مزيد من هذه الأخبار الجديدة في القطعة التي بين أيدينا.

[210] نقل ابن سعيد هذا النص وما تلاه، من شعر مؤمن بن سعيد في المغرب ١/ ٣٣٣، وعنه نقله المقري في النفح ٣/ ٣٧٤.

[211] محمد بن يحيى بن عبدالعزيز، المعروف بابن الخراز القرطبي، فقيه نحوي محدث، تلمذ على محمد بن عمر بن لبابة وغيره، وولي الصلاة بقرطبة، والقضاء بطليطلة وباجة وولي أحكام الشرطة، وأخذ عنه ابن الفرضي، توفي في ٣٦٩هـ (٩٧٩م) ترجمته في ابن الفرضي رقم ١٣٢٣. وقد نقل المقري في النفح (٣/ ٣٧٤) الخبر الوارد هنا وبعض الشعر المتصل به بعد أن اختصره.

[212] أورد المقري في النفح ثلاثة أبيات من هذه القطعة.

[213] عبدالحميد بن بسيل، من بيت بني بسيل الذين توارثوا كثيراً من المناصب العليا في الدولة الأموية، وقد ولي القيادة والكتابة العليا والوزارة للخليفة عبدالرحمن الناصر. وذكره يتردد بكثرة بقطعة المقتبس الخاصة بهذا الخليفة، التي نشرها بدرو شالميتا وفيديريكو كوريتي، مدريد ١٩٧٩هـ. وهو مصدر للعديد من الأخبار في جميع القطع الباقية من المقتبس.

[214] ورد هذا الخبر والأبيات المتصلة به منقولاً عن عبادة الشاعر، في القطعة التالية من المقتبس الورقة ٢٥٧.

[215] ورد خبر ذات الحلق أيضاً في القطعة المشار إليها، في الحاشية السابقة، ولكنه لم يورد ما ألحق به من شعر.

[216] محمد بن إسماعيل النحوي المعروف بالحكيم القرطبي، عالم بالنحو والحساب، دقيق النظر، مشير للمعاني، مولد لها. قرأ على محمد بن وضاح، ومحمد بن عبدالسلام الخشني وغيرهما. ويبدو أنه كان صاحبًا

لعباس بن فرناس. اتخذه عبدالرحمن الناصر لتأديب ولي عهده الحكم (المستنصر). توفي سنة ٣٣١هـ (٩٤٣م). ترجمته في ابن الفرضي رقم ١٢٣٠، وطبقات الزبيدي ص ٢٧٦-٢٧٨، وإنباه الرواة للقفطي ٣/ ٦٥.

[217] القاضي سليمان بن أسود، ولي القضاء للأمير محمد بن عبدالرحمن مرتين، وكان آخر قضاته. ترجمته في ابن الفرضي، رقم ٥٤٧، وكتاب القضاة للخشني ص١٠٧-١٢٠، ١٢٢-١٣٠.

[218] أورد ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس أخبارًا كثيرة وأشعارًا للغزال، لم ترد في المصادر السابقة. وسيورد في الصفحات التالية مزيدًا من أخباره وشعره، مما يعد ذخيرة جديدة. وأما ترجمته، فلا يخلو من أطراف منها مصدر أندلسي.

[219] محمد بن مسعود الخطيب القرطبي، ترجم له ابن الفرضي (برقم ١٣٥٧)، نحوي شاعر، كان مؤدبًا للعربية قدمه الحكم المستنصر للخطابة بين يديه، وولي الصلاة بجامع الزهراء، وكان يتقعر في خطبه ويتكلف الأسجاع. وكانت وفاته في سنة ٣٧٩هـ. وواضح أن رأيه في اسم يحيى الغزال، وأنه حبون بالباء خطأ، كما ذكر ابن الفرضي.

[220] كان الجد الأعلى للفقيه عبدالملك بن حبيب مولى للصحابي الشاعر المعروف العباس بن مرداس بن أبي عامر السُّلمي. وكان لمرداس المذكور بلاء مشهود في وقعة ذي قار، التي أحرزت فيها بكر بن وائل انتصاراً كبيرًا على جيوش الفرس. وكان مرداس حليفًا لبكر. (عن وقعة ذي قار انظر تاريخ الطبري ٢/ ٦-٢٠٢-٢١٢، وعن مرداس انظر خزانة الأدب للبغدادي، تحقيق عبدالسلام هارون ١/ ١٥٢). ومن هنا أشار الغزال إلى ذلك الحلف بين مرداس وبني بكر على أنه علامة تحول بينه وبين هجاء الفقيه ابن حبيب.

[221] أبو حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب، الأنباري شاعر "أفنى شعره ـ كما يقول ابن شاكر ـ في رثاء متاعه". وكانت وفاته بطريق مكة بعد سنة ٢٤٠هـ (٨٥٤م). انظر ترجمته وجملة من أشعاره في طبقات الشعراء لابن المعتز ص٣٨٩، ومعجم الأدباء لياقوت ١١/ ١٢٢، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، بتحقيق إحسان عباس ٢/ ١٥-١٩.

[222] لهذه القصيدة روايتان؛ إحداهما في نفح الطيب ٢/ ٢٥٥، والأخرى في المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٥٤م، ص١٤٩-١٥٠. والرواية الأولى، هي التي تتفق مع النص الذي بين أيدينا، مع فروق طفيفة. أما النص عند ابن دحية، فهو يختلف عما لدينا اختلافاً كبيراً. ويظهر أن ابن دحية أثبته من ذاكرته، فأعاد صياغته متصرفًا فيه تصرفًا واسعًا.

[223] وردت في نفح الطيب، (٢/ ٢٥٧) الأبيات الأربعة الأولى.

[224] هذه المقولة التي تنسب للغزال، وهي الأخذ برأي المعتزلة في الاستطاعة، أي حرية الإرادة، جديدة تمامًا. إذ لم ترد في أي مصدر سابق.

[225] هو يوسف بن هارون الرمادي، الشاعر الوشاح المشهور، (المتوفى سنة ٤٠٣هـ (١٠١٣م). انظر ترجمته في الصلة رقم ١٤٩١، والمغرب ١/ ٣٩٢، ونفح الطيب ٣/ ٧١-٧٥، ٣٦٤-٣٦٥، ووفيات الأعيان ٧/ ٢٢٥-٢٢٩). ودراسة إحسان عباس عنه، في تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، بيروت ١٩٨٥م، ص٢٠٥-٢٢٢.

[226] يبدو أنه قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ، فقيه أديب، استقضاه الحكم المستنصر على تدمير، ثم هشام المؤيد على وادي الحجارة. روى عن جده قاسم بن أصبغ، وكتب عنه كثيرون، منهم ابن الفرضي. وتوفي سنة ٣٨٨هـ (٩٩٨م) (انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرضي رقم ١٠٧٧).

[227] أما نصر الخصي فسوف يورد ابن حيان كثيراً من أخباره في هذه القطعة، وفي التي تليها من المقتبس. وأما عباس الطبلي فهو عباس بن الوليد، أحد قادة الجيوش في أيام عبدالرحمن بن الحكم. وقد تكرر ذكره في القطعة التالية، في أحداث سنتي٢٣٥هـ، و ٢٣٧هـ، وكان من صنائع نصر الخصي. (انظر عنه القطعة التالية من المقتبس، الورقة ١٩٠ب).

[228] سيورد ابن حيان في القطعة التالية، مزيدًا من أخبار الطبيب الحراني المذكور، وهو يونس بن أحمد. انظر الورقة ١٩١-١٩٢.

[229] وردت هذه القطعة، في نفح الطيب ٢/ ٢٥٦-٢٥٧.

[230] وردت القطعة أيضاً، في النفح ٢/ ٢٥٧.

[231] ذكره المقري بين من دخلوا الأندلس من المشرق ناقلاً خبره، وقطعتين من شعره عن ابن حيان (نفح الطيب ٣/ ١٢١).

[232] محمد بن مطرف بن شخيص، شاعر اشتهر أيام الحكم المستنصر. دعاه ابن حيان في القطعة التي نشرها عبدالرحمن الحجي من المقتبس (بيروت ١٩٦٥م) "سابق حلبة الشعراء" (ص١٣٧) ولم تفدنا المصادر التي ذكرته بتاريخ وفاته. انظر في ترجمته جذوة المقتبس رقم ١٤٤هـ وبغية الملتمس رقم ٢٧٦، والمغرب ١/ ٢٠٨، ونفح الطيب ٣/ ١٧٨، ويتيمة الدهر للثعالبي ٢/ ٢٢-٢٣، وقد ورد كثير من مختارات شعره في المقتبس، وفي كتاب التشبيهات لابن الكتاني.

[233] أورد المقري في النفح البيتين الأولين، من هذه القطعة.

[234] على الرغم من أن ابن حزم أفرد في الجمهرة صفحات كثيرة لأنساب بني أمية في المشرق، ومن دخل منهم الأندلس فإنه لم يذكر شيئاً عن هؤلاء العبادليين المروانيين. وواضح أن هذه النسبة، إنما كانت لانتماء هذه الأسرة

وفروعها لعبدالله بن عبدالملك بن مروان. وقد أشار ابن حزم إلى من أعقب من ولد الخليفة عبدالملك بن مروان وعددهم أحد عشر، كان من بينهم عبدالله، الذي ولي مصر (جمهرة ص٨٩)، ولكنه لم يتتبع ذرية عبدالله هذا، كما فعل بالنسبة لإخوته.

[235] ربض الرقّاقين (أي باعة الرقوق جمع رقّ)، هو أحد الأرباض التسعة، التي امتدت في الجانب الغربي من قرطبة، في اتجاه مدينة الزهراء، من باب إشبيلية إلى حومة كنيسة شنت أجلح المذكورة في النص. انظر عن هذا الربض، تاريخ ليفي بروفنسال ٣/ ١٩١، ٢٢٥، ٣٧٥.

[236] حومة شنت أجلح، هي الميدان الذي ينسب إلى الكنيسة التي كانت تحمل هذا الاسم، وهو الذي يقابل بالإسبانية San Acisclo وبهذه الكنيسة تحصن عامل قرطبة القوطي، حينما فتحها مغيث الرومي. ويصفها صاحب أخبار مجموعة (ص١٢) بأنها كانت "حصينة ذات بنيان وتقانة"؛ ولهذا فقد استطاع القوط اللاجئون إليها، مقاومة الحصار ثلاثة أشهر، اقتحمها مغيث بعد ذلك، واستنزل من فيها من أسرى، فسميت الكنيسة أيضاً "كنيسة الأسرى". (حول هذه الكنيسة والأحداث المرتبطة بها انظر فجر الأندلس لحسين مؤنس ص٨٠-٨٢).

[237] لم يبين لنا المؤرخ أصل هذه النسبة، إذ لم يرد في أنساب هؤلاء المروانيين الداخلين إلى الأندلس ما يمكن أن يفسرها.

[238] انتفع من نص معاوية بن هشام الوارد هنا ليفي بروفنسال، في حديثه عن موجات الأمويين، الذين وفدوا على الأندلس، في أوقات مختلفة من دولتهم بالأندلس. (انظر تاريخه ٣/ ١٨٩-١٩٠).

[239] في حديث ابن حزم عن ولد بشر بن مروان بن الحكم ذكر اثنين من ولد

بشر بن عبدالملك بن بشر بن مروان، هما سليمان وعبدالملك. ثم نص على أن عبدالملك منهما دخل الأندلس (ص١٠٦) فهو الاسم الذي سقط من الأصل المخطوط، ولذلك أضفناه اعتماداً على ابن حزم، وكان وفوده كما يرى على الحكم المستنصر بن الناصر لدين الله.

تعاليق القسم الثاني

إمارة عبد الرحمن بن الحكم

(٢٠٦- ٢٣٢هـ)

التعاليق

{ 1 } يتفق هذا التاريخ مع ما ذكره ابن الأبار في الحلة السيراء ١/ ١١٣، والبيان المغرب ٢/ ٨١ (ولو أن ابن عذاري يذكر أن هذا التاريخ يوافق يوم الخميس لا الجمعة).

{ 2 } أورد ابن سعيد خبر توجيه الأمير عبدالرحمن عباس بن ناصح إلى المشرق، في التماس الكتب القديمة. غير أنه اختصره (المغرب ١/ ٤٥). وسوف يورد ابن حيان مزيداً من أخبار عباس بن ناصح، مما لم يرد في أي مصدر آخر.

وقد ذكر ابن حيان في هذا النص نقلاً عن محمد بن حفص بن فرج، الكتب التي قدم بها عباس بن ناصح من العراق وهي:

الزيج، ويبدو أنه الكتاب الذي وضعه إبراهيم بن حبيب، أو محمد بن إبراهيم الفزاري، وهو الزيج على سني العرب (انظر إخبار العلماء بأخبار الحكماء لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، ط القاهرة بدون تاريخ ص ٤٢ وفي ترجمة الفزاري الكتاب نفسه ص١٧٥).

ويليه كتاب القانون، ولعله الكتاب المنسوب لبطليموس، وهو في حركات النجوم كما ينص على ذلك سليمان بن جلجل الأندلسي، في كتاب طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٩٥٥م، ص٣٦، وتاريخ محمد ابن يعقوب بن واضح اليعقوبي، ط. النجف ١٩٣٩م، ص١١٣-١١٥.

وكتاب السند هند، هو من أول الكتب الهندية في الفلك التي عرفها العرب، واختصر العرب اسم الكتاب السنسكريتي إلى السند هند؛ ومعناه الدهر الداهر، وكان قد قدم به على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور عالم هندي سنة ١٥٤هـ (٧٧١م)، فأصبح أساسًا للأزياج (أي التقاويم الفلكية)، التي ألفها العرب إلى وقت المأمون. وكان من هؤلاء المؤلفين محمد بن

إبراهيم الفزاري، وحبش بن عبدالله البغدادي. ثم قام محمد بن موسى الخوارزمي في أيام المأمون بتهذيبه، وعمل منه زيجه المشهور ببلاد الإسلام. وهذا الكتاب، هو الذي يبدو أن عباس بن ناصح قدم به. انظر عنه القفطي ص ١٧٧-١٧٨ وكارلو نلّينو: علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، روما ١٩١١م، ص١٧٤.

وكتاب الأركند كتاب فلكي هندي آخر. ويبدو أن الرجل الذي قدم على المنصور بكتاب السند هند قد أتى به أيضاً، وقام بترجمته يعقوب بن طارق، ووصفه البيروني بأنه زيج صغير، لم ينل عند العرب شهرة السند هند، فلم يعمل به العلماء العرب، مع أن السندهند كان مجرداً من البراهين على عكس كتاب الأركند. وقد قام أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) بتهذيب هذا الكتاب، كما نص على ذلك في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة"، بتحقيق سخاو Sachau، ليك ١٨٧٦م، ص ٢٢٦ وعلم الفلك لنلّينو ص١٧٢-١٧٤ و ٢٠٨. على أن كتاب الأركند، ظل مستخدمًا في الأندلس؛ بدليل أبيات لابن عبدربه صاحب كتاب العقد الفريد (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) يسخر فيها من كتب المنجمين:

وأين الزيج والقانو ... ن والأركند والكمّهْ

وأين السند هند البطـ ... ـل والجدول هل ثمّهْ

سوى الإفك على الله ... تعالى منشر الرمّهْ ؟

(انظر المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، لمحمد ابن مرزوق التلمساني، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر ١٩٨١م، ص٤٤١-٤٤٢).

وأما كتاب الموسيقى، فلم يزدنا المؤرخ عنه بياناً، ولا نعرف ما إذا كان كتابًا

هندياً أو إغريقياً، على أن القفطي يذكر أنه مما وصل إلى دار الإسلام في فترة مبكرة كتاب هندي في الموسيقى يدعى بيافر. وتفسيره "ثمار الحكمة" فيه أصول اللحون أو جوامع تأليف النغم (أخبار الحكماء ص١٧٥). فلعله هذا الكتاب.

{ 3 } أورد ابن حزم خبر ربيع القومس مختصراً، ونبه إلى دوره في إخماد ثورة الربض، وهدم ديار الثوار ومساجدهم، ثم إيقاع الأمير عبدالرحمن به وصلبه، حينما أفضى الأمر إليه بعد أبيه (جمهرة الأنساب ص٩٦).

{ 4 } ذكر ذلك أيضاً ابن سعيد في المغرب (١/ ٤٥).

{ 5 } عن بناء الرصيف بشط الوادي الكبير، انظر ما كتبه ليفي بروفنسال في "تاريخ إسبانيا الإسلامية" ١/ ٢٦٠-٢٦١، ٣/ ٣٧٨.

{ 6 } عن زيادة الأمير عبدالرحمن في المسجد الجامع بقرطبة، انظر ما كتبه العالم الأثري توريس بلباس، في مقاله "أخبار جديدة، حول بناء جامع قرطبة في إمارة عبدالرحمن الأوسط" في مجلة الأندلس :

L. Torres Balbas : Nuevos datos documentales Sobre la construccion de la mezquita de Cordoba en el reinado de 'Abd al-Rahman II, Al-Andalus, vol.VI, 1941, p.411-422.

وكذلك ما كتبه ليفي بروفنسال، في تاريخه ١/ ٢٦٢-٢٦٣ و ٣/ ٣٨٧-٣٨٩.

{ 7 } ورد هذان النصان المتعلقان بزيادة الأمير عبدالرحمن في جامع قرطبة، وبناء جامع إشبيلية وسورها، في تاريخ ابن القوطية ص٦٢-٦٣، ولكن بغير هذه الألفاظ. كما ورد هذا الخبر الأخير، في الروض المعطار للحميري، نشر ليفي بروفنسال ص٢٠.

{ 8 } ابن النظام، جغرافي ومؤرخ، لم نعرف له إلا ترجمة مقتضبة في التكملة، لابن الأبار (ط. كوديرا) رقم ١٢٧٠ نص فيها على نقل ابن حيان عنه،

وأورد لـه المقـــري في نفح الطيب نصّـــاً طويلاً في جـغـرافـــيـة الأندلس (١/ ١٣١-١٣٢). وكلاهمـا يسميـه عبدالله بن عـــبدالحكم؛ ولعل هذا هو الصحـيح. وقد نقل عنه ابن حـيان في القطعـة الخاصــة بإمارة عبـدالله بن محمد مـن المقتبس (نشر أنطونيا) ص١٦ ١٨. وقد ترجم الضـبي في بغية الملتـمس (ط. القاهرة ١٩٦٧) لمن يسـميـه أبا بكر عبـدالملك بن عبـــدالحكم المعـروف بابن النظام (رقم١٠٧٠)، وقـال: إنه أديب شاعـر. وأورد بعض شعـره. ولا نعرف ما إذا كـان هذا الأديب أخًا للمؤرخ، أو إنه هو نفـسه. وأخطأ الضـبي في اسمه؟ وانظر أيضاً بونس بويجس: المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون، رقم ٩٩ ص١٢٤.

F. Pons Boigues : Ensayo bio-bibliografico sobre los historiadores y geografos arabigo-espanoles. No. 99, p.124.

هذا والنص الذي ينقله ابن حيان هنا عن ابن النظام حـول زيادة عبدالرحمن في المسجد الجامع، يقدم معلومات جـديدة في غاية الدقة والتفصيل على ما كان معروفاً من قبل.

{9} سوف يفصـل ابن حيان في القطعة التـالية من المقتبس (ص٢١٩-٢٢٥) خبر تتميم الأمير محمد لزيادة المسجد الجامع وزخرفته، وذلك نقلاً عن أحمد بن محمد الرازي والحسـن بن محمد بن مفرج.

{10} حول هذه المساجد المنسوبة لنساء عبـدالرحمن الأوسط، ومواقعها في قرطبة انظر ليفي بروفنـــال: تاريخ إسبانيا الإسلامية ٣/ ٣٧٥-٣٧٦.

{11} نقل هذا النص مختصراً، ابن سعيد في المغرب ١/ ٣٦.

{12} لم نجد في المصـادر التي بين أيدينا، ما يزيدنا تعـريفًا بمحمـد بن نصر هذا. وهناك أكثر من عالم أندلسـي يحمل هذا الاسم. وأقرب من عرفناه منهم إلى

مجال علم التاريخ، هو محمد بن نصر، من قلعة أيوب، وأصله من سرقسطة. وقد ترجم له ابن الفرضي (برقم ١٢٧١) وكان صاحب صلاة بلده. ووصفه بأنه كان حافظًا للأخبار والأشعار. وقد يظن لأول وهلة، أن تمام اسمه محمد بن [أبي]نصر [فتوح] الحميدي، تلميذ ابن حزم وصاحب "جذوة المقتبس"، غير أني أستبعد أن ينقل ابن حيان عن الحميدي، الذي كانت وفاته بعد وفاة ابن حيان بنحو عشرين سنة (في ٤٨٨هـ).

{13} ورد هذا النص، في نقط العروس (ص٧٥، من تحقيق الدكتور شوقي ضيف، في مجلة كلية آداب القاهرة سنة ١٩٥١م، ومن تحقيق الدكتور إحسان عباس، الجزء الثاني من رسائل ابن حزم، بيروت ١٩٨٧م، ص ٧٨، وراجع تعليق محقق الرسائل في الحاشية رقم ٢).

{14} هكذا ورد اسم أول متول للسكة في عهد عبدالرحمن الأوسط، نقلاً عن عيسى الرازي. والغريب أن ابن حيان يذكر في الفقرة التالية نقلاً عن الرازي نفسه أن أول مشير لذكر السكة ومتقلد لها هو من يسميه حارث بن عبدالرحمن، المعروف بأبي الشبل. ولسنا نعرف أي الاسمين هو الصحيح؟ وفي كتاب "الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة" لابن سماك العاملي، نص حول أول إنشاء لدار السكة في عهد عبدالرحمن الأوسط، يذكر فيه أيضاً أن المشير باتخاذها على الأمير، هو حارث بن أبي الشبل (كتاب الزهرات، تحقيق محمود مكي، مدريد ١٩٨٤م، الزهرة ٨٥ ص١٣١-١٣٢). وحول هذه المسألة، وما ثار حولها من جدل، انظر ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية ٣/ ٤٢-٤٤.

{15} ذكر ابن عذاري في البيان المغرب (٢/ ٩١) خبر هذا العقد، الذي حمل اسم الشفاء، حظية الأمير عبدالرحمن، الذي كان لزبيدة أم جعفر، زوج الخليفة

الرشيد، وأم ولده محمد الأمين، وقد تتبع خبر هذا العقد، ومن تداوله منندث بيدال، في كتابه عن السيد القنبيطور:

R. Menéndez Pidal, Espana del Cid, pp. 433,566-567.

فذكر أنه ظل في خزائن ملوك بني أمية بقرطبة، حتى سقوط الخلافة. ثم انتقل فيما نهب من تلك الخزائن إلى بني ذي النون ملوك طليطلة. وكان فيما حمله القادر، آخر ملوك بني ذي النون من ذخائره إلى بلنسية، فصادره قاضي المدينة ابن جحاف. ولما استولى السيد القنبيطور على بلنسية سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) ظفر بهذا العقد، فأهداه لزوجته "شمانة " Jimena وانتهى بعد ذلك إلى إيزابيل ملكة قشتالة، وزوج فردلند، الذي انتزع غرناطة من أيدي المسلمين سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢م). ولم يعلم بعد ذلك مصير العقد. (انظر كذلك تاريخ إسبانيا الإسلامية لليفي بروفنسال ١/ ٢٦٤-٢٦٥). على أننا لسنا على يقين من صحة ما يذكره بيدال من خبر هذا العقد. واسم "الثعبان" الذي أطلق على هذا العقد، وارد أيضاً في الزهرة رقم ٦٣ من كتاب "الزهرات المنثورة" لابن سماك العاملي ص٩٧-٩٨.

{16} عن خطة الخزانة انظر تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية (ص٦١). وقد ذكر هذا المؤلف أسماء هؤلاء الخزان الأربعة، وهم: شيخهم موسى بن حدير، وابن بسيل الملقب بالغماز، وطاهر بن أبي هارون، وسفيان (في الأصل مهران) بن عبد ربه (انظر ص٦٢).

{17} أورد ابن عذاري هذا الخبر عن الخاتم مختصراً (البيان ٢/ ٨١).

{18} أبو سعيد عثمان بن سعيد الكناني الجياني، المعروف بحرقوص، كان من كبار أصحاب بقي بن مخلد. وكان جامعًا للكتب، وله كتاب في طبقات الشعراء بالأندلس، توفي قريباً من سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م). انظر في ترجمته ابن الفرضي، رقم ٨٩٠.

{19} لفظ الرقاص يطلق في الأندلس والمغرب حتى اليوم على الساعي الذي يحمل البريد، وعلى الرسول، وعلى دليل المسافرين. والمعنى الأول هو الشائع. وبه ورد في كتاب "المن بالإمامة على المستضعفين" لابن صاحب الصلاة، بتحقيق عبدالهادي التازي، بيروت ١٩٦٤م، ص١٢٩، (وانظر تعليق المحقق على هذا اللفظ في الحاشية رقم١) وكذلك في "نظم الجمان" لابن القطان المراكشي، بتحقيق محمود مكي، بيروت ١٩٩٠م ص١٦٣ وص١٩٨ حيث تحدد واجبات الرقاصين على نحو دقيق مفصل؛ بحيث لا يسيئون استعمال سلطتهم؛ وذلك في رسالة للخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي. وانظر أيضاً تكملة المعاجم العربية، لرينهارت دوزي، ترجمة الدكتور محمد سليم النعيمي، بغداد ١٩٨٢م-١٨٧/٥.

{20} سوف يتحدث ابن حيان بمزيد من التفصيل عن هؤلاء الوزراء، في القطعة التالية من المقتبس.

{21} أضاف ابن القوطية ما يكمل خبر عبدالواحد الإسكندراني؛ فقد ذكر أنه قدم إلى الأندلس شاباً متظرفاً، يصطنع الغناء فقصد الحاجب عيسى بن شهيد، فلما بلاه الحاجب قال له: أمسك عن الغناء فلا تذكره، معك من الأدب كفاية، وأوصله إلى الأمير عبدالرحمن، فقرب مكانه واستخدمه، ولم تزل حاله تعلو حتى ولاه الوزارة والمدينة (تاريخ افتتاح الأندلس ص٧٤-٧٥).

{22} سوف يفصل ابن حيان في هذه القطعة والقطعة التي تليها من الكتاب أخبار قضاة الأمير عبدالرحمن، وعلاقة يحيى بن يحيى بهم. ويصور ابن عذاري، مدى نفوذه في إشارة موجزة، يوردها في معرض وفاة يحيى في سنة ٢٣٤هـ إذ يقول "فاستراح القضاة من همه" (البيان ٨٩/٢).

{23} سوف يفصل ابن حيان خبر المؤامرة التي حاكتها طروب، حظية الأمير

عبدالرحمن، بالتواطؤ مع نصر الخصي، من أجل تولية ابنها عبدالله عهد الأمير، وما انتهت إليه من مصرع نصر. وذلك في القطعة التالية من المقتبس (ص٨-١١). وقد شك الدكتور حسين مؤنس في خبر هذه المؤامرة، واستند في شكه، إلى إن طروباً لم يلحقها عقاب، بعد انكشاف دورها فيها (انظر تعليقه رقم ١ على نص لابن الأبار في الحلة السيراء ١/ ١١٤). غير أن ذلك لا ينهض حجة كافية، فسكوت المؤرخين عن وقوع عقاب عليها، لا يعني انتفاء هذا العقاب. ولابد أن منزلتها قد سقطت بعد ذلك. ثم إن عبدالرحمن اعتل بعد هذه الواقعة علة شديدة انتهت بوفاته بعد قليل، مما يكون قد شغله عن إلحاق العقاب بها.

{24} أورد ابن الأبار في الحلة (١/ ١١٤-١١٥) نص هذه القصيدة كاملاً، في أربعة عشر بيتًا، واختار ابن القوطية منها ثلاثة أبيات (ص٦١)، وابن عذاري سبعة أبيات، (البيان ٢/ ٨٦) وكذلك نفح الطيب ١/ ٣٤٩، وابن سعيد ثلاثة أبيات، (المغرب ١/ ٤٧). ومطلعها عند ابن الأبار:

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا قما أقطع الليل إلا نحيبا

{25} أورد هذا الخبر مختصرًا، كل من أخبار مجموعة ص ١٣٦ والبيان المغرب ٢/ ٩٢.

{26} ورد هذا الخبر وما يتصل به من شعر، في أخبار مجموعة ص١٣٦-١٣٨، والبيان ٢/ ٩٢-٩٣.

{27} ورد هذا الخبر أيضاً، في كتاب ابن القوطية ص٦١ وفي المغرب ١/ ٤٧.

{28} ذكرها المقري في النفح (١/ ٣٥٠). غير أن اسمها ورد محرفًا إلى "مدثرة".

{29} أورد ابن الأبار هذا الخبر، نقلاً عن ابن حيان في ترجمته للشفاء (التكملة، الذيل الذي نشره جونثالث بالنثيا ومكسيميليانو ألاركون في مدريد سنة

١٩١٥م، رقم ٢٨٥٢ ص ٣٩٨). وقد سمى الموضع الذي دُفِنَتْ فيه أم الأمير محمد "فج البشر".

{30} فخر، كانت حظية الأمير عبدالرحمن قبل طروب التي أصبحت الأثيرة لديه، كما سوف يذكر ابن حيان في هذه القطعة من كتابه. وهي التي قامت بدور كبير في كشف مؤامرة طروب ونصر الخصي، في سم الأمير، وإسناد ولاية العهد إلى عبدالله ابن طروب، في خبر طويل سوف يفصله ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس (ص٨-١٥). وقد ترجمنا لها في التعليق رقم ٥٤ ص٤٣٢، اعتماداً على الترجمة التي أفردها لها ابن الأبار في التكملة (رقم ٢٨٥٦، من القطعة المشار إليها في التعليق رقم ٢٩)، وعلى إشارة إليها في كتاب ابن القوطية ص٧٧) ولكنا ذكرناها باسم "فجر" وهو خطأ ينبغي تصحيحه، فصواب الاسم بالخاء لا بالجيم، ويؤكد ذلك ما سيرد في هذه القطعة من المقتبس من شعر لعبيد الله بن قرلمان، يمدحها فيه حيث يقول (الورقة ١٥٥ب):

قد توسلت بفاء وبخاء وبراء

{31} أورد ابن الأبار في التكملة (رقم ٢٨٥٣) ترجمة لفضل المدنية، ينقل فيها عن نص ابن حيان الوارد هنا.

{32} ترجم ابن الأبار أيضاً لقلم هذه (رقم ٢٨٥٤)، نقلاً عن ابن حيان، ومقتطفاً بعض عبارات معاوية بن هشام الشبينسي، مع بعض الاختصار.

{33} ما يذكره ابن حيان عن زرياب في هذا الفصل، ثم ما سيورده في القطعة التالية من "المقتبس" هو أوفى ترجمة لزرياب ومجموع أخباره. وقد نقل المقري كثيراً من هذه المادة في ترجمته لزرياب (نفح الطيب ٣/ ١٢٢-١٣٣) هذا وقد استوفينا ذكر مصادر هذه الترجمة في التعليق رقم ٥٨، ص ٤٣٥-٤٣٦ من تحقيقنا للقطعة التالية من "المقتبس".

{34} لم يذكر ابن حيان، مؤلف هذا الكتاب في أخبار زرياب. وربما كان الكتاب الذي أشار إليه الحميدي، في جذوة المقتبس مرتين (ص ١٣٧ و١٦٢) بعنوان "أغاني زرياب" وهو لأسلم بن أحمد بن أسلم بن عبدالعزيز، حفيد قاضي الجماعة بقرطبة، في عهد عبدالرحمن الناصر. ولم يذكر الحميدي سنة وفاة أسلم هذا. ولكن الذي تقتضيه سنة تعاقب الأجيال، يحملنا على الظن، أنه عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

{35} نقل المقري في النفح (١/ ٥٥٥) عن ابن بشكوال، أن دار الصدقة المذكورة، التي كانت محل نزول زرياب هي التي ابتناها الخليفة الحكم المستنصر في غربي المسجد الجامع، وأن اسمها يرجع إلى أنه اتخذها معهداً لتفريق صدقاته المتوالية. وأشار إليها ابن حيان في القطعة الخاصة بالحكم المستنصر (نشر عبدالرحمن الحجي، بيروت ١٩٦٥م) ص١٩.

{36} نقل المقري في النفح (٣/ ١٢٢-١٢٥) أكثر هذا النص، وإن كان قد اختصره بعض الشيء.

{37} أورد الزبيدي هذه الأبيات لابن حبيب، في طبقات اللغويين (ص٢٦٠-٢٦١) كما أوردها المقري في النفح (٢/ ٧)، مع اختلاف طفيف في الرواية.

{38} إبراهيم بن ميمون الموصلي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) المغني المشهور، نديم هارون الرشيد (أخباره في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ٥/ ١٥٤-٢٦٧). وقد ورد في أخباره ما يذكره ابن حيان من زعمه أن إبليس هو الذي ألقى إليه الألحان الماخورية (٥/ ٢٣٥). وعن هذه الألحان انظر الأغاني (١٨/ ٤٨-٥٢).

{39} البيتان من جملة أربعة أبيات، قالها أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبي (الأغاني ٥/ ١٧٠).

{40} لم تكن فكرة الوتر الخامس في العود غائبة عن قدماء المشتغلين بالموسيقى، فنحن نجد إشارة إليها في حوار دار بين إسحاق بن إبراهيم الموصلي، أستاذ زرياب، ومحمد بن الحسن بن مصعب الذي كان قد قرأ شيئاً حول ذلك في كتب الأوائل (أي فلاسفة الإغريق)، التي كانت تترجم آنذاك. انظر الخبر في الأغاني ٥/ ٢٧٠.

{41} المَرْتَك (بوزن مَقْعَد) ذكره الجواليقي، في كتاب المُعرَّب من الكلام الأعجمي (تحقيق أحمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩م) ص٣٦٥ وقال: إنه فارسي معرب، وشرحه المحقق في الحاشية، فقال: إنه المردارسنج، وقد تسقط الراء الثانية، وهو يعمل من الرصاص ومن الفضة. وأجود أصنافه، ما هو ذهبي اللون، وهو دواء مجفف، وقد وصفه داود الأنطاكي في تذكرته، وبين كيفية صناعته كما وصفه البيروني في كتاب الجماهر في معرفة الجواهر (ط. حيدر أباد ١٣٥٥هـ.) ص٢٥٩.

{42} الهليون هو اسم هذه البقلة بالإغريقية. وذكر ابن البيطار المالقي في كتابه "الجامع في الأدوية المفردة" (٤/ ١٩٥) أنها الإسفراج عند أهل الأندلس والمغرب. ووصفها وميز بين البري منها والبستاني، وقال إن الهليون حسن التغذية حميد التنمية يهضم سريعًا ويلطف الغذاء، وهو أكثر غذاءً من سائر البقول. وقد تتبع فرانسكو سيمونيت اسم هذه البقلة في كتب النباتيين في كتابه عن الألفاظ الإيبيرية واللاتينية المستخدمة لدى المستعربين:

F. J. Simonet : Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozarabes, Madrid, 1888, p. 192.

وانظر كذلك دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، بغداد ١٩٧٨م-١/ ١٣٢.

واسم هذه البقلة بالإسبانية esparrago وبالإنجليزية Asparagus وبالفرنسية Asperge.

هذا وقد أورد صاحب كتاب "الطبيخ في المغرب والأندلس"، (وهو مؤلف مجهول، عاش في عصر الموحدين) عدة وصفات يدخل الهليون في صنعتها؛ منها هليون محشو (ص١٣٥)، وبقلية هليون بلحم محشو (ص١٤٤-١٤٥)، وبقلية منسوبة لزرياب (ص١٦٠). انظر هذا الكتاب بتحقيق أمبروسيو أويثي ميراندا Ambrosio Huici Miranda، في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلدين التاسع والعاشر، سنة ١٩٦١-١٩٦٢م.

(43) عرف دوزي التفايا، في تكملة المعاجم العربية (٢/ ٨٥) وذكر صاحب كتاب الطبيخ المشار إليه في التعليق السابق، أنها مما يبدأ به عند تقديم الطعام، وهي من بسائط الأطعمة، ومن أجلها وأوفقها لكل مزاج. ثم أورد عدة وصفات لها، منها التفايا البيضاء الساذجة، وصفتها أن يؤخذ من لحم الضأن السمين، ويقطع قطعًا صغيرة ويضاف إليه ملح وفلفل وكزبرة يابسة، ويسير من ماء بصلة مدقوقة، ومغرفة من زيت عذب، وقدر الكفاية من الماء، ويجعل على نار لينة، ويتفقد بالتحريك، وتضاف إليه بنادق (لحم مدقوق في هيئة البندقة) وشيء من لوز مقشر مقسوم (ص٨٥) وألوان أخرى من التفايا (ص٨٦-٨٧).

بمناسبة الحديث عن "التَّفايا": يقول كوريتي إن اسم هذا اللون من الطعام قد دخل في اللغة الإسبانية في صورة atafea، ولكنه اختفى بعد ذلك في ظل محاكم التحقيق La Inquisicion كما اختفت ألوان أخرى من الطعام الشائع بين المسلمين، وبصفة خاصة بسبب تحريم هذه المحاكم استخدام "الكزبرة" في طهي الطعام، وتبع ذلك تحرُّف الاسم. ويضيف كوريتي إلى ذلك أنه يشك في كون زرياب هو الذي "اخترع" هذا اللون من الطعام،

فاسم "التفايا" في رأيه لفظ بربري الأصل، مأخوذ من "أسوى نتفيًا" assui ntifiya، ومعناه حساء اللحم (انظر كتابه "معجم الألفاظ العربية وما يتصل بها في الرومانثية الإيبرية" ـ أي اللغة الدارجة المستخدمة في الأندلس ـ، مدريد ١٩٩٩م، ص ٢٣٦). ولو أنه كان من المعتاد أن كثيراً من الألفاظ البربرية المستخدمة في ألوان الطعام في مطبخ الشمال الإفريقي كانت ذات أصول شرقية في الغالب فارسية، ولكنها اتخذت بمرور الزمن في المغرب أسماء بربرية، وشاعت بعد ذلك في أنحاء الغرب الإسلامي.

{44} وصف صاحب كتاب الطبيخ، هذه البقلية المنسوبة لزرياب، وهي مثل التفايا الموصوفة في التعليق السابق، إلا أنها يضاف إليها عيون الكرنب، وقطع من اللحم الأحمر المدقوق. (ص ١٦٠).

{45} أورد صاحب كتاب الطبيخ، وصفات عديدة لألوان من الفالوذجات، والقطائف، والفوانيذ (جمع فانيذ). التي يدخل في صنعتها السكر والعسل واللوز والفستق والصنوبر والجوز (ص٢٢٣-٢٢٩).

حول حديث المؤرخ عن صنعة زرياب في "رقائق الحلو الملتذة" يرى فيديريكو كوريتي أن لفظ "الملتذة" قد يكون محرفاً عن "المِلَيْرَة"، وهو لفظ عجمي لاتيني الأصل meleyra ومعناه العسلية (من miel أي العسل). ففي كتاب "عمدة الطبيب للنباتي الأندلسي أبي الخير الإشبيلي (تحقيق محمد العربي الخطابي، الرباط ١٩٩٠م، ص ٧٥٩) وصف المليرة بأنها نبات علي الطعم، ولعل الرقائق الحلوة المذكورة سميت بذلك لاحتوائها على العسل عوضاً عن السكر.

{46} عيد العَنْصَرَة (بوزن قَنْطَرَة) هو الموافق للرابع والعشرين من شهر يونيه، وهو العيد الذي يحتفل به المسيحيون في إسبانيا واسمه "عيد القديس يوحنا"

(Fiesta del d?a de San Juan)، وهو مهرجان أهل الأندلس. وقد بقي الاسم حيّاً حتى اليوم في المغرب. انظر ما كتبه عن هذا العيد، ليفي بروفنسال في تاريخه ٣/ ٤٢٦، ٤٣٨.

{47} "المحاشي المروية، والثياب المصمتة". كذا ورد النص في الأصل، وفي نفح الطيب للمقري، الذي نقل هذا النص (٣/ ١٢٨) "والثياب المصمتة" (ولعل هذه القراءة هي الأصح). أما المحاشي المروية فهي جمع محشو، ويقصد بها الثياب التي تحشى بالبطائن، كما سيشرحها المؤلف. وأما المروية فربما كانت المنسوبة إلى مدينة مروالشاهجان، وهي أشهر مدن خراسان وقصبتها، وكانت مشهورة بكثرة القطن اللين (انظر معجم البلدان لياقوت ٥/ ١١٣) والنسبة الشائعة لمرو هي "المروزي" على غير قياس. على أن ياقوت يضيف؛ إن الثياب المنسوبة إليها تسمى "مروية" على القياس. ولسنا نعتقد أن هذه المحاشي المروية كانت تستجلب بالضرورة من تلك المدينة الخراسانية، وإنما يكون المقصود ما كان يصنع منها في الأندلس تقليدًا للمحاشي المروية وعلى مثالها.

{48} وردت هذه القصة نقلاً عن ابن حيان في "الزهرات المنثورة" لابن سماك العاملي، الزهرة رقم ٧٢ ص ١١٠-١١٢، وفي نفح الطيب ٣/ ١٢٩-١٣٠.

{49} ترجم ابن الأبار لعلية بنت زرياب (في التكملة، نشر الاركون وبالنثيا رقم ٢٨٦١) نقلاً عن ابن حيان في هذا الموضع.

{50} ترجم ابن الأبار أيضا لحمدونة، (رقم ٢٨٦٠) مختصرًا عن ابن حيان.

{51} لم يزدنا ابن حيان تعريفاً بأحمد بن فرج المذكور، لعله أحمد بن محمد بن فرج البلوي، المعروف بالبلاري، الذي سوف يورد له ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس (ص٣٧-٣٨) أبياتًا في هجاء حامد بن محمد الزجالي،

وزير الأمير محمد. وهناك شاعر يدعى أحمد بن فرج الإلبيري، أورد المقري قطعة من شعره (النفح ١/ ٥٠٣)، غير أنه لم يزدنا بيانًا عنه.

{51} ترجم ابن الأبار لمصابيح، جارية ابن قليل (كذا ورد الاسم) في التكملة (رقم ٢٨٦٢) وأورد خبر استماع ابن عبد ربه صاحب كتاب "العقد" لغنائها، وأبياتًا كتب بها لمولاها أبي حفص عمر بن قليل. وقد سبق الحميدي إلى ذكر هذا الخبر، في ترجمة ابن عبد ربه في "الجذوة"، رقم ١٧٢، ثم أورده المقري في النفح ٣/ ١٣١.

{52} ذكر المقري هذا الخبر، عن علون وزرقون مختصرًا (النفح ٣/ ١٣٠).

{53} الذي ورد في كتاب الأغاني لأبي الفرج، حول ما اختاره إبراهيم الموصلي أو المغنون للرشيد من أصوات، فيه روايات متعددة مختلفة. وهي لا تتفق مع ما ذكره زرياب، وقد ناقش أبو الفرج هذه الروايات بالتفصيل (الأغاني ١/ ٧-١١). ومنها ما ذكره يحيى بن علي المنجم، من أن الذين اختاروا تلك الأصوات الثلاثة، هم إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن أبي العوراء. وأن تلك الأصوات الثلاثة هي لحن لمعبد في شعر أبي قطيفة، ولحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة، ولحن ابن محرز في شعر نصيب. ولجحظة البرمكي رواية فيها يوافق رواية المنجم في لحن ابن محرز في شعر نصيب، ويخالفه في اللحنين الآخرين. إذ يقول: إنهما لحن لإبراهيم الموصلي في شعر العرجي، ولحن ابن محرز في شعر قيس المجنون. وأما رواية زرياب الواردة في نص ابن حيان، فهي توافق رواية المنجم في اللحنين الأولين، وتخالفها في الثالثة.

{54} الشعر لأبي قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي. قاله حينما نفاه عبدالله بن الزبير من المدينة إلى الشام. والقصر والنخل والجماء

مواضع في المدينة يعبر الشاعر عن شوقه إليها، وجيرون من أبواب دمشق. (انظر ترجمة أبي قطيفة في الأغاني ١/ ١٢-٣٥). ومعبد بن وهب هو المغني المشهور، إمام أهل المدينة في الغناء. توفي في خلافة الوليد بن يزيد ابن عبدالملك سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م. (انظر أخباره في الأغاني ١/ ٣٦-٥٩).

{55} الشعر لعمر بن أبي ربيعة، شاعر مكة المشهور بغزلياته، وهي في ديوانه (نشر دار صادر، بيروت) ص ٣٤١ قاله حينما أخبره بعضهم كذبًا أن محبوبته الثريا قد ماتت، فذهب مسرعًا بجواده حتى وصل إليها فوجدها سالمة. والغناء في هذا اللحن المختار لعبيد بن سريج، أحد كبار المغنين في العصر الأموي، توفي في خلافة هشام بن عبدالملك. (انظر أخباره في الأغاني ١/ ٢٤٨-٣٢٣) ولإسحاق الموصلي أيضاً لحن في هذا الشعر (انظر الأغاني ١/ ٢٥٢).

{56} الشعر، لعنترة بن شداد في معلقته. والغناء فيه لابن سريج (انظر الأغاني ١/ ٢٧٠). وهنا يختلف زرياب مع ما اتفق عليه يحيى بن علي المنجم وجحظة البرمكي، وهو أن الصوت الثالث من الأصوات المختارة هو لابن محرز، في شعر لنصيب بن رباح (الأغاني ١/ ٨-٩).

{57} يتناقض هنا ما يذكره ابن حيان من وفاة زرياب سنة ٢٤٣هـ مع ما سيورده في القطعة التالية من المقتبس (ص٨٧). حيث يذكر وفاته سنة ٢٣٨هـ قبل وفاة الأمير عبدالرحمن بأربعين يومًا. وعلى هذا، تكون وفاته في ٢٣ من صفر ٢٣٨هـ. ويظهر أن التاريخ الأول الوارد هنا هو الصحيح. وهو ما ارتضاه ليفي بروفنسال في تاريخه (١/ ٢٧٠).

{58} أورد المقري في النفح، (٣/ ١٣٠) هذين البيتين منسوبين إلى عبدالرحمن (والصواب عبدالله) بن الشمر. وآخر البيت الثاني منهما، "عبشمي" مكان "أموي".

{59} عن عبدالله بن الشمر، انظر القطعة التالية من المقتبس ص ٦٥-٦٦، ٢٨١-٢٨٢، وما كتبناه في التعليق رقم ١٧١ ص ٤٧٧-٤٧٨ حيث استوفينا مصادر ترجمته. وسوف يرد في هذه القطعة من الكتاب مزيد من أخباره. هذا وقد ورد اسمه لدى ابن القوطية (ص٦٠) وفي أحد المواضع من نفح الطيب (٣/ ١٣٠) "عبدالرحمن" بدلاً من عبدالله، وهو خطأ.

{60} أورد ابن سعيد في المغرب (١/ ١٢٥) أربعة أبيات من هذه القصيدة.

{61} عبدالله بن الخليفة عبدالرحمن بن محمد الناصر لدين الله، من أكثر أبناء الخلفاء عناية بالعلم. تلمذ لعدد من علماء عصره بالفقه والحديث والأدب، ولاسيما من تلاميذ بقي بن مخلد، وكان فقيهاً شافعياً، أخبارياً متنسكاً، بصيراً بلسان العرب، مطبوعًا في الشعر. له مطارحات مع شعراء عصره. وله من التواليف كتاب "العليل والقتيل في أخبار خلفاء بني العباس" انتهى فيه إلى خلافة الراضي بن المقتدر، وهو الكتاب الذي ينقل عنه ابن حيان هنا، وله كذلك كتاب "المسكتة" في ستة أجزاء، في فضائل بقي بن مخلد، سعى به إلى أبيه الناصر، واتهم بالتآمر عليه، ومحاولة قتله هو وولي عهده الحكم، فسجنه أبوه أكثر من عام، ثم أمر بقتله يوم عيد الأضحى سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م). ترجم له الحميدي في الجذوة، رقم ٥٥٥، وابن الأبار في الحلة السيراء ١/ ٢٠٦-٢٠٨، وفي التكملة، رقم ١٢٥٠، وابن سعيد في المغرب ١/ ١٢٥، ١٨٧-١٨٨، والمقري في النفح ٣/ ٥٨٢-٥٨٣.

{62} أورد الخبر التالي ابن القوطية ص٦٠، وابن سعيد في المغرب ١/ ١٢٥.

{63} الغريب أن الخبر وارد في كتاب ابن القوطية المطبوع (ص٦٠) منسوبًا لابن الشمر لا لعبيد الله بن قرلمان، كما يقول ابن حيان. فلعل ابن حيان رجع إلى نسخة أخرى من الكتاب، غير تلك التي نشر على أساسها النص الذي بين أيدينا.

{64}أورد ابن سعيد في المغرب خمسة أبيات من هذه القصيدة (١/ ١٢٥)، مع قدر من الاختلاف في قراءة بعض أبياتها.

{65} محمد بن مطرف بن شخيص، سابق حلبة الشعراء أيام الحكم المستنصر، كما وصفه ابن حيان، أورد بعض أخباره المغرب ١/ ٢٠٨، والبيان المغرب ٢/ ٢٤٠-٢٤١، والروض المعطار ص ١٨٧. ونفح الطيب ٣/ ١٧٨، وهناك جملة كبيرة من شعره، في القطعة المتعلقة بالحكم المستنصر. تحقيق الدكتور عبدالرحمن الحجي، بيروت ١٩٦٥م (ص ٥٤، ٦٠، ١٢١، ١٣٧، ١٥٨، ٢٣١) وفي كتاب التشبيهات لمحمد بن الحسن الكتاني (١٢ قطعة). انظر فهرس الكتاب. هذا وقد نقل ابن حيان في هذه القطعة، أخباراً يرويها عنه متعلقة ببعض الشعراء.

{66} عن عبيد الله بن قرلمان انظر ابن القوطية ص ٥٩-٦٠، والحلة السيراء ١/ ١١٨-١١٩، ونفح الطيب ٣/ ٦١٥ (وورد الاسم فيه خطأ: عبيد الله ابن فرناس).

{67} محمد بن الكوثر، أحد بلغاء الأندلس. أورد ابن القوطية من أخباره أن هاشم بن عبدالعزيز وزير الأمير محمد بن عبدالرحمن حرضه على الكتابة للأمير، يستنكر فيه أن يكون قومس بن أنتنيان النصراني صاحب القلم الأعلى بقرطبة ويرشح للكتابة نفسه وغيره ممن يصلحون لها؛ وذلك بسبب العداوة التي كانت بين هاشم وقومس. انظر ابن القوطية ص ٨٢-٨٤.

{68} لم يرد هذا الخبر في النص المطبوع من تاريخ ابن القوطية.

{69} ورد الخبر في تاريخ ابن القوطية ص٥٩-٦٠، وفي نفح الطيب ٣/ ٦١٥.

{70} ترجم الحميدي لهذا الشاعر برقم ١٩١. وقال: إنه شاعر خليع، يجري في وصف الخمر مجرى أبي نواس. وأورد له قطعة خمرية. وروى له ابن سعيد،

خمرية أخرى في المغرب ٢/٥٨. وقد لقبه فيه "ديك تيس الجن" وهو خطأ من الناسخ يبدو أنه خلط فيه بين تيس الجن هذا، وديك الجن عبدالسلام بن رغبان، الشاعر الشامي المشهور.

{71} يورد ابن حيان في هذه القطعة، وفي القطعة التالية من المقتبس، قدرًا كبيرًا من أخبار عباس بن فرناس. أما ترجمته، فقد استوفينا مصادرها فيما نشرناه من الكتاب من قبل. انظر التعليق رقم ٢٧٩ ص ٥١١.

{72} تكمن طرافة هذا الخبر، فيما يسجله ابن أيمن من ذلك التشابه الغريب بين عباس بن فرناس والشاعر البحتري. والمعروف أن محمد بن عبدالملك بن أيمن، رحل إلى المشرق، ودخل بغداد، مرافقًا لصاحبين له من طلبة العلم الأندلسيين، هما قاسم بن أصبغ البياني، ومحمد بن عبدالأعلى في سنة ٢٧٤هـ، وهي السنة التي توفي فيها عباس بن فرناس. وكانت سن أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري آنذاك سبعين سنة (فقد ولد سنة ٢٠٤هـ وامتد به العمر حتى وفاته في ٢٨٤هـ). انظر في ترجمة محمد بن أيمن ابن الفرضي رقم ١٢٢٨ وفي ترجمة البحتري وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/٢١-٣١.

{73} سوف يروى ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس، أخبارًا بهذا السند نفسه (انظر ص ٩٥-٩٦ والتعليق رقم ٢٥٠) وفي هذه القطعة نفسها، نُقُولٌ أخرى، عن إسحاق بن سلمة القيني الربي، صاحب التاريخ الذي كلفه بكتابته الحكم المستنصر (ترجمته في ابن الفرضي رقم ٢٣٦). وأما أحمد بن عبدالله الحبيبي، فهو الأديب الأخباري المحدث (ت ٣٣٠) (ترجمته في ابن الفرضي، رقم ١٠٦).

{74} أورد ابن عذاري في البيان (٢/٩٣)، أربعة أبيات من هذه القصيدة، مع اختلاف طفيف في الرواية.

{75} في البيت إشارة إلى ثلاثة من كبار رجالات الدولة : الأول حاجب الأمير عبدالرحمن عيسى بن شهيد (ت٢٤٣هـ) (انظر عنه القطعة التالية من المقتبس ص٢٦-٢٨)، والثاني من كنيته أبو عبدالله، وهي في الغالب كنية من يسمى محمدًا. ومن وزراء عبدالرحمن، أكثر من واحد يحمل هذا الاسم أقربهم إلى المقصود هنا اثنان: محمد بن سعيد بن رستم (ت٢٣٥هـ) (انظر عنه القطعة نفسها من المقتبس ص٨٥) والكاتب الوزير محمد بن سعيد الزجالي (ت٢٣٢هـ) (المصدر نفسه ص٣٢-٣٦) والأرجح أن يكون الزجالي. وأما الثالث فهو الذي يدعوه الشاعر عبدالله الشاهد على ما قاله الوزيران، فأغلب الظن أن يكون عبد الله بن أمية بن يزيد، كاتب عبدالرحمن وابنه الأمير محمد (ت ٢٤٦هـ) (المصدر نفسه ص ٣١).

{76} وردت هذه الأبيات، في ترجمة الغزال، في جذوة المقتبس للحميدي رقم ٨٨٨ ص ٣٥٢، وفي المطرب لابن دحية، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٥٤م ص ١٣٩-١٤٠، وفي نفح الطيب ٢/ ٢٥٩-٢٦٠. وقد زادت هذه المصادر بيتين إلى القطعة، وأضاف ابن دحية والمقري خمسة أبيات أخرى في الغزل يبدو أنها من القصيدة نفسها.

{77} ورد الخبر في المطرب ص ١٤٢-١٤٣، وقد أضاف ابن دحية إليه تفاصيل يبدو فيها الافتعال. وقد نسب بعض هذه التفاصيل إلى تمام بن علقمة، إمعانًا في التمويه زاعمًا أنها مما نقله مباشرة عن الغزال.

{78} انفرد ابن حيان بذكر هذا الخبر، إذ لم يرد في غيره من المصادر.

{79} أورد مجمل هذا الحوار الذي دار بين الغزال والملكة، صاحب نفح الطيب ٢/ ٢٥٩، ولم يرد في الجذوة ولا في المطرب.

{80} انفرد بالإشارة إلى هذا الخبر وإيراد أبيات من الشعر المتعلق به، صاحب

المغرب ٢/٥٧-٥٨، على أنه اختصر الخبر اختصاراً شديداً، واقتصر على سبعة من أبياتها الأربعة عشر.

{81} ورد خبر دخول الغزال على الملك في المطرب (ص١٤١)، إلا أن الحيلة التي اصطنعها في تجنب الخشوع له، أو الركوع في محضره، تختلف في هذا المصدر عما أورده ابن حيان. فابن دحية يقول: إنه جلس على الأرض وقدم رجليه، وزحف على إليته زحفة، فلما جاز الباب استوى واقفًا، وقام ماثلاً بين يدي الملك، وألقى خطابًا عليه.

{82} انفرد ابن حيان بذكر هذا الخبر، إذ لم يرد في المطرب، ولا في النفح. ونقله عن المقتبس ليفي بروفنسال في مقاله "سفارتان متبادلتان بين قرطبة وبيزنطة في القرن التاسع الميلادي" في مجلة "بيزانتيون":

E. Lévi-Provencal : Un échange d'ambassades entre Cordoue et Byzance au X siècle, dans Byzantion, XII, 1937, p.1-24.

وقد أعاد بروفنسال نشر هذا المقال في كتابه: Islam d'Occident I, p.79-107 وقام بترجمة هذا الكتاب، السيد عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، بعنوان "الإسلام في المغرب والأندلس"، القاهرة ١٩٥٦م، والمقال المذكور يقع فيه بين صفحتي ٩٤ و١١٨. وفي كتاب تاريخ إسبانيا الإسلامية لليفي بروفنسال، خلاصة لما ورد في هذا المقال. انظر ١/٢٤٩-٢٥٤.

{83} أبو بكر قاسم بن حمداد (كذا) بن ذي النون العتقي القرطبي، ترجم له ابن الفرضي برقم ١٠٧٦، فقال: إنه كان أديبًا مشاركًا في علم النحو واللغة ورواية الشعر. تصرف في بعض خدمة السلطان، وكتب عنه شيء من الأدب. وكان تلميذًا لقاسم بن أصبغ البياني وابن أبي دليم، وتوفي في رجب سنة ٣٨٩هـ. وترجم له كذلك الحميدي في الجذوة رقم ٧٧٢ وأضاف أنه روى عن ابن عبد ربه وأن ابن الفرضي روى عنه.

{84}أورد ابن دحية خمسة عشر بيتا من هذه القصيدة التي بلغت عند ابن حيان أربعة وعشرين بيتاً، على أن ابن دحية انفرد فيها ببعض أبيات في التشبيب، لم ترد عند ابن حيان، كما أن روايته تختلف في بعض ألفاظها عن رواية المقتبس. وقد حذف ابن دحية الأبيات التي عرج فيها الغزال على المجون. (انظر المطرب ص١٣٣-١٣٥) كذلك اختار ابن الكتاني في كتاب التشبيهات من تشبيب هذه القصيدة ثلاثة أبيات (القطعة ٢٢٠ ص ١٢١).

{85} في رواية المطرب "خمسين"، وقد تعمد ابن دحية تغيير التاريخ حتى يستقيم ما جاء في الشعر مع زعمه أن الغزال قام بسفارته إلى "بلاد المجوس" ـ يعني الأردمانيين ـ "وهو قد شارف الخمسين، وقد وخطه الشيب" (ص١٤٣) على حين أن رواية ابن حيان صريحة في أن تاريخ السفارة "إلى بلاط بيزنطة" كان سنة ٢٢٥هـ (٨٤٠م) وسن الغزال تشارف السبعين (إذ إن مولده كان في سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م)، وواضح أن السفارة كانت قبل غزو المجوس لسواحل الأندلس في آخر ٢٢٩هـ وخلال سنة ٢٣٠هـ (٨٤٤م)، وفي هذا دليل على أن كل رواية ابن دحية مختلقة لا نصيب لها من الصحة.

{86} سعيد بن الفرج الرشاش الشاعر اللغوي، له ترجمة مختصرة في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي برقم ٤٨٦، أما الترجمة التي ينقل عنها ابن حيان، هنا فهي من كتاب ابن الفرضي الآخر، المؤلف في أدباء الأندلس. وترجم له الزبيدي في طبقاته ص٢٦١، وابن سعيد في المغرب ١/ ١١٤-١١٥ ترجمة مختصرة عن ابن حيان، والسيوطي في بغية الوعاة ١/ ٥٨٦. وسوف يشير ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس إلى مهاجاته لعبدالله بن حسين بن عاصم (ص١٨٩). وسعيد المذكور واحد من ثلاثة إخوة. أحدهم

فتح (المتوفى بالمشرق سنة ٢١٠هـ) وله ترجمة في تكملة ابن الأبار (نشر ألاركون وبالنثيا برقم ٢٤٩٧) والآخر محمد صاحب الذراع، الذي جرى التكسير (أي القياس) به في الأندلس، وهو الماسح الماهر الذي يشير إليه ابن حيان في ترجمة أخيه سعيد، وله ترجمة في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي برقم ١١٣١. وترجمة سعيد الأديب اللغوي الواردة هنا، هي أوسع ما نعرفه عنه وأكثر تفصيلاً.

{87} هذا الخبر وبيت الهجاء المتعلق به، هو ما سيكرره ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس ص ١٨٩.

{88} سوف يشير ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس، إلى عثمان بن المثنى مرتين (ص ٢٧٤ و ٣٤٠) وقد استوفينا في التعليق رقم ٤٧٨ ص ٥٨٧ مصادر ترجمته المعروفة حتى ذلك الوقت. ولكن المادة الواردة هنا عنه أوفى وأغنى بكثير.

{89} محمد بن فرج الرشاش، هو أخو سعيد اللغوي الشاعر، الذي ترجم له ابن حيان من قبل. انظر ص٣٠٢ والتعليق رقم ٨٦.

{90} ورد هذا الخبر والشعر المتعلق به في المغرب ١/ ١١٣.

{91} أبو الحزم عفير بن مسعود الغساني المورروري، لغوي وراوية للشعر. ولد سنة ٢٢٠هـ في مورور، وسكن إشبيلية وانتقل منها إلى قرطبة. وكان تلميذاً لمحمد بن عبدالسلام الخشني وراوية لشعر عباس بن ناصح الثقفي، وعمل مؤدبًا، وامتد به العمر حتى توفي سنة ٣١٧هـ. ترجمته في ابن الفرضي رقم ١٠٠٦ وطبقات الزبيدي ص ٢٧٥-٢٧٦، وبغية الوعاة للسيوطي ٢/ ١٣٨. وانظر القطعة الخاصة بتاريخ الأمير عبدالله، نشر أنطونيا ص ٣٦ و ٤٩.

{92} سوف يكرر ابن حيان ذكر عبدالله بن بكر الملقب بالنذل، في القطعة التالية من المقتبس ص ٩٨ و ١٢٧ . وقد استوفينا مصادر ترجمته في التعليق رقم ٢٥٧ ص ٥٠٤ . وكان من بينها تاريخ علماء الأندلس ابن الفرضي، رقم ٢٨٦ حيث أورد اسمه "بكر بن عبدالله" . والغريب أن الترجمة التي ينقلها ابن حيان هنا عن كتاب ابن الفرضي نفسه، تنص على أن اسم الشاعر "عبدالله بن بكر"، غير أن كتاب ابن الفرضي المذكور هنا ليس تاريخ علماء الأندلس، وإنما هو كتابه الآخر المؤلف في أدباء الأندلس. ويتبين من هذا تناقض ابن الفرضي بين كتابيه. ويظهر أن ابن الفرضي قد تابع في تاريخ العلماء كتاب الزبيدي في طبقات اللغويين (ص٢٦٦) ثم صحح الاسم في كتابه الآخر، فالواضح أن ما ساقه ابن حيان في اسمه هو الصحيح وعنه نقله ابن الأبار في التكملة (رقم ١٢٤٠) وابن سعيد في المغرب (١/ ١١٣-١١٤).

{93} ربض شبلار، أحد الأرباض (الأحياء) الشرقية السبعة في قرطبة على حد قول ابن بشكوال كما ورد في نفح الطيب (١/ ٤٦٦) وقد ضبط في النص ضبط قلم، بفتح الشين وسكون الباء، وورد الاسم في تاريخ ابن القوطية (ص٢٩) بضم الشين والباء وتشديد اللام، غير أن الضبط الصحيح بفتح الشين وضم الباء، فهو الذي يوافق الأصل اللاتيني الذي عربه الأندلسيون وهو Sabularia، مشتقاً من Sabula ومعناه الرمل (ويقابل في الفرنسية Sable) وهو شائع في كثير من أحياء المدن الإسبانية وشوارعها اليوم. ولو أنه في لغتهم الحديثة أصبح Arenal. وقد تتبع سيمونيت هذا اللفظ ومشتقاته في مختلف اللغات ذات الأصل اللاتيني، في كتابه عن الألفاظ الإيبيرية واللاتينية المستخدمة بين المستعربين (ص٥٧٣) وانتهى إلى ضبط اللفظ على نحو ما ذكرنا. وانظر ما كتبه حول تحديد موقع هذا الربض من مدينة قرطبة تاريخ ليفي بروفنسال ٣/ ٣٧٠، ٣٧٣.

{94} فحص السرادق، هو السهل الفسيح الذي كان يمتد إلى شمالي قرطبة. وكان موضع تجمع الجيوش الخارجة في الحملات الموجهة لشمال البلاد. وهو يدين باسمه إلى أنه كان ينصب فيه سرادق للأمير أو الخليفة، ومنه يستعرض القوات الخارجة للغزو. ومن هذا السهل، كان الطريق الخارج إلى مدينة وادي الحجارة. (انظر حول تحديد موقع هذا الفحص، تاريخ ليفي بروفنسال ٣/ ٨٩، ٣٧٥-٣٧٦). وفي غير أوقات الحرب كان هذا الفحص من أشهر متنزهات قرطبة. يصفه ابن سعيد بقوله: "يسرح فيه البصر، وتبتهج فيه النفس" ويقول فيه الشريف الأصم القرطبي:

ألا فدعوا ذكر العذيب وبارق ولا تسأموا من ذكر فحص السرادق

(انظر نفح الطيب ١/ ٤٧٥).

{95} ابن أبي طالب الأصبحي، راوي هذا الخبر عن جده عبدالله بن أبي طالب، لابد أن يكون قريبًا لقاضي الجماعة بقرطبة، أحمد بن عبدالله بن أبي طالب، وهو الذي ولاه عبدالرحمن الناصر القضاء سنة ٣٢٤هـ وظل قاضيًا حتى وفاته في سنة ٣٢٦هـ (وقد ترجم له ابن الفرضي، ورفع نسبه حتى ذي أصبح برقم ١٠٤، وكذلك الخشني في قضاة قرطبة ص ٢٠١-٢٠٣، والحميدي في الجذوة رقم ٢١٩، والمرقبة العليا ص ٦٣. وأشار إليه ابن حيان إشارة عابرة في السفر الخامس الخاص بعبدالرحمن الناصر ص ٤٠٩). غير أننا لا نستطيع أن نحدد هذه القرابة.

{96} سوف يترجم ابن حيان لعبدالله بن حسين بن عاصم في القطعة التالية من المقتبس ص ١٨٣-١٨٩. وقد استوفينا مصادر ترجمته في التعليق رقم ٣٥٦ ص ٥٤٧.

{97} أورد خبر هذه النبوءة التي رجم فيها الضبي بقصر مدة الأمير هشام،

ابن القوطية في تاريخه (ص٤١-٤٢) وبتفصيل أكثر المقري في النفح ١/ ٣٣٤-٣٣٥.

{98} يبدو أن مدينة طرطوشة Tortosa كانت المنفى الذي درج أمراء الأندلس وحكامها على أن يبعدوا إليه من يغضبون عليه، أو تلحقه النكبة من قبلهم. وكانت قصبتها المنيعة الشاهقة هي محبس هؤلاء المغضوب عليهم. فقد أودع فيها بعد ذلك بنحو قرن ونصف قرن الكاتب المعروف عبدالملك بن إدريس الجزيري، حينما غضب عليه الحاجب عبدالملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٤هـ. وقد استوفى عبدالملك بن إدريس صفة هذه القصبة في قصيدة بديعة مشهورة (انظر مطمح الأنفس لابن خاقان ص١٣، ونفح الطيب ١/ ٥٨٦-٥٨٧، والروض المعطار ص ١٢٤-١٢٥).

{99} لم يرد اسم هذا الموضع فيما نعرف إلا في نص آخر لابن حيان أيضاً، في السفر الخامس من المقتبس الخاص بتاريخ عبدالرحمن الناصر (ص١٩٠). وفي البيان المغرب (٢/ ١٨٥) بمناسبة غزوة الخليفة لبنبلونة سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م)، وفيه يقول ابن حيان: إن الناصر، سلك في سفره هذا طريق الشرق، فاحتل لأول يوم من خروجه من قرطبة محلة بالش. وذكر فيديريكو كورينتي وماريا خيسوس بيغيرا في ترجمتهما الإسبانية لسفر ابن حيان (ص١٤٧)، أن هذه المحلة تقابل الموضع المسمى Vélez، وكان يقع على مرحلة من قرطبة.

{100} أخبار الأئمة الرستميين الإباضيين، أصحاب تاهرت (في المغرب الأوسط) وتواريخ ولاياتهم مضطربة أشد الاضطراب في المصادر التاريخية. فهي لا تتفق على سنة وفاة عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم وولاية ابنه أفلح. وقد أشار إلى التواريخ المتضاربة كذلك الدكتور محمد ناصر والأستاذ إبراهيم

بحاز في تحقيقهما لكتاب أخبار الأئمة الرستميين، للمؤرخ ابن الصغير (الجزائر ١٩٨٥م، ص٤٨، تعليق رقم ٥٤). والذي ارتضاه المحققان متابعين ما انتهى إليه جورج مارسيه (في دائرة المعارف الإسلامية، مادة بنو رستم) وزامباور (في معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ١/ ١٠٠-١٠١) هو سنة ٢٠٨هـ. على أن ابن حيان، يجعل وفاة عبدالوهاب في سنة ٢٠٧هـ (٨٢٢م) وولاية ابنه أفلح في مستهل إمارة عبدالرحمن الأوسط، على رأس سبعة شهور من ولايته (أي في رجب ٢٠٧هـ المقابل لديسمبر ٨٢٢م). أما ما يذكره ابن حيان من قدوم عبدالغني، ودحيون، وبهرام أبناء عبدالوهاب على الأمير عبدالرحمن، فهو خبر انفرد به ابن حيان ولم يرد في المصادر الإباضية، ولا في كتاب ابن الصغير. وقد انتفع من هذا النص ليفي بروفنسال في تاريخه (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

{101} في أخبار قضاة الأمير عبدالرحمن، وتواريخ ولاياتهم للقضاء، اضطراب كبير وأحكام بينها كثير من التناقض والتضارب بين المؤرخين. وهو ما نرى من شواهده ما ينقله ابن حيان في المقتبس من روايات مختلفة، حول هؤلاء القضاة. إذ يتناقض ما يقوله هنا، مع ما سيذكره من أخبار قضاة عبدالرحمن في القطعة التالية من الكتاب (ص٤٩-٧٥). أما سعيد بن سليمان البلوطي، الذي يذكر في هذا الموضع أنه ولي القضاء سنة ٢٠٧هـ فهو ما يتفق مع ما سيرد بعد ذلك في القطعة التالية (ص٥٠)، وفيه أن ولايته للقضاء كانت بعد وفاة مسرور بن محمد آخر قضاة والده الحكم. أما محمد بن زياد الذي يقول: إنه عزل عن القضاء في هذه السنة؛ فإنه كان ـ على ما سيذكر ابن حيان نفسه (ص٧١) ـ آخر قضاة عبدالرحمن، وليَ بعد وفاة معاذ بن عثمان سنة ٢٣٤هـ وظل قاضياً في أول ولاية الأمير محمد،

حتى توفي غير معزول عن القضاء سنة ٢٤٠هـ. والغريب أن ابن حيان لم يعلق على هذا التناقض الصارخ.

{102} أورد خبر هذه الفتنة بين اليمنية والمضرية العذرى في جغرافيته (ص٥)، وابن سعيد (المغرب ١/٤٨) وابن عذاري (البيان ٢/٨١)؛ وأضاف الحميري في الروض المعطار (ص١٨١) بعض التفاصيل المتعلقة بها، فقد ذكر أن الأمير عبدالرحمن أمر عامله على كورة تدمير جابر بن مالك بن لبيد في سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) بتخريب مدينة إلُّه (التي تقابل في جغرافية إسبانيا اليوم قرية Ojos بين مرسية وسياسة Cieza) إذ كانت هي مركز الفتنة، وبناء مدينة جديدة تكون حاضرة الكورة. فبنى مدينة مرسية Murcia التي اتسع عمرانها فيما بعد. انظر حول هذه الأحداث، تاريخ ليفي بروفنسال ١/١٩٩، وكذلك كتاب جاسبار رميرو: تاريخ مرسية الإسلامية:

Gaspar Remiro : Historia de Murcia musulmana, Zaragoza, 1905, p. 65-66.

{103} سماه العذري وابن عذاري: يحيى بن عبدالله بن خلف.

{104} ذكر جاسبار رميرو في كتابه (ص٦٦، الحاشية رقم١): أن المُصَارة المذكورة موضع يغلب على الظن أنه يقع إلى غربي مدينة لورقة Lorca، مقابلاً للقرية التي تسمى الآن Almoyjar.

{105} هناك اليوم بلدتان تحملان اسم المدوَّر: الأولى منسوبة للحقل (أي للريف) Almodovar del Campo، وهي تقع اليوم في محافظة ثيوداد ريال Ciudad Real (المدينة الملكية) التي كان المسلمون يطلقون عليها اسم البطاط، في منطقة تشكل السهل الواسع الجاف الذي يتوسط محافظات قرطبة وجيان وطليطلة وبطليوس والبسيط. وتقع المدور هذه إلى جنوب ثيوداد ريال، على بعد نحو أربعين كيلو متراً. وأما المدور الثانية فهي منسوبة إلى النهر Almodovar del Rio في محافظة قرطبة، وتقع في السهل الخصيب الذي كان

يدعى ـ ومازال ـ القنبانية La Campina على مقربة من نهير يدعى Guadiato يصب في الوادي الكبير، وهي تقع على مسافة نحو ثلاثين كيلو مترًا إلى غربي قرطبة. ونرجح أن تكون المدور هذه، هي المقصودة في نص ابن حيان. وتسميتها بالمدور الأدنى، تدل على أنها كانت هي الأقرب إلى قرطبة. وقد أفرد ابن سعيد مادة لها في كتاب المغرب (١/ ٢٢٧)، ووصف أهلها بالجفاء والبداوة، وأورد بعض النوادر الشاهدة على ذلك. والطريف أن القرطبيين اليوم يطلقون على أهل المدور مثل هذه الصفات ويتندرون بهم من أجل ذلك. ومن المدور كان الشاعر أبو بكر المخزومي الأعمى المعروف بالهجاء والوقوع في الأعراض (المغرب ١/ ٢٢٨ -٢٣١ وكذلك نفح الطيب ١/ ١٩٠-١٩٣).

{106} في هذا الوصف للرجل الصالح إشارة إلى حديث منسوب للرسول (صلى الله عليه وسلم): "رب أشعث أغبر ذى طِمْرَيْن تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبَرَّه" (رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك وفي تاريخ نيسابور، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء. كما نص على ذلك جلال الدين السيوطي في جامع الأحاديث، القاهرة ١٩٨٤م، ٤/ ٢٠٩).

{107} سيعود ابن حيان لذكر هذه المجاعة، وخبر الاستسقاء في القطعة التالية من المقتبس (ص٩٢-٩٣) في نص أصابت أوله قطوع في الأصل المخطوط. وكان فيه ذكر الإمام المستسقى "يحيى" بغير تعيين، وقد سبق إلى ظننا أنه يحيى بن يحيى الليثي (انظر ص٩٣ الحاشية رقم ٤) غير أن نص ابن حيان هنا يصرح بأنه كان قاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني. أما ابن سعيد فإنه وافق ابن حيان في أن الرجل الصالح الذي استشفع به القاضي هو أيوب البلوطي، ولكنه خالفه في إمام صلاة الاستسقاء، إذ ذكر أنه كان

القاضي مرور بن محمد (المغرب ١/١٤٦-١٤٧). وسوف يورد ابن حيان روايات أخرى مختلفة عما ذكر.

{108} لم نجد قصة أيوب هذا في كتاب القضاة للخشني، ولا في كتابه الآخر "أخبار الفقهاء والمحدثين"، فلعلها وردت في كتاب للخشني، غير هذين المذكورين. والذي يفهم من كتاب القضاة للخشني أن آخر قضاة الحكم كان حامد بن محمد (لا يحيى) الرعيني الشذوني، لكنه ذكر أنه "لم يحفظ أهل العلم له شيئاً يحكونه عنه" (انظر ص٧٨).

{109} من الواضح أن هذا التاريخ (سنة ٢٠٧هـ) خطأ، والغريب أن القائل به هو عيسى بن أحمد الرازي الذي سوف يذكر في التعقيب عليه أن صلب ابن أخت عجب كان في سنة ٢٣٧هـ، كما سينقل ابن حيان عن الخشني أن هذا التاريخ الأخير هو الصحيح "لا شك فيه". ويؤكد صحته، أن الواقعة كانت أيام ولاية محمد بن زياد اللخمي القضاء، والمعروف أنه وليَ هذا المنصب في سنة ٢٣٤هـ ولم يعزل إلا في آخر إمارة عبدالرحمن بن الحكم. (انظر القطعة التالية من المقتبس ص ٤٠ و ٧١، ومصادر ترجمته في تعليقنا رقم ١٧٩ ص ٤٨٠). ولعل عيسى الرازي في روايته الأولى، كان ينقل عن مؤرخ آخر.

{110} الرازي في هذا النص هو المؤرخ الوحيد الذي يذكر اسم المتهم في هذه القضية: يحيى بن زكريا الخشاب، وهو ينص على أنه كان ابن أخت عجب، حظية الأمير الحكم. على حين يذكر الخشني، والقاضي عياض، أنه ابن أخيها. والصحيح هو ما ذكره الرازي.

{111} كانت منية عجب، تقع على الضفة اليسرى للوادي الكبير، إلى جوار ملجأ (للمجذمين أي مرضى الجذام)، وذكرها يتكرر في كثير من تراجم العلماء

(انظر تاريخ ابن الفرضي (ط. القاهرة) ١/ ٢٤، ١٥٦، ٢/ ١٠٠، ٢٠٢، وصلة ابن بشكوال ص ٤٥٥، وما كتبه ليفي بروفنسال في تاريخه (٣/ ٣٨١-٣٨٢، ٤٣٤). وعن مسجد عجب انظر تاريخ بروفنسال ٣/ ٣٧٦.

{112} سبق لابن حيان أن أشار إلى ابن العذراء صاحب الضبي المنجم (ورقة ١٧٢ب) ولكنه لم يزدنا تعريفًا به.

{113} انظر في قضية ابن أخت عجب وصلبه، كتاب القضاة للخشني (ص١٠٤-١٠٥، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ٢/ ٢٩٩-٣٠٠)، والمرقبة العليا للنباهي ص٥٥-٥٦.

{114} أورد القاضي عياض (الشفا ص٢٩٩) نص العبارة التي تفوه بها ابن أخت عجب وهي "بدأ الخراز يرش جلوده".

{115} محمد بن السليم، وزير عبدالرحمن الأوسط، وصاحب المدينة له، سوف يذكره ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس (ص ١، ٢، ٢٨) وراجع عنه تعليقنا رقم ٧ حيث استوفينا مصادر ترجمته، وعرفنا ببعض أفراد هذا البيت من بيوت موالي بني أمية.

{116} ذكر الخشني في كتاب القضاة (ص١٠٤) مجلس النشمة المذكور هنا. ولم تفدنا المصادر سببَ تسميته بهذا الاسم.

{117} لعل هذه هي أول مرة يتهم فيها فقيه مشاور بالزندقة؛ وعلة هذا الاتهام، كما ورد في ترجمة عبدالأعلى بن وهب (في تاريخ ابن الفرضي، رقم ٨٣٥) هي أنه كان قد قرأ في المشرق كتب المعتزلة، وكان يدين بالقدر أي بحرية الإرادة وبموت الأرواح. ومع ذلك، فلا نعلم أن عقوبة قد حلت به بسبب عقيدته.

{118}أبان بن عيسى بن دينار (ت٢٦٢هـ)، ترجم له ابن الفرضي (برقم ٥١) وذكره الخشني (ص١٥-١٦) والنباهي في المرقبة (ص١٢-١٣) فيمن عرض عليه القضاء فأبى قبولَه. ولكن الغريب أن كِلا المؤلفين يذكر أن الذي عرض عليه قضاء جيان هو الأمير محمد بن عبدالرحمن، ثم يتناقضان بعد ذلك في خبرهما عن قضية ابن أخت عجب. إذ ينسبان عرض القضاء عليه إلى الأمير عبدالرحمن. وهو ما يبدو صحيحًا يؤكده تقريب هذا الأمير له.

{119} الثالث هو أبو زيد عبدالرحمن بن إبراهيم (ت٢٥٨هـ) صاحب الكتب المعروفة بثمانية أبي زيد (انظر ترجمته في ابن الفرضي رقم ٧٧٩) وهو جد أسرة على قدر من النباهة، ولعل هذا هو ما جعل حاكي الخبر يحجم عن ذكر ما قرعه به الأمير عبدالرحمن "حفظًا لولده".

{120} كذا ورد اللفظ في الأصل، وهو مشتق بغير شك من لفظ "الشبر" (بفتحتين) وقد عرفه صاحب لسان العرب، بأنه "شيء يتعاطاه النصارى، بعضهم لبعض كالقربان يتقربون به". وجعله فيديريكو كوريتي في قاموسه العربي الإسباني مقابلاً للإنجيل وللقربان Eucaristia، وهو طقس يجعل من يزاوله منتميًا للجماعة المسيحية.

{121} لم يورد الخشني، ولا القاضي عياض، قضية هارون بن حبيب. وقد أورد له ابن الأبار ترجمة موجزة في التكملة (نشر ألاركون وبالنثيا) رقم ٢٦٨٨.

{122} ذكر ابن عذاري هذه الوقعة. (البيان ٢/ ٨١-٨٢) ولكنه سمى الفج الذي دخل منه عبدالكريم إلى بلد ألبة "جرنيق". ويلاحظ أن الصورة التي يأتي بها هذا الاسم ـ وهو يتردد في تاريخ ابن حيان وفي غيره من المصادر ـ ليست واحدة، فهو في النص الذي بين أيدينا "جولين"، وفي مواضع أخرى "جلبين". وصورة اللفظ كما وردت لدى ابن عذاري توحي بأنه قد

ينطبق على البلدة الواقعة في إقليم الباسك (في بسكاية Vizcaya) والتي تسمى Guernica (على بعد نحو أربعين كيلو متراً شرقي مدينة بلباو Bilbao العاصمة الحالية للمحافظة، وعلى مقربة من ساحل البحر الكنتبري. وهي التي شهدت إحدى أعنف المعارك في الحرب الأهلية الإسبانية الأخيرة، وصور ما لحق بها من تدمير الفنان الإسباني المشهور بابلو بيكاسو Pablo Picasso في لوحة ذائعة الصيت تحمل اسم البلدة نفسها). ولكن بعد هذه البلدة عن منطقة ألبة Alava التي كان الدخول منها يجعل انطباق اسم الفج على البلدة الباسكية المذكورة أمراً بعيد الاحتمال. وقد اقترح أحد الباحثين الباسك وهو إتشيجاراي C. de Echegaray أن يكون الفج فعلاً باسم Guernica ولكنه موضع آخر اندثر ولا علاقة له بالبلدة الحالية، وذلك في مقال له بعنوان "هل وصل العرب إلى جرنيكا؟" في المجلة الدولية للدراسات الباسكية:

Llegaron los arabes a Guernica?", en Revue internationale des études basques, t. IV, 1910, p. 44-45.

هذا وسوف يتكرر ذكر هذا الموضع، في القطعة التالية من المقتبس، ولكن في صورة "حصن جدليق" في أخبار سنة ٢٥٣هـ (ص٣٢٠-٣٢١) وذكره ابن عذاري أيضاً، وسماه جرنيق (البيان ٢/ ٩٩) وعلقنا على الخلاف حوله برقم ٥٢٣ ص ٦٠٦-٦٠٧.

{123} أغلب الظن أن أمية بن معاوية بن هشام، الذي وكل إليه الأمير قيادة هذه الصائفة، هو ابن عم الأمير عبدالرحمن. وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة (ص٩٧) ابناً للأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل، يدعى معاوية وذكر ابناً له، نرجح أنه أخ لأمية المذكور، يدعى هشاماً، ومن نسله كان ابن القط، صاحب الحملة المشهورة على سمورة Zamora في أيام الأمير عبدالله بن محمد سنة ٢٨٨هـ.

{124}ذكر ابن عذاري أيضا خبر هذه الغزاة، مختصراً بعض تفاصيلها (٢/ ٨٢). وأشار إليها العذري إشارة مقتضبة (ص٥). والغريب، أن بروفنسال تجاهلها تماما في تاريخه.

{125} لم يذكر ابن عذاري شيئاً عن هذه الغزوة، ولكن بروفنسال أورد خبرها، معتمداً على نص ابن حيان. وأما جبل المجوس المذكور في النص فلم يسعفنا النص ولا غيره من المصادر بما يعين على تحديد موقعه، أو معرفة ما يقابله اليوم. وقد أورد بروفنسال في تاريخه (١/ ٢٠٤) احتمال أن يكون هذا الجبل منسوبا إلى الأردمانيين أي النورمنديين، إذ كان لفظ المجوس، هو الذي أطلقه مسلمو الأندلس على هؤلاء القراصنة القادمين من شمال أوربا، والذين هاجموا السواحل الأندلسية بعد ذلك بعشرين سنة (في سنة ٢٣٠هـ)، غير أن المصادر لا تفيدنا شيئا عن أي حركة لأولئك النورمنديين، استطاعوا أن ينفذوا بها إلى إقليم ألبة، الذي كان هدف الحملة الأندلسية، لاسيما وأننا نعرف أن نشاط أولئك القراصنة كان بحرياً في المقام الأول. ولم يكن من طبيعة حملاتهم التوغل في البر إلى مثل ذلك الموقع المسمى بجبل المجوس.

{126} يوافق هذا التاريخ (الرابع من ربيع الأول سنة ٢١٠هـ): ٢٥ يونيه سنة ٨٢٥م. ويتفق ما يذكره ابن حيان هنا مع ما ذكره العذري في جغرافيته (ص٦) حول تاريخ كتابة الأمير عبدالرحمن إلى عامله على مرسية جابر بن مالك بن لبيد، ومع الروض المعطار (ص١٨١)، ولو أن سنة الكتابة في هذا المصدر الأخير، هي ٢١٦، ولعله خطأ من الناسخ.

{127} ورد خبر الكتاب بخراب هذه المدينة أيضاً في جغرافية العذري (ص٦) وفي الروض المعطار (ص١٨١)، وفي البيان المغرب (٢/ ٨٢). ولكن الاختلاف

بين هذه المصادر، يدور حول اسم المدينة، فعلى حين يرد لدى ابن حيان "آنه" نراه عند العذري "إيه" وهو كذلك في نص العهد المعقود بين عبدالعزيز بن موسى بن نصير وتدمير بن غندريس في أول افتتاح الكورة سنة ٩٤هـ (المصدر نفسه ص٥)، وأما في البيان المغرب والروض المعطار فاسمها "إلُّه"، وهو الاسم الذي ارتضاه ليفي بروفنسال في تاريخه (١/ ١٩٩) وجعله مقابلاً لموضع مندثر فيه بقايا آثار قديمة ويقع في سفح مرتفع يدعى اليوم "جبل القديسين "Cerro de los Santos أو مقابلاً لبلدة Ojos الواقعة بين مرسية وبلدة سياسه Cieza. وأما الباحث خواكين باليه، فإنه أعاد النظر في النصوص الواردة حول هذه البلدة، في مقاله عن "كورة تدمير (مرسية)" في سلسلة أبحاثه حول "التقسيم الإداري للأندلس":

Joaquin Vallvé : La division territorial en la Espana Musulmana : La cora de Tudmir (Murcia), en Al-Andalus, Vol. XXXVII, pp.145-189.

وانتهى إلى أن الاسم الصحيح هو ما ورد في جغرافية العذري؛ أي إيه، وأنه يقابل بلدة Hellin إلى الشمال الغربي من مرسية، وعلى بعد ثمانين كيلو متراً منها في الطريق إلى مدينة البسيط Albacete (انظر المقال المذكور ص٣، ١١، ٢٣، ٢٧، ٢٥). وتاريخ الكتابة بهدم المدينة المذكورة، وهو منتصف ذي القعدة سنة هـ ٢١٠ يوافق السابع والعشرين من فبراير ٨٢٦م.

{128} ذكر خبر بنيان المسجد الجامع بجيان ابن عذاري في البيان (٢/ ٨٢) والروض المعطار ص٧١ مع وصف له، وذلك على يد مسرةَ، عامل المدينة (وقد تحرف اسمه في الروض إلى ميسرة). ويغلب على الظن أن مسرة المذكور ينتمي إلى بني سالم بن ورعمال، وهي أسرة بربرية الأصل، من قبيلة مصمودة، ومن موالي قبيلة مخزوم العربية، وسالم المذكور هو باني

مدينة سالم Medinaceli، وابنه فرج هو الذي بنى مدينة الفرج، أو وادي الحجارة Guadalajara، وَوَلِيَ كثير من أفراد هذه الأسرة مدن الثغر الأوسط. انظر ما كتبناه عن هذه الأسرة في التعليقين ٢٠٧ (ص٤٩٠) و ٢٨٦ (ص٥١٤) على تحقيقنا للقطعة التالية من المقتبس.

{129} أورد ابن عذاري خبر هذه الغزوة (البيان ٢/ ٨٢). ولكنه سمى الحصن الذي افتتح فيها "القلعة"، وأما فرج بن مسرة قائد هذه الغزوة، فإنه يبدو لنا أيضاً من أسرة بني سالم نفسها، التي تحدثنا عنها في التعليق السابق. وقد نقل بروفنسال خبر الغزوة المذكورة في تاريخه (١/ ٢٠٤)، وذكر أن اسم الحصن "القليعة" (بالتصغير)، وهو يقابل في الجغرافية الإسبانية Alcolea وهو اسم تحمله مواضع كثيرة، غير أنه يصعب تحديد ما يقابله الآن، لأن المؤرخ لم يزدنا بيانًا عنه.

{130} قائد هذه الحملة على أرض جليقية هو عباس بن عبدالله بن عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني، الذي ولي القيادة والوزارة لهشام بن عبدالرحمن، ولابنه الحكم ثم لعبدالرحمن الأوسط، وكانت وفاته سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م. انظر عنه القطعة التالية من المقتبس ص٢٨ وتعليقنا رقم ٩١ ص٤٥٠-٤٥١. وأما أخوه مالك المذكور، فقد أشار ابن حزم في الجمهرة (ص١٠٨) إلى من عرف من ذريته. ومن أولهم البراء بن مالك، الذي كان وزيراً للأمير عبدالله بن محمد وكان له ولابنه أحمد دور في أحداث الثغر الأعلى (انظر المقتبس، نشر ملتشور أنطونيا ص٥، ٨٦). وكانت حملة عباس موجهة إلى مدينة بازو Viseu (في البرتغال اليوم)، وهي التي تحرفت في النص إلى مازر؛ على حين كانت حملة أخيه مالك على قلمرية Coimbra البلد المعروف الواقع اليوم أيضاً في البرتغال.

{131}أورد بروفنسال خبر هذه الغزوة، في تاريخه (١/ ٢٠٤)؛ معتمداً على ابن حيان. ورأى أن لفظ "منيته" الوارد في النص محرف عن "منيه" (بكسر الميم وضم الياء) الذي يقصد به النهر المعروف بهذا الاسم (Mino بالإسبانية و Minho بالبرتغالية) وهو الذي يفصل الآن بين حدود البرتغال الشمالية، وإقليم جليقية الإسباني، ويصب في المحيط الأطلنطي، وهي قراءة لا بأس بها، لولا أن المعتاد في النصوص الأندلسية، أن يقال: "وادي (أو نهر) منيه". وقد رأى بروفنسال بناء على هذه القراءة أن تكون الحملة موجهة إلى جليقية، ثم إلى قشتالة (القلاع).

{132} ينفرد ابن حيان بذكر هذه الغزوة على بربر ماردة. وحول عبدالله بن كليب الجذامي قائد هذه الحملة انظر القطعة التالية من المقتبس ص١، ٣ وتعليقنا رقم ٢ (ص٤٠٦) حيث استوفينا مصادر ترجمته، وتراجم بعض أفراد أسرته، الذين ترددت فيهم مناصب القيادة والوزارة. ومدينة قورية Coria التي دخل عليها القائد، كانت من ثغور المسلمين في شمال غربي شبه الجزيرة. (راجع عنها ما كتبناه في التعليق رقم ٥٩٥ (ص٦٤٢) من القطعة التالية من المقتبس). ولسنا نعرف من الشخصيات الواردة في الخبر إلا مروان (بن يونس) والد الثائر المعروف عبدالرحمن ابن الجليقي في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن. ويذكر ابن حيان في هذا النص، أن مقتله كان في هذه السنة (٢١١هـ/ ٨٢٦م) على يد لب بن خالد، على حين يذكر ليفي بروفنسال أنه قتل في ماردة، حينما كان عاملاً عليها بأيدى المتمردين من أهل المدينة في سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. بغير أن يبين مصادره في ذلك. انظر: تاريخه (١/ ٢٠٨، ٢٩٥-٢٩٦). وتبقى بلدة أم سرغين المذكورة في النص، حيث دارت المعركة. ولم نجد لدى ابن حيان، ولا في المصادر الأخرى، ما

يعين على تحديد موضعها. غير أنها لابد أن تكون بين قورية وماردة، كما ينبغي أن تكون مجاورة لبلدتين أخريين، يبدأ اسم كل منهما بلفظ "أم" هما أم غزالة (واسمها الحالي Magacela) وأم جعفر (واسمها الحالي Mojafar) وكان أغلب سكان هذه القرى جميعًا من البربر. انظر حول هذه المواضع بحث فليكس إيرنانديث خيمنيث: كورة ماردة خلال القرن العاشر الميلادي، في مجلة الأندلس:

Félix Hernandez Jiménez : La kura de Mérida en el siglo X, en Al-Andalus, vol. XXV, p. 313-371; esp 335-336.

{133} نقل هذا الخبر مختصرًا، ابن عذاري في البيان ٢/ ٨٢، وكورة تاكرونا المذكورة، هي التي كانت عاصمتها مدينة رندة Ronda.

{134} عن برشلونة Barcelona وجرندة Gerona انظر ما كتبناه في التعليقين ١٥ و١٦ ص٤١٥ من القطعة التالية من المقتبس.

{135} نقل هذا النص، ابن عذاري في البيان (٢/ ٨٣) ولكنه أغفل ذكر وادي تجونيه، (الذي تحرف في نص ابن حيان إلى بجونيه) واسمه الإسباني Tajuna، وهو نهير من فروع نهر تاجه Rio Tajo ينبع من منطقة شبه صحراوية، تدعى Maranchon على مقربة من قلعة أيوب Calatayud، ويتجه جنوبًا بغرب، مارًا بسهل وادي الحجارة، حتى يصب في نهر تاجه، على مقربة من طليطلة. وكورة شنتبرية التي أغار عليها هاشم الضراب، هي التي تدعى Santaver. على أن ابن حيان أغفل اسم القائد الذي جرده الأمير عبدالرحمن لقتاله، وهو محمد بن رستم، كما جاء في نص ابن عذاري.

{136} أغفل ابن عذاري سنة ٢١٥هـ وما وقع فيها من أحداث.

{137} بركة العجوز: لم يرد اسم هذا الموضع إلا عند ابن حيان نفسه، في حديثه عن حملة عبدالرحمن الناصر على سرقسطة في سنة ٣٢٣هـ (٩٣٥م)،

ويفهم من هذا النص أن بركة العجوز هذه واقعة بين حصن دروقة Daroca وحصن ملينة Molina. (انظر السفر الخامس من المقتبس، نشر تشالميتا ورفاقه، ص ٣٦٢) وحقق هذا الموضع مترجماً النص إلى الإسبانية فيديريكو كورينتي وماريا خيسوس بيغيرا (سرقسطة ١٩٨١م، ص ٢٧١) فذكرا أن بركة العجوز تقابل اليوم بحيرة غايوكانتا La laguna de Gallocanta.

{138} سوف يكرر ابن حيان هذا الخبر في القطعة التالية من المقتبس (ص٥٧). نقلاً عن محمد بن حارث الخشني، الذي استدل به على ولاية يحيى بن معمر القضاءَ للمرة الثانية. وهو خبر لم يرد في كتاب قضاة قرطبة للخشني؛ وإنما جاء في كتابه الآخر "أخبار الفقهاء والمحدثين" (نشر مدريد ١٩٩٢م، في ترجمة يحيى بن معمر، رقم ٤٩٤ ص٣٧٠) وعنه نقله أيضاً ابن الفرضي في ترجمة يحيى رقم ١٥٥٤-٢/ ١٧٦. أما أبو عثمان الذي نسب إليه المسجد المذكور، فيغلب على الظن أنه عبيد الله بن عثمان مولى بني أمية، وأحد زعماء العرب القائمين بأمر عبدالرحمن الداخل عند دخوله الأندلس. (حول دوره في ذلك، انظر نفح الطيب ٣/ ٢٩-٣٤، ٤٤-٤٦، ٤٩-٥٠، وتاريخ ليفي بروفنسال ١/ ٩٩-١٠٣)، وعن مسجده الذي كان في ظهر قصر الإمارة في الجانب الغربي، والذي كانت تؤدى فيه الصلوات أثناء أعمال الترميم والبناء في المسجد الجامع انظر تاريخ ليفي بروفنسال ٣/ ٣٧٦. ويبدو أن هذا المسجد الذي كان من أقدم مساجد قرطبة، قد هدم أو اندثر بعد ذلك، إذ لا نسمع بذكره في المصادر المتأخرة. وأما صلاة الكسوف التي يذكر ابن حيان أنها كانت في يوم الجمعة لليلة بقيت من شهر رمضان، فإن هذا التاريخ يوافق الثامن عشر من شهر أكتوبر سنة ٨٣٣م، ولهذا يبدو من الغريب أن يقال إن تلك الصلاة: كانت في زمن الصيف.

{139}أورد ابن عذاري هذا الخبر في البيان ٢/ ٨٤، مختصرًا إياه كعادته. غير أنه سمى قائد قلعة رباح Calatrava المذكور، ميسرة بدلاً من مسرة.

{140} اختصر ابن حيان هنا خبر غزاة الأمير عبدالرحمن لماردة وكور الغرب، وذلك لأنه سيعود إلى تفصيله بعد ذلك عند حديثه عن ثورة محمود بن عبدالجبار، وصاحبه سليمان بن مرتين. وأشار ابن عذاري إلى تلك الحملة إشارة مقتضبة. ذكر فيها مصرع سليمان بن مرتين سنة ٢٢٠هـ (البيان ٢/ ٨٤). ونجد في هذا النص واحدة من أولى الإشارات إلى بطليوس Badajoz التي كانت آنذاك حصنًا متواضعًا من أعمال ماردة. ثم اعتصم بها عبدالرحمن بن مروان الجليقي، الثائر على الأمير محمد بن عبدالرحمن. وهو الذي حولها إلى مدينة كبيرة، حتى أصبحت حاضرة إقليم الغرب كله. وفي عصر ملوك الطوائف، صارت قاعدة لملك بني الأفطس. وقد احتفظت بمركزها المتميز حتى اليوم، إذ هي عاصمة إحدى المحافظتين الغربيتين اللتين يتألف منهما الإقليم المعروف باسم إكستريمادورا Extremadura، واسم عاصمة المحافظة الأخرى قصرش Caceres. وعن بناء ابن مروان الجليقي لها، انظر القطعة التالية من المقتبس ص ٣٤٥ والتعليق رقم ٥٧٥ ص ٦٢٧-٦٢٨، والروض المعطار ص٤٦.

{141} ذكر ابن عذاري في أخبار هذه السنة (٢٢١هـ/ ٨٣٦م) خبر افتتاح طليطلة. والواقع أن هذا الفتح تم في السنة التالية كما نرى من نص ابن حيان.

{142} لم يذكر ابن عذاري في أخبار هذه السنة إلا توجيه الأمير عبدالرحمن أخاه الوليد إلى جليقية، وما كان فيها من فتوحات كثيرة. (البيان ٢/ ٨٥). أما ليفي بروفنسال، فإنه يذكر أنه كانت هناك هدنة انعقدت بين ألفونسو الثاني ملك أشتوريش والأمير عبدالرحمن لمدة ثلاث سنوات، انتهت في السنة

المذكورة (٢٢٣هـ/٨٣٨م)، وهو خبر لا يستند إلى أي نص تاريخي، ثم يورد خبر الجيوش الثلاثة، التي وجهها عبدالرحمن إلى مملكة أشتوريش (تاريخه ١/ ٢٠٤-٢٠٥). وقد ورد في نص ابن حيان هذا ذكر فج حميد، ثم فتح حصن القرية، ولم يزدنا بياناً عن هذين الموضعين، مما يجعل من المتعذر تحديد موقعهما.

{143} اختصر ابن عذاري أخبار هذه السنة (البيان ٢/ ٨٥)، وأغفل حملة موسى ابن موسى على بلد القلاع.

{144} أغفل ابن عذاري أيضاً خبر إغارة هذا "العلج لذريق" على مدينة سالم Medinaceli، وتصدِّي فرتون بن موسى له. وهو خبر ذكره المقري في النفح (١/ ٣٤٥) إلا أنه سمى لذريق المذكور "ملك الجلالقة". وعلق ليفي بروفنسال على هذا الخبر (تاريخ ٢٠٥-٢٠٦ والحاشية رقم ٤)، فقال: إن المؤرخ الفرنسي Barrau-Dihigo وسانتشيث ألبورنوث Sanchez Albornoz حاولا أن ينسبا هذه الغارة إلى أذفونش (ألفونسو الثاني) ملك أشتوريش، الذي وافته منيته بعد هذا الحدث بثلاث سنوات (٢٢٧هـ/ ٨٤٢م). وهو خطأ فنده بروفنسال. كذلك أنكر أن يكون لفظ "لذريق" محرفًا عن "لذويق" (Louis = Ludovico) الذي أراد باحثون آخرون أن يجعلوه اسم الملك الفرنسي "لويس، المعروف بالورع "Louis le Pieux"، وهو أمر مستحيل بدوره، فنص ابن حيان صريح في أن لذريق المذكور، قد لقي مصرعه في هذه الغارة. وأغلب الظن أن هذا "العلج" الجريء، ليس إلا واحدًا من رجالات الملك الأشتوري أو قواده. وأما فرتون بن موسى القسوي؛ فإنه كان أحد أعوان أبيه في تقلبه بين طاعة الأمير عبدالرحمن وابنه محمد، والتمرد عليهما. وحينما توفي أبوه موسى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) خلفه على الثغر

الأعلى. إلا أنه سارع إلى إعلان طاعته للسلطان، ولكنه عاد إلى الخلاف في سنة ٢٥٧هـ (٨٧١م) فملك مدينة تطيلة واستولى أخواه مطرف ولب على مدن الثغر الأعلى. وظفر به الأمير محمد عند غزوته للثغر، فأسره وحبسه بقرطبة، ثم أطلق سراحه بعد أن أخذ عليه المواثيق. غير أنه عاد إلى الخلاف فملك تطيلة، وما زال بها حتى توفي في منتصف سنة ٢٦٠هـ (٨٧٤م). انظر في أخباره العذري ص٣٤-٣٥، والقطعة التالية من المقتبس ص ٣١٥، ٣٢٦ والتعليق رقم ٥١٥ ص ٦٠٤.

{145} سوف يذكر ابن حيان في القطعة التالية من الكتاب، جملة كبيرة من أخبار القاضي يخامر بن عثمان، وفيها ما يخالف ما يورده في هذا الموضع. فهو يذكر نقلاً عن ابن عبدالبر أنه ولي القضاء سنة ٢٢٠هـ وعزل في آخر هذه السنة (ص٦٧) على حين أن التاريخ الوارد هنا لعزله، هو سنة ٢٢٤هـ.

{146} يوافق شهر جمادى الآخرة سنة ٢٢٤هـ ما بين ٢٠ أبريل و ١٨ مايو سنة ٨٣٩م، وليلة الجمعة لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، توافق العاشر من مايو.

{147} أورد ابن عذاري خبر هذه الغزوة (البيان ٢/ ٥٨) وأضاف إليها خبر أرق الأمير عبدالرحمن في بعض الليالي، وتشوقه إلى حظيته طروب، وما صنعه من شعر فيها. وهو الخبر الذي ساقه ابن حيان من قبل (في الورقة ١٤٥) منسوبًا إلى معاوية بن هشام الشبينسي.

{148} أشار إلى السفارتين المتبادلتين بين الأمير عبدالرحمن وإمبراطور بيزنطة، المقري في موضعين من نفح الطيب (١/ ٣٤٦ - ٣٤٧ و ٢/ ٢٥٨- ٢٥٩) وابن دحية في المطرب (ص١٣٨-١٤٩)، ولو أن ابن دحية زعم أن سفارة الغزال كانت موجهة إلى ملك المجوس (النورمنديين)، ونسب أخبار هذه

السفارة وما دار فيها من حكايات في بلاط بيزنطة إلى تلك السفارة المزعومة إلى مملكة المجوس. وقد أعاد ليفي بروفنسال دراسة السفارتين، في مقاله المنشور في مجلة بيزانتيون، وهي التي سبق لنا الحديث عنها في التعليق رقم ٨٢ ونشر في هذا المقال نص جواب الأمير عبدالرحمن على كتاب الملك البيزنطي نقلاً عن مقتبس ابن حيان مع ترجمة له إلى الفرنسية، ثم لخص ما عرضه هذا المقال في كتابه في التاريخ (١/ ٢٤٩-٢٥٤).

{149} قرطيوس الرومي المذكور: سماه ليفي بروفنسال Kartius ووصفه ابن حيان بأنه الترجمان، مما يدل على أنه كان يتقن اللغة العربية.

{150} لم تفدنا المصادر بما يشير إليه كتاب الملك البيزنطي من خلاف أمراء إفريقية (الأغالبة) على المعتصم العباسي واستقلالهم لدولته، وكان أمير إفريقية في وقت سفارة الملك البيزنطي إلى قرطبة هو أبا عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب الذي حكم بين سنتي ٢٢٣-٢٢٦هـ (٨٣٨-٨٤١م) وخلفه ابنه محمد الذي حكم حتى وفاته سنة ٢٤٢هـ (٨٥٦م). (انظر البيان لابن عذاري ١/ ١٠٧-١١٢). ولا نعلم خلال هذه السنوات خلافًا لهذين الأميرين على المعتصم ولا على ابنه الواثق. صحيح أن هناك تقاربًا حدث بين إمارة بني أمية بقرطبة وأمراء الأغالبة بإفريقية، وهو ما سيحدثنا عنه ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس (ص٢٦٦-٢٦٧) عند ذكر المداخلة والسفارات المتبادلة بين الأمير محمد بن عبدالرحمن والأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد، وهو ما قد يستنتج منه فتور العلاقات بين الإمارة الأغلبية والخلافة العباسية، ولكن ذلك كان بعد سنة ٢٦١هـ (٨٧٥م) أي في فترة متأخرة كثيراً عن سفارة الملك البيزنطي إلى قرطبة.

{151} علق ليفي بروفنسال على هذه الرسالة فقال إنها آية رائعة من آيات

الدبلوماسية الأندلسية، فهي حافلة بعبارات المجاملة الرقيقة، ولكن بغير التزام من جانب الدولة الأندلسية بأي شيء لا في الحاضر ولا في المستقبل (انظر تاريخه ١/ ٢٥٢).

{152} سيعود ابن حيان للتذكير بمحمود بن عبدالجبار وغدر أذفونش (ألفونسو الثاني) به في القطعة التالية من المقتبس (ص٣٩٧)، وذلك بمناسبة موقف مماثل لعبدالرحمن بن مروان الجليقي حينما لحق بأذفونش (ألفونسو الثالث) ثم ندمه على ذلك من بعد. وقد أوردنا في التعليق رقم ٦٢٩ ص ٦٧٣ ترجمة لمحمود المذكور وتتبعًا لسيرة حياته معتمدين على المصادر التي كانت بين أيدينا، وكان من بينها ما كتبه ليفي بروفنسال عن ثورته مستندًا إلى نص ابن حيان الوارد هنا (تاريخه ١/ ٢٠٨-٢١٠). على أن ما يذكره ابن حيان في هذا الموضع من المقتبس هو أوفى قدر من الأخبار حول هذا الثائر وأحداث ثورته.

{153} حصن فرانكش: رسم اللفظ يمكن أن يقرأ "برانكش" فالفاء والباء كثيرًا ما يشتبهان في الخط المغربي الأندلسي، فإذا كانت صحة اللفظ كما نفترض "برانكش" فقد يكون الموضع الذي يدعى اليوم في البرتغال Barrancos، وهو الآن قرية صغيرة في محافظة أليتيجو السفلى Baixo Alentejo، على شاطئ نهير أرديلا Ardila وهو فرع من وادي آنه، على مقربة من مصبه. وعلى مسافة نحو خمسين كيلو مترًا إلى شرقي مدينة باجه Beja عاصمة المحافظة.

{154} حصن شنت قروج Santa Cruz (أي الصليب المقدس) قلعة كانت تقع على الطريق المتجه من ماردة إلى طليطلة، وهي في منتصف الطريق بين مدلين Medellin وترجاله Trujillo (عن هاتين المدينتين انظر المغرب لابن سعيد

١/ ٣٧٢، ٣٧٧ على التوالي، وقد عدهما من مدن بطليوس). وقد اندثر هذا الحصن، ولكن اسمه بقي دالاً على درب (أي شعب جبلي يدعى Puerto de Santa Cruz) . انظر مقال فليكس إيرنانديث عن كورة ماردة في القرن العاشر، ص ٣٥٠، (وقد سبقت الإشارة إليه في التعليق رقم ١٣٢).
وأما كورة ريكة التي كان يتبعها هذا الحصن فإننا لم نهتد إلى ما يقابلها اليوم في جغرافية إسبانيا وإن كان المؤكد أنها مصاقبة لبطليوس. هذا وقد رأينا في السفر الخامس من المقتبس (الخاص بخلافة عبدالرحمن الناصر) في أخبار (سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م) تعييناً لعاملين على مدينة بطليوس وأضيف إليهما "ركب" وأروش وأحوازهما (ص٤٩٠). أما أروش Arocheفقد أشار إليها ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس (ص٣ والتعليق رقم ٢٣ ص ٤١٨) وهي تقع في محافظة ولبة Huelva المتاخمة لجنوبي البرتغال، وأما "ركب" فلم يهتد مترجما المقتبس إلى صحة قراءتها ولا إلى موقعها ولكنهما ذكرا أنها لابد أن تكون قريبة من بطليوس (انظر ص٤٢٢ من الترجمة الإسبانية) وربما كان هذا الموضع هو نفسه المذكور في النص الذي بين أيدينا حرفه الناسخ إلى "ريكت".

{155} الأروشي نسبة إلى أروش التي أشرنا إليها في الحاشية السابقة.

{156} لم نستطع الاهتداء إلى موقع مخاضة بساس ولا إقليم مطل، ولا ما يقابلهما اليوم. هذا إذا لم يكن لحق الاسمين تحريف، إذ إن رسمهما في الأصل المخطوط يحتمل أكثر من قراءة.

{157} تذكرنا هذه الكلمات بخطاب طارق بن زياد في جنوده قبل معركته مع لذريق، وهو الخطاب الذي لا يكاد يخلو منه مصدر تاريخي تحدث عن فتح الأندلس. انظر على سبيل المثال نفح الطيب ١/ ٢٤٠.

{158}هذه الخدعة وهي تنكر النساء في زي الرجال وحمل السلاح إيهامًا للعدو أنهن مدد للجيش ليست جديدة تمامًا في الأندلس، فقد استخدمها من قبل تدمير بن عبدوش صاحب المنطقة التي حملت اسمه في شرق الأندلس حينما حاصره عبدالعزيز بن موسى بن نصير (انظر جغرافية العذري ص٤، والبيان المغرب ٢/ ١١، وأخبار مجموعة ص١٣). وقد درس هذه الواقعة ثيسر دوبلر في بحث له بعنوان "المدافعات عن تدمير: أسطورة مستعربية" في المجلد المهدى لذكرى ليفي بروفنسال:

César Dubler : Los defensores de Teodomiro : Leyenda Mozarabe, en Etudes d'orientalisme dédiees à la memoire de Lévi-Provençal, Paris, 1962, p.111-124.

ثم أعدنا بحث الموضوع في مقال لنا بعنوان "الأساطير والحكايات المتعلقة بفتح الأندلس" في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد سنة ١٩٨٥ . وذكرنا أن هناك سابقة لهذا الحدث في المشرق في أخبار حروب الردة، وذلك بعد أن هزم خالد بن الوليد المرتدين من بني حنيفة في حديقة الموت سنة ١١هـ/ ٦٣٢م، وبقيت حصون لهم لم تفتح بعد، ولم يبق فيها بعد فناء الرجال إلا النساء والصبيان. فأمر زعيمهم مُجَّاعة بن مُرارة بأن يظاهر النساء الحديد وأن ينشرن شعورهن ويشرفن على رؤوس الحصون، وبذلك عقد مع خالد صلحًا منقذًا لقومه من الاستئصال (انظر الخبر في تاريخ الرسل والملوك للطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٢م، ٣/ ٢٩٦-٢٩٩).

{159} في هذا الخبر عن الوقائع بين محمود بن عبدالجبار وأهل باجة أسماء عدد من المواضع لم نهتد إلى ما يقابلها في جغرافية البرتغال اليوم، منها قرية ربية أوطه، وسيرد بعد ذلك اسم وقعة أبده بطروشه. وواضح أن كل هذه المواضع تقع بقرب مدينة باجة.

{160} منت شاقر Monchique Sagres هو اليوم اسم بلدة صغيرة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة شلب Silves على بعد نحو عشرين كيلو متراً، في المحافظة المعروفة اليوم في البرتغال باسم "الغرب Algarve"، وتحيط بها سلسلة الجبال التي تحمل اسمها Sierra de Monchique التي تصل إلى قرب ساحل المحيط الأطلنطي. ولهذا سماها ابن حيان "الجبل المنيع الذي بقرب البحر".

{161} لم يفدنا ابن حيان بما يعرفنا بشخصية عامر الغريب المذكور هنا. أما حارث ابن بزيع فسوف يذكر ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس بعض أخباره (ص١، ٢٩٢-٢٩٣ والتعليق رقم ٦ ص٤٠٩) وأما عامر بن كليب فقد سبقت الإشارة إلى والده كليب بن ثعلبة الجذامي (الورقة ١٢٦ب) وله ترجمة في الحلة السيراء / ١٦١-١٦٢، والمغرب ١/ ٩٤-٩٥.

{162} أشرنا في تعليق لنا على القطعة التالية من المقتبس (ص ٦٧٦) إلى أن اسم محمود بقي حتى اليوم علمًا على بعض المواضع في البرتغال، منها Mafamude من أعمال Vila Nova de Gaia التي تعد من ضواحي مدينة بورتو Porto ثانية مدن البرتغال اليوم، فلعل الحصن الذي نزله محمود بن عبدالجبار كان يقع في هذا الموضع.

{163} أورد ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس إشارة مقتضبة إلى خبر محمود ابن عبدالجبار وأخته جميلة، وذلك في معرض الحديث عن عبدالرحمن بن مروان الجليقي الثائر على الأمير محمد واللاجئ أيضاً إلى ألفونسو الثالث Alfonso III ملك ليون وجليقية. (ص٣٩٧) وعلقنا على تلك العبارة تعليقاً طويلاً (رقم ٦٢٩ ص ٦٧٣ -٦٧٧) ترجمنا فيه لمحمود المذكور، معتمدين على ما كتب عنه في المصادر العربية والمدونات المسيحية والمراجع الحديثة.

على أن فيما أورده ابن حيان هنا مزيدًا من التفصيلات التي اعتمد عليها ليفي بروفنسال في روايته لثورة محمود (تاريخ إسبانيا الإسلامية ١/ ٢٠٨ - ٢١٠).

{164} الشارّة (بتشديد الراء) في المصطلح الأندلسي هي تعريب للفظ Sierra أي سلسلة الجبال، غير أن ابن حيان لم يحدد هنا أي سلسلة يعني.

{165} أشونة المذكورة هنا هي Ausona التي تدعى اليوم Vic وهي تقع إلى شمالي برشلونة وغربي جرندة Gerona على مسافة نحو خمسين كيلو مترًا. وينبغي عدم الخلط بينها وبين أشونة Osuna من أعمال إشبيلية. وأما طرطانة المذكورة فيرى فيديريكو كوريتي أن اسمها محرف عن "طرطاله"، وهي تقابل قرية Tarradell الحالية على بعد سبعة كيلو مترات إلى الجنوب الشرقي من أشونة (Vic = Ausona) وهناك شواهد على ورود هذا الاسم في صورة Taratello يرجع بعضها إلى سنة ٨٩١م (٢٧٧-٢٧٨هـ). وهذه هي أقرب صورة إلى الاسم في صيغته العربية الواردة في نص ابن حيان.

{166} صائفة أربونة Narbonne التي يشير إليها النص هي التي كانت أيام الأمير هشام بن عبدالرحمن سنة ١٧٧هـ (٧٩٣م)، وكان القائد بها عبدالملك بن عبدالواحد بن مغيث، وفيها حاصر جرندة وثلم أسوارها وخرب بسائطها، ثم توجه إلى أربونة فأحرق أرباضها وأوقع هزيمة منكرة بدوق تولوز غليالم ذي الأنف القصير Guillaume - au-Court-Nez، وبلغ خمس السبي فيها خمسة وأربعين ألف (مثقال) من الذهب العين. انظر حول هذه الغزوة البيان المغرب ٢/ ٦٤، ونفح الطيب ١/ ٣٣٧ وما كتبه ليفي بروفنسال في تاريخه ١/ ١٤٥-١٤٦. وأما صائفة سنة ٢٢٦هـ التي يتحدث عنها ابن حيان هنا والتي كان القائد بها عبدالواحد الإسكندراني فقد انفرد بذكرها هذا المؤرخ، وعليه اعتمد ليفي بروفنسال في رواية خبرها (في تاريخه ١/ ٢١٢-٢١٣).

{167}أخبار قضاة قرطبة وتواريخ ولاياتهم مضطربة أشد الاضطراب في التواريخ الأندلسية، ونرى مثلاً على ذلك فيما يذكره ابن حيان هنا وما سيذكره في تراجم هؤلاء القضاة في القطعة التالية من المقتبس، فهو هنا يورد تاريخ عزل سعيد بن سليمان وولاية إبراهيم بن العباس سنة ٢٢٦هـ. وفي القطعة التالية سيذكر ولاية إبراهيم بن العباس سنة ٢١٤ أو ٢١٥هـ (ص٥٩)، وقبل ذلك يقول إن سعيد بن سليمان ولي القضاء مرتين، ولم يذكر تاريخ الولاية الأولى، وأما الثانية فكانت على ما يبدو سنة ٢٣٤هـ، وبقي قاضياً للأمير عبدالرحمن حتى وفاته، ثم ظل قاضياً للأمير محمد سنتين أخريين أي حتى سنة ٢٤٠هـ (ص٥٢).

{168} أشار إلى هذه الواقعة ابن الأثير في الكامل (٥/٢٦٧) ولكنه حرف اسم خزر بن مؤمن إلى جرير بن موفق. وسوف يذكر ابن حيان في القطعة التالية من الكتاب خزراً هذا إذ يقول إنه كان ملازماً للعامل على كورة رية (مالقة) وإنه صرف عنها في سنة ٢٣٦، كما سيشير إلى أخ لخزر يدعى سعداً كان بدوره ملازماً للحكم بن عبدالرحمن حينما ولاه أبوه كورة تدمير (مرسية) في السنة نفسها. وما يذكره ابن حيان هنا عن بداية خلاف موسى بن موسى القوي على الأمير عبدالرحمن يختلف عما يذكره العذري في جغرافيته (ص٢٩-٣٠) إذ يقول إن سبب هذا الخلاف هو هدم عامر بن كليب العامل على تطيلة لأرحى موسى وعقره خيلاً له وذلك في سنة ٢٢٦هـ. أما حملة سنة ٢٢٧ فيذكر العذري أن قائد الصائفة بها هو المطرف بن الأمير عبدالرحمن، وأن موسى بن موسى تخلف عن الخروج معه فيها وكان حينئذ بحصن أرنيط Arnedo، وأخرج ابنه فرتون نيابة عنه، فسخط ذلك المطرف وصرفه ولم يقبله، وبعد قفول الصائفة ولى حارث بن بزيع ثغر سرقسطة،

فتولى حرب موسى بن موسى ولكن موسى أسره في وقعة بلمه Palma على نهر إبره. وقد تبع ليفي بروفنسال رواية ابن حيان في ذكر هذه الأحداث (تاريخه ١/ ٢١٥-٢١٦).

{169} تختلف رواية العذري هنا أيضًا عن رواية ابن حيان حول هزيمة حارث بن بزيع في وقعة بلمه، فهو لا يذكر حصار حارث لمدينة برجة Borja قبل ذلك، وأما ظهير موسى في هذه الحرب فإنه عند العذري ينقه بن ونقه Inigo لا غرسيه Garcia أخوه. وأما جرميد التي أقام فيها حارث بن بزيع أسيرًا مدة تسعة شهور فلم نهتد لتحديد موقعها، هذا إذا لم يكن لحق الاسم تحريف عن جرنيق كما ذكرنا في الحاشية.

{170} صخرة قيس الواردة في هذا النص في معرض غزوة الأمير عبدالرحمن لبنبلونة: اختلف الباحثون حول ما يقابلها الآن، وأرجح الأقوال في ذلك هو ما يذكره ليفي بروفنسال في تاريخه (١/ ٢١٦، الحاشية رقم ١) وهو أنها تقابل الموضع المسمى Huarte Araquil على ضفة نهر أرغه Arga في شمال غربي بنبلونة.

{171} أذفنش صاحب جليقية المذكور هو ألفونسو الثاني الملقب بالعفيف Alfonso II el Casto، ولي حكم أشتوريش وجليقية سنة ٧٩١م (١٧٥هـ)، وهو ابن أخي الملك السابق برمند الأول Vermudo I وسبب تلقيبه بالعفيف هو أنه على الرغم من زواجه من أميرة فرنسية فإن هذا الزواج لم يتم باتفاق على ما يبدو بين الزوجين. وقد طال حكمه حتى بلغ إحدى وخمسين سنة إذ توفي سنة ٨٤٢م (٢٢٧هـ)، فكان معاصرًا لثلاثة من أمراء الأندلس: هشام ابن عبدالرحمن والحكم وعبدالرحمن. وهو الذي اتخذ من مدينة أبيط Oviedo عاصمة لمملكته، وعلى الرغم من حملات أمراء قرطبة المتكررة

على بلاده فإنها لم تستطع أن تخلعه عن عرشه، بل توسعت مملكته وامتدت في المناطق الشمالية الغربية التي جلا عنها المسلمون، ومن أهم ما تم في أيامه اكتشاف ما زعموا أنه قبر القديس يعقوب حواري السيد المسيح الذي يقال إنه وصل في تبشيره بالمسيحية إلى جليقية في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة وتوفي في موضع هناك. وكان هذا "الاكتشاف" في سنة ٨١٣م (١٩٧هـ). فعمل ألفونسو ورجال الكنيسة على بناء مشهد كبير في هذا الموضع لم يلبث أن تحول إلى مدينة هي شنتياقب Santiago de Compostela التي أصبحت تالية في القداسة لمدينة روما، وصار إليها حج المسيحيين من سائر أنحاء أوربا المسيحية. وحينما توفي ألفونسو الثاني خلفه ابن عمه رذمير (راميرو الأول Ramiro I). انظر مجمل تاريخ إسبانيا في العصور القديمة والوسطى لأجوادو بلييه:

Pedro Aguado Bleye : Manual de historia de Espa?a, Madrid, 1947, I, p. 479-481.

{172} أشرنا من قبل إلى الاضطراب في تواريخ ولاية القضاء في أيام عبدالرحمن الأوسط، فابن حيان في القطعة التالية من المقتبس يذكر أن علي بن أبي بكر الكلابي المعروف بيوانش ولي القضاء فعلاً في سنة ٢٢٧هـ ولكنه لم يخلف إبراهيم بن العباس المرواني، وإنما ولي بعد سعيد بن سليمان الذي توفي في هذه السنة (انظر ص٦٧-٦٨).

{173} السرطانيون هم سكان إقليم سرطانية (وتكتب أيضا سردانية) Cerdana وهي إقليم في محافظة لاردة Lérida على سفوح جبال البرتات (البرينيه) وهي تمتد بين دويلة أندورا Andorra وسلسلة جبال القاضي Sierra del Cadi، وامتداد هذا الإقليم عبر جبال البرتات في داخل فرنسا يدعى أيضاً سردانية الفرنسية Cerdagne.

{174} أورد ابن عذاري أخبار هذه الوقعة في البيان (٢/ ٨٦) مختصرًا إياه كعادته.

أما فرتون Fortun بن ونقة المذكور المقتول في المعركة فكان أخا لأمير البشكنس غرسية بن ونقة Garcia Iniguez وقيل إنه كان أخا موسى لأمه. وأما غلند Galindo فإن ليفي بروفنسال يقول إنه لم يكن ابنًا لغرسية بن ونقه وإنما صهرًا له إذ كان زوجًا لابنته ينقه Iniga واسمه في المدونات المسيحية Aznar Galindo قومس أرغون. وقد ذكر ابن حيان تزوع بلشك بن غرسية Velasco Garcés إلى الأمير طالبًا للأمان، ولا نعرف ما إذا كان بلشك هذا من أسرة أمير البشكنس أو واحدًا من وجوه رجاله. حول هذه الأحداث انظر تاريخ بروفنسال (١/٢١٧).

{175} في القطعة التالية من المقتبس (ص٧١) سوف يذكر ابن حيان أن محمد بن زياد ولي القضاء بقرطبة بعد وفاة معاذ بن عثمان سنة ٢٣٤. وهو يخالف ما هو مذكور هنا.

{176}الصفحات التي يفردها ابن حيان لغارات القراصنة الأردمانيين (النورمند) على سواحل الأندلس هي أغنى ما نعرفه عن هذه الغارات وأحفلها بالتفاصيل. وقد اعتمد ابن حيان فيها على من سبقه من المؤرخين: أحمد الرازي وابنه عيسى ومحمد بن أشعث القرشي ومعاوية الشبيني وابن القوطية. وقد أعانت هذه المادة ليفي بروفنسال على معالجة هذا الموضوع بقدر كبير من التفصيل (تاريخه ١/٢١٨-٢٢٥) ولو أنه لم يستصف من المقتبس كل ما فيه من فوائد. وهناك رواية للعذري في جغرافيته (ص٩٨-١٠٠) لم يطلع عليها بروفنسال وفيها بعض الإضافات القيمة.

{177} قرية طلياطة: هكذا ورد الاسم في نص ابن حيان وكذلك في جغرافية العذري (ص١٠٠) وفي البيان المغرب (٢/٨٨) والروض المعطار الذي أفرد لها مادة خاصة (ص١٢٨-١٢٩) وفيها يذكر أنها تقع في منتصف الطريق

على بعد ٢٠ ميلاً من إشبيلية ولبلة Niebla. غير أن ليفي بروفنسال قرأها "طبلاطة" وزعم أنها وردت بهذا الرسم في المقتبس. وطبلاطة المذكورة Tablada موضع اندثر الآن، وكان يقع على مسافة عدة كيلومترات إلى جنوبي إشبيلية، وبقي اسمه دالاً على سهل يوجد فيه اليوم مطار. ويغلب على ظننا أن طلياطة برسمها كما جاءت لدى ابن حيان وسائر من ذكرناهم من المؤرخين هي التي حدد الحميري موقعها بين إشبيلية ولبلة.

{178} جزيرة قبطيل Captel هو الاسم القديم للجزيرة الواقعة في مجرى نهر "الوادي الكبير" Rio Guadalquivir، وتدعى اليوم الجزيرة الصغرى Isla Menor.

{179} قرية قورة هي التي تدعى اليوم Coria del Rio وتقع على الضفة الغربية للوادي الكبير على بعد نحو عشرة كيلو مترات إلى جنوب إشبيلية.

{180} سوف يشير ابن حيان في القطعة التالية من المقتبس إلى كنيسة الماء هذه التي يقول إنها كانت موطن بني موسى الغافقيين عشيرة محمد بن موسى وزير الأمير محمد (ص١٤٠) كما أشار إليها ابن القوطية (ص٧٥)، على أن ابن حيان يحدد لنا هنا موقعها : على بعد فرسخين من إشبيلية.

{181} تقع قرمونة Carmona على مسافة أربعين كيلو متراً إلى شرقي إشبيلية.

{182} محمد بن عبدالله بن الأشعث القرشي أو الفهري الإشبيلي مؤرخ حافظ للأخبار، لا نعرف له إلا ترجمات موجزة في كتاب ابن الفرضي (برقم ١٢٢٦) وجذوة المقتبس للحميدي (رقم ٨٥) وبغية الملتمس للضبي (رقم ١٦٥) له كتاب في تاريخ إشبيلية نقل عنه ابن حيان في السفر الثالث الخاص بالأمير عبدالله، نشر أنطونيا، ص٦٧-٨٥، وهو نص طويل يتناول الأحداث الواقعة في المدينة بين سنتي ٢٧٦-٢٩٨هـ (٨٨٩-٩١٠م). ويظهر أن الأخبار التي أوردها ابن حيان في سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) عن فتح عبدالرحمن الناصر

لإشبيلية، وذلك في السفر الخامس المنشور بعناية تشالميتا وفيديريكو كوريتي ص ٦٩-٨٤، منقولة بدورها عن كتاب ابن الأشعث المذكور وإن لم ينص ابن حيان على النقل عنه. ولم ينص أحد من مترجميه على تاريخ وفاته، ولكننا نعتقد أنه عاش في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل الرابع، وذلك لأنه يشير في أحداث سنة ٢٧٦ إلى الدور الذي قام به في هذه الأحداث من يسميه عبدالله بن الأشعث القرشي الذي نرجح أنه أبوه. وقد ذكر ابن الفرضي أن المؤرخ المصري أبا سعيد ابن يونس (المتوفى سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م) ذكره في تاريخه وهذا يدل على أنه توفي قبل ابن يونس أو كان معاصراً له. وانظر عن ابن الأشعث ما كتبه بونس بويجس في كتابه عن المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين:

FPons Boigues : Ensayo biobibliografico sobre los histoiradores y geografos arabigo-espanoles, Madrid, 1898, p. 124-125.

{183} كذا ورد الاسم في الأصل، وقد تركناه على حاله لاضطراب المصادر القديمة في رسمه، ولكنه محرف بغير شك عن زغوان أو زعواق (والنون والقاف كثيراً ما تلتبسان في الخط المغربي الأندلسي) وأقدم إشارة إلى هذه القلعة هي التي تتحدث عن ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي على عبدالرحمن الداخل سنة ١٤٦هـ (٧٦٣م) ثم ثورة سعيد المطري سنة ١٤٩هـ (٧٦٦م) واعتصام كل من هذين الثائرين بما يسمى "قلعة رعواق" (في أخبار مجموعة ص١٠٢ و ص١٠٥) ورسم الاسم لدى ابن عذاري "قلعة زعواق" (البيان ٥٣/٢). ويرد الاسم بعد ذلك عند ابن حيان في السفر الثالث من المقتبس، نشر أنطونيا، في صورة "حصن الزعواق" عند الحديث عن غزوة المطرف بن الأمير عبدالله بن محمد لإشبيلية في سنة ٢٨٢هـ (٨٩٥م)، إذ يقول إن المطرف رحل بعسكره قافلاً إلى قرطبة، فصير طريقه

على هذا الحصن، فهدمه وحرق بسائطه (ص١١٤). كذلك يشير العذري إلى ثورة سعيد المطري واعتصامه بما يسميه "قلعة الزعواق" (جغرافيته ص١١١). ويبدو أن هذه القلعة بعد هدمها قد أعيد بناؤها بعد ذلك ولكن اسمها القديم اندثر، وأصبحت تدعى في تاريخ لم نتمكن من معرفته على وجه التحديد "قلعة جابر" وبهذا الاسم ترد في تواريخ دولة الموحدين، مثل المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة (تحقيق عبدالهادي التازي، بيروت ١٩٦٤م) ص١٨٣ و٤٦٩ حيث يجري الحديث عن أخبار سنتي ٥٥٦-٥٦٧هـ (١١٦١-١١٧٢م)، ومثل المغرب لابن سعيد الذي يفرد مدخلاً لقلعة جابر في المملكة الإشبيلية (١/ ٢٩١). وهكذا يسميها أيضاً ابن عذاري في الحديث عن أخبار سنة ٥٨٥هـ (١١٨٩م) (البيان المغرب، القسم الخاص بدولة الموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وزملائه، بيروت ١٩٨٥م، ص٢٠٣). وتقابل قلعة الزعواق أو قلعة جابر في جغرافية إسبانيا اليوم البلدة التي تدعى "قلعة وادي إيره "Alcala de Guadaira"، وتقع في ملتقى النهير الذي يحمل هذا الاسم بالوادي الكبير على بعد كيلو مترات من جنوبي إشبيلية. انظر تعليق لافونتي الكنترا على هذا الاسم في فهارس ترجمته الإسبانية لكتاب أخبار مجموعة ص ٢٥٦-٢٥٧ وكذلك المبحث القيم الذي أفرده لهذا الموضع إلياس تيريس سادابا في كتابه عن أسماء الأنهار في الجغرافية الأندلسية:

Elías Terés Sadaba : Materiales para el estudio de la toponimia hispanoarabe Nomina fluvial, Madrid, 1986. p. 298-300.

أما تحريف الاسم إلى "زغوان" فيبدو أنه خلط بين هذا الموضع الأندلسي وجبل زغوان الذي يقع إلى جنوبي تونس والذي أفرد له ياقوت مدخلاً في معجم البلدان (٣/ ١٤٤).

{184} في السطور السابقة ذكر لعدة مواضع تقع في الطريق من إشبيلية إلى قادس Cadiz هي طالقة Italica، وهي مدينة قديمة أصبحت خرابًا بعد ذلك، ونسجت حولها أساطير كثيرة في المصادر الأندلسية (انظر العذري ص٩٦-٩٨، والروض المعطار ص ١٢٢-١٢٣، ونفح الطيب ١/ ١٣٤-١٣٥). وكان الذي أطلق هذا الاسم عليها القائد الروماني إسكيبون Escipion تذكيراً باسم وطنه إيطاليا سنة ٢٠٦ق.م. ومكانها اليوم قرية تدعى Santiponce التي عربها الأندلسيون قديماً في صورة شنتبوس مسقط رأس الشاعر المشهور أبي بكر محمد بن عمار وزير المعتمد بن عباد ملك إشبيلية. (انظر تعليق عبدالعزيز الأهواني على هذا الاسم في تحقيقه لجغرافية العذري ص١٧٣).

وقورة هي Coria del Rio التي سبق لنا التعريف بها.

ويذكر كتاب ابن كليب بعد ذلك قلعة ورد، وهو اسم لأكثر من موضع في الأندلس ويدعى أحياناً "حصن ورد" أو "الورد" بالتعريف. إذ أطلق على حصن قريب من مربلّة Marbella كان حد عمالة مالقة من ناحية الغرب، وقد تغير اسمه بعد ذلك فأصبح في تاريخ لا نستطيع تحديده منت ميور Montemayor (انظر المرقبة العليا للنباهي ص٨٢)، وليس هو المقصود في نص ابن حيان. وإنما هو الذي كان في كورة لبلة Niebla وهو الذي اعتصم به المولدون في الفتنة الناشبة بينهم وبين العرب في سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م)، ثم اعتصم به أيضاً ابن خصيب زعيم المولدين، وأوقع الهزيمة به فيه القائد ابن أبي عبدة سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م) (انظر المقتبس، نشر أنطونيا ص٦٧، ١١٤، ١١٩) وابن حيان يسميه في كل هذه المواضع منت ميور، على حين يسميه العذري "قلعة ورد" في حديثه عن الزعيم البربري عبدالكريم بن إلياس الذي تمسك بطاعة الأمير المنذر بن محمد، وقد جعل العذري "قلعة ورد"

المذكورة من أعمال كورة شذونة (ص١١٣)، ويبدو أن هذا الموضع هو نفسه الذي يسميه ابن حيان "قرية ورد" في حديثه عن ثورة محمد بن عبدالكريم ابن إلياس، وهو يجعل هذه القرية من أعمال كورة شذونة متفقاً في ذلك مع نص العذري (انظر المقتبس، نشر أنطونيا ص٢٤). أما ذكر هذه القلعة أو القرية مرة في كورة لبلة ومرة في كورة شذونة فهو يرجع إلى أن الكورتين متجاورتان، فاختلطت أحوازهما مما أدى إلى أن تنسب بعض أعمالهما إلى تلك الكورة مرة وإلى الثانية مرة أخرى. على أننا نسجل أن من الغريب أن كلا الموضعين اللذين حملا اسم قلعة ورد قد أطلق عليه أيضاً اسم منت ميور على الرغم من تباعدهما وانتمائهما إلى كورتين مختلفتين.

ويرد بعد ذلك ذكر مدينة أشته، وهي كما يدل السياق في الطريق من شريش إلى قادس، على أننا لم نجد ذكراً لها في المصادر الجغرافية والتاريخية التي بين أيدينا، وأقرب ما رأيناه لرسم هذا اللفظ هو ما يورده العذري في حديثه عن أقاليم مدينة لبلة، إذ يقول إن منها إقليم "وشتر" (ص١١١).

{185} لم يرد اسم "قرقبة" في المصادر الأندلسية القديمة إلا في اثنين: أولهما السفر الثالث من مقتبس ابن حيان (ص٦٧) في معرض الحديث عن فتنة العرب والمولدين بكورة لبلة سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) إذ يقول إن عثمان بن عمرون زعيم العرب اعتصم بحصن قرقبة على حين اعتصم المولدون بحصن منت ميور. والمصدر الثاني هو القطعة التي نشرها لطفي عبدالبديع من كتاب "فرحة الأنفس" لابن غالب (في مجلة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية، المجلد الأول، سنة ١٩٥٥م، ص٢٧٢-٣١٠) انظر بصفة خاصة ص ٢٩٢ حيث يذكر من حصون لبلة "مدينة قرقية" (بالياء)، وهو بغير شك تحريف للفظ قرقبة. وهو لفظ عجمي (Carcava) يعني الخندق، ولابد

أن تسمية المدينة به ترجع إلى أنه كان يحيط بها خندق يؤمن دفاعها. وقد تتبع العالم الأثري توريس بلباس الخنادق التي استخدمت وسائل دفاعية في مدن الأندلس في كتابه عن "المدن الأندلسية":

L. Torres Balbas : Ciudades hispano-musulmanas, ed El Instituto Hispano-Arabe de Cutlura, Madrid, p. 543-549.

{186} ورد البيت الأول من هذه القطعة في المغرب لابن سعيد ١/٤٩، وفيه "جاءوا" مكان "شاءوا"، وهي أوفق للسياق وفيه أيضاً "بعثنا لهم".

{187} نقل هذا الخبر ابن عذاري في البيان (٢/٨٨) مختصراً إياه كعادته. وأشار إليه ليفي بروفنسال في تاريخه (١/٢٠٧).

{188} من جديد نرى كيف يتناقض ما يذكره ابن حيان هنا عما سيذكره في القطعة التالية من المقتبس (ص٧١) حيث يقول إن محمد بن زياد ولي القضاء بعد معاذ بن عثمان.

* * *

المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن الأبار

(انظر محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)

- ابن الأثير

(انظر علي بن محمد بن أبي الكرم الجزري)

- أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ):

تاريخ بغداد (١-١٤)، القاهرة ١٩٣١م

- أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تقي الدين أبو العباس (٨٥هـ):

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (١-٣)، تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة ١٩٦٧-١٩٧٣م.

- أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ):

الإصابة في تمييز الصحابة (١ - ٨)، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٧٠م.

تهذيب التهذيب (١- ١٢)، حيدر أباد الدكن ١٣٢٥- ١٣٢٧هـ.

- أحمد بن عمر بن أنس، ابن الدلائي، العذري (٤٧٨هـ):

نصوص عن الأندلس من كتاب " ترصيع الأخبار، وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى الممالك"، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد ١٩٦٥م (يشار إليه مختصراً باسم "جغرافية العذري").

- أحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المقّري (١٠٤١هـ):

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، (١-٨)، بيروت ١٩٦٨م.

أزهار الرياض في أخبار عياض (١ - ٣) تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري

وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤١م، (٤ - ٥)، تحقيق سعيد أعراب ومحمد بن تاويت، الرباط ١٩٧٨م.

- أحمد بن محمد بن أبي بكر، شمس الدين ابن خلكان (٦٨١هـ):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١ - ٨)، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨-١٩٧٢م.

- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (بعد ٢٩٢هـ):

التاريخ ، النجف ١٩٣٩م.

- أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي (٩١٤هـ):

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (١-١٣)، بإشراف محمد حجي، بيروت ١٩٨١م.

- الإدريسي

(انظر محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس)

- إسماعيل بن القاسم بن عيذون، أبو علي القالي البغدادي (٣٥٦هـ):

الأمالي (١-٢)، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٦م.

- ابن بسام

(انظر علي بن بسام الشنتريني)

- البغدادي

(انظر عبد القادر بن عمر)

- البكري

(انظر عبد الله بن عبد العزيز، أبو عبيد)

- البيروني

(انظر محمد بن أحمد الخوارزمي، أبو الريحان)

- ابن البيطار

(انظر عبد الله بن أحمد المالقي)

- أبو تمام الطائي

(انظر حبيب بن أوس)

- تميم بن أُبيّ بن مقبل (بعد ٣٧هـ)

ديوانه، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٦٢م.

- الثعالبي

(انظر عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور)

- الجاحظ

(انظر عمرو بن بحر بن محبوب)

- جلال الدين السيوطي

(انظر عبد الرحمن بن محمد)

- ابن جلجل

(انظر سليمان بن حسان بن جلجل)

- الجواليقي

(انظر موهوب بن أحمد، أبو منصور)

- حبيب بن أوس الطائي ، أبو تمام (٢٣١هـ)

الوحشيات أو الحماسة الصغرى، تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود شاكر، القاهرة ١٩٦٨م

- ابن حجر العسقلاني

(انظر أحمد بن علي بن محمد)

- ابن حزم الظاهري القرطبي

(انظر علي بن أحمد بن سعيد)

- الحسن بن الحسين السكري، أبو سعيد (٢٧٥هـ):

شرح أشعار الهذليين (١ - ٣)، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٦٥م.

- حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي، ابن القطان (منتصف القرن السابع الهجري):

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، بيروت ١٩٩٠م.

- الحسن بن هانئ الحكمي، أبو نواس (نحو ١٩٩هـ):

ديوانه، نشر دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

- الحميدي

(انظر محمد بن فتوح الورقي)

- الحميري

(انظر محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)

- حيان بن خلف بن حيان، أبو مروان القرطبي (٤٦٩هـ):

المقتبس من أبناء أهل الأندلس (بقية السفر الثاني)، تحقيق محمود علي مكي، بيروت ١٩٧٣م.

المقتبس في تاريخ رجال الأندلس (السفر الثالث)، تحقيق ملتشور أنطونيا، باريس ١٩٣٧م.

المقتبس (السفر الخامس)، تحقيق بدرو تشالميتا وفيديريكو كورنيتي ومحمود صبح، مدريد ١٩٧٩م.

المقتبس في أخبار بلد الأندلس (قطعة من السفر السابع ؟)، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت ١٩٦٥م.

- الخشني

(انظر محمد بن حارث بن أسد)

- الخطيب البغدادي

(انظر أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر)

- ابن الخطيب الغرناطي

(انظر محمد بن عبد الله بن سعيد، لسان الدين)

- خلف بن أحمد بن عبد الملك بن بشكوال القرطبي (٥٧٨هـ)

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، تحقيق عزت عطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٥م.

- ابن خلكان

(انظر أحمد بن محمد بن أبي بكر)

- خليل بن أيبك، صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ)

توشيع التوشيح، تحقيق ألبير مطلق، بيروت ١٩٦٦م.

تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (الجدية)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٩م.

- ابن خير الإشبيلي

(انظر محمد بن خير بن عمر)

- الذهبي

(انظر محمد بن أحمد بن عثمان)

- ذو الرمة

(انظر غيلان بن عقبة العدوي)

- الزبيدي الإشبيلي

(انظر محمد بن الحسن بن عبد الله)

- الزرهوني الكفيف (القرن الثامن الهجري):

ملعبة الزرهوني، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط ١٩٨٧م.

- زهير بن أبي سلمى المزني (١٣ قبل الهجرة)

ديوانه، بشرح ثعلب الشيباني (٢٩١هـ)، القاهرة دار الكتب المصرية، ١٩٤٤م.

- ابن سعيد المغربي

(انظر علي بن موسى بن سعيد)

- السكري

(انظر الحسن بن الحسين ، أبو سعيد)

- سليمان بن حسان بن جلجل الأندلسي (بعد سنة ٣٧٧هـ):

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٩٥٥م.

- ابن سماك العاملي

(انظر محمد بن محمد بن سماك)

- سيبويه

(انظر عمر بن عثمان بن قنبر)

- السيوطي

(انظر عبد الرحمن بن محمد، جلال الدين)

- ابن شاكر الكتبي

(انظر محمد بن شاكر)

- ابن صاحب الصلاة الباجي

(انظر عبد الملك بن صاحب الصلاة)

- ابن الصغير (القرن الثالث الهجري):

أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، الجزائر ١٩٨٦م.

- صلاح الدين الصفدي

(انظر خليل بن أيبك)

- الطبري

(انظر محمد بن جعفر بن جرير)

- ابن عاصم الغرناطي

(انظر محمد بن محمد بن عاصم)

- عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي (٥٦٤هـ):

فهرس (برنامج) ابن عطية، تحقيق محمد بن أبو الأجفان ومحمد الزاهي، بيروت ١٩٨٠م

- عبد الرحمن بن محمد بن سابق الدين ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ):

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١ - ٢) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٤م.

جامع الأحاديث (١ - ٩)، القاهرة ١٩٨٤م.

- عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ):

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١ - ١٣) ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٨٦م.

- عبد الله بن أحمد، ابن البيطار المالقي (٦٤٦هـ):

الجامع في الأدوية المفردة، القاهرة ١٢٩١ هـ

- عبد الله بن عبد العزيز، أبو عبيد البكري الأونبي (٤٨٧هـ):

اللآلي في شرح أمالي القالي، وسمط اللآلي، تحقيق وشرح عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٦م.

- عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي، أبو الوليد ابن الفرضي (٤٠٣هـ):

تاريخ علماء الأندلس، تحقيق فرانسكو كوديرا، مدريد ١٨٩٠م.

- عبد الله بن مسلم ، ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ):

الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد شاكر، القاهرة ١٩٦٦م.

- عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم العباسي (٢٩٦هـ):

طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٥٦م.

- عبد الملك بن صاحب الصلاة الباجي (٥٩٤هـ):

المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ١٩٦٤م.

- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ):

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥م.

- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (٢١٨هـ):

السيرة النبوية (١-٢)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ١٩٥٥م.

- ابن عبد الملك المراكشي

(انظر محمد بن محمد بن عبد الملك)

ابن عذاري المراكشي

(انظر محمد بن عذاري)

- العذري

(انظر أحمد بن عمر بن أنس)

- ابن عطية الغرناطي

(انظر عبد الحق بن غالب بن عطية)

- علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ):

جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧١م.

رسالة نقط العروس، تحقيق شوقي ضيف، في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٥١م

رسائل ابن حزم (١ - ٥)، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٧م.

- علي بن الحسين بن محمد المرواني القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦هـ):
الأغاني (١ - ١٦) طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ابتداءً من ١٩٢٣م، والطبعة المصورة بدون تاريخ، و (١٧ - ٢٤) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ابتداءً من سنة ١٩٧٠م.

- علي بن عبد الله الحسن، أبو الحسن النباهي الجذامي المالقي (بعد ٧٩٣هـ):
المرقبة العليا، فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٤٨م

- علي بن محمد بن أبي الكرم، عز الدين أبو الحسن ابن الأثير الجزري (٦٣٠هـ):
الكامل في التاريخ (١ - ١٣)، بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٧م.

- علي بن موسى بن سعيد، نور الدين ابن سعيد المغربي (٦٨٥هـ):
المغرب في حلى المغرب (١ - ٢)، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥م

- علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني، أبو الحسن القفطي (٦٤٦هـ):
إنباه الرواة بأنباه النحاة (١ - ٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٠- ١٩٥٥م.

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.

- العماد الأصبهاني
(انظر محمد بن محمد بن حامد)

- عمر بن الحسن بن علي أبو الخطاب، ابن دحية الكلبي (٦٣٣هـ):
المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٥٤م.

- عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي (٩٣هـ):
ديوانه، دار صادر، بيروت ، بدون تاريخ.

- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، أبو عثمان، الجاحظ (٢٥٥هـ):
البيان والتبيين (١ - ٤)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٥م.

- عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه (١٨٠هـ):

الكتاب (١ - ٥)، تحقيق بعد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٧م.

- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (٥٤٤هـ):

ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك (١ - ٣)، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت ١٩٦٧ - ١٩٦٨م.

الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاهرة بدون تاريخ

- ابن غالب

(انظر محمد بن أيوب بن غالب)

- الغساني الوزير

(انظر محمد بن عبد الوهاب)

- غيلان بن عقبة العدوي ، ذو الرمة:

ديوانه (١ - ٣)، تحقيق عبد القدوس أبي صالح، بيروت ١٩٩٣م.

- الفتح بن خاقان القيسي الإشبيلي (٥٣٤هـ):

مطمح الأنفس، ومسرح التأنس، في ملح أهل الأندلس، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

- أبو الفرج الأصبهاني

(انظر علي بن الحسين بن محمد)

- ابن الفرضي

(انظر عبد الله بن محمد بن يوسف)

- القالي، أبو علي

(انظر إسماعيل بن القاسم بن عيذون)

- ابن قتيبة الدينوري

(انظر عبد الله بن مسلم)

- ابن القطان المراكشي

(انظر حسن بن علي بن محمد)

- القفطي

(انظر علي بن يوسف بن إبراهيم)

- ابن القوطية

(انظر محمد بن عمر بن عبد العزيز)

ابن الكتاني

(انظر محمد بن الحسن بن الحسين)

- محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي (٤٤٠هـ):

تحقيق ما للهند من مقولة، تحقيق إدوارد سخاو، ليبسك ١٨٧٦م.

الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر أباد الدكن ١٣٥٥ هـ .

- محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ):

تاريخ الإسلام (١ - ٦)، القاهرة ١٩٩٦م.

- محمد بن أحمد بن محمد العجيسي، ابن مرزوق التلمساني (٧٨١هـ):

المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١م.

- محمد بن أحمد بن هشام اللخمي الإشبيلي السبتي (٥٧٧هـ):

المدخل إلى تقويم اللسان، وتعليم البيان (١ - ٢)، تحقيق خوسية بيريث لاثارو، مدريد ١٩٩٠م.

- محمد بن أيوب بن غالب (القرن السادس الهجري):

قطعة من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، فصلة من مجلة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، المجلد الأول، نوفمبر ١٩٥٥م

- محمد بن جعفر، ابن جرير الطبري (٣١٠هـ):

تاريخ الرسل والملوك (١ - ١٠)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٧م

- محمد بن حارث بن أسد الخشني (٣٦١هـ):

كتاب القضاة بقرطبة، تحقيق خوليان ريبيرا، مدريد ١٩١٤م.

أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريّا لويسا آبيلا ولويس مولينا، مدريد ١٩٩٢م.

- محمد بن الحسن بن الحسين، ابن الكتاني الطبيب (نحو ٤٢٠هـ):

التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٦م.

- محمد بن الحسن بن عبد الله المذحجي: أبو بكر الزبيدي الإشبيلي (٣٧٩هـ):

طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٣م.

- محمد بن خير بن عمر بن خليفة، أبو بكر ابن خير الإشبيلي (٥٧٥هـ):

فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق فرانسسكو كوديرا وخوليان ريبيرا، سرقسطة ١٨٩٣م.

- محمد بن داود الأصبهاني (٢٧٦هـ):

الزهرة، تحقيق إبراهيم السامرائي ونوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٧٥م.

- محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ):

فوات الوفيات (١ - ٤)، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.

- محمد بن عبد الله بن أبي بكر، ابن الأبار القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ):

الحلة السيراء (١ - ٢) تحقيق حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٣م.

التكملة لكتاب الصلة، تحقيق فرانسسكو كوديرا، مدريد، ١٨٨٧-١٨٨٨م؛ الطبعة الثانية بعناية السيد عزت العطار الحسيني (١ - ٢) القاهرة ١٩٥٦م؛ الذيل الذي نشره جونثالث بالنثيا ومكسيميليانو ألاركون في مجموعة (دراسات ونصوص عربية)، مدريد ١٩١٥م.

- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، لسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ):

الإحاطة في أخبار غرناطة (١ - ٤)، تحقيق محمد بن عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٨م.

أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام (القسم الأندلسي)، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦م.

- محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (القرن الثامن الهجري):

صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٧٣م.

الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥م.

- محمد بن عبد الوهاب الغساني الوزير (١١١٩هـ):

رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق ألفريد البستاني، طنجة ١٩٤٠م.

- محمد بن عذاري المراكشي (بعد ٧١٢هـ):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (١ - ٢)، تحقيق ليفي بروفنسال وجورج كولان، باريس ١٩٤٨م؛ الجزء الثالث (الخاص بعصر الطوائف)، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس ١٩٣٠م؛ الجزء الرابع (الخاص بدولة المرابطين)، تحقيق أويثي ميراندا في مجلة هسبيريس Hesperis 1960 وتعليق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٧م؛ الجزء الخامس (الخاص بدولة الموحدين)، تحقيق محمد بن تاويت ومحمد الكتاني، ومحمد زنيبر، وعبد القادر زمامة، بيروت ١٩٨٥م.

- محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو بكر، ابن القوطية (٣٦٧هـ):

تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق لافونتي ألكنترا، مدريد ١٨٦٨م ونشر وترجمة خوليان ريبيرا، مدريد ١٩٢٧م.

- محمد بن فتوح الميورقي، الحميدي (٤٨٨هـ):

جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة ١٩٥٢م.

- محمد بن محمد بن حامد، العماد الأصبهاني (٥٩٦هـ):

خريدة القصر وجريدة العصر (القسم المصري) (١ - ٢) تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف، القاهرة ١٩٥١م.

- محمد بن محمد بن سماك، أبو القاسم ابن سماك العاملي (القرن الثامن الهجري):

الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تحقيق محمود علي مكي، مدريد ١٩٨٤م.

- محمد بن محمد أبو يحيى، ابن عاصم الغرناطي (بعد ٨٥٦هـ):

جنة الرضا، في التسليم لما قدر الله وقضى (١ - ٣)، تحقيق صلاح جرار، عمّان ١٩٨٩م.

- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، الشريف الإدريسي (بعد ٥٦٠هـ):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (جغرافية الإدريسي)، تحقيق لجنة من المستشرقين، نابلي وروما ١٩٨٤م.

- محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، ابن عبد الملك المراكشي(٧٣٣هـ):

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت، بدون تاريخ؛ بقية السفر الرابع والسفر الخامس والسفر السادس، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٤م و ١٩٦٥م و ١٩٧٣م على التوالي، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، ١٩٨٤م.

- ابن مرزوق التلمساني

(انظر محمد بن أحمد بن محمد)

- ابن المعتز

(انظر عبد الله بن المعتز بن المتوكل)

- المقَّري

(انظر أحمد بن محمد بن أحمد القرشي)

- المقريزي

(انظر أحمد بن علي بن عبد القادر)

- موهوب بن أحمد البغدادي، أبو منصور ، الجواليقي (٥٤٠هـ):

المعرَّب من الكلام الأعجمي، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩م.

- النباهي

(انظر علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي)

- أبو نواس

(انظر الحسن بن هانئ الحكمي)

- ابن هشام

(انظر عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري)

- ابن هشام

(انظر محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي)

- الونشريسي

(انظر أحمد بن يحيى بن محمد)

- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ):

معجم البلدان (١ - ٥)، دار صادر، بيروت ١٩٨٦م.

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) (١ - ٢٠)، بعناية أحمد فريد الرفاعي، دار المأمون، القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٣٨م.

- اليعقوبي

(انظر أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)

- يوسف بن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (٨٧٤هـ):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (١ - ١٢) طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٤٩م.

- يوسف بن عبد الله بن محمد، أبو عمر ابن عبد البر النمري (٤٦٣)هـ:
جامع بيان العلم وفضله، مراجعة عبد الرحمن حسن محمود، القاهرة ١٩٧٥م.
- مؤلفون مجهولون:
- **الطبيخ في المغرب والأندلس** (القرن السابع الهجري)، تحقيق أويثي ميراندا، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦١ - ١٩٦٢م.
- **أخبار مجموعة**، تحقيق لافونتي ألكنترا، مدريد ١٨٦٨م.
- **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق لويس مولينا، مدريد ١٩٨٣م.

المراجع:

أ - العربية:

- إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي**، عصر سيادة قرطبة، بيروت ١٩٨٥م.
- إحسان عباس: طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية، **مجلة المناهل**، الرباط، العدد ٢٩، السنة الحادية عشرة، مارس ١٩٨٤م.
- إحسان عباس: ابن حيان الأندلسي، مؤرخ الجماعة، في **مجموعة دراسات في الأدب الأندلسي**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٧٦م.
- حازم عبد الله خضر: ابن حيان أديباً وكاتباً، **مجلة المناهل**، العدد ٢٩، مارس ١٩٨٤م.
- حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، القاهرة ١٩٥٩م.
- رينهارت دوزي: **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة محمد سليم النعيمي، (١ - ٥)، بغداد ١٩٨١م.
- زامباور: **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة**، ترجمة زكي محمد حسن وزميله، القاهرة ١٩٥٠م.
- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): أبو مروان ابن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة، **مجلة المناهل**، العدد ٢٩، مارس ١٩٨٤م.

- عبد الله كنون: نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان، **مجلة المناهل**، العدد ٢٩، مارس ١٩٨٤م.

- كارلو نلّينو: **علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى**، روما، ١٩١١م.

- ليفي بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة ١٩٥٦م.

- محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٩ (الطبعة الرابعة).

- محمد عبد الله عنان: اكتشاف السفر الخامس من المقتبس، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، مدريد، المجلد ٢٢، ١٩٦٥م.

- محمد الفاسي: مخطوط جديد من تاريخ ابن حيان، **مجلة الثقافة**، المجلد السادس، الرباط ١٩٧٢م.

- محمد مفتاح: منهاجية ابن حيان في تاريخ الأدب ونقده، **مجلة المناهل**، العدد ٢٩، مارس ١٩٨٤م.

- محمود علي مكي: **ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي**، القاهرة ١٩٩٩م.

- محمود علي مكي: بكر بن حماد التاهرتي، **مجلة العربي**، الكويت ١٩٦٣م.

- مصطفى الشكعة: أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ، **مجلة المناهل**، العدد ٢٩، مارس ١٩٨٤م.

- نبيلة حسن محمد: **التعريف بالنسخة الفريدة من المقتبس لابن حيان القرطبي** (١٨٠-٢٣٢هـ)، الإسكندرية ١٩٨٨م.

- نجيب العقيقي: **المستشرقون** (١ - ٣)، القاهرة ١٩٨٠م.

- وداد القاضي: حول الفكر السياسي لابن حيان، **مجلة المناهل**، العدد ٢٩، مارس ١٩٨٤م.

ب - الأوربية :

- Aguado Bleye, Pedro: Manual de la historia de Espana, vol. I, Madrid, 1947.
- Avila, MaLuisa: La Fecha de redaccion del Muqtabis, en Alcantara,vol V, 1984.
- Codera, Francisco: Estudios criticos de historia arabe-espanola, vol. XI, Madrid, 1917.
- Ibn Hayyan: Cronica del califa Abdarrahman III, an-Nasir, enter los anos 912 y 942 (Al-Muqtabis V), trad. Notas e indices por Ma Jesus Viquera Y Federico Corriente, Zaragaza, 1981.
- Chalmeta, Pedro: Historiografia medieval hispana arabica, en Al-Andalus. Vol XXXVII, 1972.
- Dozy, Reinhardt: Scriptorum Arabum loci de Abbadidis, 3 Vols., Leyden, 1846-1863.
- Dublez, Cesar: Los defensores de toledo. Leyenda mozarabe, en Dtudes d'orientalisme dedieca a la memoire de Levi-Provencal, Paris, 1962.
- Echegaray, C. de: Llegaron los arabes a Guernica? En Revue internationale des etudes basques. T IV, 1910.
- Garcia Gomez, Emilio: Anales palations del califa de Cordoba al-Hakam II por Isa b. Ahmad al-Razi (360-4 H. = 971-5 J. C), Madrid, 1967.
- Garcia Gomez, Emilio: Al-hakam II y los bereberes, Al-Andalus, vol. XIII, 1948.
- Gaspar Remiro, Mariano: Historia de murcia Musulmana, Zaragoza, 1905.
- Gayangos, Pascual de: The history of Mohammedan dynasties in Spain, 2 vol., London, 1840-1843.
- Gonzalez Palencia, Angel: Los mozarabes de Toledo en los siglos XII y XIII, 4 vols., Madrid, 1930.
- Hernandez Jimenez, Felix: La Kura de Merida, en Al-Andalus, vol. XXV, 1960.
- Levi-Provencal, Evariste: Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 vols., Paris, 1950-1955.

- Levi-Provencal, Evariste: La fondation de Fes, dans annales de l'Institut des Etudes Orientales D'Alger, t. IV, 1938.
- Levi-Provencal, Evariste: Un echange D'ambassades entre Cordove el Byzanco au TX eme siecle, dans byzantion, XII , 1937.
- Menendez Pidal, Ramon: Espana del Cid, 2 vols Madrid, 1974.
- M. Antuna, Melchor: Abenhayan de Cordoba y sa obra historica, en Ciudad de dios, 1924.
- Pons Boigues, Francisco: Dnsayo biobibliografico sobra los historiadores y geografos arabigo- espanoles, Madrid, 1898.
- Sanchez Albornoz, claudio: La campana de Marcuera, en Anales de la historia antigua y medieval, K, Buenos Aires, 1948.
- Simonet, Francisco Javier; Glosario de voces ibericas y latinas usadas entra los mozarabes, Madrid, 1888.
- Teres Sadaba, Elias: Materiales para el estudio de la toponimia hispono-arabe. Nomina fluvial, Madrid, 1984.
- Torres Balbas, Leopoldo: Ciudades hispano- musulmanas, t. 1, ed. El Instituto Hispano- arabe de cultura, Madrid, Sin fecha.
- Torres Balbas, Leopoldo: Nuevos datos documentales sobre la construccion de la mezquita de Cordoba en el reinado de aBdal-Rahman II, en Al-Andalus vol. VI, 1941.
- Vallve Bermejo, Joaquin: La division territorial en la Espana musulmana. La cora de Tudmir (Murcia), en Al-Andalus, vol. XXXVII.
- Vallve Bermejo, Joaquin: D. Emilio Garcia Gomez in memoriam, en Boletin de la Real Academia de la Historia, vol. CXCII, 1995.
- Viguera Molins, Maria Jesus: Apuntes sobre Ibn Hayyan, en temas Arabes, La Liga de Estados Arabes, tunez, no. I, agosto, 1986.
- Viguera Molins, Maria Jesus: Referencias a una fecha en que escribe Ibn Hayyan, en Al-Qantara, vol. VI, 1983.

الكشافات العامة

* فهارس مقدمة الكتاب:

١ - فهرس الأعلام.

٢ - فهرس الأعلام الجغرافية.

٣ - فهرس الأمم والطوائف وما إليها.

٤ - فهرس المؤلفين والمصادر.

* فهارس الكتاب:

١ - فهرس الأعلام.

٢ - فهرس المواضع الجغرافية.

٣ - فهرس الشعوب والقبائل والطوائف.

٤ - فهرس الشعر.

٥ - فهرس المصادر والمراجع.

٦ - فهرس رواة الأخبار والمؤلفين.

* فهارس تعاليق الكتاب:

١ - فهرس الأعلام.

٢ - فهرس المواضع الجغرافية.

٣ - فهرس الشعوب والقبائل والطوائف.

٤ - فهرس الشعر.

فهارس مقدمة الكتاب

١- فهرس الأعلام

٢- فهرس الأعلام الجغرافية

٣- فهرس الأمم والطوائف وما إليها

٤- فهرس المؤلفين والمصادر

فهارس الكتاب

١- فهرس الأعلام

الهمزة

الباء

التاء

غ، ف، ق، ك، ل

الميم

النون

٢- فهرس الأعلام الجغرافية

٣- فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

٤- فهرس الشعر

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
الخلفاءِ	مجزوء الرمل	عبدالله بن الشمر	٣٤٠
صَماء	خفيف	عبدالله بن الشمر	٣٤٢
نصيا	خفيف	يحيى بن الحكم الغزال	٢٦١
قُربه	خفيف	سعيد بن الفرج الرشاش	٣٧٧
طروبا	متقارب	عبدالرحمن بن الحكم	٢٩٩
سكبُ	طويل	عثمان بن المثنى	٣٨٢
سكوبُ	طويل	مروان بن غزوان	٤٠٢
دبيبها	طويل	عثمان بن المثنى	٣٨٣
حبيبها	طويل	ذو الرمة	٣٨٣
وجيبُ	كامل	يحيى بن الحكم الغزال	٢٤٦
والضربِ	طويل	مروان بن غزوان	٤٠١
واللعبِ	بسيط	أبو تمام	٤٣٠
للصوابِ	وافر	يحيى الغزال	٣٦٦
نابي	كامل	مروان بن غزوان	٤٠١
للأشيبِ	سريع	يحيى الغزال	٣٦٧
زريابِ	خفيف	عبدالله بن الشمر	٣٣٤
فاتا	كامل	إبراهيم بن سليمان الشامي	٢٦٤
علوتهٌ	طويل	أحمد بن مغيث	١٩٤

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
ثبوتُ	مجزوء الرمل	إبراهيم الشامي	٢٦٥
صلاة	طويل	عباس بن فرناس	٢٤٢
بالنبوات	بسيط	يحيى الغزال	٢٤٣، ٣٥٢
بالتخومات	بسيط	يحيى الغزال	٢٧٦
زقوات	بسيط	يحيى الغزال	٣٥١
عِناة	سريع	مروان بن غزوان	٤٠١
قدرته	سريع	عبد الملك بن حبيب	٣١٥
استه	سريع	سعيد الرشاش	٣٧٧
حراماتهم	متقارب	يحيى الغزال	٢٥٦
الرعث	رمل	مجهول	٣٧٩
محدث	كامل	سعيد الرشاش	٣٧٨
الصبح	طويل	سعيد الرشاش	٣٨٠
قفدا	طويل	سعيد الرشاش	٣٧٩
انفردا	بسيط	يحيى الغزال	٣٥٦
الأولادا	كامل	إبراهيم الشامي	٢٦٥
مسجد	طويل	عبدالله بن الشمر	٢٨٦
أقصد	طويل	يحيى الغزال	٢٥٤
محمد	طويل	مروان بن غزوان	٣٩٩
ينتقد	كامل	يحيى الغزال	٢٤٩
سرمد	طويل	مروان بن غزوان	٤٠٠

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
بعدي	بسيط	يحيى الغزال	٢٤٤
الجهاد	وافر	عبدالله بن بكر النذل	٣٨٦
نصرا	طويل	عثمان بن المثنى	٤٥٩
المحبرا	طويل	عثمان بن المثنى	٤٥٩
الضررا	بسيط	سعيد الرشاش	٣٧٥
تصبرا	سريع	يحيى الغزال	٢٦٢
والسحر	طويل	عثمان بن المثنى	٣٨٤
سامر	طويل	عامر الجرهمي	٣٩٦
دوائر	طويل	ابن الشمر	٣٩٦
العواثر	طويل	عامر بن الحارث الجرهمي	٣٩٦
ناصر	طويل	عبدالله النذل	٣٨٨
عسير	طويل	أبو نواس	٣٥٧
تفور	طويل	يحيى الغزال	٢٤٥
وبعير	طويل	يحيى الغزال	٣٥٧
حجر	بسيط	غريب بن عبدالله	٢٦٦
حجر	بسيط	إبراهيم الشامي	٢٦٦
وابتكروا	بسيط	مجهول	٣١١
وآثار	بسيط	ابن الشمر	٣٩٥
القدر	مجزوء الوافر	ابن الشمر	٣٩٥
عسر	كامل	عباس بن ناصح	٩٢

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
من الذر	طويل	إبراهيم بن قطن	٢٣٥
بقري	طويل	عباس بن ناصح	٢٣٦
القبر	طويل	إبراهيم الشامي	٢٦٦
الزهر	طويل	أحمد بن فرج	٣٢٨
والفكر	طويل	عبدالرحمن بن الحكم	٣٠٢
والبدر	طويل	ابن الشمر	٣٠١
المتشاجر	طويل	يحيى الغزال	٢٤٣
منصور	بسيط	مؤمن بن سعيد	٣٠٨
بالصخور	وافر	يحيى الغزال	٢٥٨
الأبرار	كامل	إبراهيم الشامي	٢٦٨
الخمر	كامل	عبدالله النذل	٣٨٥
يجري	كامل	عبدالله النذل	٣٨٦
في الشهر	هزج	ابن الشمر	٣٣٨
أيره	مجزوء الرمل	عبدالله بن عاصم	٣٧٧
الساري	سريع	ابن الشمر	٣٠٢
الداري	سريع	عبدالرحمن بن الحكم	٣٠٢
الساري	سريع	يحيى الغزال	٢٥٧
فجري	سريع	يحيى الغزال	٢٤٧
الناس	بسيط	يحيى الغزال	٢٥٢
راسي	بسيط	مؤمن بن سعيد	٢٤٠

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
راسي	بسيط	عباس بن فرناس	٢٤١
ببطلوس	بسيط	مجهول	٤٤١
من روس	بسيط	ابن الشمر	٤٤١
والناس	سريع	غربيب بن عبدالله	١٧٦
لنفسه	خفيف	إبراهيم الشامي	٢٦٤
ماضي	مجزوء الرمل	ابن الشمر	٢٩٤
لافظ	طويل	عبدالله بن النذل	٣٨٨
يقع	طويل	محمد بن أمية بن يزيد	١٠١
يافعا	طويل	الحكم بن هشام	١٤٥
جذعا	بسيط	عباس بن ناصح	٢٣٣
أربعه	رجز	يحيى الغزال	٢٤٤
أربعه	رجز	يحيى الغزال	٣٧١
ربيعا	مجزوء الرمل	ابن الشمر	٣٣٥
جازع	طويل	مؤمن بن سعيد	٣٣٤
ممنوع	بسيط	عباس بن ناصح	٢٣٧
الجامع	سريع	عثمان بن المثنى	٢٨٤
متفرقا	طويل	بكر الكناني	١٩٠
خنقا	بسيط	غربيب بن عبدالله	١٧٦
ينطق	طويل	عثمان بن المثنى	٣٨٢
واثق	سريع	يحيى الغزال	٢٥٦

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
ملحوقا	منسرح	عباس بن فرناس	٣٤٧
مرزوقا	منسرح	مؤمن بن سعيد	٣٤٨
أخلق	كامل	عثمان بن المثنى	٣٨٢
صواعقها	منسرح	عباس بن فرناس	٢٤١
رائقها	منسرح	مؤمن بن سعيد	٢٤١
وأعطاكا	بسيط	غربيب بن عبدالله	١٩٤
رداكا	وافر	سعيد الرشاش	٣٧٧
مالكا	كامل	إبراهيم الشامي	٢٦٧
مليكا	خفيف	الحكم بن هشام	٢٢٨
الرجل	متقارب	يحيى الغزال	٢٥٠
أحلها	طويل	إبراهيم الشامي	٢٦٨
إقفالا	سريع	مؤمن بن سعيد	٣٤٧
أفضل	كامل	غربيب بن عبدالله	١٧٤
المتوقل	كامل	بكر الكناني	٢٣٦
نقول	خفيف	يحيى الغزال	٣٥٩
الأهل	طويل	غربيب بن عبدالله	١٧٦
مغلغل	طويل	مجهول	٩٧
مغربل	طويل	عباس بن فرناس	٣٥٠
الحواصل	طويل	غربيب بن عبدالله	١٧٦
المزابل	طويل	غربيب بن عبدالله	١٧٧

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وائل	طويل	يحيى الغزال	٢٤٤
لوائل	طويل	أبو ذؤيب الهذلي	٣٥٨
المغيلي	وافر	مؤمن بن سعيد	١٩٦
طويل	وافر	يحيى الغزال	٣٦٣
وجماله	كامل	يحيى الغزال	٣٥٥
كالجبال	مجزوء الرمل	يحيى الغزال	٣٥٩
أطلال	سريع	سعيد الرشاش	٣٧٤
والكرم	طويل	عباس بن ناصح	٢٣٥
بالقلم	طويل	عباس بن ناصح	٢٣٥
بدم	طويل	إبراهيم الشامي	٢٦٩
وتم	رمل	ابن الشمر	١٨٥
حلم	متقارب	مجهول	١٠٠
يتكلما	طويل	عمر بن أبي ربيعة	٣٣٢
يظلما	كامل	عبدالكريم بن مغيث	٢٧٦
يتظلم	طويل	ابن قرلمان	٢٩٧
تسلم	طويل	ابن الشمر	٣٣٩
المظالم	طويل	عمرو بن براقة	٤٧٩
عليم	طويل	عبدالله النذل	٣٨٩
وقطيمها	طويل	عبدالله النذل	٣٨٧
وخيمها	طويل	عبدالله النذل	٣٨٩

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
جيرون	بسيط	أبو قطيفة الأموي	٣٣٢
الأركان	كامل	إبراهيم الشامي	٢٦٤
دوني	كامل	عباس بن فرناس	٢٤٢
سحنون	رجز	يحيى الغزال	٢٥١
بالواني	سريع	يحيى الغزال	٢٥٨
تفنيها	بسيط	عباس بن ناصح	٢٣٧
نواصيها	بسيط	يحيى الغزال	٣٧٠
التيه	بسيط	ابن قرلمان	٣٤٧
إليه	خفيف	يحيى الغزال	٣٥٤
الهبرزي	خفيف	ابن الشمر	٣٣٤
مثنويه	وافر	غربيب بن عبدالله	١٧٧
جدوى	مجزوء الرمل	يحيى الغزال	٢٥٩

٥- فهرس المصادر والمراجع المذكورة في المتن والتعليقات

فهرس رواة الأخبار

والمؤلفين الذين لم تذكر أسماء كتبهم

فهارس تعليقات الكتاب

١ ـ فهرس الأعلام

الباء

التاء

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

٢- فهرس المواضع الجغرافية

٣- فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

٤- فهرس الشعر

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وبراء	الرمل	عبد الله بن قرلمان	٥٣٣
نحيا	المتقارب	--------	٥٣٢
منخلعا	البسيط	عباس بن ناصح	٥١٣
السرادقِ	الطويل	الشريف الأصم القرطبي	٥٤٩
والكمّهْ	الهزج	أحمد بن عبد ربه	٥٢٦
قَشْعَمِ	الطويل	زهير بن أبي سلمى	٤٧٣
وثاقيا	الطويل	أبو محجن الثقفي	٤٨٨



طبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية